شبكة الألوكة
www.alukah.net

مخطوطات جامع عنيزة

مخطوطة (٥٩)

المجلد الأول من تفسير النسفي، من أوله إلى تفسير قوله تعالى (إن الصفا والمروة من شعائر الله)

الجزء الاول من تفسير الامام النسفي
من اول سورة البقرة الى قوله تعالى
ان الصفا والمروة من شعائر الله

١٩٨ (١)

فائدة

قال في جامع الاصول للشيخ احمد بن محمد
اللطيف الزجي في كتاب الطب من نصه
قال صلى الله عليه وسلم علمني جبريل دواء
من كل داء ان تاخذ من ماء المطر من غير
ان يجري على سطح وتقرا عليه فاتحة الكتاب
سبعين مرة وآية الكرسي كذلك ٧ وقل
هو الله احد كذلك والمعوذتين
كذلك ولا اله الا الله وحده لا
شريك له كذلك وتشغل في الماء و
فتصوم سبعة ايام فتفطر على ذلك
الماء ٩

لله الامر من قبل ومن بعد
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

كتاب كشف الاسرار
تفسير للنسفي الحنفي

مكتبة عنيزة

الجزء الاول من تفسير الامام
العلامة نجم الدين عمر النسفي
المسمى بحر علوم التفسير

الجزء الاول من تفسير الامام
العلامة نجم الدين
عمر النسفي المسمى
بحر علوم
التفسير

المكتبة العلمية
عنيزة

١٠١٤

يعلم الناظر ان هذا الكتاب [illegible] لا يباع ولا [illegible] اوصى به [illegible] عبد ال[illegible]
الحسيني [illegible] وكتبه ابنه عبد الله [illegible] عبد الله [illegible] عفو
الله للموصي والموصى اليه كان هذا الكتاب [illegible] سنة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر

الحمد لله الذي انزل القران شفاء ورحمة وفضلا ونعمة وحكما وحكمة وبيانا
وبينة وتخويفا وموعظة وميراثا ووصية وبصاير وتبصرة وتذكيرا وتذكرة
وذكرا وذكرى ومبشرا وبشرى وهاديا وهدى وكتابا وقرانا وحديثا وفرقانا
وحجة وبرهانا وبلاغا وتبيانا ونبا وقسما وكلاما وكلما ومستقيما وقيما
ومتشابها ومحكما وقولا وقيلا ومفصلا وتفصيلا ومنزلا وتنزيلا وصراطا وسبيلا
وميسرا وموصلا وامثالا ومثلا ونجوما ونجما ومعلما وعلما وقصصا ووحيا
وامرا ونهيا وروحا ونورا ومتلوا ومسطورا وخبرا وحبلا وحقا وفصلا
وصدقا وعدلا ومكتوبا ومحفوظا ومجيدا وعظيما وعليا وحكيما
وعزيزا وكريما ومبشرا ونذيرا ومناديا ومنيرا ومبينا وبينا ومصدقا
ومهيمنا واماما ومتبوعا ومقبولا ومسموعا ومباركا وطيبا وماء وصيبا وعربيا
وعجبا وايات بينات ومبينات ومبينات ومثاني وكلمات وحروفا مقطعات مثل نون
وق وحم عسق وص والمص وكهيعص وطه والر والمر ويس وطس وطسم وحم
والم وهي مائة اسم للقران لما فيه الذكر والبيان بها كلها سماه والى عبده
المصطفى ورسوله المجتبى محمد خير الورى اوحاه جمع له فيه العلوم وفهمه الحلي منه والمكتوم
وعلى اسراره اوقفه وببيانه لامته كلفه وابرز لهم مودعاته باستنباط اعلام الصدر الاول وسرحهم
الى الغوص في بحار غدره واستخراج درره سبيل من فسره بعدهم واول فله الحمد على تظاهر نعمه علينا في الدنيا والاخرة والصلاة على المصطفى

محمد

٣٣

لما صح هذا الجزء من التيسير بعد النظر والتامل ومراجعة التيسير
هذا الجزء الاول من بحر علوم التفسير للعلامة النسفي صاحب التيسير وقد ذكره
فيه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين ما نصه وللتقوى في التقوى المتقي اقاويل تبلغ مائة
عددناها في كتابنا الموسوم ببحر علوم التفسير كل نحو رسوم التذكير النسفي

محمد واله اجمعين واصحابه ونقلة علمه الى يوم الدين
قال العبد عمر بن محمد بن احمد النسفي ستر الله
عيبه ورحم شيبه طال ما سالتموني اهل العلم اتاكم الله
سؤلكم وسهل الى المرادات وصولكم جمع كتاب في تفسير
القران سهل ممتنع وجيز مستجمع شغفا منكم بكلامي واستعذابا
لنظامي وثقة باختياري ورضا بايرادي واصداري فوجدتم
مني تابيا باعتذار وتانيا على حذار واعتلالا بان الكلام في كتاب
الله تعالى شديد والامر في نهايته بعيد والذهن في الكبر كليل
والخاطر على ترادفه فاتر عليل والشغل بوظايف الخاصة وحوايج
العامة اناء الليل والنهار غير قليل وخطب تفرق القلب لكثرة العيال
وقلة المال جليل ثم رغبات المقتبسين في قدر ذلك الكتاب وكيفيته
مختلفة والشهوات على نمط واحد منه غير مؤتلفة وارضاء الجميع
ممتنع ورجاء الاجتماع منقطع وهذا التعليل على هذا التطويل
لم يفل حدكم ولم يفل جدكم بل ابيتم مني الا الاجابة بدءا وعودا والا الايجاب
ارادة وقصدا فاسترسلت لكم بعد الجماح واستشعرت خفض
الجناح واستخرت الله تعالى في اسعافكم بمرادكم واستعنته على مساعدتكم
واسعادكم وشرعت فيه مستعيذا بالله ومستجيرا وكفى بالله وليا
وكفى بالله نصيرا فاقول وبالله التوفيق والهداية الى سواء الطريق
الناس في معنى التفسير والتاويل بين المقصر والمطول
وانا على التوسط المعول فنقول التفسير علم نزول الاية وشانها وقصتها
والاسباب التي نزلت فيها والاقوام الذين اريدوا بها والتاويل
صرف الاية الى معنى تحتمله موافق لما قبلها وما بعدها فاما
مأخذهما فقد قال ثعلب التفسير ماخوذ من قول العرب فسرت ال[illegible]

والاولى في كلامه

اداركتها لسطلق حصرها فالتفسير كشف ظاهر الآية مرادها
وقال الدريدي اصله من التفسرة وهي الدليل من ماء العليل
الذي ينظر فيه الرطبا وكما ان الطبيب بالنظر في الماء يكشف حال العلة
فكذا المفسر بالنظر في الدليل يكشف عن مراد الآية وقال صاحب
المجمل الفسر البيان والفسر نظر الطبيب في الماء والتفسرة كذلك وقيل
هو تفعيل من فسر وهو مقلوب من سفر وهو لقولهم جئتك
وجبذا اي مد وبض وضب اي سال وقد سفرت المراة عن وجهها
اي كشفت واسفر الصبح اي اضاء ووجوه مسفرة اي مضيئة
وسفر الارض اي كنسها فاظهر وجهها والسفر الكتاب المبين والسفر
يكشف عن اخلاق الناس والسفرة تكشف ليتناول ما فيها فعلى هذا
يكون التفسير هو كشف المغلق المستور والمراد بالظاهر المذكور
والتاويل من الاول وهو الرجوع يقال اولته فآل اي صرفته فانصرف
فكان المراد بالتاويل هو صرف الآية الى ما يحتمله من المعنى بالدليل
وقال النضر بن شميل اصله من الاياله وهي السياسة يقال الت الوالي
علينا اي سسنا وساسنا عبريا فكان المتاول سائس الكلام
والقادر عليه واضعه مواضعه وعلى هذا يكون قولهم آل يتعدى
ويكون تشديده لتردده لا لتعديته بتشديد ومعناه انه تتبع سورة
بعد سورة وآية بعد آية فالتفسير هو علم النزول الذي يتكلم فيه الرباالسماع
والتاويل ما يتعلق بالاستنباط بشرط موافقة النص والاجماع والاهلية
العلم فيها عبارات قيل التفسير كشف ظاهر الكلام والتاويل كشف
وبالفارسية تفسير روشن كردن روي سخن است وتاويل
بيدا كردن معنى سخن است وقيل التفسير بيان اول الكلام والتاويل

بيان آخره وبالفارسية تفسير من كشايش راء وتاويل
من نمايش راء وقيل التفسير للمحكمات والتاويل للمتشابهات
وقيل علم التفسير للخلق وعلم التاويل للحق قال الله تعالى وما
يعلم تاويله الا الله وهو فيما يرجع الى الغيب الذي استاثر الله بعلمه
متى وقوعها واشراطها متى ظهورها وقيل التفسير ما لا يختلف
والتاويل ما اختلف فيه ثم اختلف الناس في جواز الخوض
فيها فقال قوم لا يجوز تفسير القرآن شيء الا ان يرد فيه نقل صحيح
كرواية ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال في القرآن
برايه فليتبوأ مقعده من النار وقال صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن
برايه فاصاب فقد اخطأ وسئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه
عن تفسير قوله تعالى وفاكهة وابا فقال اي سماء تظلني واي ارض
تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وفي رواية قال اذا قلت في آية
من كتاب الله تعالى بغير ما اراد الله بها وقال ابي بن كعب رضي الله عنه
ما استبان لك فاعمل به وانتفع به وما يشتبه عليك فامر به وكله الى
عالمه وعامة اهل العلم على جوازه لقول الله تعالى افلا يتدبرون
القرآن وهو حث على التامل فيه على معانيه وقال الله تعالى لعلمه الذين
يستنبطونه منهم وقال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم وقال تعالى تبيانا
لكل شيء وقال النبي صلى الله عليه وسلم اول ما يرفع من الارض
العلم قالوا يا رسول الله يرفع القرآن وقد اثبتناه قال ولكن يموت من يعلم
تاويله ويبقى قوم يتاولونه على اهوائهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه
من اراد العلم فليثور القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين وقال الحسن
ما انزل الله تعالى آية الا وهو يحب ان يعلم العباد ما عنى بها وقال
علي رضي الله عنه ما من شيء الا وعلمه في القرآن ولكن راي الرجال يعجز عنه

وقال الحسن انزل الله تعالى مائة واربعة كتب من السما اودع
علومها اربعة منها التوره والانجيل والزبور والفرقان ثم اودع
علوم هذه الاربعة القران ثم اودع علوم القران المفصل ثم اودع
علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم
تفسير جميع كتب الله المنزلة وقال الحسين بن الفضل
المفسر قرات كتاب الله تعالى من اوله الى اخره ثمان وعشرين مره
متدبرا متفكرا ما فيها من مره الا وعثرت على نوع جديد من العلم
ورايت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا ابا على
انك تعيش مائه وتلبس سته قال فعاش مائه وتلبس سته
عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم القران ذلول ذو وجوه
فاحملوه على احسن وجوهه فقوله ذلول له وجهان احدهما
انه ممكن القراءه ينطلق به جميع الالسنه والثانى انه واضح المعانى
حتى لا يقصر عنه افهام المجتهدين فى وقوله ذو وجوه له وجهان
احدهما ان نظم كلماته يحتمل التاويل على وجوها متناسبة لاعجازه
والثانى انه يجمع وجوها من الامر والنهى والوعد والوعيد والتحريم
والتحليل وقوله فاحملوه على احسن وجوهه له وجهان احدهما
اى احملوا تاويله على احسن معانيه والثانى اى اعملوا باحسن ما فيه
من العزايم دون الرخص والعفو دون الانتصاف وهذا كله دليل
جواز الاستنباط وقال ابن عباس التفسير على اربعة
اوجه وجه تعرفه العرب بكلامها ووجه لا يعذر احد بجهالته
ووجه يعلمه العلماء ووجه لا يعلمه الا الله تعالى قالوا فالاول حقايق
اللغة وموضوع الكلام والثانى هو اصول التوحيد واصول الشرايع
والثالث فروع الاحكام وتاويل المحتملات والرابع الغيوب

من وقت قيام الساعة ووقت ظهور ايانها فما لا يعذر احد بجهله فرض
عين وما يختص به العلما فرض كفايه واما الجواب عن احتجاجهم بقوله
صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فمعناه من حمله على ما يتراى له خطا
ولم يعمل على شواهد الفاظه بدلايله فاصاب الحق فقد اخطا
الدليل وقيل الراى نوعان راى يترآى من هاجس نفس وهو
الظن والحسبان وهو المزجور عنه المحجور عن القران وراى يبنى
من عقل كامل وعلم باهر وتاييد من الله ظاهر وهو الاستنباط المعمود
والراى المحمود وقال الامام ابو منصور انكر بعض السلف
ثبوت هذا الخبر فقد ثبت من الائمه تفسير القران والقول فيه
وللناس حاجة الى معرفته والذين اقروا بصحته اختلفوا فى تاويله
قال بعضهم التفسير بالراى هو ان يحمل المرء على ما يراه بعقله دون
ان يعضد التفسير بالدليل قال وقيل هذا الوعيد فى حق
المتحكم عليه بالغرض على الدليل قال وقيل هذا الوعيد فى حق
من يقطع القول بصحة ما اداه اليه اجتهاده وغلب ظنه وترجح
فاما من قال يحتمل هذا ويقول ان كان خطا فمنى وان كان صوابا
فمن الله تعالى فهذا لا باس به قال وقيل هو ان يجعل راية عيارا
لما جاء القران يبنى عليه مذهبه وهو كحمل المعتزلة النظم فى قوله
الى ربها ناظرة على انتظار الكرامة دون الرؤية وحملهم الاضلال المذكور
من الله تعالى على التسمية دون الايجاد قال وقيل
هو فى المتشابه الذى ليس للناس حاجة لا معرفة ما فيه
قال وقيل النهى فى التفسير دون التاويل وبينهما
والتفسير هو الاخبار عن شان نزوله وعن سبب نزوله وذلك
علم من شهد ذلك وهو نقول لا يعلم وغيره بالراى والتاويل هو ما يحتمل
اللفظ من المعانى وقد جعل الله القران اصلا لجميع ما يقع به البلوى

من النوازل الى قيام الساعة قال وجميع ما جاء عن الائمة
وبين الفقهاء عليه هو تاويل لا تفسير قال والتفسير
تبيين حقيقة ذلك والتاويل تبيين المقصود فانه
في اللغة صرف الكلام الى ما اليه يؤل والتفسير يكون
ذا وجه والتاويل ذو وجوه هذا كله مختصر كلام الامام
ابو منصور رحمه الله قال نجم الدين رضي الله
وقد ذكر مثالا واحدا لهما قال في قوله وان طائفتان من
المومنين اقتتلوا فهما الاوس والخزرج وفي قوله ستدعون
الى قوم اولي باس شديد هم فارس واهل اليمامة وقوله
ومن الناس من يعجبك قوله هو الاخنس بن شريق وفي
قوله ومن الناس من يشري نفسه هو صهيب فهذا ونحوه
من التفسير ولا يتكلم فيه الا بالسماع وقوله انفروا خفافا
وثقالا قال بعضهم اي شبابا وشيوخا وقال آخرون
اي فقرا واغنيا وقال قوم اي عزابا ومتاهلين وقال
جماعة اي اصحاء ومرضى وقالت طايفة اي نشاطا وغير
نشاط فهذا من التاويل وكله جايز مقبول فلا باس بالقول به
بما وافق الاصول ولم يخالف المعقول **الكلام في قوله**
قبل قراءة القران العظيم اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
قال اهل المعرفة هذه الكلمة وسيلة المقصرين واعتصام
الخايفين وعتبى المجرمين ورجعى الهاربين ومباسطة المحبين
وهو امتثال لقول رب العالمين فاذا قرات القران فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم ونزولها كان عند القاء الشيطان
في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم كما نص الله تعالى في كتابه وما ارسلنا

من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
وسياتكلم بيانه في موضعه ان شاء الله تعالى ومعنى اعوذ التجاء
وقيل استعصم وقيل استجير وقيل استعين وقيل اسغيث
وعاذ سيئته مي الذ خشم وبناه مي خوايم وبكاه داشت مي خواهم وامان
مي خوايم ويارى مي خوايم وفرياد مي خوايم والعوذ والعياذ مصدران
كالعوذ واللياذ والصوم وقيل هو الاستجارة بذي منعة وقيل
عن خضوع وقيل هو ما خوذ من العوذ بضم العين وتشديد الواو
وهو كل نبت في اصل شجرة يلتستر بها **قال الشاعر**
خليلي خلصاني لم يبق وجهها ... من القلب الا عوذا سيئا لها ... فعلى
هذا العوذ هو التستر بستر الله الجميل والتبوء في ظل حمايته
الظليل وقيل هو من العوذ بهذه الصيغة وهو اللحم الذي
لصق بالعظم يقال اطيب اللحم عوذه فعلى هذا العوذ هو الانقطاع
عن غير الله والاتصال بالله وقول القايل اعوذ اخبار عن فعله
وهو في التقدير سوال الله من فضله اي اعذني يا رب كما تقول القايل
استغفر الله اي اغفر لي يا رب وهو احترام واستعظام لا انبساط
واجترام ولو لا سبق الامر به لم يتيسر الاقدام ثم هذا الامر عند بعض
الناس يقتضي وجوب الاستعاذة بعد الفراغ من القراءة فان الفاء
للتعقيب وعند عامة المسلمين هو قبل القراءة ومعنى قوله فاذا
قرات القران اي فاذا اردت قراءة القران كما في قوله اذا قمتم الى
الصلوة فاغسلوا وجوهكم وقوله اذا طلقتم النساء فطلقوهن
لعدتهن وهذا اضمار ثابت بالبديهة فان الاستعاذة للتحذر
عن وسوسة الشيطان عند قراءة القران وذاك بالتقدم لا بالتاخير
وهذا سايغ في اللغة **قال الشاعر** اذا المحبت

معاذ الله انه ربي احسن مثواي وقالت امراه عمران اني
اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وقالت مريم
اني اعوذ بالرحمن منك وقال ابرهيم عليه السلام حين القي
في النار على ما ورد في الاخبار اعوذ بالذي خلقني فهداني ومن
من عصاه فاذاني وقال بينما محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم
بامر الله تعالى رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك
رب ان يحضرون وقال اعوذ برب الفلق السورة واعوذ
برب الناس السورة وقال ليلة المعراج اعوذ بعفوك
من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك وقال
نوح السلامة وموسى الكرامة ويوسف العصمة وامراه عمران
الاعاذة ومريم البشارة وابرهيم الخلة والمصطفى الشفاعة
وقالوا ايضا في الاستعاذة من الشيطان اظهار الخوف من
الله والذل للعبودية وقيل اتخاذ العدو عدوا الحقيق
للمحبة والفرار من غير الله الى الله تعالى تتميم للعبودية
والامتثال بامر الله يقدم للطاعة والخوف ممن لا يخاف الله
اظهار للمسكنة والالتجا بالله تاكيد للمباسطة وقيل التعوذ
للتبعد والتوحش وهي كلمة استيحاش عند بعضهم والتبعد
عن المبعد لا يكون لخوفه بل يكون وقال من بعد الاخرى ان لا
يتباعد عمن بعده السلطان لاخوفا من ذلك الانسان بل وفاقا
للسلطان على ما كان كانه يقول اي ابليس ان رحمت وقربت
مارا ان تزدوروا ذوق الاخرى ان الناهي في ما بعد الله من رحمته
امره موسى ان يدوم على قوله لا مساس في جميع مدته بعد الناس
بدلا عن صحبته وقيل هو للتبري عن الحول والقوة كانه يقول

اذا طهر فابدا بالميمنة وذلك مقدم لا موخر وقال
بعض اهل الالحاد انكم روتم عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الشيطان ليهرب من البيت الذي يقرا فيه القران
فاي حاجة الى الاستعاذة منه فلنا عنه اجوبة احدها
انا نتعبدنا به فلا عدول عنه والثاني ان هذا الوعد حق من قراه
وعمل به وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا لم يتهلل القران فلست بقارئ
وفي العمل خلل فلا يثق بنيله فلا يستغني عن سواله والثالث
ان الشيطان يحتمل ان يصرفه عن هذه العزيمة فيدفع بالاستعاذة
واسقى ما يكون الشيطان في افساد حال الانسان عند قصده
مكالمة الرحمن فيستعيذ لدفع شره الآن والرابع ان الغرض به
ما قال جعفر الصادق رضي الله عنه التعوذ تطهير الفم عن الكذب
والغيبة والبهتان تعظيما لقراة القران اذ هو الاستيذان
لمكالمة الله بالقران وقالوا ايضا اذا اعذتم بالله من الشيطان الرجيم
عند قراءة القران فلم وقوع الخطا والنسيان والابتلا بالعصيان
وقلنا حفظ الله عند العياذ بالله موعود على التقوى والتذكر
والابصار قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون فمن اخل بهذه الشروط لم ينل هذا الموعود
وقيل من استعاذ بالله من الشيطان ثم اتبعه اذا دعاه الى العصيان
قال التاجر يخرج الى السفر المال كثير ويلتجي في حفظه بخفير حصين
ثم يستجيش بدهاة السراق من اقاصي الافاق الا ترى ان الذي
وفوا بالشروط كما بالوا قالوا قال نوح عليه السلام
رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم وقال موسى عليه السلام
واني عذت بربي وربكم ان ترجمون وقال يوسف عليه السلام

يملك الشيطان بالنظر الى اصله وفعله وانا التجا الى الله من مثله
وقيل هو استعاذة بالله من حال ابليس ومآله لا عن كيده واضلاله
وقيل هو ملوذ الله تعالى يحب المتملقين وكما ان ارباب
الحب من ولد ان يملق له فالله تعالى يحب من عبده ان يملق
مثل العبد بباله اذا خطر له ابليس فعاذ منه بالله كمثل صيد قصده سبع
فعدا الى الحرم فدخله فامن فرجع السبع خاسرا وكمثل عبد هرب
من مولاه يلقاه لص فانثنى فهرب منه الى مولاه فآواه فبقي
اللص خاسرا فالعبد اذا اعاذ بالله من الشيطان الرجيم خسأ
الشيطان خاسرا وقولنا بالله الباء صلة وهي للعانى وهنا
للالصاق وهو الفعل اللائم بالاسم الذي يقع الفعل عليه والله اسم
الله الاعظم وتفسيره القادر على الاختراع وقيل هو المستحق
لاوصاف العلو وقيل هو من له الخلق والامر وقيل هو المعبود
وقيل هو المستحق للعبادة واختلف في انه مشتق او غير مشتق
قال الخليل بن احمد من اهل اللغة والزجاج من اهل النحو
والحسين بن الفضل البجلي من اهل التفسير ومحمد بن الحسن من ائمة
الفقه والشافعي من اهل الحديث وجماعة هو غير مشتق وهو
اسم تفرد الله به فهو اسم له خاص قال الله تعالى هل تعلم له سميا اي
في التفسير ان معناه هل تعرف احدا سمي الله وقال اخرون
هو مشتق ثم منهم من قال من وله يوله وله اذا فزع ولجأ قال الشاعر
وقلت ألا تلكم في بلايا تنوبني فالفيتكم فيها كراما معجدا فمعنا
ان الخلق يلجؤن به ويفزعون اليه في حوائجهم ومنهم من جعله
من الالهة الذي هو التحير والوالهة الحيران لفقد الولد ونحوه
والوله شدة الشوق ايضا قال الشاعر ولهت نفسي الطروب

اليكم

اليكم ولها جال دون طعم الطعام ومعنى الاسم ان الخلق متحيرون
في عظمته والهون من شوق ويتيه فعلى هذين اصل الاسم ولاه
ابدلت الواو همزة كما قالوا وشاح واشاح ثقل الله
ثم دخلت الالف واللام فقيل الاله ثم حذفت الهمزة تخفيفا
فقيل الله ومنهم من جعل الاسم من اله يأله اي دام وثبت
تقول اله بالمكان اي دام واقام قال الشاعر
الهنا بدار ما تبين رسومها كان بقاياها وشام على اليد
ومعنى الاسم انه القديم الازلي الدائم ومنهم من جعله من اله
يأله الهة اي عبد وفي قراءة بعضهم ويذرك والهتك
اي عبادتك قال الشاعر وألهة الهل واحلاه
منفردا وتاله تيأله اي تعبد قال الشاعر رب الغانيات
المدعى نسكهن واسترجعن تالهي ومعنى الاسم انه حق له العباد
ومنهم من جعله من قولهم اله الى فلان اي رجع اليه واعتمد عليه قال
الاعشى الهت اليها والركايب وقف ومعنى الاسم ان رجوع الخلق الله
وتوكلهم عليه ومنهم من جعله من الاله الذي هو التحير قال الشاعر
وبيداء يتيه تاله العين وسطها مخلقة غبرا صرما تململ ومعناه
ما قلناه اولا ومنهم من جعله من قولهم الهت اليه اي سكنت اليه
قال الشاعر الهت اليها والحوادث جمة ومعنى الاسم ان قلوب الخلق
تسكن بذكره قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب ومنهم من جعله
من اله اذا ارتفع والهة سميت الشمس الاهة لارتفاعها قال الشاعر
واعجالا لاهة ان تؤوبا ومعنى الاسم انه العلي العظيم فهذه
الوجوه الة تعال على اصل الكلمة من غير ابدال همزة عوضا او
حذف همزة مع الالف واللام لما مر ومنهم من جعله من لاه يلوه

اى علا ومعناه انه اتعى تعالى ومنهم من جعله من لاه
يلوه ولاه عليه اى احتجب قال الشاعر لاهت فما عرفت
يوما بخارجة يا بيتها خرجت ذعر اينا ها ومعناه انه حجب ابصار
اهل الدنيا عن رؤيته ووعدهم لقاءه ونعيم جنته وعاهدهن
الوجهين وقولنا الله هو الاصل من غير حرف وقد ورد ايضا
بهذه الصيغة فما ليس له اوله الف ولام قال الشاعر
تسمعها لاهه الكبار وقال آخر اللهم ان جرهما
عبادك الناس طرا في لمم بلادك فهذه عشر اوجه في الاشتقاق
يبقى وجه غريب لطيف قيل اصله كان ها الكنايه وذلك
انهم اشاروا اليه لما وضع في نفوسهم من دلاله الفطرة اذ لم يعلموا
له اسما مسموعا ثم ادخلوا عليه لام الملك فصار له يعنون له الملك
والامر ثم مدوا بها اصواتهم تعظيما فقالوا لاه ثم وصلوا بالالف
واللام للتفخيم فصار الله ومن النحويين من قال ادخلت الالف واللام
فيه بدلا من الهمزة المحذوفة منه فلزمتا الكلمة لزوم تلك لهم ولهذا
لم يسقطا عند النداء يا الله كما سقطتا من غيره من الاسماء يا رحمن
يا رحيم وعن كعب الاحبار قال كان داود عليه السلام الهنا اتوقها
اى مولعا بمقاله في كل احواله الهي الهي وقال جعفر الصادق
في هذا الاسم ابتزه الله من غيبه الى قوله ومن قوله الى قلمه ومن قلمه
الى لوحه ومن لوحه الى وجيه ومن وجيه الى انبيائه سكينة
لقلوب اوليائه وقولنا من الشيطان كلمة من في اللغة
لابتداء وهنا يكون لاحد معان ثلاثة اما للابتداء كما في قوله
تعالى افضوا من حيث افاض الناس واما للاستغراق كما في قوله
وما هم بخارجين منها واما للتبعيض فان وقوع هذا الفعل على
الاسم

الاسم المذكور بعض محض من جنس الكلمة لغة وتحقيق المعنى الاول
والثاني ان العوذ يفيد اما الانفصال من الشيطان ويتم بالاتصال
بالله وهو استعمال من غير الله الى الله والشيطان هو ابليس وفي اشتقاقه
عشره اقاويل احدها انه من الشطون وهو البعد قال الشاعر
فاصبحت بعدما وصلت بدار شطون لا تغاد ولا تعود ومعناه
المبعد من الرحمة والثاني انه من قولهم شاط بشيط اى هلك
قال الاعشى قد نطعن العير في مكنون فايله وقد يشيط على
ارماحنا البطل ومعناه الهالك الدارين والثالث انه من قولهم
شيط الشيء اى احترق واشتاط غضبا اى احترق ومعناه
المحترق في الدنيا بنار الفرقة وعذابها بنار العقوبة والرابع انه من قولهم
فرس شطون اى جموح ومعناه العصي الابي والخامس انه من الشطر
وهو الجبل الطويل المديد ومعناه المتمادي في الطغيان الممتد الى العصيان
والسادس انه من قولهم فرس شطان اى مرح نشيط ومعناه المرتفع
المتكبر والسابع ان الشيطان هو العاتي المتمرد من كل دابة
الحية شيطانا قال الله تعالى طلعها كانه رؤوس الشياطين اى الحيات
وقال جبير ايام يدعوني الشيطان من غزلي فويهي ينبي ادلت شطانا
والثامن انه من قولهم شيط اللحم اى دخنه ولم ينضجه ومعناه
انه مفسد كل شيء وما به صلاح شيء والتاسع انه من قولهم فرس
متشيطا اى ممتلئ سمنا ومعناه انه ممتلئ سمنا ومعناه انه ممتلئ شرا
وتكرا وشرا ومكرا والعاشر انه من قولهم شاط اى بطل ومعناه انه
الباطل عمله الخائب امله واذا جعل اشتقاقه من الشطون والشطن
فهو فيعال فاذا جعل من الشيط والتشييط والمشيط فهو فعلان
والصحيح هو الاول لان الشاعر اخرجه على لفظ الفاعل بالنون فقال ايما

شاطن عصاه بحكاه ورماه في القيد والاعلال وقولنا الرجيم
قال الكسائي هو المشتوم من قوله ولولا رهطك لرجمناك
وقيل هو المهلك بأقبح وجه ماخوذ من الرجم بالحجارة لانه اقبح القتلات
وقيل هو من الرجم وهو الرمي قال تعالى رجما بالغيب اي رميا
ثم هو فعيل بمعنى الفاعل عند بعضهم ومعناه انه رام بني ادم
بالاغواء والبلايا وبمعنى المفعول عند اخرين ومعناه انه مرمي من السموات
بالشهب والملائكة حين لعن وقيل انه المرمي بشهب السما اذا قصدها
قال تعالى رجوما للشياطين ثم هذه صفة مذمومة للشيطان
وله في القران اسما مشئومة وصفات مذمومة وهي ابليس والشيطان
والعدو والوسواس والخناس والكافر والصاغر والمارد والمريد
والطائف والفاتن والملعون والمذموم والمدحور والكفور والخذول
والعصي والعدو والمضل ومن صفاته وافعاله الاثم والاستكبار
قال انا خير منه قال لم اكن لاسجد فاذلها الشيطان انما استزلهم
الشيطان ففسق عن امر ربه وقاسمهما فدلاهما بغرور كما اخرج
ابويكم من الجنة فانساه الشيطان وما انسانيه الا الشيطان
الى مستني الشيطان بنصب وعذاب القى الشيطان في امنيته
بيني وبين اخوتي ان الشيطان ينزغ بينهم استحوذ عليهم الشيطان
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الشيطان سول لهم واملى لهم
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة في الخمر والميسر ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلوة انما يامركم بالسوء والفحشاء انما يدعو حزبه ليكونوا
من اصحاب السعير تخبطه الشيطان من المس كالذي استهوته
الشياطين في الارض حيران لاقعدن لهم صراطك المستقيم
لاحتنكن ذريته الا قليلا لاخذن من عبادك نصيبا مفروضا

ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن اغوينهم ثم اجمع الاسما
لمخازيه ومساويه هو الرجيم فانه لو جعل بمعنى الراجم كان
جامعا لجميع مايقع منه من الجنايات ولو جعل بمعنى المرجوم كان شاملا
لجميع مايقع عليه من العقوبات فلذلك ذكر في الاستعاذة هذا الاسم دون
غيره من الاسما والصفات ثم هذه الاستعاذة اوجه الاستعاذات
وللناس فيها اختيارات وردت بها روايات روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول اعوذ بعفو الله العظيم من عذابه الاليم ومن همزات
الشياطين ان الله هو السميع العليم وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
انه كان يقول اعوذ بالله الواحد الماجد من كل عدو حاسد ومن كل
شيطان مارد ان الله هو السميع وعن عمر الفاروق رضي الله عنه
انه كان يقول اعوذ بالله المجير من الشيطان اللعين الى يوم الدين
وعن علي المرتضى رضي الله عنه كان يقول اعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم
وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وعن عثمان رضي الله عنه
انه كان يقول اعوذ بالله من الشيطان والكفر والطغيان وهو
المنيع المستعان وكان الحسن والحسين وابو ذر واسامة وعمار رضي الله عنهم
يقولون اعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم وكان محمد بن الحنفية رحمه الله
يقول اعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي وكان بن مسعود رضي الله عنه
يقول اعوذ بالله الجبار المتكبر من الشيطان المتكبر ان الله هو السميع
العليم ومن القراء السبعة من يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم ومنهم من يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو
السميع العليم ومنهم من يقول اعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ومنهم
من يجمع بين العظيم والسميع العليم ومنهم من يقول استعيذ بالله ومنهم
من يقول نستعيذ بالله والمختار في قول الجمهور اعوذ بالله من الشيطان

الرحم مال ـــــ رضى الله عنه ولى فيه حديث متسلسل ينتهى
الى عاصم عن زر عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
عن جبريل وميكايل عن اسرافيل انه اخذه من اللوح المحفوظ هكذا ثم
التعوذ به افتتاح قراءة القرآن والمعوذتين ختم سور القرآن
فيرجى بذلك حفظ ما بينهما وعهد اخذ الميثاق خاطب الله العبد
بقوله الست بربكم وعند النزع خاطبه بقوله يا ايتها النفس المطمئنة الآية
فيرجى بذلك عفو ما بينهما والنبى صلى الله عليه وسلم يقول عهد حق
هذه الامة اناقايدها وعيسى عليه السلام سايقها فيرجى بذلك
نجاة ما بينهما ويلى التعوذ التسمية وهى بسم الله الرحمن الرحيم
وانتظام هذه بذلك ان التعوذ بالله هو التحفظ بذكر الله ولذلك
ورد الخبر باستحباب هذا التعوذ اعوذ بكلمات الله التامة
ومنها هذه الاسماء الثلاثة العظيمة وقيل الجامع بينهما انه يقول
على التقدير اعوذ بالله وانا موسوم بسمة الله وهى فطرة الله وصبغة
الله وهما التكوين والتلوين والكون واللون فايمان بالخلق والله تعالى
منزه عنهما آفريدن كه جلوه وكجى كونه وآفريدش بيدن
باجلوه وبيدجى كونه وجامع اخر بينهما ما قال ابن عباس رضى الله عنه
اجلال القرآن اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومفتاح القرآن
بسم الله الرحمن الرحيم وقال النبى صلى الله عليه وسلم مفتاح القرآن
التسمية وروى ان اول ما جرى به القلم فى اللوح المحفوظ
بسم الله الرحمن الرحيم وانه اول ما انزل على ادم عليه السلام وانه امان لاهل
السموات والارضين وانه كلمة جواز لسليمان وانه خاتم الله لعباده
الموحدين وروى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
ان المعلم اذا قال للصبى قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبى بسم الله الرحمن الرحيم

كتب الله تعالى براءة للصبى وبراءة لابويه وبراءة للمعلم
من النار وعن جابر قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب
الغيم الى المشرق وسكنت الرياح وهاج البحر واصغت البهائم
اذانها ورجمت الشياطين من السماء وحلف الله تعالى بعزته لا يسمى
اسمه على شئ الا شفاه ولا يسمى اسمه على شئ الا بارك عليه ومن
قرا بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة وقال ابن مسعود رضى الله عنه
من اراد ان ينجيه الله تعالى من الزبانية التسعة عشر فليقرا
بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر حرفا ليجعل الله تعالى كل حرف منها
جنة له من واحد منهم وقال بعض اهل المعرفى التسمية كلمة
قدسية من كنز الهداية وخلعة ربوبية من خلع الولاية
ووصلة قربية لاهل العناية ورحمة خاصية لاصحاب الجناية
وقوله بسم الله الباء حرف تضمن الصاقا ولها وجوه
خمسة احدها انه يتصل بما تقدم اعوذ بالله اعوذ باسم الله والثانى
انه يتصل بامر مضمر او اخبار مضمر لان ابدا للواحد او الاثنين والجمع
والاخبار ابدا انا او نبدا نحن والاخبار اولى ليتوافق ما قبله اعوذ
ابدا او نبدا والثالث ان معناه اتيمن واتبرك واستعين واستثبت
بسم الله والرابع بسم الله كان ما كان ويكون ما يكون وفى الحلية
عن جعفر الصادق رضى الله عنه انه قال اودع الله تعالى علوم كل الكتب القرآن
واودع علوم القرآن الفاتحة واودع علوم الفاتحة التسمية
واودع علوم التسمية الباء التى فى كان ما كان ويكون ما يكون
وقيل كشفه بالهيبته عرفه العارفون وبعظمته ارتزق
العالمون وبرحمته نجى المذنبون وقيل كشفه بالله سلمت
قلوب اولياء الله عما ليس فيه رضا الله وبالرحمن سلمت نفوس عباد الله

وهى دليل الكسرة وليس كذلك الكاف والواو واللام لانها لا تمال ولا يلزم
عليه التآ انها تمال ومع ذلك يفتح في قولك بالله تالله لانها بدل واو
القسم والواو مفتوحة فالحق البدل بها وبخلاف التآ انها مماله وهى
وهى مفتوحة في قولك فالله لانها لو كسرت لقيل فإلله اشتبهت
بقوله في الله ففتحت ليزول الاشتباه والثانى قول سيبويه
انها لا تعمل لها الا الكسر فكسرت بذلك بخلاف الكاف لانها اذا كانت
للخطاب لم تكن كاسرة وكذلك التآ واما اللام فكثير من اللامات
ليست بكاسرة كذا الواو والفآ والثالث قول المبرد ان اصلها
الياء فانك تقول بييت اى كبتت الباء وكذلك سايرالحروف
فاذا رددتها الى اليآء كسرتها لان اليآء تحت الكسرة وبعد الباء اسم
وفيه اربع لغات اسم بكسر الالف واسم بضمها وسم بكسر السين
وسم بضمها قال الشاعر وبالله سماك سما ان لك الله به
ايثارا كما قال اخر سبحان من في كل سورة سمه فد انزلت
على طريق تعلمه وقال آخر وعامنا اعجبنا مقدمه يدعى
ابا السمح وقرضاب سمه واشتقاقه من سما يسمو سموا
اذا يسمو سيا اى علا فقولهم اسم بالضم مبنى على صيغة الامر
من الواوى منه وقولهم اسم بالكسر مبنى على صيغة الامر من اليائى منه
كقولهم امس على صيغة الامر من امسى يمسى والاسما المبنية على صيغة
الفعل كثيرة كقولهم يشكر ويزيد ويغلب ويعلم معنى الاسم وهذا الماخذ
ان المسمى يعلو بتسميته وذاكر الله يعلو درجته بذكر الله ومدحته
ومن قال انا اشتقاقه من وسم يسم فقد اخطا لان الفعل منه سمى يسمى
وتسمى يتسمى وجمع الاسم الاسما والاسامى وتصغيره السمى وحرف العلة
في اخره فلو كان من الوسم لم يكن كذلك والالف في اوله مدة زائدة تذوب عند الوصل

في ضمن الله وبالرحم تخلصت ارواح اصفيآ الله عما يوجب
سخط الله والخامس انه خبر مبتدا مضمر اى هذا اسم الله
كقوله سورة انزلناها اى هذه سورة كتاب كتبناها انزلناه اى هذا
كتاب ثم اللطيفة في ان هذه الوجوه التى بنا اضمارها
لم تظهر وبذكر تلك الكلمات لم يبتدا ان يكون ابتدايه بسم الله
فلا يكون افتتاح كلام القارى بذكر فعل نفسه بل باسم ربه فلا يتفوه
باحسن من اسم الله كلام ولا يستنجح باعظم من فضله مرام تبارك
الله ذو الجلال والاكرام وقيل معناه بقوة اسم الله قدرت
ان بدا فيه وهى بمعنى قولنا لا حول ولا قوة الا بالله وقال ابو بكر
الوراق بدا الله كتابه بذكر بسم الله والحمد لله كانه قال الاشيآ بوجوهها
وله ملكها ثم انما طولت هذه الباآت دون سايرالباآت لوجوه بلغه
احدها ان النبى صلى الله عليه وسلم امر بذلك فيما روى لنا
بالاسناد عن مكحول قال قال معاوية رضى الله عنه كنت اكتب
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاوية الق الدواة
وحرف القلم وانصب الباآ وفرق السين ولا تعور الميم
وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم والثانى قاله الفراء
انهم لم يريدوا ان يفتتحوا كتاب الله الا بحرف مفخم معظم والباآ
انهم اسقطوا الالف من اسم فردوا طول الالف على الباآ ليكون
دلالة على سقوط الالف منه وانما اسقطوها هاهنا لكثرة دورها في الكلام
طلبا للتخفيف في قوله اقرا باسم ربك في قوله سبح اسم ربك لم يوجد هذا
فلم يحذف الالف ولم يطول الباآ ثم انها كسرت الباآ مع انها حرف واحد
والحروف المفردة مفتوحة كالتآ والفآ والكاف واللام والواو لثلثة
اوجه احدها ان الباآ حرف مهمل في الاسم فانك تقول الباء على الاهمال

مبارك

لانها ادخلت لاولة تابيدا بعد حذف آخره تخفيفا والزوايد الضرورية
كذلك كما في الرحمن والابهم والعشيرة والفات الامر من الافعال الثلاثية
والافعال المنشعبة ثم يكملون لادخال كلمة اسم هنا قال ابو عبيدة
هو صلة وزيادة ومعناه بالله كما في قوله ويذكر فيها اسمه اى يذكر هو
وقوله تبارك اسم ربك اى تبارك ربك اى تعظم ربك كما قال تبارك الله
وقال لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا
فقد اعتذرا وقالوا في القران اربع كلمات هي صلات وهي الاسم
والوجه وكاد وطفق واذكر اسم ربك بقي وجه ربك لم يكد يراها وطفقا
يخصفان ويكملون في معنى الزيادة فقال الاخفش هو للتبرك وقيل لئلا
يظنوه قسما فان قيل للاشتباه بذكرهن الزيادة وقال قطرب انه
لاجلال ذكر الله ليقع به الفرق بين ذكره وبين ذكر خلقه في مثل قولهم
تبرك فلان واكثرهم على ان الكلمة مقصودة غير زايدة ومعناه
البداية بذكر اسمائه التي سمى بها نفسه بها والتبرك بها قال الله تعالى
ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وفيه بيان الثناء على الله بها واستنجاح
الحوايج بذكرها قال علي رضي الله عنه كلمة بسم الله مسهلة للوعور
محببة للشرور شفا للصدور امان يوم النشور وقوله في العقود
فيه في التعوذ وقوله الرحمن الرحيم هما اسمان مشتقان
من الرحمة ورحمة الله تعالى هي ارادته الخير باهله وقيل هي اعطاء
الله تعالى العبد ما لا يستحقه من المثوبة ودفع ما يستوجبه من العقوبة
وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقوبة وقيل هي المنة على المحتاج
وقيل هي العطف وكثرت اقاويل السلف والخلف في تفسيرهما
روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان عيسى عليه السلام قال الرحمن
رحمن الدنيا والرحيم رحيم الاخرة ويرجع الى ذلك قول مجاهد

الرحمن باهل الدنيا والرحيم باهل الاخرة وقول يحيى بن معاذ الرازي
الرحمن بمصالح معاشهم والرحيم بمصالح معادهم وقول ابي بكر بن عبد الله المزني
الرحمن بجمع الدنيا والرحيم بجمع الدين وقول الحارث بن اسد الرحمن برحمه
النفوس والرحيم برحمه القلوب وقال ابو بكر الوراق الرحمن بالنعما والرحيم
بالاتما النعما ما اعطى وجبا والاتما ما صرف وزوى وقال محمد بن علي الترمذي
الرحمن بالانقاذ من النيران والرحيم بالادخال في الجنان وقال السري
بن مغلس الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفران الذنوب وقال عبد الله
بن الجراح الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق وقال ابن
عباس الرحمن العاطف على البر والفاجر بالرزق والرحيم بالمومنين
خاصة وقال مقاتل بن سليمان الرحمن العطوف على كل عباده بفضله
والرحيم الرفيق باهل طاعته اذ لم يكلفهم بما لا يطيقون واوجبهم
من الرحمة ما لا يستحقون وقال خارجة بن مصعب الرحمن بكل خلقه
الرحيم باوليايه وقال السري الرحمن العاطف على عباده بدر زقهم حيث
لا يحتسبون ويدفع عنهم ما لا يعلمون والرحيم بالمومنين يغفر لهم ما يذنبون
وقال الضحاك الرحمن باهل السمرات حيث اسكنهم السموات وطوقهم الطاعات
واكرمهم بالقربة وايتمنهم على وجهه وجنبهم الافات وقطع عنهم السهوات
وانطق السنتهم بانواع التسبيح وكساهم ملابس النور الرحيم باهل
الارض حين ارسل اليهم الرسل وانزل عليهم الكتب واعذر اليهم وصرف
البلاء عنهم وقال ابن المبارك الرحمن الذي اذا سئل اعطى والرحيم
الذي اذا لم يسال غضب وقال بسام بن عبد الله العراقي الرحمن
باهل طاعته حين قبل منهم الطاعات وان لم تغير صافا الرحيم
باهل معصيته اذا تابوا محى عنهم السيات وابدلها حسنات وقال
مطر الوراق الرحمن بغفران السيات والرحيم بقبول الطاعات

وقال ابو بكر الوراق الرحمن لمن وحده الرحيم لمن وحده
وقيل الرحمن من كفره والرحيم من شكره وقيل الرحمن
بالقطع والرحيم بالدعوة وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رض
انه قال الرحمن والرحيم اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر قال
الحسين بن الفضل البجلي هذا وهم من الراوي لان الرقة ليست من صفات
الله وتفسيرها الشفقة الناشئة من رقة القلب وانهما رقيقان
والرفق من صفات الله تعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف
وكثير من العلماء صححوا رواية القاف وفسروا الرقة باللطف وكمال
العطف مجازا ماخوذ من رقة قلوب العباد على احبتهم وهو
كمال عطفهم ورحمتهم واختلفوا بعد ذلك في المراد بهذا الحديث على
اربعة اقاويل فقال بعضهم معناه ان احد الاسمين ادق
على زيادة لطف لا يفهم ذلك من الاسم الاخر وقالوا لا يعرف ذلك الا بالاسم
على التعيين لوجود الابهام وعدم التبيين وقال سعيد بن جبير
هو الرحمن لانه يعم الكافر والمومن جميعا قال تعالى ورحمتي وسعت
كل شيء وقال ومن كفر فامتعه قليلا وقال كيف الحياة
هو الرحيم لانه يشمل المومن في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فظاهر
واما في الاخرة فبغفران ذنوبه وادخاله الجنة قال تعالى
وكان بالمومنين رحيما وقال بشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا
وقال قائلون معناه ان كل واحد منهما ارق من الاخر على معنى ان في
كل واحد من الاسمين معنى يفهم منه لا يفهم ذلك من الاخر بحيث لا يمكن تفضيل
احدهما على الاخر وذلك فيما حكيناه من الاقاويل وقال ثعلب الرحمن
امدح من الرحيم والرحيم ارق من الرحمن وقال جعفر بن محمد الصادق

الرحمن خاص في التسمية عام في الفعل وخصوص الرحمن في التسمية
انه لا يتسمى به احد غيره وعمومه في الفعل انه يرحم البر والفاجر وعموم
الرحيم في التسمية انه يجوز ان يتسمى به غيره وقال تعالى في حق نبيه ص
بالمومنين رؤف رحيم وقال في حق اصحابه رحماء بينهم وخصوصه
في الفعل انه يرحم المومن دون الكافر وقال ابو عبيد الرحمن ذو
الرحمة كالعطشان ذو العطش والريان ذو الري والرحيم هو
الراحم كالقدير هو القادر والعليم هو العالم فالاول ابلغ صفة
والثاني اثبات فعل وقيل الرحمن على وزن فعلان وهو مبالغة
في الصفة فان الغضبان هو الممتلئ غضبا والسكران هو الممتلئ سكرا
والرحيم هو الدائم بالرحمة والراحم الذي وجدت منه الرحمة وقيل
الرحمن هو من له الرحمة كالغضبان من له الغضب والرحيم من يرحم
كالسميع من يسمع ثم معنى الجمع بين الاسمين مع انهما من صيغة واحدة وجوه
اربعة احدها الاتساع كقوله تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم
والرحمن والرحيم كالندمان والنديم واللهفان واللهيف والجمع بينهما
كالجمع بين قولهم جاد مجد والثاني قول ثعلب ان الرحمن عبراني الاصل
يتعرف بالاسم الذي هو مفهوم العرب والثالث ان معنى الاسمين
مختلف كما مر في الاقاويل فلم يكن تكرارا والرابع انه بدا بسم الله وهو
دال على الهيبة ثم ذكر بعده اسمين مشتقين من الرحمة يبشرهم انه يوصل الى عباده آثار
رحمته اكثر مما يوصل اليهم آثار هيبته ثم معنى تقديم اسم الرحمن على الرحيم
انه اسم خاص لله تعالى فقدم على الرحيم الذي قد تسمى به غيره وكان الرحمن ابلغ
في المدح فكان اولى بالسبق وكان معناه الرازق ومعنى الرحيم العاطف
واثر ذلك اسبق وصولا الى العبد فسبق في الذكر ومعنى الرواية في التسمية
بسم الله ثم بالرحمن ثم بالرحيم ان الناس عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم

كانوا مقرا بالاثة مشركى العرب وكانوا يعرفون اسم الله
قال تعالى ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله وما كانوا يعرفون
اسم الرحمن قال تعالى اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
واليهود كانوا يعرفون اسم الرحمن قال عبد الله بن سلام لما اسلم
يا رسول الله لا ادرى ع كتابكم ذكر الرحمن فنزل قوله قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن والنصارى وكانوا يعرفون اسم الرحيم فوقعت البدايه
ع خطاب القوم بذكر هذه الاسما الثلاثة لمعرفة المخاطبين بها ولان لكل
عبد له ثلاثة اشيا قلب ع نفس وروح وعلى القلب بهذه التسمية سمة
المعرفة والايمان وعلى النفس سمة الرزق والاحسان وعلى الروح سمة
العفو والغفران ولان الله اسم ممتنع اللفظ والمعنى والرحمن ممتنع
اللفظ مطلق المعنى والرحيم مطلق اللفظ والمعنى فكانت البدايه
بسم الله اولى ثم بالرحمن ثم بالرحيم ولان احوال العبد ثلاثه سابقته
وحالته وخاتمته فرتب هذه الاسما الثلاثة يعلمك انه الله الذى
اصلح سابقتك والرحمن هيا حالتك والرحيم الذى يحسن عاقبتك
الله الذى خلقك والرحمن الذى رزقك والرحيم الذى يغفر لك وقالوا
لله تعالى ثلاثة آلاف اسم الف عرفها الملايكه لا غير والف عرفها
الانبيا لا غير وثلاثة مايه ع التوريه وثلاث مايه ع الانجيل وثلاث مايه
ع الزبور وتسعة وتسعون ع القران وواحد استاثر الله به
ثم معنى هذه الثلاثه الآف ع هذه الاسما الثلاثة فمن علمها وقالها
فكانما قال كل الله تعالى بكل اسم مايه وفى القران تسعة وتسعون اسما
فاذا جعلت على الاثلاث فكل ثلث ثلاثة وثلثون والامة ثلاثه اصناف
سابقون ومقتصدون وظالمون وثلاثة وثلاثون على نصيب السابقين
ومثلها على نصيب المقتصدين ومثلها على نصيب الظالمين وهذه الاسما الثلاثة

تضمن معانى الجميع الله يتضمن معانى ثلاثة وثلثين اسما والرحمن كذلك
والرحيم كذلك وجمعت هذه الاسامى والتسميه وضمنت معانى الجملة
اى سابقا بان الله منهم بيدار باشيت اى مقتصدا بان رحمن منهم هشيار
باشيت اى عاصيا بان رحيم منهم بتوبه بركار باشيت الظالم
ستيار والمقتصد دوار والسابق طيار انت الظالم نفسك وكلهو
والمقتصد قلبك والسابق روحك نفس بمحراب زندانست
دل در ملكوت كدندانست روح در زير عرش بر نداست
الله رحمن رحيم هر سه را نوازندست قال بحم الدين
وكان شيخنا الامام الاستاذ الخطيب ابو محمد اسمعيل بن محمد النوحى
النسفى روى لنا عن بعض الاولاد على رضى الله عنه ان الله تعالى لما خلق
القلم قال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فبسماع اسمه الله وله القلم
وانشق نصفين فوضع راسه على اللوح كذلك مشقوقا الف عام
حتى رحمه الرب تعالى فاسمعه الاسمين الرحمن الرحيم فالتام احد
الشقين سماع احد الاسمين والنام الاخر سماع الاخر وقالوا حذف
الالف من بسم هى سقطة حيرة وفيها نقطه فكره اى حار القلم
فحذف المنقوط الكتابة فصارت هذه السقطه نقطة فكره لاهل
الكتابة وقالوا اوجد الله الاشيا بالهيبة وامسكها برحمته
فما من نعمة على الاولين والاخرين فى الدنيا والاخرة الا برحمته كان
غفران آدم وحوا برحمته قال تعالى حكى عنهما وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين وكذا غرق قوم نوح عليه السلام فانه قال وان
لا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين وكذا موسى وهارون فانه قال
حكى عنهما وادخلنا فى رحمتك وكانت نجاة الانبيا والمومنين برحمته
وقال فى حق نوح لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وقال فى حق هود وعلم
نجيناهود الخ

والذين امنوا معه برحمة منا وقال ع حق صالح عليه السلام نجينا صالحا
والذين امنوا معه برحمة منا وقال ع حق شعيب عليه السلام نجينا
شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا وكان الوحي الى نبينا محمد ع م
برحمة قال تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك
وكان بعثه كذلك وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكان لينه
مع امته برحمة قال فبما رحمة من الله لنت لهم وكان حفظه عن ازلال الناس
برحمة قال ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طايفة منهم ان يضلوك
وامطار السحاب علينا وانبات الارزاق بها برحمة قال يرسل
الرياح بشرى بين يدى رحمته وتزيين العالم لنا ع الربيع برحمة قال
فانظر الى آثار رحمة ومنافع الليل والنهار لنا برحمة قال ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار وسد ياجوج وماجوج ودفع ضررهم عنا برحمته
قال هذا رحمة من ربى وتوسيع الرزق علينا برحمة قال لو انتم تملكون
خزاين رحمة ربى واعطاء الخصب لنا برحمة قال ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها ودوام العافية لنا برحمة قال او اراد بى برحمة والالفة
بين الزوجين برحمة قال وجعل بينكم مودة ورحمة وارسال الرسل الينا
برحمة قال افهم يقسمون رحمة ربك وانزال القران برحمة قال وننزل من القران
ما هو شفاء ورحمة واعطاء الايمان برحمة قال يدخل من يشاء برحمته
والعصمة من الهوى والبدعة برحمة والتثبيت على السنة والجماعة برحمة
قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك وصلاح العبد وورعه برحمة
قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ومخالفة هوى
النفس برحمة قال ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ومخالفة
الشيطان برحمة قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان
بعد الوقوع في المخالفة برحمة قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله

فايده

رؤف رحيم وكل شئ نناله سعة رحمته قال ورحمتى وسعت كل شئ
والخصوص من هذا العموم برحمته قال يختص برحمته من يشاء ومن اهل
الخصوص المحسنون قال ان رحمة الله قريب من المحسنين قال ومطيعون
الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله والمتقون قال اتقوا الله وامنوا
برسوله يؤتكم كفلين من رحمته والمجاهدون قال وفضل الله المجاهدين
على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وجواز العفو
عن القاتل واخذ الدية بالصلح برحمته قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة
وامان موذى المسلمين بلسانه عن المواخذة للحال برحمته قال ولولا
فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب
عظيم وامهال الكفار برحمته قال وربك الغفور ذو الرحمة
لو يؤاخذهم لعجل لهم فلا ينبغى للعبد ان يقنط من رحمته قال ولا تقنطوا
من رحمة الله قال الكافر هو الذى يئس من رحمته قال اولئك يئسوا من
رحمتى والمؤمن من اجى رحمته قال اولئك يرجون رحمة الله وقد فصل
من قنط من رحمته قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون والحق
المؤمن يوم القيامة برحمته قال وكان بالمؤمنين رحيما والجمع يوم
القيامة برحمته قال كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم ومغفرته
الذنوب برحمته قال وربك الغفور ذو الرحمة وشفاعة النبى ع
للامة برحمته وما ارسلناك الا رحمة وصرف العقوبة برحمته قال
من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه ودخول الجنة برحمته قال ففى رحمة الله
هم فيها خالدون واعطاء الشهوات فيها برحمته قال ولكم فيها ما تشتهى
انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم والبشارة برحمته قال يبشرهم
ربهم برحمة منه والسلام والدوبه برحمته قال سلام قولا من رب رحيم ثم التسمية
عند مالك ليست من كل سورة وعند الشافعى انها من اول الفاتحة لا غير

والمطيعون هم مطلب

وعن محمد انها ايه انزلت للفصل بين السور وظاهر مذهب اصحابنا انها ذكرت ليبدا به القراء تيمنا وليس بآية وفي سورة النمل هي مادون ايه وقالوا اللطف في انها ليست بآية تامة في القرآن لا يكون الجنب والحائض والنفساء ممنوعين عنه عند آخر ذي بال كالشهادتين لم يجعلوا القرآن في موضع ليبلا يتم ايه فربما اجتنب الجنب نحوه فلا يمكنه التكلم بها عند ختم عمره تفسير سورة الحمد مختص ولنظام قوله الحمد لله بالتسمية ان الاسماء بالله وجودها وله ملكها ووجه اخر بدأت بسم الله بعون الله فالحمد لله وآخر بسم الله الموصوف بالرحمة وهي اجل نعمة فله الحمد على نعمة جملة هذه السورة ثمان آيات في قول الحسن البصري وست آيات في قول الحسين الجعفي وسبع آيات في قول الجمهور من اهل العلم فالحسن عد التسمية وانعمت عليهم اتيين وتركهما الجعفي والباقون اتفقوا على انها سبع آيات لكن اصحابنا عدوا انعمت عليهم آية وقالوا ليست التسمية من الفاتحة والشافعي جعلها من الفاتحة ولم يجعل انعمت عليهم آية وهي خمس وعشرون كلمة وما به وبلاته وعشرون حرفا اثنان وعشرون الفا وثلاث بآت وثلاث تآت وثلاث جآت واربع دالات وذال واحدة وست رآت وسينان وصادان وضادان وطآن وست عينات وغينان وقاف واحدة وثلاث كافات وست عشرة لاما واحدى عشرة ميما وعشر نونات واربع واوات واربع هآت وثلاث الفات واحدة واربع عشرة من الحروف المعجمة فيها اثنان وعشرون واعوام النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوحي اثنان وعشرون وهذه السورة مشتملة على جميع معاني ما اوحى الله تعالى اليه فيها سبعة احرف الثآ والجيم والخآ والذال والشين والظآ والفآ وبعض الاثنا الحكمة فيها ان الثاء من الثبور والجيم من الجحيم والخآ من الخوف والذال من الذقوم والشين من الشقاوة

الفاتحة فوائد وخواص الفاتحة ٢٣١٠٠

من الشقاوة والظآ من الظلمة والفآ من الفراق ومعتقد هذه السورة وقاديها على العظم والحرمة آمن من هذه الاشيآ السبعة ثم هذه السورة التي ايآتها سبع تشتمل على اعداد من الواحد الى السبع هي سورة واحدة وهي نصفان وفي نزولها ثلاثة اقاويل واسماؤها اربعة واسمآ الله فيها خمسة والاشيآ الذي يظهر العبد فيها بغيره سبعة واسامي بها سبعة اما الاول فهذه السورة واحدة والهنا اله واحد وهذه الامة امة واحدة ورسول الله يقظنا بواحد وما خلقنا ولا بعثنا الا لكي نوحد واياتها طاهرة واما قولنا فنصفان فنصفها ثنآ ونصفها دعآ وذلك فيما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال يقول الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال العبد الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى علي عبدي واذا قال العبد مالك يوم الدين قال الله تعالى مجدني عبدي واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال الله تعالى هذا بيني وبين عبدي نصفين واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله تعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سأل جون بنده نيمه سوره اول خواند خداى عزوجل گويد بنده من من انم كه تو مى گوئى وجون نيمه آخرى خواند حق عزوجل گويد بنده من من آنم وهبت كه تو مى جوئى واما قولنا في نزولها ثلاثة اقاويل فقد قال علي وابن عباس واوبي كعب ومقاتل وقتادة والضحاك بن مزاحم ومحمد بن الحنفية وابو العالية والربيع ابن انس وعمرو بن شرحبيل وعطا الخراساني انها نزلت بالمدينة وقال الحسين بن الفضل وجماعة انها مكية ودليل ذلك قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني

فايده

مطلب

العبدم

وهى الفاتحة وهى سورة الحمد وهى مكية وروى الواحدى فى تفسيره
وباسناده عن ابى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان موسى
كان اذا بزر سمع مناديا ينادية يا محمد فاذا سمع الصوت انطلق
هاربا فقال له ورقة بن نوفل اذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع
ما يقول لك فلما بزر سمع النداء يا محمد قال لبيك قال قل اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم قال قل الحمد لله
رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من فاتحة القرآن
فدل الحديث ان الفاتحة مكية وانها اول ما انزل الله ان التسمية
ليست بآية منها وقال مجاهد وحده هى مدنية وقالوا هذه
هفوة منه ولا نظن ان النبى صلى الله عليه مكث بمكة ثلث عشرة
سنة يصلى بها بغير فاتحة وقال جماعة وفيه تلفيق بين هذين
القولين هى مكية مدنية اى نزلت بمكة مرة وبالمدينة مرة
تفضيلا لهذه السورة على غيرها ولهذا سميت مثانى لتثنية
نزولها واما قولنا اقسامها اربعة وهى ذكر الله تعالى
فيها باسمايه الحسنى واظهار العبد من نفسه العبادة والاستعانة
ومدح الموافقين وذم المخالفين واما قولنا اسماء الله تعالى
فيها خمسة فهى الله والرحمن والرحيم والرب والمالك واما
قولنا الاشياء التى يطلب العبد فيها من نفسه ستة فهى
اخلاص العبادة وسؤال المعونة واستدامة الهداية والموافقة
اهل الرسالة ومخالفة اهل اليهودية والنصرانية ومفارقة اهل البدعة
والضلالة واما قولنا اساميها سبعة فهى الفاتحة وام الكتاب
وسبع المثانى وسورة الحمد واساس القرآن وسورة الشفا وسورة
الصلوة فاما الفاتحة فلان الافتتاح هو الابتداء وبها يبتدا كتابة المصاحف

وبها تبتدا قراءة المصاحف وبها تبتدا قراءة القرآن فى الصلوة وبها افتتح
الوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم على ما روينا وكذا كتب فى اللوح المحفوظ
ولانها فاتحة ابواب الفتوح فى الدنيا وفاتحة ابواب الجنان فى العقبى
ولان الفتح هو النصر والاستفتاح الاستنصار ولقارئ هذه
السورة الظفر والنصر والاستنصار واما ام الكتاب فلانها هى الاصل
فالوالدة ام المولد لانها اصله ومكة ام القرى اى اصل سايب البقاع لانها
اول ما خلق منها ودحيت البلاد واللوح المحفوظ ام الكتاب وهو اصل
كتب فيه الكاينات الى يوم القيامة وهذه السورة ام الكتاب
وام القرآن وهى اصل المذكورات فى سايب السور والمشتملة عليها فان
جميع ما ذكر فى القرآن من التحميد والتمجيد والتسبيح والتقديس
والتهليل والتكبير والذكر والثناء والشكر والدعا فهو تحت كلمة الحمد
وجميع ما ذكر فيه من اسماء الله الحسنى وصفاته العلى وما ذكر من الهيبة
والجبروتية ووحدانيته وفردانيته فهو تحت كلمة لله رب وجميع
ما ذكر فيه من ذكر السماء والارض والانس والجن والنبيين والمرسلين والمومنين
والكافرين والملايكة المقربين واهل الملكوت اجمعين والجن والشياطين وطيور
الهوا وحيوانات الماء ووحوش الصحرا وحشرات الارض وذكر سايير
المخلوقات والموجودات والمكونات والمحدثات فهو تحت كلمة
العالمين وجميع ما فيه من ذكر الترزيق والانعام والتربية والاكرام
والانظار والامهال والاحسان والاجمال فهو تحت كلمة الرحمن وجميع
ما فيه من ذكر عفو الاجرام ومحو الاثام وغفران العصيان والتجاوز
عن الطغيان واعتاق العصاة والرحمة على الجناة فهو تحت كلمة
الرحيم وجميع ما فيه من ذكر القيامة واسمايها وصفاتها وموافقها
ومقاماتها وعقباتها وعفوباتها وشدايدها وهولها

فايدة التصوف ومنه قولهم القرآن يستفتح بحمد فقد جاء

مطلب

فايدة هذا هو الاستدلال المقبول

فايدة وفوايد الا آية الحمد عامة خاصية

فايدة

فايدة ذكر

وافراعها واهوالها وحسابها وسؤالها واخلاف احوالها والنار
ودركاتها والجنه ودرجاتها والصراط وخطره واللهب وشرره
فهو تحت قوله مالك يوم الدين وجميع مافيه من ذكر الخدمة والطاعه
والعمل والعباده والخضوع والخشوع والقيام والركوع والسجود
والقعود والصلوة والزكوة والصيام والقيام والحج والغزو والايثار
والانزجار فهو تحت قوله اياك نعبد وجميع مافيه من سوال المعونه
وطلب النصر والتماس التوفيق والعصمة وارادة اللطف وابتغاء
الفضل ورجا الكفايه وامل الحمايه فهو تحت قوله واياك نستعين
وجميع مافيه من سوال الهدايه وخوف الخاتمه واغتنام المعونه ومدح
الاسلام والشريعه وبيان السنه والجماعة فهو تحت قوله اهدنا الصراط
المستقيم وجميع مافيه من ذكر الانبياء والملايكه والاصفياء
والصديقين والشهاد والزهاد والعباد والاتقياء فهو تحت قوله
صراط الذين انعمت عليهم وجميع مافيه من ذكر المشركين والكافرين
واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والثنويين والضالين والمسدعين
فهو تحت قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقيل انما
انما سمي بذلك لانها تجمع اقسام كل القران فان اقسام القران كلها
هي الامر والنهي والوعد والوعيد والقصص والامثال والناسخ
والمنسوخ وهذه السورة تشتمل على ذلك كله فان قوله الحمد لله
معناه قولوا الحمد لله وهذا امر بالحمد ونهي عن تركه وقوله رب
العالمين قصص عن ايجاد الخلائق اجمعين وقوله مالك يوم
الدين فيه وعد ووعيد وتسميه الدين صراطا مثل وقوله
الذين انعمت عليهم هم هذه الامه وشريعتهم ناسخة وقوله
غير المغضوب عليهم ولا الضالين هم اليهود والنصارى وشريعتهم
منسوخة

وقيل معنى ام الكتاب ان الالم هي الراية ينصبها العسكر قال
البعيث شعر امنا معقل اليه التجاء القوم في البأس
حين حرّ القتال قام الكتاب انها مفزع البشر كالراية هي مفزع العسكر
وقيل الام الامام فالسورة امام اهل الاسلام وام القرى مقصد الانام
وجهنم يقال لها فامه هاويه لان الكافر اليها المرجع والمقام والدماغ
ام الراس والراس لما قام الكتاب يقوم بها هذه المعاني العظام واما
سبع المثاني فهي السبع الايات وتثنى قراتها في كل الصلوه وقيل هي
من الثناء وفيها اثنية الله تعالى وقال ابن عباس سميت المثاني لان الله تعالى
استثناها لهذه الامة وذخرها لهم فلم يعطها غيرهم وقيل لانها نزلت
مرتين مرة بمكه ومرة بمدينه شيعها سبعون الف ملك وقيل
لان اهل السما يصلون واهل الارض كذلك وقيل لان نصفها ثنا الرب
ونصفها سوال العبد وقيل لانها اشتملت على حقين حق الله تعالى
وحق العبد وقيل لانها تتضمن معاني على المثاني ذكر الربوبيه
والعبوديه والخالق والمخلوق والعمل والتوفيق والهدى والضلال والولي
والعدو وقيل تتضمن كلمات مثاني في معنى واحد الله ورب الرحمن
الرحيم اياك واياك الصراط صراط علهم غير والمغضوب
عليهم والضالين وقيل سميت بها لان اسما الله تعالى وصفاته على
قسمين قسم يدل على العظمة والجبروت والكبريا والسلطان وقسم
يدل على الرحمه والرافه والعطف واللطف والاحسان وقد استمل ذكرا
الله والرحمن الرحيم على القسمين والحمد على وجهين حمد على ذاته وصفاته
وحمد على الاله ونعمايه وقد اشتمل قوله الحمد لله على الوجهين والعالم
ينقسم نوعين عالم للفنا وعالم للبقا وقد استمل قوله رب العالمين
على النوعين والرحمه على ضربين رحمة في الدنيا ورحمة في الاخرة ويقال

رحمة عامه ورحمة خاصه ودل الرحمن الرحم على الصفتين والدين الجزاء
وهو على شئ على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب ودل
قوله مالك يوم الدين على شئ والطاعة صنفان عباده وعبوده
ودل قوله اياك نعبد على الصنفين والاستعانة تكون على امرين على تحصيل
الخير وعلى دفع الشر ودل قوله واياك نستعين على الامرين والفرق
الضالة فوقان جبريه وقدريه ودل قوله اياك نعبد واياك نستعين
على رد الفرقتين والهدى بيان وارشاد ودل قوله اهدنا الصراط المستقيم
على الوصفين والمهديون فوقان الانبيآء والاولياء ودل قوله الذين
انعمت عليهم على القومين والمخالفون كفار ومبتدعون ودل قوله
غير المغضوب عليهم ولا الضالين على الحزبين وبالفارسية
نامش مثانى ازبهر دو معانى حمد دو بر صفات سزا بدآنكه ونعما
وعالم دو عالم فنا وعالم بقا وانرحمت دو بدنيا وبعقبى وجزا
دو بر وفا وبرجفا وعبادت دو بوشيده وبيدا واستعانت دو
بر ادآء امر وتحمل قضا وهدايت دو ثبات وابتدا وصراط دو راه
سعدا وراه اشقيا واشقيا دو يهود ونصارى ودال
النبى صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب انى لاحب ان اخرج من باب المسجد
حتى تعلم سورة ما انزلت فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الفرقان مثلها
قال ابى فجعلت ابطئ فى المشى رجآء ذلك ثم قلت يا رسول الله السورة
التى وعدتنى قال كيف تقرا اذا افتتحت الصلوة فقرات عليه الحمد لله
رب العالمين فقال صلى الله عليه وسلم هى هذه السورة وهى السبع المثانى
والقرآن العظيم الذى اعطيت وروى ان عيرا قدمت من الشام
لابى جهل بالعظيم وهى سبع فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
ينظرون اليها واكثر الصحابه بهم جوع وعرى فخطر ببال النبى صلى الله عليه وسلم

فوقتان

سى لحاجه اصحابه فنزل قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى اى
مكان سبع قوافل لابى جهل والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به
اى هذا ابو جهل لا تنظر الى ما اعطيناك مع جلالة هذه العطية فلم تنظر الى
ما اعطيته وهو متاع الدنيا الدنيه وعلم الله تعالى ان تمنيه لم يكن لنفسه
بل لاصحابه فقال ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمومنين فان تواضعك طيب لقلوبهم من ظفرهم فجعلهم
واما سور الحمد فلانها افتتحت بالحمد وفيها امر الحمد وتعليم كيفية
الحمد وبيان ان الله تعالى مستحق الحمد وبداية القرآن بالحمد وختم كلام
اهل الجنة بالحمد والحمد المذكور فى القرآن على سبعة فى الدنيا وعلى سبعة
فى الاخرة اما التى فى الدنيا فالحمد على الدين والهدى الحمد لله رب
العالمين الرحمن الرحيم وعلى البيان والدلالة الحمد لله الذى خلق السموات
والارض وعلى الوحى والرسالة الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب
وعلى المصالح والنعم الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض
وعلى النقصان والزيادة الحمد لله فاطر السموات والارض وعلى ازالة
ظلمة الامة فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
وعلى حفظ العالم والملكة فلله الحمد رب السموات ورب الارض
واما فى الاخرة فان اهل القبور اذا بعثوا وبقوا قياما فى القبر
ثلاثمائة سنة فاذا جهم العرق ثم دعوا الى الحساب حمدوا قال تعالى
وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن والثانى اذا فرغوا من الحساب حمدوا قال تعالى وقضى
بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين والثالث اذا ميز عند الطرفين
اهل السعادة من اهل الشقاوة حمدوا وقالوا الحمد لله الذى نجانا
من القوم الظالمين والرابع اذا مروا على الصراط ورأوا الجنة
ونظروا اليها قالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا والخامس اذا دخلوا الجنة

قالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده والسادس اذا صعدوا على الدرجات
وامنوا من الحزن قالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن والسابع
اذا راؤا ربهم جل وعز بغير كيف حمد واقال تعالى واخر دعواهم ان
الحمد لله رب العالمين واما اساس القران فقد روى
ان رجلا اتى الشعبى فشكا اليه وجع الخاصرة فقال عليك باساس القران
فقال واساس القران قال فاتحة الكتاب سمعت ابن عباس غير مرة يقول
ان لكل شى اساسا واساس الدنيا مكة لانها مهاد بيت الارض واساس
عمرانها السما السابعة العليا واساس الارض المعمورة منها وهى الارض السابعة
السفلى واساس الجنان جنة عدن وهى سرة الجنان عليها استست
الجنات واساس النار جهنم وهى الدركة السابعة السفلى عليها استست
الدركات واساس الخلق ادم واساس الانبيا نوح واساس بنى
اسرايل يعقوب واساس الكتب القران واساس القران الفاتحة واساس
الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فاذا اعتللت او اشتكيت فعليك باساس
تشفا باذن الله واما سورة الشفا فلهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم
ان فى سورة فاتحة الكتاب سبعين شفا وروى ابو سعيد الخدرى عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب شفا من كل سم وفى رواية من كل داء
الا السام وهو الموت واما سورة الصلوة فلقوله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى قسمت الصلوة بينى وبين عبدى نصفين وتسمتها صلوة
لوجوه احدها ان الصلوة هى القران قال تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها
اى بقراءتك والثانى ان الصلوة
هى الثنا قال تعالى يصلون على النبى وهى الدعا ايضا قال تعالى وصل
عليهم وهذه السورة ثنا ودعا والثالث ان جمال الصلوة وكمالها
بهذه السورة فسمى هذه السورة صلوة كانها كلها هى تعطيها لها

وفى فضل هذه السورة احاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه
هذه السورة لم ترل فى التورية لما تهود قوم موسى ولو كانت فى الانجيل
لما تنصر قوم عيسى ولو كانت فى الزبور لما مسخ قوم داود وانما مسلم قراها
اعطاه الله من الاجر كانما قرا القران كله وكانما تصدق على كل مؤمن ومومنة
ثم هذه السورة سبع ايات وابواب جهنم سبعة من قراها اغلقت عنه
ابوابها السبعة وكل باب منها عرضه كعرض السما والارض والسموات
السبع وبساط هذا البنا الارض السبع واهلها بنو ادم وتاراتهم
سبع خلقوا من سلالة من طين ثم هى نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام
ثم لحم ثم ينشا خلقا آخر فذاك ولد الانسان فهو طفل ثم صبى ثم مراهق
ثم بالغ ثم شاب ثم كهل ثم شيخ ورزقه فى هذه الاحوال سبع فحال حاله
فينظر الانسان الى طعامه الى قوله حبا وعنبا الاية وهو ما معه يان يقول
كلمات الشهادة وهى سبع كلمات لا اله الا الله محمد رسول الله وهو اقرار
لربوبيته فراى جد الاشيا واخر عمره وجودها سبعة احرف كن فيكون
وجعل مضى عمرهم على سبعة ايام وهى ايام الجمعة وجعل من ايام الدنيا
سبعة الاف سنة فمن قراها معتقدا معظما هذه الايات السبع اعتق جوارحه
السبع من عقوبات الدركات السبع واعطى حسنات ملا السموات السبع
والارضين السبع ووصلت بركته الى اهل الماليم السبعة وبورك له
فى ارزاق السبعة وحفظ فى احواله السبعة وثبت الله تعالى على كلماته
السبع ووصل الى السعادة الابدية عند مضى هذه الاد وار السبعة
وامن من الاخطار السبعة وهى خطر عاقبت كه بد كفر بود يا بد سلمانى
وخطر كور كه نورانى بود يا ظلمانى وخطر سوال كه جواب صواب گفتن
توانى يا نتوانى وخطر بعث كه زويت باسيا هى بود يا با رخشانى وخطر
حساب كه بسلامت جهى يا در مانى وخطر وزن اعمال كه پله طاعتت

بسبکی بود یا کرانی و خطر دوراه که جهنمی شوی یا جنانی چون این
آیات بسیط بر خوانی خوشتر آن دین خطرها بر هانی و قالوا
احیاء المسلمین سبعة اصناف الحامدون و الراجون و الخایفون
و المخلصون و المتوکلون و المستقیمون و العارفون و هذه
السورة نصیب کلهم فقوله الحمد لله رب العالمین علی نصیب الحامدین
و قوله الرحمن الرحیم علی نصیب الراجین و قوله مالک یوم الدین علی
نصیب الخایفین و قوله ایاک نعبد علی نصیب المخلصین و قوله
و ایاک نستعین علی نصیب المتوکلین و قوله اهدنا الصراط المستقیم
علی نصیب المستقیمین و تتمة السورة علی نصیب العارفین قوله
الحمد لله ای الشکر لله بما صنع الی خلقه قاله ابن عباس و فی روایة
قال ای الشکر لله الذی جاد علی العباد بسوابغ النعم و مواهب
القسم و قال الی ابن کعب ای الشکر لله علی الاشیا کلها و قال مجاهد
ای الشکر لله علی جمیع نعمایه دینا و دنیا و قال عطا ای علی نعمایه ظاهرة
و باطنة و قال ابو عبیدة الحمد لله الثنا لله و قال ابن الانباری
الحمد مقلوب المدح و قیل الحمد الثنا بالجمیل و الاعتراف للمنعم و قیل
الحمد معرفة الاحسان و نشر و الکلام الجامع فیه ان الحمد یذکر لمعانی
اربعة احدها الثنا بالافعال الحسنة یقال حمدته علی فعل کذا فمعنی
الحمد لله علی هذا ای الثنا علیه علی کل ما فعل اما ایاه و احیاه فقرا و اغنی
اعزا و اذل اکثرا و اقل ابلی او ابتلی ابهج او اشجی و هکذا یجب فان
جمیع ما یفعله عدل و حکمة و عافیته حمیدة و الثانی الحمد بمعنی
الشکر یقال حمدته علی انعامه و معنی الحمد لله علی هذا ای الشکر لله
علی نعمة التی لا تحصی و منه الخ لا تنسی فقد قال تعالی و ان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها فکل النعم منه فقد قال و ما بکم من نعمة فمن الله و الثالث

الحمد بمعنی الرضا یقال حمدت سیرة فلان و مذهبه و معنی الحمد لله علی
هذا ای رضیت بحکمه و قضیته و تقدیره و قسمته فلا اعتراض علی
فعله و لا اعراض علی حکمه و کیف و قد قال من لم یرض بقضائی و لم یصبر
علی بلائی فلم یشکر علی نعمائی فلیطلب ربا سوای و الرابع الحمد بمعنی المدح
بالصفات الحسنی یقال حمدت فلانا علی فضله و علمه و وقاره و حلمه و جوده
و سماحته و باسه و شجاعته و معنی الحمد لله علی هذا ای المدح لله علی صفاته
الحسنی فهو الله الرحمن الرحیم العلی العظیم العزیز الحکیم القدیر القدیم الغنی
الکریم الستار الحلیم الی تمام اسمایه و اللام فی الحمد لاستغراق الجنس فیصیر
علی مجموع المعانی الاربعة کان العبد اثنی علی الله بذکر افعاله فهی جمیلة و اسکر له
علی کل نعمایه فهی جزیله و ارضی بکل ما قضیته فهی حمیدة و احمده بکل صفاته
فهی جلیله ثنا حدای راسزد که هرچه کند حکمتست شکر و رضا واجب
شود که ازوی بحق شکر نعمتست رضا بقضاوی بایداه ورنه نفاذ
مشیتست ستایش ورا باید که صفات وی سزاوار مدحتست
ثنا کوی تا ثنایابی شکر کوی تا عطایابی رضا دهی تا رضایابی ورا
ثنایی تاورایابی و قال الامام ابو منصور رحمه الله احتمل
ان یکون الله تعالی حمد نفسه لیعلم الخلق استحقاق الحمد بذاته فیحمدوه
و یحتمل ان یکون علی اضمار الامر ای قولوا الحمد لله و هو امر توجیه
الشکر الیه لانا لنعم منه و ذلک یتضمن الامر ایضا بکل الممکن من الطاعة
علی ما روی عن رسول الله صلی الله علیه وسلم انه صلی حتی تورمت قدماه
فقیل له قد غفر الله لک ما تقدم من ذنبک و ما تاخر قال افلا اکون عبدا شکورا
فصیر انواع الطاعات شکرا له و تکلموا فی قوله الحمد لله انه علی الامر به
او علی الاخبار او علی الابتدا قال بعضهم هو علی الامر ای قولوا الحمد لله
و اضمار القول ثابت فی کثیر من الایات قال تعالی و اذ یرفع ابراهیم القواعد من

من الميت واسمعيد ربنا اى قالا ربنا وقال تعالى والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم اى يقولون سلام عليكم وقال تعالى فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم اى يقال لهم اكفرتم ويدل على هذا الاضمار
قوله اياك نعبد واياك نستعين ولا بد ههنا من اضمار وقولوا او قد اظهر
ذلك في قوله وقل الحمد لله وهذا تعليم من الله لعباده كيفية حمده وثنايه
وقال بعضهم هو على الاخبار ومعناه ان حمد جميع الحامدين ومدح جميع
المادحين وشكر جميع الشاكرين وذكر جميع الذاكرين لله جل جلاله وبالفارسية
حمد خداى را بايد وخداى شايد وخداى راسزد وجز وى را نسزد
وذلك لان المنعم هو الله تعالى فالشكر له قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
ومن انعم عليك من خلقه فبتوفيقه وعونه واما الابتداء
بحمد من الله تعالى لنفسه لانه يحب الحمد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا احد
احب المدح من الله تعالى ولذلك مدح نفسه فقال الحمد لله رب العالمين
وقال اصحاب المعانى حمد الله تعالى على نفسه فقال الحمد لله واستحمد
من خلقه فقال قل الحمد لله ونزه نفسه فقال سبحان الله واستنزه
من خلقه فقال وسبحوه وشهد بوحدانيته فقال شهد الله انه لا اله الا هو
واستشهد من خلقه فقال قل هو الله احد واظهر بذلك محبته الحمد والتنزيه
والشهادة ولانه لما خلق ربانيهم وفهمهم وهدايهم وجب عليهم شكره بذلك
وسابغ نعمه وعلم عجزهم عن شكره على الكمال اتم الافضال بان حمد نفسه
نفسه وناب عنهم في شكره بقوله الحمد لله وهذا كما يخاطب الملوك المنازعين
له في ملكه بعد ما خلق لهم الملك اليوم تقريعا لهم ويعلم ان اولياءه لو كانوا
احياء لاجابوا وينوب عنهم بقوله لله الواحد القهار ولانه اطهى لخلق ان الحمد
الذى يستولد على الكمال هو الحمد الذى حمد به نفسه لانهم محدثون عاجزون
لم يكونوا ولا يكونون بعد ان كانوا فكيف يكون حمدهم كفاء الحق ولان حمدهم معلول

فانهم يطلبون به ادامة الموجود ووجود المفقود فلا اخلص له
فالله تعالى حمد نفسه في الازل فهو حق وحمده حق وامر عباده ان يحمدوه
ليصير حمدهم الحادث المجازى بالحمد الازلى الحقيقى صالحا مرضيا مقبولا
وهذا كما شهد بوحدانيته في الازل وامر عباده ان يشهدوا له بالوحدانية حدانه
وجعل شهادتهم الحادثة المؤقتة بشهادته الازلية الدائمة صالحة
مرضية مقبولة ووعدهم عليها ثواب الابد وعلى الوجوه اللائقة
لا وجه لامتناعك عن الحمد بحال فانه ان حمل على الامر فعليك الا يتمان
وان حمل على الاخبار عن استحقاقه الحمد فعليك الدوام عليه والاستكثار وان
حمل على الابتداء وهو حمده نفسه فلا وجه الى المخالفة والاستكبار فكيف تخلى
ساعة من عمرك عن حمده وشكره ولا تخلو لحظة عن انعامه وبره فان قيل
لم حمد الله تعالى على نفسه ومثله في الخلق غير محمود في ايه ما قاله فلم الحمد
الامام ابو منصور رحمه الله له وجهان احدهما انه استحق
الحمد بذاته لا باحد فيكون في ذلك تعريف الخلق ما يذل لهم لديه ليثنوا
عليه بما اثنى على نفسه وغيره انما يكون له ذلك بالله تعالى وعليه توجيه
الحمد اليه لا الى نفسه والثانى ان الله تعالى حقيق لذلك اذ لا عيب
يمسه ولا آفة تحل به فيدخل نقصان في ذلك لا هو مامور بشئ والعبد
لا يخلو عن عيوب وآفات ويمدح بالاتمام ويذم بالترك ويتمكن به
فيه النقصان وحق لمثله الفزع الى الله تعالى لينعمه برحمته وعلى ذلك
النكير بحمد به الله تعالى ولا يحمد به غيره اذ ليس للعبد معنى يستقيم لذلك
لكبره اذ هم جميعا الفا من طريق الخلقة والمحل وما ادرك احدهم من فضيلة
او رفعة فبالله ادركه لا بنفسه فعلة تنزيه الرب تعالى والترفع
اليه بالشكر لا بالكبر على امثاله والله تعالى متعال عن هذا الوصف
وتكلموا في الفرق بين الحمد والشكر فقيل الحمد بالقول قال تعالى وقل

وقيل الحمد لله والشكر بالعمل قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقيل
الحمد باللسان والشكر بالجنان وتحقيق الشكر بالاركان وقيل
الحمد على وجود والشكر له على جوده وقيل الحمد الثناء عليه
بما هو به والشكر الثناء عليه بما هو منه وقيل الحمد لله على الجلال
والجمال والشكر على الانعام والافضال وقيل الحمد على
ما جاء وهو النعماء والشكر على ما روى وهو الالاء وقيل
الحمد بصفاته الحسنى والشكر بصنايعه الكبرى وقيل الحمد
مقلوب المدح والشكر مقلوب الكشر وهو انفتاح الشفتين
بالضحك حتى تبدو الاسنان والشكر انكشاف الغطاء عن القلب
حتى يعرف المنة من المنان وقيل الحمد هو الثناء بعموم النعمة
والشكر هو الثناء بخصوص النعمة وقيل الحمد اخص من الشكر
لفظا واعم معنى والشكر اعم منه لفظا واخص معنى فانك تقول الحمد لله
ولا تقول الحمد لفلان وهذا خصوص اللفظ وتقول الشكر لله والشكر لفلان
وهذا عموم اللفظ ثم الحمد يوضع موضع الشكر فيقال حمدته
على صفاته الجليلة وحمدته ايضا على صنايعه الجزيلة والشكر لا يوضع
موضع الحمد فيقال شكرت له على الاياديه ونعمائه ولا يقال شكرته
على علاياه وكبريائه فكان كل شكر حمدا ولم يكن كل حمد شكرا وبالقلب
الحمد لله ستايش همه ستايندكان وراى منتها والشكر لله سپاس
همه سپاشدارندكان وراى منتها وقال قتادة ان الله تعالى
افتتح الحمد حين خلق السموات والارض فقال الحمد لله الذى خلق السموات
والارض وختم بالحمد فقال وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين
فجعل اول العالم وانتهاءه بالحمد ثم قراءة العامة الحمد لله على الابتداء
واللام بالكسر على الاصل وقراها رؤبن ابن موسى العقيلى الاعور

ورؤبه ابن العجاج بنصب الدال على المصدر وهو على الامر بطريق
الاغراء وقرا الحسن البصرى الحمد لله بضم الدال اتباعا بكسرة
اللام وقرا ابرهيم بن ابى عبلة الشامى برفع الدال وضم اللام اتباعا
للدال ويجوز في الوقف على الحمد لله القصر وهو حذف الالف التى بين
اللامين قال الشاعر اقبل سيل جاء من امر الله يحرد
حرد الجنة المغلة واثبات الالف افصح واصح وقوله رب العالمين
قال ابن عباس اى سيد العالمين وهو كقوله اذكرنى عند ربك اى سيدك
وقيل معناه المالك كما يقال رب الدار اى مالكها قال النبى صلى الله عليه
وسلم لرجل ارب ابل انت ام رب غنم قال من كل
آتانى الله تعالى وقيل هو المصلح المدبر ومنه ربه البيت ومنه الربانيون
وقال الاعشى
كانوا كسالبة حمقا اذ حقنت سلاهما فى ادیم غير مربوب اى غير
مصلح وقيل هو من ربى الحق ومنه قوله وربائبكم ومنه قوله الم نربك
فينا وليدا وقد ربه يربه وربابه تربيه فمنهم من يقول رباه اصله ربيه
جعلت احدى الباآت يآ كما فى قوله تمطى اصله تمطط اى تمدد ومنهم
من يقول هو فعله من ربا يربو اى ازداد فالتربيه اثبات الزيادة
فى المدنى وقال الحسين بن الفضل البجلى الرب الثابت القائم من قولهم ربت
بالمكان واربت اى اقام وكذلك ربب والبت قال النبى صلى الله عليه وسلم
اعوذ بالله من فقر مربب وضرع الى غير محب ودوى مليت وقال
الامام ابو منصور التوجيه الى المالك اقرب منه الى السيد اذ يستقيم
ان يقال رب السموات والارض ومالك السموات والارض ولا يستقيم سيد
السموات والارض لا يقال هو سيد الا فى بنى ادم خاصة قال الله تعالى
رب العالمين اى مالك الخلايق اجمعين له الملك والملك والخلق والامر وهو

سيدهم اى مالكهم الواجب عليهم طاعته وسيد العبد مالكه وعلة طاعته
ولا يقال سيد الدار لانه لا يمكن كيف يعم وجوب الطاعة فيها وهو مصلح
امورهم ومنتهى معاشهم ومعادهم اصلح قلوب المومنين بالمعرفة والسنتهم
بالشهادة، وابدانهم بالخدمة واصلح طاعاتهم على كثرة تقصيرهم فيها بالعفو
واصلح معاصيهم على كثرتها بالعفو قال الله تعالى يصلح لكم اعمالكم وهو مزكى
الظواهر بالنعمة وهى النفوس ومزكى البواطن بالرحمة وهى القلوب والرب
على الاطلاق لله تعالى على الخصوص ويطلق على المخلوق بالاضافة فيقال رب
الدار وعن ابى الدرداء وابن عباس انهما قالا هو اسم الله الاعظم وقيل
دلالة دلك ان كل اسم قلبته بطل معناه الا الرب فان مقلوبه البر
وهو اسم الله ايضا واليه اشار الخضر عليه السلام في المسجد الحرام في حكاية
فانه قال اسم الله الاعظم هو ما دعا به كل نبى وكل ولى وكل عبد وقد اشار الى دعوة
الانبياء بنا ظلمنا انفسنا رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا رب انهم
عصونى رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا رب اغفر لى ولوالدى
رب اجعل هذا البلد امنا رب انى اسكنت من ذريتى بواد ربنا انك
تعلم ما نخفى وما نعلن رب اجعلنى مقيم الصلوة ربنا وتقبل دعاء رب اغفر لى
ولوالدى رب السجن احب الى رب قد آتيتنى من الملك رب انى ظلمت
رب اشرح لى صدرى رب اغفر لى ولاخى رب ارنى انظر اليك رب
اغفر لى وهب لى ملكا رب اوزعنى ان اشكر نعمتك رب لا تذرنى
فردا رب انى وهن العظم ربنا انزل علينا مائدة من السماء ربنا لا تواخذنا ان
وقالت الصحابة الاربعة ربنا ما خلقت هذا باطلا ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته ربنا انا سمعنا منادا ينادى ربنا وآتنا ما وعدتنا وقال الاعداء
رب انظرنى الى يوم يبعثون ربنا ابصرنا وسمعنا ربنا اغلبت علينا شقاوتنا
ربنا اخرجنا منها ثم ان الله تعالى اضاف هذا الاسم الى العالمين على العموم فقال

رب

فقال رب العالمين ثم خص السموات والارض وما بينهما فقال
رب السموات والارض وما بينهما ثم خص السماء فقال فورب السماء
والارض ثم خص المشارق والمغارب فقال فلا اقسم برب المشارق والمغارب
ثم خص المشرقين والمغربين ثم خص المشرق والمغرب فقال رب المشرق
والمغرب ثم خص الارض بنسبته فليعبدوا رب هذا البيت واضاف
ايضا هذا الاسم الى كل الناس فقال اعوذ برب الناس ثم خص رسوله
فقال فوربك وخص امته ايضا فقال وقال ربكم ادعونى استجب لكم
فاما قوله العالمين قال ابن عباس وهو الكلبى هم كل ذى روح
دب على وجه الارض لانهم هم الذين يقبلون التربية وروى سعيد
بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال هم الجن والانس فى قوله تعالى ليكون
للعالمين نذيرا وقال قتادة رضى الله عنه هم الجن والانس والملايكة والشياطين
وهم المخاطبون وقال الحسين بن الفضل البجلى هم الناس من قوله انا تركنا
انه كان من العالمين وقال الحسن البصرى هم الخلايق اجمعون وقال
جعفر بن محمد الصادق هم اهل الجنة والنار وقال مقاتل بن سليمان
لو فسرت العالمين لاحتجت الى الف مجلد كل مجلد الى الف ورقة وقال ابو
حذيفة العالمون سبعة الملايكة عالم والجن من بنى الجان وذريته عالم
والشياطين ابليس وذريته عالم والانس عالم والبهايم عالم والدواب عالم والطير
عالم والله ربهم وخالقهم ورازقهم وقال عطا ابن ابى رباح العالمون
عشرة اصناف الملايكة والبشر والجن والشياطين والوحوش والسباع
والبهايم والهوام ودواب البحر والطيور وقال وهب هم ثمانية عشر
الف عالم منها وما العمران فى الخراب الا كقسط واحد فى البحر وقال الضحاك
هم مائة الف ما يه وستون عالما ثلاثمائة ما يه منهم حفاة عراة لا يعرفون
خالقهم وهم حشو جهنم وستون عالما يلبسون الثياب منهم ذوو القرنين

السماء والارض ج

فقال الرب للعالمين ج

وكلهم وقال سعيد بن جبير ثم الف عالم ست مايه في البحر واربع مايه
على وجه الارض وقال علي ابن حسين بن الواقد العالمون الف امة
قال تعالى وما من دابة في الارض ولا طايرٍ يطير بجناحيه الا امم امثالكم
وقال مقاتل بن حيان العالمون ثمانون الف عالم اربعون الفا في البر
واربعون الفا في البحر وقال كعب الاحبار لا يحصي احد من الخلق عدد
العالمين قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال ان الله تعالى حلق الخلق حين خلقهم ثم اربعة اصناف الملايكة والشياطين
والجن والانس ثم جعل هولاء عشرة اجزاء فتسعة منهم الملايكة وجزء واحد
الشياطين والجن والانس ثم جعل هولاء الملايكة عشرة اجزاء فتسعة منهم
الشياطين وجزء واحد الجن والانس ثم جعل الجن والانس عشرة اجزاء فتسعة
منهم الجن وجزء واحد الانس ثم جعل الانس مايةٍ وخمسةً وعشرين جزوا
فجعل منهم مايه جزوٍ في بلاد الهند منهم ساطوخ ومنهم اناس رؤسهم
مثل رؤس الكلاب وما لوخ وهم اناس اعينهم على صدورهم وماسوخ
وهم اناس اذا نهم كاذان الفيلة وما لوق وهم اناس لا يطاوعنهم
ارجلهم يسمون دوالي پاي ومصير كلهم الى النار فجعل اثنى عشر
جزوا في بلاد الروم النسطوريه والملكانيه والاسرائيليه ومصيرهم
جميعا الى النار وجعل ستة اجزاء منهم في المشرق ياجوج وماجوج
وترك خاقان وترك خلخ وترك خزير وترك خرخيز وكلهم
في النار فجعل ستة اجزاء منهم في المغرب الزنج والزط والحبشة
والنوبه وبربر وسايرُ كفار العرب ومصيرهم الى النار وبقي
من الانس من اهل التوحيد جزوٌ واحدٌ فجزاهم ثلاثة وسبعين جزوا
وانان وسبعون على خطر وهم اهل البدع والضلالات وفرقة
ناجية وهم اهل السنة والجماعة وحسابهم على الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب

من يشاء والعالمون في القران على وجوه عشرة احدها الانس
والجن قال تعالى ليكون للعالمين نذيرا والثاني الناس قال تعالى
وبجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين والثالث من كان
بعد نوح الى قيام الساعة قال تعالى سلام على نوح في العالمين
والرابع من كان في زمن موسى بني اسرايل قال تعالى واني فضلتكم
على العالمين والخامس من كان في زمن لوط قال تعالى اياتون
الذكران من العالمين والسادس العربا قال تعالى قالوا اولم
ننهك عن العالمين والسابع اهل الكتاب قال تعالى ولله على الناس
حج البيت الى قوله غني عن العالمين والثامن المومنون قال تعالى
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو
فضل على العالمين والتاسع المنافقون قال تعالى اوليس الله
باعلم بما في صدور العالمين والعاشر كل المخلوقات قال تعالى
الحمد لله رب العالمين اضاف نفسه الى كل المخلوقات ملكا وملكا
واضاف هذا الاسم الينا لطفا وعطفا قال تعالى قد بكم الله ربكم
ففي الاول تعظيم نفسه وفي الثاني تعظيم احبايه كانه قال ما اعظمني
والعالمون لي وما اعظمكم احبائي واناكم ثم العالم جمع لا واحد له
من لفظه كالانام والرهط والجيش وهو ماخوذ من العلم والعلامة
وهو على وزن فاعل بالفتح كالخاتم والطابع والخاتم ما ختم به
والطابع ما يطبع به فالعالم ما يعلم به اي يستدل به على الصانع فوجود
المخلوقات دليل على وجود الخالق وايجاده وحدوثها دليل على قدمه
وبقاؤها على هيئة دليل على وحدانيته ووجودها على هيئة مخصوصة
مع جواز غيرها دليل على ارادته وانتظامها واتساقها دليل على علمه
وحكمته واجابته دعوات الداعين دليل على سمعه واجابته وعجز الخلق

عن رد قضايه دليل على جلاله وعظمته ونفض العزائم وفسخ الهمم
دليل على ارادته ومشيته وحيران المجتهدين دليل على قبضه
وقدرته وسعة العاجزين عن الكسب دليل على بسطه ومنته
وامهال المفترين على الله دليل على حلمه ورحمته وافتقار الخلق
دليل على غنيته وعجزهم دليل على قدرته وضعفهم دليل على قوته
وانقيادهم دليل على قهره وملكته ثم اضافة الرب الى العالمين
بيان انه رب الجميع ليس كأرباب الاشيا المخصوصه وايضاح
انه مستحق حمد الكل اذهو خالقهم ومربيهم ومالكهم وليس وجود
ربوبيته بوجودهم فقد كان رب العالمين قبل ان يكونوا
ويكون رب العالمين بعد ان يبيدوا وكان خالقا قبل وجود
المخلوقات صانعا قبل وجود المصنوعات قادرا قبل وجود المقدورات
قاهرا قبل وجود المقهورات رازقا قبل وجود المرزوقين راحما قبل
وجود المرحومين مذكورا قبل وجود الذاكرين مشكورا قبل وجود
الشاكرين محمودا قبل وجود الحامدين معبودا قبل وجود العابدين
مجيبا قبل دعوات السائلين غنيا قبل وجود السموات والارضين
ملكا قبل وجود المملكه والمملوكين مالكا بعد فنا الخلق اجمعين يقول
الله تعالى بعد موت كل الخلق لمن الملك اليوم ويقول لله الواحد
القهار سبحانه هو الله الواحد القهار ثم قوله رب العالمين
قراه العامة بخفض الباء على النعت وقرا زيد بن علي بنصبها
على المدح او على النداء وقرا اسحق بن سليمه بالرفع على الابتداء وكذا
الرحمن الرحيم على هذه الوجوه وقوله الرحمن الرحيم مر تفسيرهما
والتسميه فان قال لم لم تذكرها مع انه التسميه قلنا عنه
اجوبة خمسة احدها ليعلم ان التسميه ليست من الفاتحه ولو كانت

منها لما اعادها لخلو الاعاده عن الافاده والثاني انه ندب العباد
الى كثره الذكر فان علامة حب الله حب ذكر الله وفي الحديث من
احب شيئا اكثر ذكره والثالث انه ذكرانه رب العالمين فبين
ان رب العالمين هو الرحمن الذي يرزقهم في الدنيا والرحيم الذي
يغفرلهم في العقبى فلذلك ذكر بعده مالك يوم الدين والرابع انه
ذكر الحمد وبالحمد تنال الرحمه فان اول من حمد الله تعالى ادم عطس فقال
الحمد لله واجيب للحال يرحمك ربك ولذلك خلقتك فعلم خلقه
الحمد ودينهم ينالون رحمته بالحمد والخامس ان قوله رب العالمين
ترهيب وقوله الرحمن الرحيم ترغيب فجمع بين الرغبة والرهبة ليكون ذلك
اعون للناس على طاعته وامنع من معصيته ونذكر في الفايده ها هنا
بذكر مقالات لم نذكرها في التسميه وتفسير الاسمين قال الامام
ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الرحمن بما روح والرحيم
بما لوح فالترويح بالمبار والتلويح بالانوار الرحمن بكشف تجليه
والرحيم بلطف توليه الرحمن بما يفرق والرحيم بما يحقق فالتوفيق
للمعاملات والتحقيق للمواصلات فالمعاملات للقاصدين والمواصلات
للواجدين الرحمن بما يصنع والرحيم بما يدفع فالصنع بجميل الرعايه والدفع بحسن
العنايه وقوله مالك يوم الدين قرئ هذا على سبعة اوجه
مالك بالالف وخفض الكاف ومَلِك بغير الف بكسر اللام وخفض الكاف
ومَلْك بتسكين اللام وخفض الكاف فهذه ثلاثه فهي على النعت ومالَك
بالالف ونصب الكاف ومَلِك بكسر اللام ونصب الكاف وهذان على
النداء ومَلْك بنصب الميم واللام والكاف على الفعل ويوم الدين بالنصب
على المفعول ومالِك يوم الدين بالالف ورفع الكاف اما مالك بالالف
وخفض الكاف فقد روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الخلفا الراشدين

الاربعة وعن جماعة من الصحابة والتابعين وهو اختيار عاصم والكسائي
والاعمش وجماعة واما مِلِكٍ بكسر اللام وخفض الكاف فعن النبي صلعم
في روايه وعن عثمان وعن علي وزيد بن ثابت وابن عمر وابي الدرداء رضي الله عنهم
وهو اختيار نافع وابن كثير وابي عمرو وحمزة وابن عامر واما مَلِكٍ بسكون اللام
فعن ابي عمرو رواه عبد الوارث بن سعيد واما مالك بنصب
الكاف فعن ابي هريرة وعمر بن عبد العزيز والاعمش واما مَلِكٌ
بغير الف والنصب فعن ابي حيوة وشريح بن يزيد واما مَلَكَ
على صيغة الفعل الماضي فعن يحيى بن يعمر واما مالك بالرفع
وهو بعض اهل الشام ثم يحيى بن يعمر مالِكٌ ضجاع وعن ايوب السختياني
السختياني باشمام وتكلم المتاخرون في اولى هذه القراءات
بفضل اولاها مالك بالالف لان فيه زيادة حرف وبه زيادة ثواب
وحكي عن ابي عبد الله الثلجي انه قال كان من عادتي قراءة مالك يوم
الدين فذكر لي بعض الادباء ان مَلِكَ ابلغ في المدح واكثر في الثواب
فتركت عادتي فكنت اقرا ملك يوم الدين حتى رايت في المنام ان
قايلا قال لي لم نقصت من حسناتك عشرا اما سمعت قول النبي صلعم
من قرا القرآن كتبت له بكل حرف عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيات
ورفعت له عشر درجات فانتبهت فلم اترك عادتي حتى رايت ثانيا
في المنام انه قيل لي لم لا تترك هذه العادة اما سمعت قول النبي صلعم
اقرؤا القرآن فخما مفخما اي عظموه فانت فطرت فسالته بين المالك
والملك فقال الملك الذي يملك شيا من الدنيا والمالك الذي يملك الملوك
وقيل الترجيح بزيادة حرف فقد اجتمعت القراءات في فارهين وفارهون
وحميه وحاميه وبخرة وناخرة فلم يحتج احدهم على صاحبه وانما تجوا
بزيادة المعنى فبان ان شطرا منها ابلغ في المعنى قال ابو عبيدة والاصمعي

وابو حاتم والاخفش مالِكٌ ابلغ فانه يقال مالك كل شيء ولا يقال ملِك
كل شيء انما يقال ملك الناس ولانه يضاف الى الفعل والذات يقال
مالك العبد ومالك التصرف ولا يقال ملك الشيء الا وهو يملكه وقد
يكون ملك شيء وهو لا يملكه يقال ملك العرب وملك العجم وملك الهند
وملك الروم وملك الترك ولان المالك من الملك والملك من الملك
ذو الملك يدل عليهما يقال مالك الملك ومالك الملك لا يدل عليهما والملك
يقال ملِك الملك ولا يقال مَلِك الملك ولانه اضاف الى يوم الدين
وذكر انه لا تملك نفس لنفس شيا ففي الملك عن الخلق ثبت ذلك لله
لله وقال ابو عبيد وعاصم الجحدري والمبرد وابو عمرو والزجاج
وجماعة مَلِكٌ ابلغ واوفق للقرآن قال تعالى فتعالى الله الملك الحق
وقال ملك وقال الملك القدوس وقال يصفي يوم القيامة
الملك يومئذ لله وقال لمن الملك اليوم وقال لله ملك السموات والارض
وقال تبارك الذي بيده الملك وقال له الحمد ولان المالك قد لا يكون
ملكا ولا يكون ملك ملكا ويكون مالكا ولان المالك لا يذكر الا مضافا
يقال مالك كذا والملِك يذكر غير مضاف يقال هو الملك ومدح الذات
بما هو اسم من غير اضافة ابلغ من مدحه بالاضافة الى غيره وما
هذا اسم اللغة من قولهم ملكت العجين وملكت بالطعن الميس والملك بين
الزوجين وحاصله الربط والشد والسد والقوة ومعنى الاسم الحقيقة
لله فله القوة الكاملة والولاية النافذة والتصرف الماضي والحكم الجاري وهو
للعباد مجاز فلله الملك والملِك والملكوت والعز والجبروت وهو الحي الذي
لا يموت ومن ملك من العباد فلملكه بداية ونهاية وحد وغاية
وهو على البعض دون الكل وعلى الجسم لا على العرض وعلى النفس لا على النفس
وعلى الظاهر لا على الباطن وعلى الحي لا على الميت وملك الله تعالى لا بداية

هذه الاضافة قلب فان قلب فاضافة اسم الفاعل الى المفعول على طريق الاتساع في حرف الظرفية كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى يا سارقا في الليلة اهل الدار وهذا معنى قولهم مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان قلب فاضافة غير حقيقية فلا تكون معرفة قلت معنى التعريف فيه ساغ وصح للتعريف فيه حقيقة اذا اريد به اسم الفاعل او الماضي لانفصاله عن الاضافة كقوله مالك الساعة اذا اريد به اسم الفاعل او الماضي لانفصاله عن الاضافة كقوله هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ملك يوم الدين اضافة ملك الى يوم الدين اضافة غير حقيقية فلا تكون معرفة لانها بمعنى الاستقبال فكان في قوة النكرة قلت ساغ وصح للتعريف فيه حقيقة كما ساغ في مالك الساعة لان المراد به الماضي وهو قوله ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض وقوله ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض

ولا نهاية ولا حد ولا غاية وعلى الكل وعلى النفوس وعلى الانفاس وعلى
الظواهر والبواطن وعلى الفطرات والفكرات والهيات والهمات
وهو الملك الذى لم يزل ولا يزال ولم يزل ولا يزال كل ملك زايل
الا ملكه وكل ملك باطل الا ملكه ليس لملكه زوال ولا لملكه انتقال
وقال الامام ابو منصور ٥ الايه دلالة وصف الرب بملك ما ليس
بموصوف وقت الوصف بملكه وهو يوم القيامة بيّن ان
الله تعالى يجمع ما يستحق الوصف به بسبحقه نفسه لا بغيره
ولم يكن ملكا خالق لم يزل ورحيم لم يزل وجواد لم يزل وسميع لم يزل
وان كان اوقع ما عليه ذلك لم يكن وكذا نقول هو رب كل شئ واله
كل شئ ٥ الازل وان كان الاشياء حادثة كما قال مالك يوم الدين اليوم
وان كان اليوم غير حادث ثم قوله مالك يوم الدين كما قرا بالنصب
فقد قرا زيد بن على رب العالمين الرحمن الرحيم بالنصب وهو على المدح
او على النداء وقرا العامة بالخفض على النعت وقرا الشنقيطى وسلمة
بالرفع على الابتدا **وقوله يوم الدين** والملاك يتجلون ٥ ملكهم
والملوك يجودون ٥ ملكهم فاذا كان يوم الدين نزع الملك عن كل مالك
والملك عن كل مليك فيبقى الملك الملك له على الخصوص فلا يسمى بخل ولا جور
بل يجود ٥ ملكه ويعدل ٥ ملكه وهو وعد ووعيد يقول للاولياء
انا الملك المالك اعزكم بملكى واغنيكم بملكى فلا مسمغى مانع فيقول
للاعداء انا الملك المالك علمت ما عاملتمونى به فاقدر على مكافاتكم
فلا فرار لكم عنى فلا يدفع عنكم العذاب عنكم دافع وفى تفسير
الدين اقاويل سبعة قال ابن مسعود وابن عباس والحسن البصرى
والسدى ومقاتل رضى الله عنهم هو الحساب كما ٥ قوله ذلك الدين
القيم اى الحساب المستقيم والله المحاسب العباد يوم القيامة

قال تعالى ان الينا ايابهم ثم ٥ علينا حسابهم وقال مجاهد والضحاك
وقتادة هو الجزاء كما ٥ قوله فلولا ان كنتم غير مدينين اى غير
مجزيين وقال يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اى جزاهم والله
لجزى العباد يومئذ باعمالهم كما قال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
وقال حماعة هو القضاء كما قال ما كان ليأخذ اخاه ٥ دين الملك اى قضاه
والله يقضى بين خلقه يوم القيامة كما قال وقضى بينهم بالحق وقال محمد كعب
القرظى هو التوحيد كما ٥ قوله الا لله الدين الخالص والعز والكرامة
يومئذ لاهل التوحيد قال تعالى يوم ترى المومنين والمومنات يسعى
نورهم بين ايديهم الاية وقيل الدين الطاعة قال **شعر** زهير
لئن حللت بوادٍ فى بنى اسدٍ ٥ دين عمرو وحالت بيننا فدك اى هو
يومئذ لا ينفع فيه الا الطاعة قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم وقال وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا
زلفى الا من امن وعمل صالحا وقال الحسين بن الفضل البجلى هو الخضوع
قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى طالب انى ادعوك الى كلمة لو قلتها
دانت لك العرب اى خضعت ويوم القيامة يوم خضوع الخلق قال
وعنت الوجوه للحى القيوم وقال وخشعت الاصوات للرحمن وقال
يمان بن رباب هو القهر والغلبة تقول العرب دنته فدان اى قهرته
فخضع قال الاعشى فيهما جميعا **شعر** هو دان الرباب اذ كره هذا
الدين دِرَاكا بغزوةٍ وصيالٍ ويوم القيامة يوم قهر الجبارين
وقصم القاهرين قال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
الايات وقال الفراء هو العادة وقال المثقب العبدى **شعر**
تقول اذا درأت لها وضيني ٥ اهذا دينه ابدا ودينى ووصف الهودج
بمثل السنم ويوم القيامة يوم يبعث فيه كل احد على عادته فالكافر

المنكر شنع على انكاره يقول الله تعالى خبرا عنهم والله ربنا
ما كنا مشركين **وقوله اياك** اى قولوا اياك ولا بد من هذا
الاضمار ان حمل قوله الحمد لله على الابتداء وعلى الاخبار وان حمل على
الامر واضمر قولوا هناك كان هذا عطفا على ذلك من غير اضمار
ثاف واياك فيها كلام من جهة القراءة واللغة والاعراب والمعنى
اما القراءة فقراءة العامة بكسر الالف وتشديد الياء وقراءة النفعل
الرقاشي بفتح الالف وتشديد الياء وقراءة عبيد ابن عمير آياك بمد
الالف وتخفيف الياء وقراءة عمرو بن فايد اياك بكسر الالف وتخفيف
الياء قال ابن مجاهد ما ادري ما هي ويشبه لغة او خطأ قال
نجم الدين رضي الله عنه ووجه الغلط انهم قالوا اياة الشمس عينها
وكانه يقول شمسك نعبد فاعتقاده كفر فالقراءة به خطأ وهي
للصلوة مفسدة ووجه اللغة ان تخفيف المشدد مسموع ايضا
كما في قولهم ربما وربتما وقد قرئ بما يود الذين كفروا بهما جميعا
وقد قالوا وجوزهياك بالهاء بدلا عن الهمزة كما في قولهم
ايهات وهيهات **واما** اللغة فقد قيل اصله اوياك وهي
من قولهم اوى اليه واواه فكانه يقول اليك انتظم بالعبادة
والاستعانة وهذه الكلمة ضمير مكني لا يكون الا في موضع نصب
ولا يضاف الا الى الكناية وقد وردت اضافتها الى الصريح شاذا اداه
بلغ الرجل الستين فاياه اياه اياه الشواب **قال الشاعر**
دعني واياخالد فلا قطعن عمري بباطه وفي الكلام ان يقع في
ايات القرآن الاضافة الى الكناية وانا واياكم من قبل واياي
نرزقكم واياهم فضل من يدعون الا اياه ولا تخشوهما الا مقدمة على الفعل ولا يوخر
الا بما له استثنا او العطف او تكرار الكناية ما عنيت الا اياك فكررتك

واياه ادعوك اياك **واما** فقد قال الخليل بن احمد اياسلم للسان
والكاف نصب اى هي كانه منفصله ولو اخرت قلت نعبدك واذا افردت
لم يمكن التلفظ بحرف واحد فزاد واياسلما للسان ليتمكن منه او
لان الكاف وحدها اذا تقدمت شابهت كاف التشبيه فازالوا
لوا الاشتباه بهذا وقال الفراء اياه نصب بوقوع الفعل عليه
والكاف خفض بالاضافة وبيانه ان هذا ممتنع لو قلت نتسكل
نعبد **واما** المعنى ففي زياده هذه الكلمة معنى بليغ فانك لو
قلت نعبدك ونستعينك وان كان اوجز لكن في هذا النظم فوايد
زوايد موافقة رؤوس الآي ونفي العبادة والاستعانة عن غير الله واجلها
البداية بذكر الله دون نفسه وهو نظر من الله الى العباد لا من العباد
الى الله وبهذا ظهر على ملوه درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على موسى عليه السلام
بقوله ان الله معنا وبقول موسى ان معي ربي وهو معي لطيف وعلم شريف
ولا يقال لم كرر اياك ولو اكتفى بالاول صح لانا نقول اياه الاول الكلام
كالكاف في اخره ولو قال نعبدك ونستعينك احتيج لاتكرار الكاف
فكذا اياه ولان تكرار تحقيق لكل واحد منهما مفردا اى نعبدك لا غير ونستعينك
لا غير **وقوله نعبد** والعباده في اللغة لمعان احدها الذلل
والقهر قال تعالى ان عبدت بني اسرايل اى ذللتهم وقهرتهم ومنه قولهم
طريق معبد اى مذلل لكثرة الوطي **قال الشاعر** تباري عناقا
ناجيات واتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبد وبعير معبد
اى مطلي بالقطران قال طرفة الى ان تحامتني العشيرة
كلها وافردت افراد البعير المعبد فالعباده من العبد هو الذلل
لله تعالى والثاني الاعزاز والاكرام تعالى بصير معبدا اى مكرم قال
يقول الا امسكن عليك فانني ارى المال عندا الباخلين معبدا فالعابد

على هذا هو المكرم بالاذن في الخدمة الانفة والاستنكاف قال تعالى
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين على قراءة حذف الالف
قال الشاعر اولئك آبائي فجئني بمثلهم واعبدان يهجى كليب
بدارم فالعابد على هذا هو الذي بانف عن خدمة غير مولاه ويستكف
عن التعلق بسواه ولا يعبد ولا يستعين الا اياه والرابع التكليف بالامر
والنهي يقال تعبده واستعبده اذا كلفه امره ونهيه قال الشاعر
تعبد في نمر ابن سعد وقد اري وفي نمر ابن سعد لي مطيع ومهطع فالعبد
هو المكلف امر الله ونهيه والعابد هو المؤتمر المنتهي واما تفسيره
فقد قال ابن عباس معناه اياك نوحد قال علقمة جميع ما ذكر
في القرآن من العبادة فالمراد بها التوحيد مجمع ما ذكر فيه من التسبيح
فالمراد به الصلوة وجميع ما ذكر فيه من القنوت فالمراد به الطاعة وجميع
ما ذكر فيه الاذايك فهي السرد التي فوقها الكلل وجميع ما ذكر فيه من الكاس
فهي القدح مع الشراب وجميع ما ذكر فيه من الرياح فهي رياح الرحمة وجميع ما ذكر
فيه من الريح فهي ريح العقوبة قال سفيان بن عيينة وجماعة
معناه لك نخشع ولك نخضع اي بالطاعة قال الحسن البصري رحمه الله
معناه اياك نطيع وروى الضحاك عن ابن عباس ان جبريل عليه السلام
قال للنبي صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اياك نعبد اي اياك نؤمل ونرجو
ربنا لا غيرك فهذا وجه لو ثبت روايته لم نحتج الى تاويل سواه قال
الضحاك معناه اياك نرجو ونخاف وهو اهل لذلك قال تعالى هو اهل
التقوى واهل المغفرة قال في مدح الانبياء ويدعوننا رغبا ورهبا
وامر فقال وادعوه خوفا وطمعا قال بعض اهل المعرفة العبادة
شغل كل بما هو شغل القلب بمعرفته وشغل الروح بمشاهدته وشغل
النفس بخدمته وشغل اللسان بمدحته وقيل العبادة اجلال الرب

واذلال النفس وقيل هي الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والشكر
على النعماء وقيل هي التصديق بما اخبر الله والانقياد له فيما قدر
والطاعة فيما نهى وامر والثقة فيما رغب وحذر ثم قوله نعبد
من العباد ومن العبودة عبادت بندگي كردن وعبودت بنده
بودن عبادت موقنست وان كردن طاعتست وعبودت موبدست
وان ماندن معصيت است راست لفظ عبادست همه اورد بر توبي
ودروغ تا لفظ عبودست هيچ ودروغ كفت روائي عبادت كردن اج
خدايرا سزد عبودت نسزد بدين اج خداي كند عبادت دادن
مال بطريق نكوه وصدقه وعبودت خوش بودن بر فتن مال
بغارت وسرقه وثواب اين بيش ازان روى ابو امامة عن النبي صلعم
انه قال درهم واحد يأخذه السلطان ظلما واعتد اخير من ان يتصدق
بسبعين مائة الف درهم وصاحب العبادة عابد وجمعه العباد وصاحب
العبودة عبد وجمعه العباد وقد مدح الله تعالى الملائكة والعابدين
والنبيين والمومنين بما قال في حق الملائكة في صفة العباده ولا يستكبرون
عن عبادته وقال في صفة العبودة بل عباد مكرمون وقال في عباده
الانبياء وكانوا لنا عابدين وذكرى للعابدين وقال في عبودتهم انه
كان عبدا شكورا كانتا تحت عبدين انه من عبادنا المومنين واذكر عبادنا
واذكر عبدنا بانعم العبد وقال اني عبد الله نزل الفرقان على عبده اسرى بعبده
فاوحى الى عبده واوحى الى عبده قال في حق المومنين في صفة العباده الذين
يمشون قال في صفة العبودة يا عبادي ممن العباده الصلوة
بلا غفلة والصوم بلا غيبة والصدقة بلا منة والحج بلا رياء والغزو
بلا سمعة والعتق بلا اذية والذكر بلا ملالة وسائر الطاعات بلا فترة
ومن العبودة الرضا بلا خصومة والصبر بلا شكاية والفقر بلا شهوة

والشهود بلا غيبة والاقبال بلا رجعة والاتصال بلا قطيعة وقيل
حفظ العهود وترك الدعوى واحتمال الاذى وحب المولى وقيل
هى ان لا يكون للدنيا عندك خطر والا للكونين في قلبك اثر وقيل هى
حفظ الحدود والوفا بالعهود والرضا بالموجود وترك طلب المفقود
وقال شقيق هى ترك الدنيا لاهلها وطلب الاخرة لحقها وان تجعل
هواك تحت قضا الله ورضاه والاستعداد للموت في القيامة وقيل
علامتها ان لا تزيد في فعلك الا زدت في التواضع ولا تزيد في ملابسك
الا زدت في السخاوة ولا تزيد في عمرك الا زدت في الطاعة وقيل
هى رؤية المنة وجهد الخدمة وخوف الخاتمة فالاول للخليل حيث قال
الذى خلقنى فهو يهدين الايات والثانى للحبيب حيث قام حتى تورمت
قدماه والثالث ليوسف الصديق صلوات الله عليه حيث قال توفنى
مسلما والحقنى بالصالحين ثم العبادة امر خلق الله الانس والجن لقيامهم
بها فقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وامر الناس بها على العموم
فقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم وخص بها الانبيا فقال وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وخص من بينهم موسى
فقال انني انا الله لا اله الا انا فاعبدنى وقال في حق الامم ولقد بعثنا في كل
امة رسولا ان اعبدوا الله وقال في قصة كل نبى يا قوم اعبدوا الله مالكم
من الهٍ غيره وقال في بنى اسرايل واذ اخذنا ميثاق بنى اسرايل لا تعبدون
الا الله وقال في حق قوم عيسى وان الله ربى وربكم فاعبدوه وقال في حق
هذه الامة ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وقال واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيا وقال واعبدوه واشكروا له وقال واياى فاعبدون
وخص به المصطفى عليه السلام فقال فاعبده وتوكل عليه وقال واعبد ربك
حتى ياتيك اليقين وقال فاعبده واصطبر لعبادته وقال فاعبدوا من ان اكرم

بل الله

وامره ان يقول ذلك باللسان ايضا فقال قل الله اعبد مخلصا له ديني
وامر نبيه ايضا ان يقول اياك نعبد **وقوله واياك نستعين**
اى نطلب العون وسياله فان سين الاستفعال للطلب والسوال
وقال بعض اهل المعرفة هى طلب العين اى نسالك ان تجعلنا نعبدك
كانا نعاينك وعدت في الحديث ان الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه فانك ان لم تكن تراه فانه يراك وقال ابن عباس
معناه واياك نستعين على عبادتك وقال السدى واياك
نستعين على ما طاقة لنا به وقال الحسن واياك نستعين
على ما حلفتنا له من عبادتك وقال ابن عيينة واياك نستعين
على محاربة الشيطان الذى يمنعنا عن عبادتك وقال معاذ
بن سليمان اى وبك نستعين في امورنا بما يصلحنا في ديننا ودنيانا والجامع
للاقاويل سالك ان تعيننا على اداء الحقوق واقامة الفروض وتحمل
المكاره وطلب المصالح فان قالوا المعونة انما تطلب قبل العمل فما قال
اياك نستعين قبل قوله اياك نعبد فجوابه من وجوه اصحها ان الواو
لمطلق الجمع لا للترتيب فمعناه انه ثنى بها وان تركهما وآخر ان معناه
اياك نوحد واياك نستعين على الاثبات على التوحيد وآخر ان معناه
نستعين على اداء الطاعات بعد التوحيد وآخر ان معناه اياك نعبد
في الحال واياك نستعين على ذلك في الاستقبال وآخر ان معناه اياك
نعبد بظواهرنا منى الى في وسعنا واياك نستعين على حفظ بواطننا
فانت الذى تقلبها كيف تشا وآخر اياك نعبد على الرجا واياك نستعين
على الخوف وآخر اياك نعبد على الشكر واياك نستعين على الصبر وقال
ابو بكر الوراق اياك نعبد لانك خلقتنا واياك نستعين لانك هديتنا وقال
محمد بن على الترمذى اياك نعبد فاقبل عبادتنا وان كانت غير صافية واياك

نستعين فاعنا وان كنا غير مستحقين للاعانة وقال ابو الحسن
القناد اياك نعبد لانك الصانع واياك نستعين لان المصنوع
لا غنى به عن الصانع وقيل اياك نعبد لانا عبيد واياك نستعين
لانك كريم مجيد وقيل اياك نعبد لانك المعبود بالحقيقة واياك
نستعين على لزوم هذه الطريقة وقيل اياك نعبد وهذا تذلل في الظاهر
واياك نستعين على ان تعلم قلوبنا انه تعزز في الحقيقة والباطن
وقد قال مايلهم شعر واذا تذللت الرقاب تقربا منا اليك
فعززها في ذلها ثم الجمع بين الكلمتين للافتخار والاعتزاز وقوله
نعبد افتخار بكونه عبد الله عابد الله وقوله نستعين افتقار الى
معونته واحتياج الى توفيقه وعصمته كانه يقول بنازو سربزار
كه بنده منى وبزار وسرفرود ارکه نى معونت من نى دهيچ نه آيى
وقالوا هما لتعليم نزل المجهود وتلقين سؤال العطا والجود ثم تحقيق
هذين اللفظين من العبد لا تخدم غير الله ولا يسأل غير الله بعد ما اظهر
هذا من نفسه انه اياه يعبد واياه يستعين وقد حكي عن سفيان
الثوري رضي الله عنه انه ام قوما في صلوة المغرب فلما قال اياك نعبد واياك
نستعين خر مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال خفت
ان يقال لي فلم تذهب الى الاطباء والسلاطين ثم في مجموع الكلمتين
تحقيق مذهب اهل السنة والجماعة وهو اثبات الفعل للعبد والتوفيق
من الله تعالى وفيه رد الجبرية والمعتزلة والجبرية ينفون الفعل
من العبد. قوله اياك نعبد يرد ذلك عليهم والمعتزلة لا يرون التوفيق
من ربهم واياك نستعين يرد ذلك عليهم واهل السنة والجماعة يقولون
من العبد الفعل واختياره الفعل من الله تعالى خلق ذلك الفعل ومشيته
ذلك الفعل والآية تدل على ذلك كله وقال الامام ابو منصور قوله اياك نعبد

ابواب

وقوله

هو على اضمار الرأي قل هذا ثم لم يجعل له ان يستثني في القول بل
الزمه القول بصحة ان لا استثناء في التوحيد وان من استثنى فيه
معزل مستثن والله تعالى يقول انما المؤمنون الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
افضل الاعمال الايمان لا شك فيه قال وقوله واياك نستعين
فيه ابطال قول المعتزلة لان الاستعانة لا تصح على قولهم الا
تلك المعونة على اداء ما كلف وقد اعطى العبد ذلك اذ على قولهم
لا يجوز ان يكون مكلفا قد بقي شيء مما به اداء ما كلف به عند
الله وطلب ما اعطى كمان العطية وهو كفر ان يصير كان الله
امر ان يكفر نعمه ويكتمها ويطلبها منه تعنتا وظن مثله بالله كفر
ثم لا يخلو من ان يكون عند الله ما يطلب فلم يعط التمام اداء او ليس
عنده فيكون طلبه استهزاء به ادمن طلب الى آخر ما يعلم الله ليس عنده
فهو هازئ به فلان الذي يطلب ما ان يكون لله ان يعطيه مع
التكليف يبطل قولهم انه لا يجوز ان يكلف عبده ما به الصلاح في الدين
فلا يعطي او ليس ان لا يعطي فكانه قال اللهم لا تجر ومن هذا علمه بربه
فالاستسلام اولى به ثم قوله اياك نعبد واياك نستعين وان اضمر فيه
الامر بالقول في اول السورة كذلك فان الاول مغايبة وهذا مخاطبة فكذا
قوله اهدنا فكيف جمع بينهما فجوابه انه سائغ في الكلام العرب
وورد في القرآن قال الله تعالى وسقاهم ربهم ثم قال ان هذا كان
لكم جزاء وقال فوربك لنحشرنهم ثم قال وان منكم الا واردها وقال واما
مومنه ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها ثم قال خالصة
لك من دون المومنين وهذا كله مغايبة ثم مخاطبة وقد وردت المخاطبة
بعد المغايبة ايضا قال تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقال النابغة

شعر يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

ثم هذا من المخاطبة الى المغايبة وقال ـــــ آخر ورجع الى المخاطبة يا روح نفسي كان جدة خالد للتراب الأعفر الليطة فيه هنا ان المحب اذا ابتدأ غايب فاذا انبسط خاطب ومنهم من جعل ابتداء هذه المخاطبة من قوله مالك يوم الدين على قراءة من نصب الكاف على الندا ومن قرأ رب العالمين على النصب جعل الابعاد من ذلك ومن جعلها نصبا على المدح او على القطع كان على المغايبة بناء على افتتاح السورة وقوله صلى الله عليه وسلم في خبر القسمة هذا بيني وبين عبدي نصفين أشار الامام ابو منصور الى معنيين فيه احدهما ان يكون كل واحد منهما بين الله وبين العبادة من العبد وهي لله تعالى والاستعانة فعل العبد وهي طلبه من الله تعالى والثاني ان العبادة من العبد لله تعالى والمعونة من الله تعالى للعبد وهذا اظهر لانه قال في بقية السورة هذا لعبدي ولعبدي ما سأل لما كان نفع الهداية للعبد جعله للعبد فذلك نفع المعونة ثم دلت هذه القسمة على ان التسمية ليست من الفاتحة فانه جعل السورة نصفين ثم جعل هذه الاية المتوسطة نصفين وقبلها ثلاث ايات بدون التسمية فصير مع نصف هذه الاية نصف السورة ونصف هذه الاية مع الثلاث الايات التي بعدها نصف السورة وهي سبع ايات ولانه لم يعد التسمية في تقسيمها بل بدأ بقوله فاذا قال العبد الحمد لله قال الله تعالى حمدني عبدي وهذا قول المهدوية والبصرة وفقهاء الكوفة وعلى ذلك دلت الاخبار وآثار الصحابة

وقوله اهدنا انتظامه بما قبله ان قوله اياك نعبد اظهار التوحيد نفسه واياك نستعين طلب العون منه وقوله اهدنا سؤال الثبات على دينه وهو تحقيق عبادته واستعانته وفي تغيير الكلمة

اما وصل احدها وهو المجمع على صحته قول علي وابي رضي الله عنهما اهدنا اي ثبتنا على هذا الصراط المستقيم وهذا كما يقال للرجل كل هو يا كل واقرأ وهو يقرأ اي دم على ذلك واثبت عليه وهو نظير قول ابرهم واسمعيل عليهما السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك وهو دعاء استدامة واستثبات وبذلك خاطب الله المومنين فقال يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والثاني قول السدي ومقاتل رحمهما اهدنا اي ارشدنا وهو طلب اعطاء الرشد في كل ساعة الى الطريق المستقيم كي لا نزيغ عنه لحظة فعلا ولا قولا ولا نية وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ارشدنا الى الطاعات والثالث قول بعض المفسرين انه طلب الزيادة المذكورة في قوله والذين اهتدوا زادهم هدى وهو التبيين والنور اي زدنا اليقين الصافي والنور الثاقب حتى نزداد كل يوم استبصارا وعلى الدين الحق ثباتا وقرارا والرابع قول بعضهم معناه وفقنا قال تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم وقال الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا اي لنوفقنهم سلوك سبلنا **وقال الشاعر** فلا تجعلني هداك الملبك فان لكل مقام مقالا والخامس قول بعضهم معناه قدمنا طريق الجنة قال تعالى ناهدوهم الى صراط الجحيم اي قدموهم وهو من قولهم **شعر** اقبلت هوادي الخيل اي مقدماتها وهوادي الجبال وجوهها واعناقها وهاديه الرجل العنز المتقدمة عليها واصل الكلمة الامالة واغلب استعمالها في الارشاد والدلالة يقال هداه لكذا وبكذا والى كذا وثبتها في القرآن اهدنا الصراط اهدى لنوره من شاء الى صراط مستقيم والدلالة امالة وهدا القروس الى زوجها وهو زفافها كذلك والهدية الى الصديق كذلك والهدي الى الحرم كذلك وتهادى القوم في المشي اذا تمايلوا

وخرج فلان هادى بين الهدى من ذلك والهادى العنق والعصا والسابق
من ذلك ايضا والهدى المذكور فى القران ان ذكرت وجوهها
زايد على العشرة فحاصله بيان احدهما البيان كما فى قوله
واما ثمود فهديناهم والثانى خلق فعل الاهتداء فى العبد كما فى قوله
يهدى من يشاء وقد يجئ بالث وهو الاثبات على الاهتداء وهو
غير الثانى لانه يحدده صدر فعل اهدنا قوله اهدنا ليس هو سوال
البيان فانه سابق ولا ابتداء للاتحاد فانه قد اعطاه لكنه سوال
الثبات وهو يحدث ساعة بعد ساعة فاما وجوهه المذكورة
فى القران فقد ذكر البيان وذكر لخلق فعل الاهتداء وقد تلونا الايتين
وللتثبيت اهدنا الصراط المستقيم وللدعوة وليل قوم هاد وللدلالة
عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل وللاصلاح والله لا يهدى كيد
الخائنين وللالهام والذى قدر فهدى اى خلق الذكر والانثى فالهمهما
كيف يأتيانها وتاتيه وللدين ان هدى الله هو الهدى وللسير وزيادة
هدى وللتوحيد الحق صدد ناكم عن الهدى وللرسل والكتب فاما يأتينكم
منى هدى وللامر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة يكتمون ما انزلنا من البينات
والهدى وللقران خاصة ولقد جاءهم من ربهم الهدى وللتوراة خاصة
ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى وذكر الاهتداء لوجوه لمعرفة
طريق الدنيا وبالنجم هم يهتدون وللاسترجاع اولئك هم المهتدون
وللاستنان بسنن الماضين وانا على اثارهم مهتدون وللسلوك بمذهب
السنة والجماعة والى الغار فلم يأت وامن وعمل صالحا اهتدى وللبعض
اهل التحقيق فى قوله اهدنا كلمات ملتحة وهو الامام القشيرى
قال اهدنا اى ملنا اليك واجعل قبالتنا عليك كن عليك دليلنا
وبيسر اليك سبيلنا اقطع اسرارنا عن شهود الاغيار ولوح قلوبنا

طوالع الانوار وافرد قصودنا اليك عن دنس الاثار ورقنا
عن منازل الاستدلال الى ساحات القرب والوصال حل بيننا وبين
مساكنة الامثال والاشكال بما كاشفتنا به من شهود الجمال والجلال
ازل عنا ظلمات احوالنا لنستضئ بانوار قدسك وارفع عنا ظلل
جهدنا لنستبصر بنجوم جودك احفظنا عن النزغات والوساوس
والخطرات والهواجس كيلا نشتهى بنا فة من فضل او هوادة او طمع
او عادة او كسل او ضعف ارادة او طمع مال او استزادة وقال
الامام ابو منصور قالت المعتزلة المراد من الهداية هنا البيان
فانهم لا يرون من الله تعالى خلق فعل الاهتداء لو كان كما قالوا
فهم والمغضوب عليهم والضالون فى ذلك سواء انه قد بين للكل ثم فى هذه
الكلمة فوائد منها ان الله تعالى امر عباده بهذا السوال لانه اهم حوائجهم
وهو الذى سأله الانبياء والاولياء قال يوسف عليه السلام توفنى
مسلما وقال سحرة فرعون توفنا مسلمين وقالت الصحابة وتوفنا مع
الابرار وما ينبغى ان نعمل على ظاهر الحال فقد سقط فى المال واعتبر بابليس
ونرصيصا وبلعم وثعلبة ومنها انه علم كيفية الدعاء فى البداية
بالثناء وقد قال صلى الله عليه وسلم من بدا بالدعاء قبل الثناء قمن
ان لا يستجاب له ومنها انه امر بهذا الدعاء ولو لم يرد الاجابة لما امر به
وقد حقق ذلك فقال وبنا هذا لعبدى ولعبدى ما سال وهذا اسات
المباسطة وهو دليل جمعته المحبة وما روى ان المصلى يناجى ربه وقد سئل
هو فى هذا وفى اثبات هذه المناجات اثبات المحبة والقربة بالخصوصية
فلا مناجات الا من اهل المحبة والابعد قبل القربة والاعند ظهور الخصوصية
ومنها ان قوله اهدنا على الجمع يكون لنفسه ولعامة المسلمين وهو
اثبات محل الشفاعة له ويقول فى اخر الصلوة اعم للمومنين والمومنات ويشفع

لهم في طلب المغفرة يقول آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
وقنا عذاب النار فيستجيب لهم سؤال مصالح الدنيا والاخرة وفي القيام
يقول اهدنا وهو سؤال لنفسه ولهم الثبات على الايمان والمغفرة وانه
اعظم الشفاعة ولما تشبث الشفاعة لكل مؤمن في حق كل اهل الايمان
فما ظنك في شفاعة النبي في حق اهل العصيان **وقوله الصراط**
فقد قرأ نافع واهل العراق والعامة بالصاد وقرأ ابن عباس بالسين
وبه قرأ ابن كثير وقرأ حمزة فاشمها الزاي قليلا فالصاد لغة قريش والسين
لغة بني عدي والزاء لغة بني عذرة والصراط هو السبيل وقيل هو الطريق السوي
وقيل هو الطريق الواضح وقيل هو لغة الروم وقال ابو عبيدة
ليس في القرآن من العربية وقيل لما تكلمت العرب به صارت عربية
ايضا وقيل هو الاستراط وهو الابتلاع سمي به لانه يبتلع سالكيه
وقيل ان المترط يمر الطعام والطريق يمر الانام وصارت السين
صادا من مطابقة الطاء كذا الضعف يقوى باتصاله بالاقوى واحلف
والمراد به هنا قال ابن عباس وجابر وابن الحنفية والضحاك ومقاتل وابن
جريج هو الاسلام قال تعالى حكاية عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم
اي لاصدنهم عن دينك وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لتدعوهم الى
صراط مستقيم وقال علي وابن مسعود هو كتاب الله تعالى قال تعالى
فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم وقال الحسن البصري
وابو العالية الرياحي هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما قال تعالى في حق النبي صلى الله عليه وسلم ويهديك صراطا مستقيما
وقال في حق اصحابه لقد رضي الله عن المؤمنين الى قوله ويهديكم صراطا مستقيما
وعن بكر بن عبد الله المزني قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام
فسألته عن الصراط المستقيم فقال سنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي

وقال ابو سليمان الداراني رحمه الله هو طريق العبودية الخ ذكرها
قبله اياك نعبد قال تعالى فاعبدوه هذا صراط مستقيم وقال السدي
هو طريق الجنة فالطريق طريقان طريق الجحيم قال فاهدوهم الى
صراط الجحيم وطريق الجنة قال اهدنا الصراط المستقيم ثم انما سمي الدين
صراطا لان من كان له مقصودا متقصدا فانما يصل اليه بعد قطع
الطريق وسلوك السبيل والله تعالى منعال عن الامكنة لكن العبد الطالب
صاحب المكان فلا بد له من قطع المسافاة ومس الافاة وتحمل المخافات
ليكرم بالوصول والموافاة وقيل لبعض الكبراء ما الطريق الى الله فقال
خطوتين وقد وصلت تدور مرة فتنبذ الدنيا وتداظرك فتدور ثانية
فتنبذ العقبى وتداظرك وقد وصلت **وقوله المستقيم** اي المتوي
يقال اقامه فاستقام كما يقال اوسعه فاستوسع وارخاه فاسترخى
واللازم يجيء من بناته ابواب من الانفعال كالانقطاع ومن الاختلاع
كالاختلاط ومن الاستفعال كالاسترسال ثم وصف الطريق بانه
معنيان احدهما انه مستوى نفسه غير معوج والثاني ان سالكه
مستقيم فيه كقوله والنهار مبصرا اي يبصر فيه وكقولك نهارك صائم اي
انما صائم فيه وتظيره في القرآن فاذا عزم الامر اي عزموا فيه فما ربحت
تجارتهم اي ما ربحوا فيها فالوا تلك اذا كرة خاسرة وقال بعض اهل
التفسير هو المتوي الذي لا يميل سالكه الى خطأ وقال بعضهم هو الذي
يفضي سالكه الى الجنة وقال الامام ابو منصور هو القايم اي الثابت
بالبراهين الذي لا يزيله شيء ولا ينقض حجه كيد وقال القشيري
هو ما عليه من الكتاب والسنة دليل وليس للبدعة اليه سبيل وقال ايضا
هو ما درج عليه سلف الامة ونطق بصوابه دلايل العبرة وقال ايضا
هو ما شهد لصحته دلايل التوحيد ونبه عليه شواهد التحقيق قال محي الدين رحمه

هو ما ليس عليه طلاح النكره ولا غبار البدعة هو ما لا يضل سالكه
ولا يهتدى تاركه هو ما لا يخاف فيه قطع الطريق وتمد بهدايته
العصمة والتوفيق هو ما يسهل الى المقصد والمقصود وصول
قصاده والله تعالى برصاده **وقوله صراط الذين** مبدل
عن قوله اهدنا الصراط المستقيم وهو كالتفسير له والبدل يتبع
المبدل فى اعرابه لانه هو وهو كقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم
صراط الله فاتبع لخفض لخفض وهنا اتبع النصب النصب وهذا
كقوله لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة وقوله لا يلاف
قريش ايلافهم هذا كله عند الخليل يسمى البدل وعند الاخفش يسمى عطف
البيان وعند الكسائى يسمى الاتباع وعند الفراء يسمى المترجم **وقوله الذين**
هو جمع الذى وهو اسم موصول لا يتم الا بصلته ولا بد له منها
اى منعت عليهم والاسم منه النعمة بالكسر وبالفتح النعم وبالضم
المسرة واختلف فى هؤلاء المنعم عليهم من هم وفى هذا الانعام الذى
عليهم ما هو قال مجاهد وابو روق هم النبيون ودليله
قوله فى سورة مريم بعد ذكر الانبياء اولئك الذين انعم الله عليهم وقال
ابن كيسان هم الانبياء والصديقون وقال الحسن وعبد الرحمن بن زيد
الانبياء واتباعهم وقال مقاتل هم الانبياء والصديقون والشهداء
والصالحون وقال السدى هم الانبياء والمؤمنون وهذه الاقاويل
الاربعة متقاربة ودليلها قوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وقال ابن عباس هم اصحاب موسى
قبل ان يغيروا نعمة الله عليهم ودليل ذلك قوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى

انعمت عليكم وقال الضحاك وابن جريج وكيع هم المؤمنون
ودليله قوله تعالى اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته
اخوانا وقال سعيد بن المسيب هم جميع من انعم الله عليهم
بالهدى والطاعة لما مر وقال سهل بن عبد الله التسترى
هم الذين انعم الله عليهم بالسنة ودليل ذلك قوله اولئك هم الراشدون
فضلا من الله ونعمة وقال محمد بن على هم الذين انعم الله
عليهم وذلك لان النعمة انما تبقى لمن شكر المنكفر فاذا زالت
فكانها لم تكن وقال على بن الحسين بن واقد هم الذين انعم
الله عليهم بالشكر على السراء والصبر على الضراء لان الشكر اسم
لهما بالصبر وقال الحسن هم الصحابة الاربعة ودليل ذلك
ما تلونا فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية ومتى نزلت فيهم وقال
القشيرى هم الذين انعم الله عليهم بالهداية الى الصراط المستقيم
لانها هى المذكورة قبله وهم الانبياء والاصفياء وقال الحسن بن
الفضل هم الذين اتم الله عليهم النعمة بختمهم على الاسلام لانه هو
المنعمة فى الحقيقة هذه اقاويل المفسرين وفيه اقاويل المحققين
قال جعفر بن محمد الصادق الذين انعمت عليهم بالعلم بك والفهم عنك
وقال محمد بن على الترمذى الذين تممت جوارحهم بالهيبة
عند الخدمة وقال ابو العباس بن عطاء هم طبقات فالعارفون
انعم عليهم بالمعرفة والاولياء انعم عليهم بالصدق والرضا والبقية
والصفوة والابرار انعم عليهم بالحلم والرافة والمريدون انعم عليهم
بحلاوة الطاعة والمؤمنون انعم عليهم بالاستقامة وقال ابو عثمان
الحيرى الذين انعمت عليهم بان عرفتهم مهالك الصراط ومكايد
الشيطان وخيانة النفس وقال محمد بن الفضل الذين انعمت عليهم

ادلا نعمة مرالله على احد الا صلح الدين والبيان للسبيل المرضى
وتلك قد كانت على جميع الكفرة على قولهم الثنيا وبالله العصمه
وقوله غير المغضوب عليهم وكلمه غير تجى على ثلاثة اوجه بمعنى
المغاير وغاريته جر قال تعالى لتفترى علينا غيره وبمعنى لا
وغاريته نا قال تعالى فمن اضطر غير باغ اى لا باغيا ولا عاديا
وبمعنى الا وغاريته مكر قال تعالى فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين ويجوز صرفها هنا هذه الوجوه الثلاثه فاجملت على
الاول فمعناها ثبتنا على طريق الذين انعمت عليهم المغايرين للمغضوب
عليهم وان حملت على الثانى فمعناها على طريق المنعم عليهم لا المغضوب
عليهم وان حملت على الثالث فمعناها الا المغضوب عليهم وهذا على
قراءة النصب وقد روى الخليل بن احمد عن ابن كثير انه قرا بالنصب
وللنصب وجوه احدها للاستثنا وللاستثنا وجهان
احدها حسنه الاستثنا على تفسير ابن عباس لقوله انعمت عليهم انهم بنو
اسرايل لقوله تعالى يا بنى اسرايل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم ويكون
هذا سوال التثبت على طريق اهل الكتاب الذين امنوا لك لا انبيا
وكل الكتب واستثنا اليهود والنصارى منهم الذين امنوا ببعض
وكفروا ببعض والثانى ان يكون استثنا منقطعا بمعنى لا اى نسالك
طريق الاوليا لا طريق الاعدا ووجه اخر للنصب انه على الحال وقال
الكسائى هو على القطع وقيل هو على المدح وتقديره لا مغضوبا
عليهم وقراءة الخفض وهى قراءة العامة لما انه نعت الذين انعمت عليهم
وذلك مخصوص بالاضافى ويجوز فى اللغة الرفع على الاستثنا ومعنى
وهم غير المغضوب عليهم ولم تقرا به احد فلا نقرا به فاما المغضوب
عليهم بالغضب فقيض الرضا وقيل هو ارادة الانتقام وقيل

فيطلع بع

بالاعانة على الاستعانة فى طريق مناجاتك وقال بعض
البغداديين صراط من افنيته عن النظر الى النعمة بدوام
التمتع بقربك ومواستك وقيل صراط الذين انعمت عليهم
بالنظر الى جريان ما جرى عليهم فى الازل فلم يشغلهم كشف ذلك
عن التشغل بك وقيل انعمت عليهم بالايمان والهداية والتوفيق
والرعاية والمراقبة والكلاية وقيل انعمت عليهم بفنا حظوظهم
وقيامهم معك بحسن الادب وقيل انعمت عليهم بمشاهدة
المنعم دون النعمة وقيل انعمت عليهم بازاله ظلمات الاكوان
عن سرايرهم وطهرت ارواحهم بنور قدسك فتشاهدوك
بهمهم ولم يشاهدوا معك سواك وقيل انعمت بعبادتك
على المشاهدة حتى عبدوك كانهم يرونك وقيل انعمت عليهم
بان اذنت لهم بسوالك مخاطبتك وقيل اذنتهم بالوصول
الى قربك بالتعريج على استجلاب حظوظهم وهو قول القشيرى وقال ايضا
صراط من طهرتهم عن اثارهم حتى وصلوا اليك وقال ايضا
اى حفظت عليهم اثار الشريعة عند غلبات واردات الحقيقة
حتى لم يخرجوا عن حد العلم ولم تخلوا الشئ عن احكام الشرع وقيل
اى اهلتهم لا تعامك واصلحتهم لاكرامك وقيل انعمت عليهم
فى البدايه بالعنايه وفى الحال بالهدايه وفى النهايه بالحمايه وقال
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وهذا فى البدايه وقال ان هذا كم
للايمان وهذا فى الحال وقال ثبت الله الذين امنوا وهذا فى النهايه
وقال الامام ابو منصور رحمه الله وعلى قول المعتزله حد لهم الله
لرسله على اصر المومنين نعمه ليست على المغضوب عليهم ولا الضالين

هو تحقيق الوعد وقيل هو الاخذ الالم والبطش الشديد وقيل
هو هتك الاستار والتعذيب بالنار ثم الغضب لا يتعدى
الا بصله وهو على ونحى منه المفعول له موصولا بهذه الصلة
ثم التثنيه والجمع والتانيث يدخل الصلة لا الموصول لان
هذه الزيادات تدخل بعد التمام وتمامه بصلته فمثال دخل مغضوب
عليه وامراه مغضوب عليها ورجلان وامراتان مغضوب عليهما ورجال
مغضوب عليهم ونسا مغضوب عليهن وفي عليهم سبع قراءات
بكسر الهاء وسكون الميم وضم الهاء وسكون الميم وبكسر الها
وضم الميم وبضم الهاء والميم مع الواو وهي قراءه عيسى بن عمر
وكسر الميم مع الياء وهي قراءه الحسن وباختلاس ضمة الهاء تكسر
الميم وبكسر الهاء والميم بغير ياء فاما المراد بهم في هذه الايه فقد روى
عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انهم هم اليهود والضالون هم النصارى وكذا قال ابن عباس رض
واستشهد بقوله تعالى قل انبئكم بشر من ذلك مثوبه عند الله من
لعنه الله وغضب عليه وذلك انهم كانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا اي يستنصرون على كفار العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به كانوا يرجون ان يكون محمد من ولد
اسحق وهو ابو هم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من ولد اسمعيل
كفروا به حسدا وبغيا فباءوا بغضب على غضب اي انقلبوا سخط على سخط
ولعنه على لعنه الاول لكفرهم بعيسى والثاني لمحمد صلى الله عليه وسلم وكذا فسر
الضحاك ومقاتل والسدي وعطاء وابن جريج وابن كيسان وفيه
كلام كثير يذكر بعد ذكر الضالين وقوله ولا الضالين قيل
لا صله مؤكده ومعناه غير المغضوب عليهم والضالين لكن زيدت لا

لئلا يظن انه معطوف على الذين انعمت عليهم وقيل هو بمعنى
غير الذي تقدم كانه قال غير المغضوب عليهم وغير الضالين وانما
جاز ان تعطف بلا على غير انهما جميعا للنفي فتناسبا يقال هذا غير
عالم وعمر عاقل وهذا عمر عالم ولا عاقل وهذا لا عالم ولا عاقل وقيل
كلمه لا الغايده زايده فان قولك ما جاني زيد وعمر وتنفي مجيئهما جميعا
وقولك ما جاني زيد ولا عمر وتنفي مجيئهما جمعا وتفرقه وهذا ابلغ في النفي
بكذا في سوال التثبيت على طريق المنعم عليهم والعصمة عن طريق
الضالين والمغضوب عليهم فاما قوله الضالين والضلال نقيض
الرشد وهو في القران لمعان للغي والكفر قال تعالى خبرا عن ابليس
لاضلنهم وللزلل قال تعالى لعلمت طائفه منهم ان يضلوك وللحسران قال تعالى
وما كيد الكافرين الا في ضلال وللخطا قال تعالى حكاية عن اخوة يوسف ان ابانا
لفي ضلال مبين وللبطلان قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
اضل اعمالهم وللجهالة قال تعالى حكاية عن موسى فعلتها اذا وانا من الضالين
وللنسيان قال تعالى ان تضل احديهما وللتلاشي قال تعالى حكاية عن الكفار
وقالوا أاذا ضللنا في الارض وفي هذه الايه هو ضلال الكفر الا ترى مقابل
بالايمان المذكور في قوله صراط الذين انعمت عليهم ثم هو كفر مخصوص
لانهم معطوفون على المغضوب عليهم فالظاهر انهم غيرهم وقد قلنا
انه روي انهم النصارى ثم الغضب الضلال وردا جميعا في القران
لجميع الكفار على العموم وللهود والنصارى جميعا على الخصوص قال تعالى
في حق جميع الكفار ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وقال
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا وقال في حق اليهود
قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبه عند الله من لعنه الله وغضب عليه الى ان
قال اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل وقال في حق النصارى ولا تتبعوا

اهوآ قوم قد ضلوا من قبل في اضلوا كثيرا الى ان قال لبيس ما قدمت
لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وانما خص اليهود في هذه الاية بالغضب
والنصارى بالضلال لان وعيد الغضب فوق الوصف بالضلال
لان الغضب هو ارادة الانتقام لامحالة واليهود احق لذلك لغاية
قبح كفرهم وبلوغهم الغاية في التمرد والمعاندة فقد قالوا ان الله فقير
ونحن اغنياء وقالوا يد الله مغلولة اي هو بخيل وقالوا ان الله
خلق السموات والارض في ستة ايام فلغب واستراح يوم السبت
وكانوا يعادون جبريل وكانوا يقتلون النبيين بغير الحق وقصدوا
قتل عيسى وقالوا قد قتلناه وقالوا على مريم بهتانا عظيما وحرفوا
التوراة وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به فاستحقوا بذلك الغضب واما الضلال
فهو الميل عن الطريق المتبين والنصارى قد عدلوا عنه بعد غاية
التبيين فقد دعاهم موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام بالتوراة والانجيل
والقرآن فهم في غاية الضلال بعد وقوع البيان على الكمال وانهم
في غاية العمى والتمادي في الردى بقولهم ان الله ثالث ثلاثة وان الله
هو المسيح بن مريم وذلك انهم رأوه يدعو فيصح المرضى ويحيى الموتى وكذا
وكذا وذلك شيء اعطاه الله معجزة له والله تعالى هو الموجد والمظهر ذلك
وجعلوه من عند عيسى بنفسه واتحدوه الها واشركوا به مع ما راوه يأكل
ويشرب ويجيء ويذهب ويستريح ويتعب فلم يكن ليهم من الفطنة ما يعلمون
ان المضطر المغلوب المقهور المربوب لا يكون الها فيرجعوا الى ما
رجع ابوهم حيث قال لا احب الافلين الا ان قال لئن لم يهدني ربي لاكونن
من القوم الضالين ولان المغضوب عليهم لا نال الرضا ابدا وكذا اليهود
لا يفلحون ابدا فاما الضال فقد يهتدي وقد روي ان عيسى عليه السلام حين

ترك من السماء في آخر الزمان يدعو النصارى الى الايمان بمحمد
فيؤمنون وبعد الضلال يهتدون وقال بعض المحققين المغضوب
عليهم هم المعاندون من اهل الكتاب والضالون هم المقلدون
منهم قال تعالى في حق المعاندين منهم الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وقال
يحرفونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وقال جحدوا بها واستيقنتها
انفسهم فقال موسى لفرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض وقال في حق المقلدين ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني
وان هم الا يظنون وقال قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم
مهتدون وقال فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا
ثم الغضب للمعاندين والذين يحاجون في الله الى قوله وعليهم غضب
والضلال صفة المقلدين قال وقالوا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا
فاضلونا السبيلا ثم في مجموع الكلمتين كلام كثير للسلف قال سهل بن
عبد الله غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة وقيل
المغضوب عليهم المكابرون والضالون المرتابون وقيل المغضوب عليهم
المشركون والضالون المنافقون والمغضوب عليهم امة الكفر والضالون
اتباعهم وقيل المغضوب عليهم الكافرون والضالون المبتدعون
وقيل المغضوب عليهم الموقفون في مهاوي الردى والضالون الجائرون
عن طريق الهدى باتباع الهوى وعلى لسان اهل المعرفة غير المغضوب
عليهم بترويه الافعال ولا الضالين بطلب الاعواض على الاعمال وقيل
غير المغضوب عليهم بترك حسن الادب في اوقات القيام بحدمتك ولا الضالين
عن رؤيته منتك وقيل غير المغضوب عليهم بالعجب والمراءاة ولا الضالين
عن مراعاة السنن في اركان العبادات وقيل غير المغضوب عليهم بان

وكلتهم الى انفسهم ولا الضالين بترك اعتصامهم بك وتمسكهم وقيل
غير المغضوب عليهم اي الذين صدمتهم هواجم الخذلان وادركتهم
مصايب الحرمان وكبستهم سطوة الرد وغلبتهم صدمة الصد
وقيل غير المخصوب عليهم بنسيان التوفيق والعصمة ولا الضالين
عن شهود سابق الاختيار والقسمة وقيل غير المغضوب عليهم
لتضييعهم اداب الخدمة وتفجيعهم باداء شروط الطاعة
وقيل لم الذين يطغوا في مفاوز الحرمان وتبدت بهم الهموم
في اودية وجوه الخسران وقيل قوله اهدنا اي ثبتنا على طريق
الذين انعمت عليهم بتوفيقهم لحمدك ودوتهم استحقاق المحمدون غير
لا على طريق المغضوب عليهم الذين استحاذ واحمد غيرك ولا الضالين
الذين اذا حمدوك شاهدوا فعلهم في حمدك وغفلوا عن رؤية منتك
في توفيقهم لحمدك وقيل اي ثبتنا على طريق الذين انعمت عليهم فعلت
بحبهم وبحبونه واعصمنا عن طريق المغضوب عليهم والضالين الذين
قالوا نحن ابنا الله واحباؤه فاجعلنا من احبايك الذين صح لهم المعنى
ولا تجعلنا من اعدايك الذين قطعهم عندك كاذب الدعوى وقيل اي
ثبتنا على طريق الذين انعمت عليهم فرضيت عنهم ورضوا عنك بما كان
عليهم منك ولا تجعلنا ممن غضبت عليهم اذ سخطوا عنك بما اضابهم
من مكروه يسبق به القضا منك ولا من الذين ضلوا عن الطريق بان قصدوا
في سلوك الطريق غير الطريق وانما امروا بسلوك الطريق للوصول الى
من امروا بسلوك هذا الطريق فاذا نازلوا الطريق فقد انقطعوا عن الوصول
وحجبوا عن الدخول ليس كل من وصل الى كل من دخل قرب ولا كل من قرب برؤية
ولا كل من برؤية خص ولا كل من خص بقي فكم من مقرب بعد ومختص طرد
ثم ذكر هنا الهدى والصراط واضاف الهدى الى نفسه في قوله قل ان
هدى

ان هدى الله واضافه الى العباد في قوله على هدام واضاف الصراط
الى نفسه في قوله وان هذا صراطي مستقيما وقوله صراط الله واضاف
الى العباد في قوله صراط الذين انعمت عليهم وكذا في الدين انغير دين الله
ثم قال اليوم اكملت لكم دينكم وذاك لوجوه احدها ان ذلك كله لله سبحانه
ولنا نفعا هو الذي شرع ذلك وجعل لنا نفع ذلك ولانها له ارتضا واختيارا
ولنا تسلوكا وايثارا ولانه اضافها الى نفسه قطعا لعجب العبد ثم اضافها
الى العبد تسكينا لقلب العبد ولانه اضافها الى العبد تشريفا له وتقريبا
ثم اضافها الى نفسه قطعا لطمع ابليس عنه وتخييبا وهذا كما قيل لما نزل
قوله ولله العزة ولرسوله وللمومنين قال الشيطان ان لم اقدر على
سلب عز الله وعز رسوله اسلب عز المومنين فقال تعالى فلله العزة جميعا
فقطع طمعه عن ذلك **وقوله** آمين دعاء وكامين بعد تمام السورة فيه
لغات امين بالقصر **قال الشاعر** تباعد عني فطحل اذ لقيتني
امين فزاد الله ما بيننا بعدا وامين بمد الالف **قال الشاعر**
يارب لا تسلبني حبها ابدا ويرحم الله عبدا قال آمينا وامين بالامالة
لغة وهي قراءة ايضا ولو قيل امين بالتشديد فهو خطاء هذا الموضع
وقد تعجب الائمة ابو محمد عبد العزيز بن احمد الحلواني وجماهد انصحيحا
بكلام العامة وصيانة لصلوتهم عن الفساد ان معناه ندعوك
قاصدين اجابتك فان تفسير الامين بالتشديد هو القاصدون
قال تعالى ولا امين البيت الحرام وعن جعفر بن محمد الصادق رحمه الله
انه فسره بما يدل على انه يشدده فانه قال اي قاصدين نحوك
وانت اكرم من ان تخيب قاصدك وكذا قال الحسين بن الفضل
البجلي معناه قصدناك بهذا الدعاء فاجبه لنا وباعدابه وجوه
اصحها الفتحة وهي القراءة الظاهرة ووجهه انه من الادوات وهي مبنية

واصل البناء السكون وعند التقاء الساكنين يضطر الى التحريك وفتح
لان الفتحة اخف الحركات كما في سوف وكيف وابن وقد يسكن للوقف
وقد يكسر ايضا لان الساكن اذا حرك كسر وقد قال الشاعر
قال تصيدك من الايام جائحة لم تبك منك على دنيا ولا دين ولا تقول اذا
يوما نعيب لنا الا امين رب العرش امين وقد كره الرفع ايضا
مستاصله على النداء على تاويل من جعله اسما لله تعالى كانه قال يا مجيب
واما تفسيره ففيما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم رب افعل
وقال هو ايضا معناه كذلك يكون وقيل اصله فارسيه ومعناه
هكذا وقال مجاهد هو اسم من اسماء الله تعالى ومعناه انه امن من الزوال
وما مون من جوره وموتمن على كل شيء ومهيمن اي شهيد وقال
زيد بن اسلم امين كنز من كنوز العرش لا يعلم تاويله الا الله تعالى فاما
فتحه على تفسير من جعله اسم الله تعالى ومن حركه الرفع لانه نداء فلانه
ندبه واصله يا اميناه وحذفت الهاء والالف تخفيفا فبقيت النون على
الفتحة ثم هي عند المجاهد من السورة وعند غيره ليست منها وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا الفاتحة قال له جبريل عليه السلام قل
امين وقال صلى الله عليه وسلم امين خاتم رب العالمين على عباده المومنين
وسمع رجلا يدعو ليلا فقال له صلى الله عليه وسلم اختم بامين وابشر وروى
ان عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الداعي والمومن شريكان يعني به قوله
قال قد اجيبت دعوتكما وقال صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام ولا الضالين
فقولوا امين فان الامام تقولها والملايكة تقولها فمن وافق تامينه تامين
الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه **وفارسيه** التعوذ والتسمية والكلام
على البسملة مامي على اكثر الاقاويل منها هذا مي انداخيم وپناه مي خواهم
وتكاه داشت مي خواهم ويارى مي خواهم وفريادمي خواهم بخداى كه معبود

حقست واندخشوادة خلق است ووالة كنندة اهل شوقش
وقديم وازليست وعظيم وعلى است وعقلها حيرانست درعظم او
ودلها بارامست دردشناختن او ودیدها محجوبست در دنیا
ازرویت او ازدیون ذرة وانرة درحرمت وهلاك ماندة بى وزمان
فى دیمان باعدوان باطغیان واغار مى كنم بنام خداى بخشنده بخشاینده
دهندة امرزنده دهاندة رساندة خواستة خواهنده بكوشش الحمد لله
سپاس وستایش مرخداى راجون امورداري وسپاس مرخداى را
سزد جون اخبار داري وسپاس مرخداى راجون انداداري وجامع
مرمعانى حمد را اين بود ثنا مرخداى راكه بهمه ثناها سزا است
وشكر ودر همه نعمتهاكه بى حدود بى منتها است ورضا بقضاوى كه حكم
وپادشاهى وراست وستايشها همه وراكه صفات وى سزاى
مدحت وثناست آفريدكار وپروردكار وسازندة كار همه جهانيانست
ودرهر چيز را لوهيت وربوبيت وصمدانيت وقدرت او نشانست
روزى دهندة بندكانست بخشايندة عاصيانست پادشاه روز
رستخيز است كه در وى حساب وجزا وحكم وقضا وكرامت مومنان
وتواضع مطيعان وخضوع جباران وقهر قهاران ومحو دكافرانست
ترا دانيم وترا خوانيم وترا باشيم وترا پرستيم ويارى از تو خواهيم
بر ثبات بر ايمان وكزارد فرمان ومخالفت شيطان وكشيدن بار گران
ويكسان داشتن اشكار ونهان بداد مرا بر راه ايمان وموافقت قرآن
ومتابعت انبيا ويارانرا وهمنشكوكاران وتوفيق ده مرا بر طاعت
وبفزاى مرا يقين وبيش فرست مرا دوراه جنت ونكاه دار مرا بر طريقت
ودور دار مرا از راه جهودان ونرسايان واندنيان وكم راهان دنا
كرويدكان وهواداران وخدمت يارندكان ومنت نابينندكان ودوزخ

راه بیاه بسنده کند کاف و در کد دکار بسنده کند کان آمین
ای انک تداخوف فعالی و در فعل توجور وجفا نی و در قول تو خلف
وخطا نی و در علم تو هیچ چیز اخفا نی همین ده که خواستم که جز تو
اجابت کنند دعا نی ثم من لطف الله تعالی اکرمنا بهذه السورة
واتم لطفه علینا بمحمد رسوله نبی الرحمة فقال ع اول هذه السورة
الحمد لله وقال ع حق نبیه محمد رسول الله ثم قال هنا رب العالمین
وقال ع حق رسوله رحمة للعالمین ثم قال هنا الرحمن الرحیم وقال ع حق رسوله
بالمومنین رؤوف رحیم ثم قال هنا مالک یوم الدین وقال ع حق رسوله لیظهره
علی الدین کلهم قال هنا ایاک نعبد وایاک نستعین وقال ع حق رسوله بل
الله فاعبد وکن من الشاکرین ثم قال هنا اهدنا الصراط المستقیم وقال
ع حق رسوله وانک لتهدی الی صراط مستقیم ثم قال هنا صراط الذین انعمت علیهم
وقال ع حق رسوله ونعم تعمتنه علیک ثم قال هنا غیر المغضوب علیهم
ولا الضالین وقال ع حق رسوله ما ضل صاحبکم وما غوی ثم قال قادری
هذه السورة امین وهو خاتم رب العالمین والمصطفی محمد خاتم النبیین

سورة البقرة بسم الله الرحمن الرحیم

بسم الله الذی انزل الکتاب بلا ریب الرحمن الذی لطف بالمتقین المومنین
بالغیب الرحیم الذی من علی المنتصرین بستر العیب وانتظام هذه السورة
بالفاتحة سبعة اوجه بواحد واثنین وثلاثة واربعة وخمسة وستة
وسبعة اما الواحد فالفاتحة ام الکتاب فافتتاح هذه السورة بذلک
الکتاب ولان الفاتحة اول سورة انزلت بمکة والبقرة اول سورة انزلت بمدینة
فاما الاثنان فالفاتحة فیها ثناء ودعاء وهذه السورة اولها ثنا واخرها
دعا فان الم فیها اقاویل کثیرة منها انه اسم الله الاعظم ومنها ان معناه
انا الله اعلم ومنها ان الله اللطیف المجید وذلک ثنا علی الله واخر السورة

سوالات الحاجات من الله تعالی فاما الثلاثة فان اول الفاتحة
بیان الوهیة الله وربوبیته ورحمته وملکته وفیه تعلیم توحید
الله ومعرفته ووسطها اجتناب العبد عن عبادته وعبودیته واستعانته
وهو تعریف العبد سلوک طریق شریعته وحقیقته واخرها سوال
الثبات علی ذلک والعصمة عن مخالفته وفیه تلقین العبد للرجوع الی الله فی طلب
مصالح دنیاه واخرته ومجموع هذه السورة فانه ذکر الایمان فی اولها واثنایها
واخرها یؤمنون بالغیب قولوا امنا بالله وما انزل الینا الایة ولکن البر من
امن بالله الایة انزل الرسول الایة والایات التی فیها بیان وحدانیة الله تعالی والحکم
الله واحد انه لا الله الا هو الحی القیوم الایة وذکر بعض العباده فی قوله اعبدوا
ربکم ما یعبدون من بعدی قالوا نعبد الهک وتفاصیل العباده من الصلوة
والاستقبال لقبلته فیها والخشوع فیها والصوم والزکوة وسایر الصدقات
والنفقات والحج والعمرة والجهاد والاعتکاف فی الوصیة واتیا المال علی حبه
وتفاصیل العبودیة من التقوی فی الشکر والصبر واجتناب الحرم والوفاء
بالعهد وترک الحرام والانقیاد للاحکام من القصاص والنکاح والطلاق والمتعة
والرضاع فی العدة والرجعة والرضاع والایلاء والحیض والولادة والمداینات
والمداینات والرهون والامانات فی تفاریق الایات ودلائل الدعوات
من ادم فی اولها ومن ابرهیم فی وسطها ومن المومنین من سوال الحسنین
من بعدها ومن المصطفی والامة فی اخرها فاما الاربعة فان الفاتحة
لما نزلت اول شی قراها النبی صلی الله علیه وسلم وسمعها الناس وفیها دعا
الی التوحید وغیر ذلک مما قلنا صار السامعون اربعة اصناف صنف
کانوا عبدة الاصنام فامنوا به ظاهرا وباطنا وصنف کانوا اهل
الکتاب ومومنین بالماضین من الرسل فامنوا به ایضا ظاهرا وباطنا
وصنف کفروا به وکذبوا ظاهرا وباطنا وصنف خافوا سیفه فامنوا به

اقسام هذه السورة

کانط

طاهرا وكفروا به باطنا فذكرهم الله جميعا في اول هذه السورة
فان قوله هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب الاية في الصنف الاول
وقوله والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك في الصنف
الثاني وقوله ان الذين كفروا سواء عليهم الاية في الصنف الثالث
ومن الناس من يقول امنا بالله الاية في الصنف الرابع فاما
الخمسة فالافعال المذكورة في الفاتحة خمسة الحمد والعبادة والهداية
والاهتداء والضلالة والحمد على النعم وفي هذه السورة تعديدها
والعبادة على وجوه وفي هذه السورة تفصيلها والاستعانة على
على امور وفي هذه السورة تبيينها وفي الاهتداء مثوبات وفي هذه
السورة تقريرها والضلال عليه عقوبات وفي هذه السورة
تكريرها فاما السنة فالمذكورة في اول اية الفاتحة العالمون
واكثرهم على انه اسم لاهل الجنة ومنهم دون الجماد لجمعه بالياء والنون
ومنهم ستة الملايكة والانس والجن والشياطين والدواب والطيور
كما حكينا عن ابي حذيفة ومنهم كلهم مذكورون في هذه السورة فاما
الملايكة واذ قال ربك للملايكة واذ قلنا للملايكة وكان عدوا لله وملايكته
اولئك عليهم لعنة الله والملايكة كل امن بالله وملايكته فاما الجن فقد ذكر
ابليس وذكر في اية انه كان من الجن واما الانس فقد قال يا ايها الناس اعبدوا
ربكم وكذلك واما الشياطين فقد قال وما تتلوا الشياطين واما الدواب
فهي جميع ما يدب على وجه الارض من السباع والبهايم والهوام وقد ذكر
فيه من السباع الخنزير ومن البهايم البقر والعجل وما استيسر من الهدى ومن
الهوام الحية وهو في قوله وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو وكان فيهم
الحية فاما الطيور فقد ذكر منها في قوله فخذ اربعة من الطير فاما
السبعة فالفاتحة سبع ايات وكلمات اياتها مذكورة في سورة البقرة

والحمد في قوله ولمن نسبح بحمدك والله في اياة رب العالمين في قوله
اسلمت لرب العالمين والرحمن في قوله لا اله الا هو الرحمن الرحيم ومالك يوم
الدين فيه ذكر يوم القيامة وفي سورة البقرة يوما ترجعون فيه الى الله
وهي آخر اية نزلت وهي ابلغ في ذكر يوم القيامة اياك بعبد في قوله اهبطوا
بعضكم لبعض عدو واياك نستعين في قوله استعينوا بالصبر والصلوة وقوله اهدنا
الصراط المستقيم في قوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقوله
صراط الذين انعمت عليهم في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وهم الانسان
وذكر في سورة البقرة من الانبيا ادم وابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وموسى وهارون وداود وسليمان وعيسى وحزقيل واشمويل
وعزير وعلى العموم في قوله تلك الرسل وفي قوله كل امن بالله وملايكته
وكتبه ورسله وقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين ذكر الغضب
في قوله فباؤا بغضب على غضب الضلال في قوله وان كنتم من قبله لمن
الضالين وقوله يضل به كثيرا ثم هم اليهود والنصارى واكثر صدر السورة
في ذكرهم الى ان قال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
ثم السورة يدعى سورة البقرة ومن الناس من يقال السورة التي
يذكر فيها البقرة ويستقبح اضافة الى البقرة وكذا سورة النحل ونحوها والصحيح
انه لا حاجة الى هذا التكلف فان المراد من هذه الاضافة هو ما قال انها ذكرت
فيها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم سنام القرآن سورة البقرة وفي ذلك
احاديث كثيرة فتبت اطلاق هذا الاطلاق ثم هذه السورة مدنية الا انه منها
نزلت يوم النحر بمنا في حجة الوداع واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وهي
آخر اية نزلت وقد نزلت بمكة خمس وثمانون سورة اولها سورة الفاتحة
واخرها ويل للمطففين ونزلت تسع وعشرون سورة بالمدينة اولها
سورة البقرة واخرها سورة المايدة **وحروف** سورة البقرة خمس وعشرون الفا

وست ماية وثمانية وخمسون **وكلمانها** ستة الاف وماية وست عشر
كلمة **وايانها** مايتان واربع وثمانون اية عند اهل الشام وخمس عند
اهل مكة والمدينة وست عند اهل الكوفة وسبع عند اهل البصرة الخلاف فيهم
في مواضع منها انه تام الاية او وسطها وفي بعض الاخبار انها لو كملت
كملت ثلاث مايه اية لتكلمت معناه ان السورة اتية على اكثر الاحكام
والاصول العظام وبقيت عن احكام ذكرت في غيرها ولو كانت في هذه
السورة لصرحت لجميع ما بالناس الله حاجة من علوم الدين وفي هذه
السورة خمس عشر صلاة وخمسة اله حكم وفيها اطول اية وهي اية المداينة
وهي مايه وثلثون كلمة وفي هذه الاية قريب من عشرين حكما واقتاح
هذه السورة بالحروف المقطعة وتسعة وعشرون سورة مفتتحة
وفي السم التي افتتح بها هذه السورة فيها قريب من ثلاثين قولا
قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لله تعالى في كل كتاب سر وسر الله
في القران هذه الحروف التي في اوايل السور وقال عمر رضي الله عنه
لكل كتاب زينه وزينه القران حروف التهجي وقال علي رضي الله عنه
ان لكل كتاب صفوة وصفوة القران حروف التهجي وقال
ابن عباس رضي الله عنه هي من المكتوم الذي لا يفسر وقال الضحاك رح
عجزت العلماء عن تفسير الحروف المقطعة وقال ابن عباس في رواية
الف الله لام لطيف ميم مجيد وقال في رواية معناه انا الله
اعلم واصل انا الله اعلم واقتل والمر انا الله ارى وعنه في رواية
الف الله لام جبريل مسم محمد صلى الله عليه وسلم اي الله انزل جبريل
على محمد بالكتاب وقال ابن مسعود انها اسم الله الاعظم وقال الحسن
وسعيد بن جبير هذه الحروف اذا الفت ضربا من التاليف وكان اسما لله تعالى
لا تقف وان كتابا على تاليفها وذلك لان قوله الروحم ونون رؤس ثلاث سور

واذا جمعت صارت الرحمن وهو اسم من اسماء الله تعالى وقال قتاده
انها اسماء القران وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم انها اسماء
السور وقال مجاهد انها فواتح يفتتح الله بها كلامه وقال
سعيد بن المسيب انها في ذكر الكوايي والفتن وقال ابو العالية
انها في مدة قوم واجال آخرين وقال الربيع ابن انس ما فيها
من حرف اللام فهو في ذكر الاية ونعمائه وقال جامعه الالف
افتتاح اسم الاله والاحد والاول والاخر والالف واللام افتتاح
اسم اللطيف والميم افتتاح اسم الملك والمجد والمنان وقال محمد
بن كعب القرظي الالف الا الله واللام لطفه والميم مجده وقال ابو فاختة
هذه الحروف امهات الكتاب منها استخرج هذا القران وانزل منقطعه
ليعلم انها من الحروف المعجم التي انزلت على ادم مقطعة وقال عبد العزيز
بن يحيى معنى هذه الحروف ان الله تعالى ذكرها فقال اسمعوها مقطعة
حتى اذا اوردت عليكم مولفة كنتم عرفتموها قبل ذلك وكذلك يعلم الصبيان
اولا مقطعة فكان الله تعالى اسمعهم منقطعه معروفه ليعرفوها اذا اوردت
عليهم معروفة ثم اسمعهم مولفة وقال ابو روق ان الكفار لما قالوا
لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وتواصوا بالاعراض عنه اراد الله تعالى
لما اخر مصلاحهم ونفعهم ان يورد عليهم ما لا يعرفونه ليكون ذلك
سببا لاسكاتهم واستماعهم لما يرد عليهم من القران فانزل هذه الحروف
فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى ما جاء به محمد فاذا انصتوا
فاستمعوا لهم عليهم بالقران فاوجب مسامعهم فكان ذلك سببا لاستماعهم
وطريقا لانتفاعهم وقال الحسين بن الفضل هي من المتشابهة التي لا يعلمها
الا الله تعالى وقال عكرمة هي اقسام وقال الشعبي يجوز ان يكون
الله اقسم بالحروف المقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها

كما تقول العايك تعلمت ا ب ت ث وهو يريد كل الحروف
وتقول قرات الحمد ويريد كل السوره وعن العاليه قال هذه
من الثمانيه والعشرين التى دارت عليها الالسن كلها وليس منها
حرف الا وهو مفتاح اسم من اسماء الله تعالى وآيه ونعمه وفى من
قوم واجالهم وقيل كل حرف مختصر عن كلمة وهو متعارف
فى اللسان **قال الشاعر** ان شيبتى اشرفنا كلانا نوعا
الله جهرا ربه فاسمعا لخير خيرات وان شرا ولا اريد الشر الا ان
اى وان شرا فشرا ولا اريد الشر الا ان تريد وانشد قطرب **شعر**
جاديه قد وعدتنى ان تاتدهن راسى دقلى اوتا اى تمسح وانشد سيبويه **شعر**
نادوهم ان الجموا الا تا قالوا جميعا كلهم الا فا اى الا تركبون فقالوا
الا فاركبوا وقال ـــــ آخر فقلت لها قفى فقالت قاف لا تحسبى
انا نسينا الايجاف وقال المبرد ان هذه الحروف احتجاج من الله تعالى
على الكفار لان النبى صلى الله عليه وسلم لما قال لهم فاتوا بعشر سور مثله
واتوا سورة وعجزوا عنه انزل هذه الحروف اى ان القرآن من هذه
الحروف التى هى لغاتكم فليس عجزكم عن الاتيان بمثلها الا لانه كلام الله
لا مثل له وقيل اذا جعلت هذه الحروف كلمة فهى الم اى الم تر وألم تعلم
انه ذلك الكتاب وقيل كل حرف من هذه التلاثه على ما يودى نطقا
يطلب من ظاهر معناه وضعا الف على وزن علم من الالفه ومعناه
الف الله محمدا ولام على وزن لام من اللوم ومعناه لام الكفار لينا
على مخالفه الايا وميم على وزن بيع من الموم وهو البرسام وهو
المحير المفسد من الاستقام ومعناه بهت الكفار وارغموا بظهور
الحق والهدى وقيل الف من انا ولام من لى وميم منى وكانه قال
انا لله وانا الملك انا الدارق وانا انا وآلى الحكم ولى ولى ومنى الاحيان

الى علمكم ولى الامر ج

ومنى الامتنان ومنى العرفان ومنى ومنى وقيل الف معناه انفرد
لى باسقاط الفلاتى والاعواض ولام معناه لين جوار حل لعبادتى
بلا ملال ولا اعواض وميم محى رسومك وصفاتك بالانس لى فى المشاهدة
بلا تكلم ولا اغراض وقال بعض العراقيين حيرت عقول الخلق فى ابتدا
خطابه وهو محل الفهم ليعلموا انه لا سبيل لاحد الى معرفة حقوق خطابه
الا بعلمهم بالعجز عن معرفة خطابه وقيل هى رموز سارّ بها الاولياء
فالظواهر للعوام والرموز والاشارات للخواص قال النبى صلى الله عليه وسلم
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا اى من حقايق سر الحق
الى وقال النبى صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم واختصر لى اختصارا
وقيل هو تنبيه للعبد ان يتعب بدنه فى الصلوة كالالف ثم ينحنى
للركوع كاللام ثم يجتمع فى السجود كالميم وقيل بدا السوره الكبرى
بالالف وجعله سابقا لما فيه من معانى منها الاستواء ومنها الانتصاب
ومنها الانقطاع عن سائر الحروف ومنها البعد عن النقط
ومنها الاستغناء عن الامكنه وهى مخارج الحروف فاذا اراد العبد
ان يصير سابقا فليستوطاهرا وباطنا وليتصب لخدمة الله وينقطع
عن الخلق وليتجرد عن الاغيار وليتبتل عن الامكنه انما سكت هذه
الحروف ولم يعرف لانها حروف هجاء وليس باسماء **قال** ـــــ النحم
ابدل من عند زيادة كالحرف تخط وجلاى بخط مختلف تكتبان
فى الطريق لام الف فان جعلتها اسما وعطفت بعضها على بعض
اعربتها **انشد** ابو عبيد اذا اجتمعوا على الف واو وياء
هاج بينهم القتال ثم للقراء فى هذه الحروف عند الوصل ادغام
منهم اللام فى ميم الميم والمد وتثقيل الميم ويجوز ترك وترك الادغام
وترك التثقيل وعند الوقف يصير كذلك ويجوز ذلك والاحسن اخراج كلها

المدغم

في نفس واحد و محل ذلك من الاعراب عند بعضهم ان الم ابتدا
و ذلك خبره و الكتاب صلة خبره كقولك زيد ذلك الرجل لا يسئل فيه
و قيل ذلك الكتاب ابتدا و قوله الم خبره و قد ذكر مقدما على
الاسم كقولك عالم هذا الرجل و قيل لا محل لهذه الاحرف الثلاثة من الاعراب
على وجه التعلق بما بعده و ذلك مبتدا و الكتاب خبره و الم قسم او
افتتاح او اسم للسورة او امر و هو قائم بنفسه و امّا
سبب نزولها فقد روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه ان رهطا
من اليهود منهم كعب بن الاشرف و حيي و جدي ابنا اخطب و ابو ياسر
و كعب ابن اسيد و مالك بن الضيف دخلوا على رسول الله صلى الله عليه
فسألوا عن الم و قالوا ننشدك الله الذي لا اله الا هو احق
انها اتتك من السما فقال صلى الله عليه و سلم نعم كذلك انزل و قال حيي
ان كنت صادقا انى اعلم اكل هذه الامة من السنين ثم نظر حيي
الى اصحابه فقال كيف نذهب في دين رجل انما منتهى اكل امته احدى
و سبعون سنة فقال له عمرو ما ندري ايها اكذلك قال اخذتها من حساب
الجمل فالالف واحد و اللام ثلثون و الميم اربعون فضحك النبي صلى الله عليه
فقال حيي هل غير هذا قال نعم قال و ما هو قال المص قال حيي هذا
اكثر من الاول هذه مايه و احدى و ستون سنة و قد تبين لنا في هذه
نفسر الاولى لانه قال لا ريب فيه هدى للمتقين فنحن المتقون الذين
امنا بالغيب قبل ان يكون فهل غير هذا قال نعم الركاب احكم اثاثه
قال حيي هذه اكثر من الاولى و الثالثة و قد احكم فهمنا و فصل و لم نشعر
لئن صادقا فما ملك امتك الا احدى و ثلاثون و مايتا سنة فاتقوا الله
و لا تقبلوا الا قليلا فهل غير هذا قال نعم الم في قوله و لكن اكثر الناس
لا يؤمنون قال فنحن نشهد انا من الذين لا يؤمنون و لا ندري بايّ

قوليك ناخذ فقال ابو ياسر اما اذا ما شهد بانزل على انبيائنا انهم
فداخروا عن ملك هذه الامة و لم يوقتوا كم يكون فان كان محمد صادقا
فيما يقول انى لاراه يستجمع له هذا كله فقام اليهود فقالوا لنا امرك
فلا ندري اثا لقليل ناخذ ام بالكثير فذلك قوله هو الذي انزل عليك
الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب و هي الايات التي في سورة
الانعام قل تعالوا الى ثلث ايات و امّا المتشابهات فالم
و المص و الر فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه حبا
لكتمكم ام الكل هذه الامة و ما يعلم ذلك الا الله و الراسخون في العلم
يعني عبد الله بن سلام و ثعلبة بن عمرو و اسد بن كعب و اسيد بن زيد
و سلام و هم من مؤمني اهل الكتاب يقولون امنا به قليله و كثيره فقال
لهم حيي و كلهم انا بعرفون الباطل مما خلط عليكم فقالوا بل نعرف الحق
قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا الاية فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب
المثال لليهود ليعقلوا و كان الله تعالى طبعه على قلوبهم فلم يفهموه
فذلك قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون **و قوله** ذلك الكتاب فذلك بلا اله احرف ذا اشارة
و اللام عماد و الكاف خطاب و هذه الكلمة في القرآن على ثلاثة اوجه
اشارة الى الغايب قال الله تعالى في ذلك فليتنافس المتنافسون
و اشارة الى الحاضر قال تعالى هل في ذلكم قسم و اسم لما يوصف بالغيبة و الحضرة
قال فذلكم الله ربكم و قد جاء الشعر ذلك لهذا قال ـــــ خفاف بن ندبة
اقول له و الرمح يأطر متنه ٦ تامل خفافا انني انا ذلكا ٦ اى هذا
و في هذه الاية تقدير الكلمة ممكن على الوجوه الثلاثة يجوز ان يكون اسما
للقرآن و هو كلام الله تعالى و هو قايم بذات الله تعالى لا يوصف بحضرة
و لا غيبة و يجوز ان يكون بمعنى هذا و هو قول مجاهد و مقاتل بن حيان

وابن جريج والكسائي والاخفش وابي عبيدة ويجوز ان يكون بمعنى
الاشارة الى غايب قال ابن عباس معناه ذلك الكتاب الذي اخبرتك اني
اوحيه اليك وقال عطا بن السايب ذلك الكتاب الذي وعدتك
يوم الميثاق وقال يمان بن رباب ذلك الكتاب الذي ذكرته في التوريه
والانجيل وقال الفراء هذا الكتاب ذلك الكتاب الذي وعدتك وقال
ابن كيسان انزل الله قبل البقرة بضع عشرة سورة الكتاب
المشار كون ثم انزل البقرة فقال ذلك الكتاب يعني ما تقدمها **وقوله**
الكتاب فاصله في اللغة الجمع وسميت الكتيبة بها لاجتماعها
يقال كتبت البغلة اذا جمعت بين شفريها بحلقة قال **الشاعر**
لاتأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها باسيار وهذه
الكتيبة وهي الخريزة وجمعها الكتب والكتاب بمعنى المكتوب
وهي في القران على عشرين وجها بمعنى الفرض قال كتابا موقوتا اي
فرضا موقتا وبمعنى البرهان قال قل فاتوا بكتابكم اي ببرهانكم
قاله الكلبي وبمعنى الاجل قال وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
وبمعنى المقدار قال لكل اجل كتاب وبمعنى القضاء قال كتاب الله عليكم
وبمعنى مكاتبة العبد قال والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم وبمعنى
الرخصة والاباحة قال تعالى وابتغوا ما كتب الله لكم وبمعنى اللوح المحفوظ
قال الله في ام الكتاب وبمعنى التوريه قال ولقد اتينا موسى الكتاب وبمعنى
الانجيل قال الى عبد الله اتاني الكتاب وبمعنى التوريه والانجيل قل يا اهل
الكتاب وبمعنى القران كتاب انزلناه اليك وبمعنى صحيفة اعمال البشر وتخرج
له يوم القيامة كتابا وبمعنى ما كتب لليهود من عند انفسهم واد عوا انه
كتاب الله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم وبمعنى رسالة سليمان الى بلقيس
انى القي الي كتاب كريم وبمعنى ما كتب في الزبور ولقد كتبنا في الزبور وبمعنى

ما اقترحه الكفار من ينسنا الله من السماء وقالوا لولا يوتى لكم الى قوله
حتى ينزل علينا كتابا نقراه وبمعنى وعد الرحمة كتب ربكم على نفسه الرحمة وبمعنى
اثبات الايمان في قلوب المومنين اولئك كتب في قلوبهم الايمان وبمعنى الارواح كلا
ان كتاب الابرار لفي عليين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين واما المراد
بالكتاب هنا فقد قال سعيد بن جبير هو اللوح المحفوظ وقال عكرمة
هو التوريه والانجيل وقال ابن عباس والضحاك وقتاده هو القران وعليه
الجمهور وهو الاشهر الاظهر ثم لما سمي القران كتابا بمعنى الجمع الذي دل عليه
ماخذ الاسم من وجوه احدها انه جمع الحروف حتى صارت كلمات وجمع الكلمات
حتى صارت ايات وجمع الايات حتى صارت سورا تاما وجمع السور
حتى صارت كتابا مشتملا على اكرامات والثاني انه نظام لصنوف العلم
وقوام لانواع الحكم قال النبي صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم والثالث
انه جمع معاني جميع كتب الله المنزله قال صلى الله عليه وسلم اوتيت السبع الطول
مكان التوريه والمايين مكان الزبور والمثاني مكان الانجيل وفضلت
بالمفصل والرابع انه يجمع اهل خير الدارين قال تعالى ومن يوت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا والخامس انه جمع بين اهله وبين النبي والصديقين والشهدا
والصالحين والحث على ما دوى علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
انزل القران على عشرة اشيرا ونديرا وناسخا ومنسوخا ومحكما ومتشابها
ومواعظ ومثلا وحلالا وحراما فاشروا بشيره وانتذروا بنذيره
وعملوا بناسخه وآمنوا بمنسوخه واعتبروا بمحكمه وردوا علم متشابهه الى عالمه
واتعظوا بمواعظه واعتبروا بمثله واحلوا حلاله وحرموا حرامه فاويل من المومنين
حقا لهم الدرجات العلى مع النبي والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا وهو وارثي ووارث الانبيا من قبلي فلا زال في ضمان الله وكنفه
وحيث ما تلا القران عشيته الرحمة ونزلت عليه السكينة وحشد في زمرتي

وتحت لوائي والسادس انه جمع بين الحبيب والحبيب فانه كان الحبيب الى
وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فقد كلم الله وقال لما انزل الله تعالى
على موسى التوراة وهي الف سورة كل سورة الف اية قال موسى يا رب ومن
يطيق قراءة هذا الكتاب وحفظه فقال اني انزل كتابا اعظم من هذا قال على
من يا رب قال على خاتم النبيين قال وكيف بقراءة امته ولهم اعمار قصيرة قال اني
ايسره عليهم حتى يقرأه صبيانهم قال وكيف تفعل قال اني انزلت من السماء
الى الارض مائة وثلاثة كتب خمسين على شيث وثلثين على ادريس وعشرين
على ابرهيم والتوراة عليك والزبور على داود والانجيل على عيسى وكلت الكتاب
في هذه الكتب فاذكر جميع معاني هذه الكتب في كتاب محمد واجمع ذلك كله في مائة
واربع عشرة سورة واجعل هذه السور في ثلثين جزءا والاجزاء في سبعة اسباع
ومعنى هذه الاسباع في سبع ايات الفاتحة منها معانيها في سبعة احرف
وهي بسم الله ثم ذلك كله في الالف من الم ثم افتتح سورة البقرة فاقول الم
ولما وعد الله ذلك في التوراة فانزل على محمد تحدت اليهود ان يكون هذا
ذلك فقال الله تعالى ذلك الكتاب اي هذا ذلك الكتاب ثم سماها هنا كتابا
وله في القرآن مائة اسم وقد عددنا في صدر هذا الكتاب في من فضل الله علينا
ان اعزنا بدينه واكرمنا بكتابه وشرفنا بنبيه وخصنا بفضيلة بان
ذكر في القرآن اسما سمى بها نفسه وكتابه ورسوله وسمانا ايضا بها وهي اكثر
من عشرين اسما الحق وقال لنا اولئك هم المؤمنون حقا والنور قال الله
نور السموات والارض قال لكتابه واتبعوا النور وقال لرسوله قد جاءكم
من الله نور وكتاب وقال لنا فهو على نور من ربه والعزيز قال وان الله لقوي
عزيز وقال لكتابه وانه لكتاب عزيز وقال لرسوله لقد جاءكم رسول من انفسكم
عزيز وقال لنا ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والكريم قال ربك الكريم وقال
لكتابه وانه لقرآن كريم وقال لرسوله انه لقول رسول كريم وقال لنا ولقد كرمنا
بني

بني ادم والعظيم وهو العلي العظيم وقال لكتابه والقرآن العظيم وقال
لرسوله وانك لعلى خلق عظيم وقال لنا فقد فاز فوزا عظيما والشهيد
وكفى بالله شهيدا وقال لكتابه ويتلوه شاهد منه وقال لرسوله وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا وقال لنا ولتكونوا شهداء على الناس والمبين قال وهو
الحق المبين وقال لكتابه والكتاب المبين وقال لرسوله اني انا النذير
المبين وقال لنا وانصحوا وبينوا وذو العلى سبح اسم ربك الاعلى وقال
لكتابه لعلي حكيم وقال لرسوله وهو بالافق الاعلى وقال لنا وانتم الاعلون
والهادي قال قل ان هدى الله هو الهدى وقال لكتابه لا ريب فيه
هدى وقال لرسوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى وقال لنا اذ لم يهتدوا بهدى
والحاكم حتى يحكم الله بيننا وقال لكتابه حكما عربيا وقال لرسوله وان احكم
بينهم وقال لنا كونوا قوامين بالقسط والحكمة قال حكمة بالغة وقال لكتابه
ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة وقال لرسوله ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال لنا
ويثبت الحكمة والرحمة قال وربك الغفور ذو الرحمة وقال لكتابه وننزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة وقال لرسوله وما ارسلناك الا رحمة وقال لنا
فعلى رحمة الله والامر ان الله يامركم وقال لكتابه ذلك امر الله انزله اليكم وقال
لرسوله وامر اهلك وقال لنا تامرون بالمعروف والمنذر فانذر وتكم نارا تلظى
وقال لكتابه بشيرا ونذيرا وقال لرسوله مبشرا ونذيرا وقال لنا وليهدروا
قومهم اذا رجعوا اليهم والطاهر طس طه وقال لكتابه في صحف مكرمة
مرفوعة مطهرة وقال لرسوله ويطهركم تطهيرا وقال لنا ولحي المتطهرين
والطيب كلمة طيبة وقال لكتابه وهدوا الى الطيب من القول وقال لرسله
الطيبات للطيبين وقال لنا توفاهم الملائكة طيبين والداعي اليه يدعوا
الى دار السلام فقال لكتابه احسنوا داعي الله وقال لرسوله وانك لتدعوهم
وقال لنا يدعون الى الخير والقائم قائما بالقسط وقال لكتابه قيما لينذر بأسا

شديدا وقال لرسوله لما قام عبد الله وقالنا والصادقين في الخير وانت
خير الراحمين وقال لكنابه قل بفضل الله وبرحمته الى قوله هو خير وقال
لرسوله قل اذن خير لكم وقال لنا كنتم خير امة والاحسن وتبارك الله احسن
الخالقين وقال لكنابه الله نزل احسن الحديث وقال لرسوله لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم وقال لنا ومن احسن في دينا والمبارك تبارك اسم
ربك وقال لكنابه وهذا كتاب مبارك وقال لرسوله من شجرة مباركة وقال لنا
في ليلة مباركة وقال تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
وقوله لا ريب فيه اى لا شك فيه والريب شك فيه خوف
وهو اخص من الشك وكل ريب شك وليس كل شك ريبا والريبة التهمة
من ذلك والمريب المتهم ولا كلمة تبرئة وهي اذا دخلت اسما واحدا بنى على الفتح
ولم تنون لانهما صيرا ان كاسم واحد بمنزلة خمسة عشر فان قولك لا رجل في الدار
هو جواب قول السايل هل من رجل في الدار ومن مع رجل صار اسما واحدا
في السوال فصار هذا ان شيا واحدا في الجواب فان ذكرت بعده اسمين ففيه
اربعة اوجه رفعهما وتنوينهما وفتحهما بغير تنوين ورفع اولهما وتنوينه
مع فتح الآخر بغير تنوين وفتح اولهما بغير تنوين مع رفع الاخر وتنوينه ويتوضح
ذلك في قولهم لا حول ولا قوة الا بالله ثم معنى قوله لا ريب فيه اى لا شك في كونه
ذلك الكتاب الموعود وقيل اى لا شك في كونه هدى وقيل اى لا شك في المذكورات
فيه فهي مبينة غير مبهمة فان قالوا ان الكفار شكوا فيه فلم يقروا بكتاب
الله والمبتدعون من اهل القبلة شكوا في معاني متشابهاته فاجروها
على ظواهرها ضلوا بها والعلما شكوا في وجوهه فلم يعطفوا القول على وجه
منها والعوام شكوا فيه فلم يفهموا معانيه فما معنى نفي الريب عنه قلنا ثلاث اجوبة
احدها ان هذا نفي الريب عن الكتاب لا عن الناس والكتاب موصوف
بانه لا يمكن فيه ريب فهو حق صدق معلوم مفهوم سكل الناس فيه او لم يسكلوا

كالصدق صدق في نفسه وان وصفه الناس بالكذب والكذب كذب
وان وصفه الناس بالصدق وكذا الكتاب ليس مما يلحقه او يمكن
فيه عيب والثاني ان هذا نفي الريب عن المقتبس منه بعد امعان النظر
واجالة الفكر فمن تعلمه وتبحر فيه ونظر فيه منصفا غير معاند لم يجد
فيه تناقضا ولا تعارضا بل وجد يصدق بعضه بعضا والثالث
ان هذا نهي في المعنى وان كان نفيا في الصفة وهو كقوله تعالى
فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج فان هذه الكلمات لو حملت على ظاهر
النفي يوجه عليه هذا الاشكال فانا نجد من يرفث فيه ويفسق ويجادل
لكنه نهي عن فعل ذلك في الحج فهذا مثله ونظيره قوله فكيف اذا جمعناهم
ليوم لا ريب فيه وقد انكره ملحدون وشك فيه المشركون لكن وجوهه
ثلثة احدها انه لا شك في وجوده وتحققه في نفسه والثاني
انه لا جرى امر على الشك والتلبيس والثالث انه نهي عن الارتياب
فيه فانه واقع لا محاله **قوله فيه** قرى بكسر الهاء وضمها وسكونها
وكل وجه على وجهين اما الكسر فلليا التي قبلها واما الضم فهي على الاصل
لان اصل الكنايه هو واما التسكين فعلى الوقف ثم الكسره على وجهين
كسرة غير مشبعه اي لا يا بعدها لفظا لانه لا ياء بعدها كنايه
وكسرة مشبعه باليا لان ها الكنايه اصلها هو بالواو وجعلت هذه
الواو يا هنا للكسرة المتقدمة والضمة على وجهين ايضا مشبعه
بالواو وهي قراة الزهري على اصل كلمه هو وضمة لا واو بعدها تخفيفا
وبناء على الكنايه والتسكين على وجهين على الوقف لتمام الكلام ثم الابتدا
على معنى هو هدى وادغام ع في ر والله اى حاتم عن ابي عمرو **وقوله**
هدى قد مر الكلام في تفسيره وتصاريفه في قوله اهدنا ثم هو يصلح
مصدرا هنا كالتقى والسرى والاتى ويصلح فاعلا فان اسم المصدر

يطلق على العامل والمفعول لغة يقال رجل عدل اى عادل ورضا
اى مرضى وقد ورد في القران الهدى بمعنى الهادى قال تعالى
خبرا عن موسى اواجد على النار هدى اى هاديا فان جعل
مصدرا فعلى قوله فيه هدى فان جعل فاعلا فعلى ان يجعل بتقدير
هو هدى للمتقين اى هاد واما اعرابه ففى الظاهر احركة للياء
التى هى حرف الاعراب فانه اسم مقصور وقد سقطت ايتا بالسوس
وهذه الصيغة وردت في القران في محل النصب والرفع والخفض
زادهم هدى هذا نصب فيه هدى ونور هذا مرفوع اوليل على هدى
من ربهم هذا مخفوض وهنا قوله هدى للمتقين يصلح ان يكون منصوبا
ومرفوعا والايحتمل الخفض لعدم الخافض فاما النصب فللقطع وللقطع
وجوه احدها من قوله ذلك الكتاب فالكتاب معرف وهدى
نكرة والثانى من قوله ذلك وهو معرف ايضا والثالث من قوله
فيه فهو معرف ايضا ووصف المعرف بالنكرة لا يستقيم فنصب قطعا
كما في قوله هذه ناقة الله لكم وقوله خبرا وهذا بعلى شيخا وقوله
قبلك بنو تميم غاوية وقيل هو نصب على الحال اى لا ريب في كونه
هدى واما الرفع فلوجوه احدها انه خبر قوله ذلك والثانى
انه خبر قوله الكتاب والثالث انه خبر فيه والرابع انه خبر
مبتدا مضمر اى هو هدى ثم هنا ثلاثة اسئلة احدها انه
لم اضاف الهدى الى القران وهو من الله تعالى والثانى انه لم خص
هنا فقال هدى للمتقين وعم في موضع اخر فقال هدى للناس والثالث
انه لم خص المتقين بالهدى وفيه هدى الكل وهل عذر غير المتقين
بهذا اما جواب الاول فاضافه الى القران على وجه التشبيه كما في
قوله وانك لتهدى مع قوله انك لا تهدى وكما اضافه الاضلال الى

ايه ط

الهدى ح

بقوله واضل فرعون قومه والى الاصنام بقوله انهن اضللن كثيرا
من الناس والله تعالى هو الذى يضل من يشاء ويهدى من يشاء قال
تعالى ان الهدى هدى الله فاما جواب الثانى فهو هدى الناس كلهم
بيانا وهدى المتقين على الخصوص ارشادا وهو كقوله تعالى في حق نبيه
على الخصوص انما انت منذر من يخشاها وقال انما تنذر من اتبع الذكر
وخشى الرحمن بالغيب مما قال فيه على العموم وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا لكن انذر الكل تبليغا وينتفع بذلك اهل الخشية تنبيها فهذا مثله واما
جواب الثالث فهو هدى للمتقين لانهم هم المنتفعون به وكانهم خصوا به
وكذلك يقال في كل من انتفع بشئ على الخصوص دون عموم الله كذلك على الخصوص اى انت
المنتفع به وحدك وليس ان الناس لم يهتدوا به ما لحرجه من ان يكون
هدى والشمس شمس وان لم يرها الضرير والعسل عسل وان لم يجد طعمه
المبرور والمسك مسك وان لم يدرك طيب ريحه المأوف فالخيبة كل
الخيبة لمن عطش والبحر زاخر وبقى في الظلمة والبدر زاهر وخبث
والطيب حاضر وذوى والروض ناضر والحسرة كل الحسرة لمن عصى ونسق
والقران ناهى امر وفارق الرغبة والرهبة والوعد متواتر والوعيد
متظاهر ولذلك قال حل جلاله والله لحسرة على الكافرين وقوله للمتقين
اصل الكلمة من الوقاية وهى الحفظ والتوقى التحفظ والاتقاء الاحتفاظ
اى الاحتراز عن الاثم وعلى ذلك قاله الراس والتوت والكتاب والاسم منه
التقوى واصله الوقوى الواو الاولى اصليه والثانية زايده والياء لام
الفعل وزنه فعول وقال هو عاوزن فعلى فالواو والثانية على هذا لام الفعل
والياء الاخيرة زايده والاوجه هو الاول لان الكلمة يائيه فلا تجعل لامه واوا
بخلاف الدعوى والشكوى فانها واويان وانما صارت الواو والاولى تاليا على
صيرورتها تاليه قولك اتقى يتقى لان اصله اوتقى صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها

كما في الميعاد والميراث ثم حملت اليتاوا دغمت الاولى في الثانية طلبا للتلاؤم وتوقيا عن التنافر ثم بنى الاسم على هذا الفعل كما في التحمة من التحم واصله وحمة وكذا التمة والتكاة والتكلان والتراث والتجاه توهما انها اصلية ثم التقوى قسمان اصل وفرع فالاصل الايمان وهو اتقاء وهو اتقاء عن الكفر والفرع الاتقاء عن الذنوب فبالاول النجاة من العذاب الموبد وبالثاني النجاة من العذاب الموقت اما التقوى هو ايمان ففي مثل قوله وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وايای فاتقون واما التقوى الذي هو ترك الذنوب بعد تمام الايمان مثل قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وللناس في التقوى والمتقي اقاويل يبلغ مائة عددناها في كتابنا الموسوم بحر علوم التفسير على بحر رسوم التذكير وفي كتاب الله تعالى في تفسيره ما يغني عن كثير مما ذكر فانه قال ولكن البر من امن بالله وعد اشياء ثم قال في اخره واولئك هم المتقون فهذا هو المتقي المطلق الثابت بحجة لا ريب فيها والذي يليه في الوضوح قول النبي صلى الله عليه وسلم جماع في قول الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية والذي يقرب منه في الثقة بصحته ان المتقي المطلق من ائتمر بامر التقوى الوارد في القرآن فهو على ثلاثة اوجه للعام والخاص والخاص الخاص اما امر العام فبالقاء النار واتقوا النار واما امر الخاص فبالقاء يوم القيامة واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله واما امر خاص الخاص فبتقوى الله واتقون يا اولي الالباب فالعامة عصاة فحقهم بالنار كي يتركوا المعصية والخاص مطيعون فدعاهم الى الاخلاص كي لا يتحيروا في جواب سؤال الصدق يوم القيامة وخاص الخاص قربة بالله ومع الله وامرهم بالقائه وهو ان يكونوا لله ويتقوا ملاحظة غير كي لا يفقدوا في المحبة قال فاتقون يا اولي الالباب اللب الخالص

اي باخلاصي كونوا لي لا لغيري وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فقال هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر وقيل التقوى ضم الجوارح وضم الجوارح فضم الجوارح منع الاذن عن سماع اللغو ومنع العين عن النظر الى اللهو ومنع اللسان عن فضول الكلام ومنع الخلق عن فضول الطعام ومنع القدم عن التخطي الى الاغيار ومنع النفس ومنع النفس عن ملابسة الاقذار واما ضم الجوارح وهو جمع الهمة عن التفاريق والتفرد عن وجوه التعاريق والتنزه عن الوان التعاليق فمن اتقى ظاهره طهر خلاصه ومن اتقى باطنه نظر استخلاصه وحظي اذنه بسماع كلام الحق وعينه برويه الحق ولسانه بمكالمة الحق ويده بنيل عطايا الحق ورجله بالوصول الى مقعد الصدق بمقرب الحق وقلبه بمشاهدة الحق وروحه بقرب الحق وسره بلطف الحق وصار كله للحق وبالحق وقيل تفسير المتقين فيما ذكر بعده الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون وهو كما قالوا ان تفسير الصمد ما ذكر بعده الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وتفسير الهلوع ما ذكر بعده اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا

قوله الذين يؤمنون بالغيب فان الذين اسم دال على دخول الالف واللام فيه وهو موصول لانه يتم بصلته وهي يؤمنون واصله الذين لام احد سببها لام التعريف والثاني لام الذي والياء التي في الكتابة بواحدة تخفيفا لكثرة الاستعمال ولهذا كتب في التثنية اللذان بلامين لانه لم يكثر استعماله وهو غير معرب لفظا ولهذا يستوي رفعه ونصبه وخفضه فتقول جاءني الذين علمت ورايت الذين علمت ومررت بالذين علمت وانما لم يعرب لانه موصول لا يتم الا بصلته فصار لفظه كانه بعض الكلمة ولا اعراب الا لتمام الكلمة آخرها فاما اللذان في التثنية فانما اعرب فكان رفعه بالالف ونصبه وخفضه

بالياء ان منع الاعراب كان للحاق بالحروف والا شبيه للحروف فلم يلحق بها بل لحق
فيه معنى الاسم فاعرب لذلك وقوله الذين يومنون بقدر المومنين ومحل
الذين من الاعراب على هذا التقدير الجر لانه نعت للمتقين فيتبعه في اعرابه ويجوز
ان يكون نصبا على المدح ويجوز ان يكون رفعا باضمار هم **وقوله**
يومنون في الايمان في اللغة هو التصديق ومنه قوله تعالى وما انت بمومن لنا اي بمصدق
اي اثبت له الامان وقيل ان الايمان هو التصديق ما وجود من هذا قال
المصدق غيره فيما اخبره به يثبت لنفسه الامن اخباره المخبر له بالكذب
او الخطا ثم اختلف اهل الاصول في ما به الايمان المفترض على العبد
فالجهم هو المعرفة وقالت الكرامية هو مجرد الاقرار وقال الرقاشي هو
الاقرار بشرط وجود المعرفة في القلب والمعرفة ضرورية توجد لا محالة
لكن اذا وجدت هي مع الاقرار فالايمان هو الاقرار وحده لانه اسم لفعل
الكتسابي لا اضطراري وقال اهل الحق هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان
وقال الامام ابو منصور وهو مروي عن ابي حنيفة رحمه الله وهو قول
جماعة هو التصديق وقال مالك وابن فقيه والاوزاعي واهل الحديث
واصحاب الظواهر الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان
وقال الاشعري كل ذلك والبقاء عليه الى الموت وبيان شعبه الخصوم
وحجج اهل الحق يذكر في كتب الكلام وتشير لحن في بقية هذه الاية وفي تفسير
الايات التي في المنافقين من هذه السورة الى ما يقع به الاستغناء والاكتفاء
ان شاء الله تعالى ثم قوله يومنون للقراء في الهمز وتركه تفاصيل
فابو عمرو يترك كل همزة ساكنة الا ان يعرض امر اربعة اشياء احدها ان يكون
سكونها علامة الجزم كقوله او ينسها او ان نشا او يتغير المعنى كقوله
اثانا وريا او يخرج الى لغة اخرى كقوله موصدة او يكون التخفيف
اثقل كقوله تاوى اليكم في الحاصل انه يهمز في بلائه وبلئس موضعا

بقراءة اولها أنبيهم واخرها موصدة والكسائي يترك الهمز في الذيب
ويهمز ما عداه وعاصم في رواية ابي بكر يترك الهمز في موصدة ويهمز سواه وحمزة
يترك همزا تقف عليه ويهمز ما خلاه وابن كثير يهمز الكل الا كلمة القرآن وابن عامر يهمز
الكل وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم المومن من امنه جاره بوايقه
معناه والله اعلم المومن المستكمل اوصاف اهل الايمان هذا وكذا قوله صلى الله عليه وسلم
المومن هين لين جواد سمح كالجمل الانف اذا قيد انقاد واذا انيخ على صخرة
استناخ وقوله المومن الف مالوف حيثي ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وقوله
المومن قطن حذر وقاف متثبت عالم ورع وقوله المومن واهي رائع
فسعيد من هلك على رقعه وعلى هذا ما قال اهل الحقيقة في تفسير الايمان
فهو تغيير كما ل حال المومن في مقامات خصال الايمان قال ذو النون الايمان
استصغار الكونين عند رؤية المكون فلا يستطرق وارد ولا يستفزك
شاهد وقال فارس الايمان تعظيم الحقيقة في صون الشريعة وقال
الواسطي اول قدم في الايمان ان لا يجري عليك التلوين فما يرد عليك من نعم او بليه
اد لا فرد منهما الحقيقة وقال داود الطائي الايمان ما يورثك النور
بعد الظلمة ثم اللين بعد القسوة ثم السنة بعد البدعة ثم التلذذ بالعبادة
بعد المجاهدة وقال سهل بن عبد الله التستري الايمان اربعة اركان
التوكل على الله والاستسلام لامر الله والرضا بقضاء الله والسكر لنعماء الله
والتقوى باب الايمان واليقين قلب الايمان والصبر عماد الايمان والاخلاص
كمال الايمان وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان
بضع وستون او بضع وسبعون افضلها لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق والحياء شعبة من الايمان فاهل الحديث جعلوا هذا كله من الايمان ونحن
نقول هي من خصال اهل الايمان ولم يرد تعديدها باعيانها في حديث واحد
والله اعلم عدد ادل على وجوه واخص ما بينا وله لفظ الحديث بضعة وسبعون

مطلب عدد شعب الايمان

وانا اعدها على ترتيب اختاره وعلى الاجتهاد مدارة فاقول بدأته
بالتهليل الذى يليه التكبير والتسبيح والتحميد والتمجيد والبحريد والتفريد
والتوبة والانابة والنظافة والطهارة والصلوة والذكوة والصيام والقيام
والاعتكاف والحج والغزو والقربان والصدقة والعتق وقراءة القرآن
وملازمة الاحسان ومجانبة العصيان ثم اكل الطفيان وهو الغدوان ولبوس
الجنان وضبط اللسان والبناء والدعاء والخوف والرجاء والحب والحياء والصدق
والصفاء والنصيحة والوفاء والندم والبكاء والاخلاص والزكاء والحلم والسخاء
والشكر والعطية والصبر والبلية والرضا بالقضية والاستعداد للمنية
واتباع السنة وموافقة الصحابة والاقتداء بعلماء الامة والتفقه على العامة
واحترام الخاصة وتعظيم اهل الشبيبة والعطف على صغار البرية واداء
الامانة واظهار الصيانة والاطعام والانعام وبذل الايتام وصلة الارحام
وافشاء السلام وصدق الاستسلام وحقوق الاستعصام والزهد في الدنيا
والرغبة في العقبى والموافقة للمولى ومخالفة الهوى والحذر من لظى وطلب
جنة المأوى وبث الكرم وحفظ الحرم والاحسان الى الخدم وطلب
التوفيق وحفظ التحقيق ومراعاة الجار والرفيق وحسن الملكة في الرقيق
وادناها اماطة الاذى عن الطريق فمن استكمل الوفا بشعب الايمان نال
بوعد الله كمال الايمان وهو الذى قال الله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون **وقوله** بالغيب
هو في اللغة نقيض الشهادة وقد غاب فلان عنا غيبة وغيابا وغابت الشمس
اى غربت غيبوبة وغيابة الجب كالطاق في البئر والغيبة ذكرك
عيوب الانسان في الغيبة واختلف في تفسيرها فقال سعيد
بن جبير اى بؤمنون بالله وقال ابن عباس رضى الله عنه يصدقون
الرسل وقال ابن جريج اى يؤمنون بالوحى برمته وما هو على الغيب بظنين

معناه على الوحى وقال الحسن اى يصدقون بالاخرة وقال بعضهم اى يؤمنون
بالله ويطيعونه وان غابوا عن المؤمنين لا كالمنافقين كما قال الله تعالى يخشون
ربهم بالغيب وقال بعضهم اى يؤمنون بقلوبهم الغائبة مع السنتهم
الظاهرة لا كالمنافقين الذين يؤمنون بالسنتهم الظاهرة دون قلوبهم
الغائبة والجملة ان الغيب كل ما لا يصل اليه العبد الا بدليل وهو ما غاب
عن الحس مما يجب الايمان به وهو ما اخبر به النبى صلى الله عليه وسلم
من الكائنات بعد الدنيا وما بعد الموت من احوال القيامة والجنة
والنار وقال الامام ابو منصور قيل فيه يؤمنون بغيب الله
ولا يطلبون منه ما طلب الامم السابقة من انبيائهم كقول بنى اسرائيل
لموسى عليه السلام لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة والثانى يؤمنون بغيب
القرآن وبما جرهم القرآن من الوعد والوعيد والامر والنهى والبعث والجنة
والنار والايمان انما يكون بالغيب لانه تصديق والتكذيب انما يكون
عن الخبر والخبر يكون عن غيب لا عن مشاهدة وقال اهل الحقيقة
معناه انهم بغيب القرآن عاينوا غيب الآخرة بغيب الغيب شاهدوا الحق
مطلعا عليهم في جميع الاوقات فغابوا باطلاعه عليهم عن مشاهدة
كل شئ سواه فهم قائمون معه مع المشاهدة بالغيب في القرآن
جامعان للسر قال الى اعلم غيب السموات والارض اى سر اهلها والروح
قال حافظات للغيب للرزق قال وعنده مفاتح الغيب واللوح قال
اطلع الغيب واللوح قال وما هو على الغيب بضنين وما غاب عن العباد قال
عالم الغيب والليل قال وما كنا للغيب حافظين والعذاب قال ولا اعلم الغيب اى
متى ينزل العذاب والموت ولو كنت اعلم الغيب اى متى اموت والشكل
رجما بالغيب اى قولا بالشكل والنزول العلامة ولولا انزل عليه آية من ربه
قل انما الغيب لله اى علم نزولها وبمعنى الغيبة لنعلم الى لم اخه بالغيب والتصديق هم

ان الله تعالى اخبر انه عالم الغيب ولا يعلم غيره الغيب وذكر
ان عنده مفاتح الغيب وقال لرسوله قل لا اقول لكم عندى خزائن
الله ولا اعلم الغيب وذكر ان الجن علموا انهم لا يعلمون الغيب
فلما خر بيتت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب وقال ما كان ليطلعكم
على الغيب واخبر انه هو الذى اخبر رسوله بالغيب لكم من انبأ الغيب
ووبخ الكفار بقوله اطلع الغيب وبقوله ام عندهم الغيب وامر بالشهادة
عليه بقوله قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب ومدح المؤمنين
بالايمان بالغيب بالخوف بالغيب وبالخشية بالغيب وبالنصرة بالغيب
بقوله يؤمنون بالغيب ليعلم الله من يخافه بالغيب من خشى الرحمن بالغيب
وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب وقال قل ان الموت الذى
تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب وعدهم الجنة
فقال جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب **وقوله**
ويقيمون الصلوة الاية دلت بقيد الاية على ان الاعمال ليست من
الايمان فانه ذكر الايمان وعطف عليه الاعمال والمعطوف غير المعطوف عليه
قال الامام ابو منصور رحمه الله هذا يحتمل على وجهين الصلوة المعروفة
اى يقيمونها بتمام ركوعها وسجودها والخضوع والخشوع له فيها
واخلاص القلب والنية له على ما جاء الخبر انظر من ناجى ويحتمل الحمد لله
والثناء عليه فان كان المراد هذا فهو لا يحتمل النسخ ولا الدفع الى الدنيا
والاخرة ولاهل التفسير هذا سنة اقاويل قال بعضهم اقامة الصلوة
اداؤها فان قال المؤذن قد قامت الصلوة معناه اخذوا فى اذانها
وقيام الشئ وجوده واقامته من العبد تحصيله وقال ابن عباس رضى الله عنه
اقامتها اتمام ركوعها وسجودها وما يحف فيها وهو معنى القويم اى التسوية
فلا يخل بتقاضى شئ من افعالها واركانها ولا منها خلاف فرائضها واحيانها

وقوله ويقيمون الصلوة

وسننها واداءها وقيل اقامتها ادامتها واظهارها **قال الشيخ**
اقامت عز الله سوق الضراب لاهل العراق حوله قيطا اى ادامت
امراة شبيب الخارجى امر الحرب وضرب السيوف حولا تاما ومنه
قوله تعالى الا ما دمت عليه قائما اى مواظبا على التقاضى والرابع
قول ابن كيسان يقيمون الصلوة اى يديمون بالصلوة بدلها منهم على صدق
دعواهم فى الايمان بالغيب الخامس قول بعضهم اقامتها مراعاة حدودها
وشرايطها اى شرايط الجواز والقبول وشرايط الجوارحة قبل الشروع
وحالة بعده وهى معرفة وشرايط القبول حالة بالظاهر وحالة بالباطن
فالظاهر الخشوع لقوله تعالى فى صلوتهم خاشعون والتقوى لقوله انما
يتقبل الله من المتقين وترك اكل الحرام وقول الكسل والهبطا واما الباطن
فالاخلاص فالتفكر والخوف والرجاء ورؤية التقصير والمشاهدة والدوام
قول القشيرى اقامتها القيام باركانها وسننها مع الغيبة عن شهود
برؤية من يصلى له بقول الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل
عملا واشرك فيه غيرى فهو له وانا منه برئ وعن ابى بكر الشبلى
انه قال لو نظر قلبى فى الصلوة الى العقبى توضأت ولو نظرا الى الدنيا
اغتسلت وقال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين فى صلوتهم خاشعون
والخشوع سكون الظاهر والباطن فلا يصرف شيئا من اعضائه الى غير
السنة ولا شيئا من باطنه الى غير القربة وقال النبى صلى الله عليه وسلم حين راى
رجلا يعبث بلحيته فى الصلوة اما لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه
وقيل اقامة الصلوة بالتطهر والاظهار وباطنا وبالتجمل بلباس اهل
الدنيا ولباس التقوى ومراعاة الوقت مع اتقان المكتوبة واخلاص النية
مع اصلاح الطوية واستقبال القبلة بالوجه والقلب والافتتاح بتكبيرة
عن توقير والاتيان بقيام على تمام والقراءة عن تفكر وتدبر والاستماع

عن انصات و اخبات و الانحناء بركوع عن خشوع و الخرور
بسجود عن سهود و التكلم بتسبيح عن تصحيح و الختم بقعدة عن عده
و التشهد عن تعهد و صلوات و دعوات عن تحيو و ايات
و تسليم عن تميم ثم الدعا على اخلاص و الرجوع عن افلاس **و قوله**
الصلوة فالصلوة في اللغة اسم للدعا و الثنا و القراءة
و الرحمة قال تعالى و صل عليهم اى ادع لهم و قال ان الله و ملئكته
يصلون على النبي قيل هي الثنا و قال لاجهز بصلوتك اى بقرائك
و قال او لئك عليهم صلوات من ربهم و الصلوة المشروعة المخصوصة بافعال
و اذكار سميت بها لما في ابتدائها من القراءة و في قعودها من الثنا و الدعا
و لما عليها من الرحمة و قيل سميت بها من قولهم صليت العود بالنار
اى لينته بالنار و المصلي بالصلوة يلين و يخشع لرب العالمين و قيل
هي من الصلاء و هو مفرز الذنب من الفرس و المصلي يحني في الركوع
و السجود و يرفع الصلوين في هذين الحالين و قيل هي من قولهم فرس
مصلي اى تالي للسابق في حلبة الرهان سميت بها لانها في الذكر ثانية
الايمان فانها ذكرت في هذه الاية بعد الايمان بالغيب قد قال صلى الله عليه وسلم
الصلوة ثانية الايمان ثم الصلوة في هذه الاية اسم الجنس و اريد بها الجمع و اسم
الجنس يصلح للكل قال تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا و ادعوا ثبورا كثيرا
و هذا كقوله فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين و انزل معهم الكتاب بالحق
اى الكتب و هي خمس صلوات مكتوبة في كل يوم و ليلة و كانت خمسين على من
قبلنا و كذا فرضت علينا ليلة المعراج ثم حطت الى خمس تخفيفا و بقيت
اجر الخمسين تضعيفا و كتب الصلوة بالواو اتباعا لمصحف الامام فقد
كتبت فيها الصلوة و الزكوة و الحيوة بالواو و انما كتبوا الصلوة بالالف اشعارا
ان اصلها الواو و قد قلنا انها من الصلا و هو الاوى و لذلك يقال في تثنيتها

الصلوان ثم ان الله تعالى سماها صلوة في ايات و سماها تسبيحا في قوله
سبحان الله و سماها ايمانا في قوله و ما كان الله ليضيع ايمانكم و قرانا في قوله
و قران الفجر و حسنات في قوله ان الحسنات يذهبن السيات و قنوتا
في قوله يا مريم اقنتي لربك و ركوعا في قوله و اركعوا مع الراكعين و سجودا
في قوله انا الليل و هم يسجدون و صياما في قوله انا عرضنا الامانة و ذكرا
في قوله رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و استغفارا في قوله
و المستغفرين بالاسحار ثم المذكور في الاية اقامة الصلوة و الله تعالى امر
في الصلوة باشياء بانا ممتها بقوله و اقيموا الصلوة و بالمحافظة عليها و ادا
بقوله الذين هم على صلوتهم دايمون في بادايها في و فيها بقوله كانت على المومنين
كتابا موقوتا و بادايها في جامعه بقوله اركعوا مع الراكعين و بالخشوع فيها
بقوله الذين هم في صلوتهم خاشعون في بعد هذه الاوامر صار الناس
على طبقات خمس طبقة لم يقبلوها و راسهم ابو جهل فقال في حقه فلا صدق
و لا صلى و ذكر مصيرهم فقال ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله
و كنا نكذب بيوم الدين و طبقة قبلوها و لم يودوها و هم اهل الكتاب
فذكرهم الله فقال فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة و ذكر مصيرهم
فقال فسوف يلقون غيا و هو در كة في جهنم هي اهيب موضع فيها تستغيث
النار منها كل يوم كذا كذا مرة ثم قال الا من تاب اى من اليهود و النصارى و امن
بمحمد و عمل صالحا اى حافظ على الصلوات و طبقة ادوا بعضها و لم يودوا
بعضها متكاسلين و هم المنافقون فذكرهم الله تعالى ان المنافقين يخادعون
الله الى قوله و اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى فذكر مصيرهم ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار و طبقة يؤدونها و لكن بعد خروج وقتها فذكرهم
الله فقال فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون و ذكر ان مصيرهم ويل
و هو واد في جهنم لو جعل فيه جبال الدنيا لذابت و قال النبي صلى الله عليه وسلم

من ترك صلوة حتى مضى وقتها قضاها عذب في النار حقبا والحقب
ثمانون سنة كل سنة ثلاث مائة وستون يوما كل يوم الف سنة مما تعدون
وطبقه فيلوها وهم يراعونها ومواقيتها بشرايطها والاسم المصطفى
صلى الله عليه وسلم فذكر الله تعالى في قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل الاية وقال قل ان صلوتي ونسكي الاية فاصحابه كذلك فذكرهم
الله بقوله قد افلح المؤمنون الاية وذكر مصيرهم فقال اولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وهو ارتفع الجنة انهاها ينال المؤمن
فيه مناه وينظر الى مولاه **وقوله** ومما رزقناهم ينفقون
فالرزق هو الاعطاء وان اختلفت وجوهه فان الرزق يكون تملكا
قال تعالى ومما رزقناكم اى ملكناهم ويكون غذاء قال تعالى وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها اى غذاؤها ويكون طعاما فليأكل
يرزق منه ويكون ملكا قال الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء اى المال
ويكون مطرا قال وما انزل الله من السماء رزقا ويكون هبة قال واذا حضر
القسمة الاقوله فارزقوهم منه هو هبة شيء لغير الورثة تبرعا وتصدقا
ويكون اجرا وظيفة كرزق القضاة والجنود وكل ذلك راجع الى الاعطاء
ثم الرزق هو التغذية وعند المعتزلة التمليك والحرام عندهم ليس برزق
لانه ليس بملك وهذا في غاية الفحش وهو نهاية الضلال فانه رد كتاب
الله تعالى قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والحيوانات عندهم
لبست تاكل رزق الله تعالى لانها لا تملك واكل الحرام عندهم وكاسبه في جمع
عمره لم ياكل من رزق الله شيئا ولم يرزقه الله شيئا ثم اما ذكر الله تعالى
هذا الفعل بصيغة الجمع من نفسه وهو واحد لا شريك له لانه خطاب الملوك
والله مالك الملك فله استحقاقه ومنه اطلاقه والمعهود من كلام الملوك
اربعة اوجه الاخبار عن لفظة الوحدان فعلت كذا وعلى لفظة الجمع فعلنا

كذا

كذا او على ما لم يسم فاعله رسم لكم كذا واضافة الفعل الى اسمه على وجه المغايبة
امركم سلطانكم بكذا والقرآن نزل بلغة العرب جمع الله فيه هذه
الوجوه كلها اخبر به عن نفسه فقال ذرني ومن خلقت وحيدا الاية
وهذا على صيغة الواحد وقال انا انزلنا انا ارسلنا نوحا
انا عطينا اك انا فتحنا انا خلقنا وهذا على صيغة الجمع وقال
فبما لم يسم فاعله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القتال كتب عليكم القصاص
خلق الانسان من عجل خلق الانسان ضعيفا وقال في المغايبة
الله الذي خلقكم الاية افمن شرح الله صدره الله نزل احسن الحديث
هو الذي ارسل رسوله **وقوله** ينفقون الانفاق هو
صرف المال الى الحاجة والانفاق في قوله خشية الانفاق هو الافتقار
والنفوق هلاك الدابة والنفاق رواج السوق والانتفاق
خروج اليربوع من النافقاء والنفاق مخالفة السر العلانية
ومرجع ذلك كله الى الامضاء والافناء وتفسيره فيه ستة اقاويل قال
ابن عباس رضي الله عنه اي من الاموال التي اعطيناهم يؤتون الزكوة
كما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها الاية والوعيد
لا يكون الا بترك الفرض وقد قرن الله تعالى الصلوة بالزكوة في ايات
اقيموا الصلوة واتوا الزكوة يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة والمقيمين
الصلوة والمؤتون الزكوة والفرق بينهما ان الصلوة حق الله والزكوة
الى الفقير حق عباد الله والواجب مراعاتها بامر الله ومرجع جميع العبادات
ينقسم الى هذين الصلوة عبادة بدنية والزكوة عبادة مالية وجميع العبادات
ينقسم اليهما والثاني قول ابن مسعود هو الانفاق على الاهل قال تعالى لينفق
ذو سعة من سعته الاية والثالث قول الضحاك هو التصدق بانواع
الاموال في الوجوه المختلفة ويتناول ذلك الصرف الى كل خير قال تعالى انفقوا

جای اوردن و مهانست و زکوة محبت با ذکردن زحمت است
و زکوة مروت نواختن غریبانست و زکوة ایمان حرمت
ارکانست و زکوة اسلام مخالفت شیطانست و زکوة زهد
دور بودن از سلطانست و زکوة دل تعظیم ایمانست و زکوة
سر مراقبت یزدانست و زکوة زبان کافی فذاکردن رحمانست
ثم ذکر فی الایة الایمان وهو بالقلب ثم الصلوة وهی بالبدن ثم
الانفاق وهو بالمال وهو مجموع کل العبادات ففی الایمان النجاة
وفی الصلوة المناجات وفی الانفاق الدرجات وفی الایمان
البشارة وفی الصلوة الکفارة وفی الانفاق الطهارة وفی الایمان
العز وفی الصلوة القربة وفی الانفاق الزیادة وقیل ذکر
فی هذه الایة اربعة اشیا التقوی والایمان بالغیب اقامة الصلوة
والانفاق وهی صفات الخلفا الراشدین الاربعة ففی الایة بیان فضلهم
التقوی لابی بکر الصدیق قال تعالی فاما من اعطی واتقی والایمان بالغیب
لعمر الفاروق قال تعالی حسبک الله ومن اتبعک من المومنین واقامة الصلوة
لعثمان ذی النورین قال تعالی امن هو قانت آنا اللیل الایة والانفاق
لعلی المرتضی قال تعالی ینفقون اموالهم باللیل والنهار وقوله
والذین یومنون بما انزل الیک ای وحی الیک فی الانزال اللغة لمعانی
الارسال من علو الی سفل قال ربنا انزل علینا مایدة من السماء والامطار
قال فاذا انزلنا علیها الماء وللاعطاء وانزل لکم من الانعام ماینة ازواج
وللخلق وانزلنا الحدید فیه باس شدید وللوضع والشرع وانزلنا معهم
الکتاب والمیزان فهو حق المیزان وضع وشرع للتعدیل به قال
ووضع ویکون بمعنی الاعلا کما قال کانت لهم جنات الفردوس نزلا
ومنازل الجنة لیست للنزول فیها من علو الی سفل بل من سفل الی علو

من طیبات ما کسبتم الایة الرابع قول بعضهم انه قراءة القرآن وتعلمه
الی الصلوة انهم یواظبون القرآن فی الصلوة قال تعالی تتجافی جنوبهم
عن المضاجع الی قوله ومما رزقناهم ینفقون ای مما اعطیناهم
من القرآن یتلون فلیس هذه حاله انفاق المال فانها حالة صلوة
اللیل والخامس انه انفاق الروح قال انفقوا فی سبیل الله ای
بازواجکم ولا تلقوا بایدیکم الی التهلکة ای الی حرمان الحیوة الباقیة
الحاصلة بالشهادة احیاء عند ربهم والسادس لا یدخرون عن الله شیئا
مما منحوا لهم ینفقون نفوسهم فی اداب العبودیة وینفقون قلوبهم
علی دوام مشاهدة الربوبیة فانفاق اصحاب الشریعة من حیث
الاموال وانفاق ارباب الحقیقة من حیث الاحوال والاصح ان یقال ان
نفاق الاغنیاء من اموالهم لا یدخرونها عن وظایف الخدمة وانفاق
العابدین من نفوسهم لا یدخرونها عن وظایف الخدمة وانفاق
العارفین من قلوبهم لا یدخرونها عن حقایق المراقبة وانفاق المحبین
من ارواحهم لا یدخرونها عن مجاری المقضیة والاقتران نقال
ان انفاق الاغنیاء من النعم وانفاق الفقراء من الهمم وانفاق الاغنیاء
اخراج المال من الجیب وانفاق الفقراء اخراج الاغیار عن القلب والاطهر
ان یقال المراد من المنفق الزکوة وزکوة کل شی من جنسه زکوة مال
مواساة بادرویشانست وزکوة عز تواضع واحسانست وزکوة
شرف تصدق ضعیفانست وزکوة فرزندان نواختن یتیمانست
وزکوة خانه اوردن مهمانست وزکوة علم تعلیم علمست وزکوة صحت
بیمار داشتن ارکانست وزکوة قوت جهاد با کافرانست وزکوة اواز
خوش خواندن قرانست وزکوة زن ناکردن عصیانست وزکوة زفاف
ناکفن نهانست وزکوة جمع نه نکردستن بیکانگانست وزکوة عبودیت

نقوله تعالی

قال فاولئك لهم الدرجات العلى وفى الحديث تقادى القرآن اقرأوا وارقوا
فيكون فى معنى التنبوئة وقل رب انزلنى منزلا مباركا ويكون بمعنى الضيافة
وانا خير المنزلين اى المضيفين ويكون فى مراعاة الشئ على محله ومنزله
قال النبى صلى الله عليه وسلم انزلوا الناس منازلهم اى احترموهم
على اقدارهم ويكون بمعنى الوحى كما قال فى هذه الآية بما انزل اليك وان
حمل على الانزال الذى هو من العلو الى السفل فمعناه انزال جبريل عليه
لتبليغه كما قال نزل به الروح الامين والتنزيل للتكرير والتكثير
من الانزال بمعنى ما انزل اليكم هو القرآن الذى تتلى والوحى الذى لا تتلى
فالمتلو هو هذه السور والآيات وغير المتلو ما تبين النبى صلى الله عليه وسلم
من اعداد الركعات ونصب الزكوات وحدود الجنايات قال الله تعالى
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ثم هذا الانزال هو من الله تعالى
وانما ذكر هنا على معنى بالم بسم فاعله لما مر من خطاب الملوك بنحو على اربعة
اوجه وقد ذكرت هذه الوجوه كلها فى هذه الكلمة قال فى صيغة الواحد
وامنوا بما انزلت وقال فيما لم يسم فاعله بما انزل اليك وقال فى صيغة الجمع
انا انزلنا اليك الكتاب وقال فى ذكر الاسم امنوا بما انزل الله سبحانه هنا قال
بما انزل اليك وقال فى آية اخرى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم فاضاف الى
جميع الامة لان المنزل على الرسول يلزم احكامه جميعهم فكان خطابه خطابهم
وهو ايضا شريف لهم وجمع فى الكرامة بينه وبينهم **وقوله**
وما انزل من قبلك اى ويومنون بما انزل من الكتب قبلك على سائر الاسلام الايمان
بكل الكتب مع تلك احكاما مهما من وجهين احدهما التصديق ان كلها من عند الله
والثانى الايمان بما لم ينسخ من احكامها باستظام هذه الآية بما قبلها ما ذكرنا انه
لما تقدم مدح المومنين بالتقوى والايمان بالغيب والصلوة والانفاق فى الآية
الاولى قال اهل الكتاب هذا لنا وهى اوصافنا وتذل قوله والذين يومنون

بما انزل اليك وما انزل من قبلك فجعل المدح للذين يومنون بما انزل على محمد
كما يومنون بما انزل على الانبياء الذين قبله فبين حروجهم عن ذلك بكفرهم
بما انزل على محمد فعلى هذا يكون قوله والذين نعتا للمذكورين قبله والواو
لا تكون للعطف الذى هو للمغايرة بل يكون ذكر نعوت مترادفة لمنعوت واحد
بالواو كما قال وسيدا وحصورا ونبيا وقال غافر الذنب وقابل التوب وبحور
ان يقال فلان عالم وزاهد وصادق وبحور عالم صادق زاهد لان الاسم
المشتق من الفعل المطلق على المسمى هو دلالة على الذات وعلى الصفة القائمة به
فباعتبار انه دلالة على الذات هو هو وباعتبار انه دلالة على الصفة القائمة به
هو غيره فجازت ذكر الصفات بغير واو لاتحاد الذات ومع الواو لتغاير
الصفات وهذا فى حق المخلوقات ويجوز ان يكون هذا ابدا ويكون جوابه
اذا لك على هدى الآية فان قالوا الذى ذكرت ذكر الايمان فى هذه الآية
بعد ما ذكره فى الآية الاولى والقرآن على الايجاز فجوابه من وجوه احدها
ان التكرير للتاكيد والتقرير متعارف العرب قال قايلهم
كم نعمة كانت لكم كم وكم وفى القرآن ويل للمكذبين فى سورة المرسلات مرات
وفى سورة الرحمن فباى آلاء ربكما تكذبان مرات والقرآن نزل بلغة العرب
والثانى ان الثانى رد لقول اهل الكتاب فكانت اعادته جددت افادة
والثالث ان هذا غير الاول فان الاول ايمان بالغيب هو القيامة وما فيها
وهذا ايمان بالقرآن وساير الكتب ولئن حمل الغيب المذكور فى الآية الاولى
على القرآن فهذا على الايمان بالوحى الذى لا يتلى وساير الكتب فلم يكن
تكرارا **وقوله** وبالآخرة هم يوقنون بالآخرة تانيث وهو
الذى يقابل وهو فى المعدودات اسم للفرد اللاحق والآخر بفتح الخاء
هو الذى يلى الاول والآخر هى نعت الانثى مضمرة واختلف فى ذلك اهل
التفسير قال بعضهم هى الدار الآخرة وقد نص عليها فى آيات للدار الآخرة خير

وهي تقابل هذه الدار وهي الدنيا وقد جمع بينهما في ايات فقال حبطت
اعمالهم في الدنيا والاخرة وقال لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة وقيل
هي الحيوة الاخرة فقد جمع بينها وبين الحيوة الدنيا في ايات فقال
اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة وقال ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة
فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل وقال ان الحيوة الدنيا والاخرة يستخبر
الحيوة الدنيا على الاخرة وقيل هي النشاة الاخرة فقد قال ولقد
علمتم النشاة الاولى وقال ثم الله ينشئ النشاة الاخرة وان عليه النشاة
الاخرى ثم هذه الكلمة ذكرت في القران لاشيا لملة عيسى قال ما سمعنا بهذا
في الملة الاخرة والكلمة الاخرة فاخذ الله تعالى الاخرة والاولى اي بكلمته
الاولى ما علمت لكم من اله غيري وبكلمته الاخرة انا ربكم الاعلى وكان
بينهما اربعون سنة والحالة تاخير الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم
والاخرة خير لك من الاولى وللقبر يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وللبعث بعد الموت ثم الله ينشئ النشاة
الاخرة وللقيامة وان الذين لا يومنون بالاخرة وللنار يحذر الاخرة
وللجنة والاخرة عند ربك للمتقين تلك الدار الاخرة الاية وقوله
هم يوقنون فاليقين نقيض الشك وقيل هو زوال الشك وقيل
هو من قول العرب يقن الماء في الحوض اي استقر فكان اليقين طمانينة القلب
وسكونه على حقيقة الشي وقيل هو وقوع العلم من جهة الاستدلال والاسباب
التي يستفاد بها العلم ولذلك لا يوصف الله بالايقان بالشي لانه عالم بعلم الازلي
لا بعلم مكتسب وقيل هو التصديق بالشي بعد العلم به والعمل منه ايقن بالشي
ويتيقن به واستيقن به كما يقال اقدم وتقدم واستقدم واما تفسيره
فقد قيل يوقنون اي يعلمون بغير شك وليسوا كالذين قالوا ان نظن
الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل اي يصدقون وقيل اي يعلمون بما يعلمون

منه فلا يركنون الى الدنيا ولا يغفلون عن الاخرة ولا يعملون ما يعاتبون
او يعاقبون عليه في الاخرة واليقين المذكور في القران جامع المعاني
للتصديق كما في هذه الاية وللتحقيق كما في قوله تعالى وما قتلوه
يقينا ولكونه متيقنا به في نفسه وان شك فيه البعض كما في حق
القران ان هذا لهو حق اليقين وللموت كما قال واعبد ربك حتى ياتيك
اليقين وللقيامة كما قال ثم لترونها عين اليقين وللعلم والعمل به كما قال
هذا بصاير للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ثم في اليقين بالله
اشيا علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وفي تفسيرها اقاويل
قيل علم كل عاقل بالموت علم اليقين فاذا عاين الملايكة فهو عين اليقين
فاذا ذاق الموت فهو حق اليقين وقيل علم اليقين الاخبار عن الشي
على ما هو به وعين اليقين معرفته على ما هو به وحق اليقين هو ذلك
الشي بعينه وقيل علم اليقين ما حصل بالخبر والاستدلال وعين اليقين
ما وقع بالتعريف والالهام وحق اليقين محو هما وقيل علم اليقين
ظاهر الشريعة وعين اليقين الاخلاص فيها وحق اليقين المشاهدة فيها وقال
النصرابادي علم اليقين علم الحق وعين اليقين معرفة الحق وحق اليقين حقيقة الحق
ثم ثمرة اليقين بالاخرة الاستعداد لها فقد قيل عشرة من المغرورين من ايقن
ان الله خالقه فلا يعبده ومن ايقن ان الله رازقه فلا يتوكل عليه ومن ايقن ان
الدنيا فانية فلا يعتمد عليها ومن ايقن ان الورثة اعداوه فيجمع لهم ومن ايقن
ان الموت اتٍ فلا يستعد له ومن ايقن ان القبر منزله فلا يعمره ومن ايقن
ان الديان محاسبه فلا يصحح حجته ومن ايقن ان الصراط ممره فلا يخف ثقله
ومن ايقن ان النار داره فلا يهرب منها ومن ايقن ان الجنة دار الابرار
فلا يعمل لها وقيل عليه اليقين اربعة ترك الدنيا قبل ان تتركك عنها
وطلب الاخرة قبل ان تدرك اليها واستعداد للموت قبل نزوله وارضاء ربك

فايده

باذن

الدب قبل لقايك اياه ثم ذكر في هذه الايه من المومنين الايقان بالاخره فعال
وبالاخره هم يوقنون وذكر منهم الظن في اية الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم الايه وهو لطف من الله تعالى باسات صفات لهم تختلف ظواهرها
وتتفق معانيها وصفهم بالجهل في قوله عملوا السوء بجهالة وبالعلم في قوله
والذا العلم وبالفقر في قوله انتم الفقراء الى الله وبالغنى في قوله وانه هو
اغنى وافنى وبالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وبالقوه في قوله
واعدوا لهم ما استطعتم من قوه وبالذله في قوله اذله على المومنين وبالعزه
اعزة على الكافرين وبالنسيان في قوله نابها الانسان وبالذكر في قوله
الذاكرين الله كثيرا وبالعبوديه في قوله ان كل من في السموات والارض الا اتي
الرحمن عبدا وبالملك في قوله وجعلكم ملوكا ومدحهم على ملكه اولا فعال
الله الذي جعلكم ثم اخبر بانه اشترى المومنين فقال ان الله اشترى من
المومنين انفسهم ثم جعلهم في الجنه كالاجراء فقال فيوفيهم اجورهم
فنعم اجر العاملين ثم سماهم اولياءه فقال الا ان اولياء الله وسمى نفسه
وليهم فقال والله ولي المومنين وذكر محبته اياهم ومحبتهم اياه فقال
يحبهم ويحبونه ووجه ذلك كله ان الظن في ابتدا الحال واليقين بعد صحه
الخبر والاستدلال والجهل بعاقبه المعصيه والعلم بحقيقه الشهاده والفقر
باصل الخلقه والغنى بنيل الخلعه والضعف بنيه والقوه بالهمه والذله
بملاينه الاولياء والعزه بمخاشنه الاعداء والنسيان بالجبله والذكر بالمعونه
والعبوده بالاصل والتملك بالعضد والاتراء الحث على بذل النفس والمال
لوجود دار الجلال والاجر لتهنيه الثواب والولايه والمحبه لمعاملته معنا معامله
الاولياء والاحباب والله اعلم بالصواب **وقوله** اوليك هم
المذكورون صلة هم المتقون الموصوفون بالايمان بالغيب وسايرالاوصاف
المذكوره بعد على قول من جعل الذين يومنون صفه للاوليا وعطفا عليهم

وتم الكلام بقوله هم يوقنون ويكون اوليك مبتدا وقوله على هدى
خبر المبتدا فاما من جعل الواو للاستيناف وقوله اوليك يكون خبر ذلك المبتدا
ويرجع على الخصوص الى المذكورين في قوله والذين يومنون بما انزل اليك
الايه وقوله على هدى اى على رشد وقيل اى بيان وجه وقيل اى صواب
وحق وصحه وهذا اثبات فعل العبد وقوله من ربهم وهذا اثبات توفيق
الله والاول رد على الجبريه والثاني رد على المعتزله وهما جميعا دليل اهل السنه
وهو كقوله اياك نعبد اياك نستعين والهدى اسم الاسلام والله تعالى
سمى الاسلام باسما واضاف كل واحد منهما الى نفسه هدى الله صراط الله
صنعه الله دين الله نور الله حبل الله كلمة الله واياها مال ان هدى
الله صراط الله الذي فطرة الله التي صنعه الله يدخلون في دين الله واعتصموا
بحبل الله يريدون ان يطفوا نور الله وكلمة الله هي العليا وسماه باسما مفردة
كلمة التقوى والزمهم كلمة التقوى والكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب
وكلم طيبه والقول الطيب وهدوا الى الطيب من القول وقول الصواب
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والقول المرضي ورضي له قولا وقول الحق
ولا تقولوا على الله الا الحق ودعوه الحق له دعوة الحق وشهاده الحق الا من شهد
بالحق والعهد الامن اتخذ عند الرحمن عهدا والحسنه مرجا بالحسنه فله خير منها
ومرجا اليه فكبت وجوههم في النار والاحسان هل جزا الاحسان الا الاحسان
والايمان ان هداكم للايمان والاسلام ان الدين عند الله الاسلام والسلام
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام والسلم ادخلوا في السلم كافه والسبل انا
هديناه السبيل وسبيل الرشاد اهدكم سبيل الرشاد وسبيل الرشد وان
يروا سبيل الرشد والرشد يهدى الى الرشد والنعمه فضلا من الله ونعمه
والفضل قد يفضل والعدل ان الله يامر بالعدل قال ابن عباس اى بالتوحيد
والحق وقل الحق من ربكم والصدق والذي جا بالصدق قال ابن عباس هو المومن

حسان

الذى يقول الصدف وهذا فرد ممن الجمع فقد قال واولئك هم المفلحون
والبر ولكن البر من آمن بالله والبينة قل انى على بينة من ربى والدين
مخلصين له الدين ودين الحق ما الهدى ودين الحق ودينا قيما وذلك دين القيمة
والطريقة وان لو استقاموا على الطريقة والشريعة شرع لكم من الدين
فهذه اربعون اسما والمؤمن منها اسما ومن اعملنا بذلك فقال ممن عليكم
ان هداكم هو سماكم هو اجتباكم هو مولاكم ثم قال فنعم المولى ونعم النصير
وقال الكافر يدعو المن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ثم قوله
اولئك على هدى مدح لهم وقوله من ربهم بيان انه من عنده حصل لهم
وهذا منه عليهم حيث مدحهم وهو الذى منحهم وهو كما قال فى حق يوسف
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وهو بيان المنه بصرفه وعصمته ثم قال
انه من عبادنا المخلصين وهو ثنا عليه باخلاصه وصفوته وقال فى حقنا
ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم ثم انى علمنا فقال
اولئك هم الراشدون وقال حبيب العجمى رحمه الله انت تمدح وانت تمدح
ثم مجموع الايه انه قال للمتقين وهو مدح لترك كل المخالفات وقال
بؤمنون بالغيب وهو ثنا برأس الطاعات ثم قال يقيمون الصلوة
وهو مدح لجامعه العبادات ثم قال ومما رزقناهم ينفقون وهو مدح
بما هو اساس السخاوات ثم قال والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك وهو التصديق بكل الرسالات ثم قال وبالاخرة هم يوقنون وهو
الاقرار والاعتقاد بالبعث والجزاء على كل المعاملات ثم قال اولئك على هدى
من ربهم وهو شهادة لهم بالهدايه الموصوفين بالهدايه فى كل الحالات وحق لمن
جمع هذه الصفات ان يوهل لهذه العلامات ثم فى هذه الايه دلالة الهدى
للموصوفين بكل هذه الصفات وفى قوله قولوا امنا بالله وما انزل الينا
الى قوله فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا دلالة لهم الهدى بالاقرار

والاعتماد بدون سايد الطاعات بيانا لشرف الايمان وجلال قدره
وعلو امره وانه اذا قوى لم يبطله نقض المخالفات بل هو الذى يعلب فيرد
الى التوبة بعد التمادى فى البطالات وكما هدى اليوم الى الايمان يهدى غدا
الى الجنان قال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم
وذلك ان المطيعين يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وهم على مراكب طاعاتهم
والملائكة تتلقاهم قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقال
وتتلقاهم الملائكة ويبقى العصاة مفردين منقطعين عن مناهات الكرامة
ليس لهم نور الطاعة ولا حظهم استقبال الملائكة فلا يهتدون
السبيل ولا يهتدون بهم دليل فيقول الله لهم عبادى ان اصحاب الجنة
اليوم فى شغل فاكهون ان اهل الجنة من حسن الثواب لا تفرغون
لكم واهل النار من شدة العقاب لا يرحمونكم معاشر المساكين سلام
عليكم كيف انتم ان كان اشكالكم سبقوكم ولم يهتدوكم فانا اهديكم
ان عاملتمونا تستوجبون فاين الكرم وانشد واشعر لحن
اذا الجنا متلهم اذا هجروا هجروا كما هاجروا وقوله
اولئك هم المفلحون واولئك عطف على قوله اولئك وهو اسم اخر وكلتاهما
تاكيد ويسمى فصلا وسمى عمادا والمفلحون خبر اولئك وقيل هم مبتدا اخر
والمفلحون خبره وهما جميعا خبر اولئك والفلاح فى اللغة لمعان للبقاء
قال لبيد نحل بلادا كلها حل قبلنا ونرجو الفلاح
بعد عاد وحمير وللبقاء الخير قال غدى ثم بعد الفلاح
والملك والنعمة وارتهم هناك القبور وللعيش قال عبيد
الارض الفلح بما شئت وقد يبلغ بالضعف وقد يخدع الاريب
وللظفر واصابة الخير قال لبيد نا عقلى ان كنت لما تفعلى
ولقد افلح من كان عقل وللفوز والنجاة قال الشاعر

قد افلح السالك الصموت فاما تفسيره ها هنا فقد قال ابن
عباس اى الناجون من النار وقال قتادة اى الباقون
في الجنة وقال ابن كيسان اى الذين ظفروا بما طلبوا ونجوا
مما منه هربوا وقال ابو عبيدة اى المصيبون للخير وقال
القتبي الباقون في النعيم المقيم وقيل اى الفائزون بقهر
الاعداء وهي هواجس النفوس وخواطر القلوب ووساوس الشيطان
وحاصله كله يرجع الى ثلاثة اشياء احدها الظفر وبسطه انهم ظفروا
على النفس فقهروها فلم تجرهم الى متابعة هواها وعلى الدنيا فهجروها
فلم تغرهم بزخارف مراداها وعلى الشيطان فخالفوه فلم يفتنهم
بالوساوس وعلى قرناء السوء فتحاموهم ولم يبتلوا باستفزاز النسانيس
والثاني النجاة وبسطه انهم نجوا من الكفر والضلالة والبدعة والجهالة
وغرور النفوس ووسوسة الشيطان وزوال الايمان وفقد الامان وحشة
القبور واهوال النشور وزلة الصراط وتسلط الزبانية الشداد والغلاظ
وحرمان الجنان ونداء القطيعة والهوان والثالث البقاء وبسطه
انهم بقوا في الملك الابدي والنعيم السرمدي نالوا نعيما لا حساب له ولقاء
لا حجاب له فان قالوا فما قال اولئك على هدى من ربهم وفلاح الاستقام
وكان اوجز في الكلام فلم لم يقل كذلك قلنا لان الفواصل يتفقون ويتوخون
فالذي يساويها المفلحون فان قالوا لم لم يقل اولئك هم المهتدون المفلحون
قلنا لانه يكون فيه بيان اهتدائهم دون بيان انه من ربهم فان قالوا لم لم يقل
واولئك المفلحون وهو اوجز قلنا في زيادة كلمتهم نوع تاكيد وهو ابلغ.

وقوله ان الذين كفروا فاصل الكلمة في اللغة الستر والتغطية.
قال لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها والكافر الليل المظلم
لستره الاشياء بظلمته قال لبيد حتى اذا القت يدا في كافر واجن

غمراته الثغور ظلامها والكافر الزارع لستره البذر في الارض
بذراعنه والكافر الذي ليس فوقه دعه ثوبا لستره بدنه بدرعه
ودرعه بثوبه والكافر البحر والنهر الكبير الماء لستره الارض بما فيه
والكافر نقيض الشاكر لستره النعمة بكفرانه والكافر المنكر لستره الحق
بباطله والكافر المشرك لستره الايمان بشركه والكفاره مغطية للذنب
ورماد مكفور سفت الريح التراب عليه حتى غطته قال الراجز
قد درست عين رمادٍ مكفور مكبب اللون بريح ممطور
والكافر في القرآن على اربعة اوجه احدها نقيض المومن قال تعالى الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله والثاني الجاحد قال ومن كفر فان الله غني عن العالمين
اى يجحد وجوب الحج والثالث نقيض الشاكر قال واشكروا لي ولا تكفرون
والرابع المتبرئ قال ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض اى يتبرا بعضكم من بعض
ثم معنى المذكور في هذه الاية ان الذين يستبدلون الايمان بالكفر والتوحيد
بالشرك والحق بالباطل والنعمة بالكفران وخبر الله بالتكذيب ورسالة الرسل
بالجحود وامور القيامة بالانكار واختلفوا في المراد في هذه الاية قال
ابن عباس هم اليهود الذين حول المدينة وقال الربيع بن انس
هم قادة الاحزاب وقال الطبري هم مشركوا اهل الكتاب كلهم
وفي الآيات هذه الاقاويل واقاويل اخر بعد تمام الآية ان شاء الله تعالى

وقوله سواء عليهم اى مستو عندهم الانذار وتركه
وهو مصدر اريد به النعت كقولك رجل عدل اى عادل لان الفعال
من ابنية المصادر كالذهاب والصلاح والفساد ويجوز ان يكون
بناء النعت ايضا كقولك سيف كهام وادم صحاح ورجل شجاع وهذه
الكلمة دكدت في القرآن لمعان للعدل في قوله قل يا اهل الكتاب تعالوا الى
كلمة سواء اى عدل للوسط في قوله فاطلع فراه في سواء الجحيم اى وسطها

ولقصد الطريق بقوله عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اى قصد
الطريق والمستوى كما في قوله سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين
والشرك كما في بلاث اثاث سواء العاكف فيه والباد ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء لهم مما ملكت ايمانكم وانتم فيه سواء ومنه قوله
سواء عليهم ولم يقل سواء عليك اى انذارك وتركك انذار لنا سواء
في حقك فانك تثاب على الانذار فان لم يؤمنوا فاما في حقهم فهما سواء
لانهم لا يؤمنون في الحالين وهو نظير الامر بالمعروف فانه يثاب به الآمر
وان لم يعمل به المامور وكان هولاء القوم كقوم هود الذين قالوا
لهود سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين وقال في حق هولاء سواء
عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقال ايضا سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وقيل لهم في القيامة اصلوها فاصبروا او لا تصبروا
سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون واخبر عنهم انهم يقولون سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص فلما كان الوعظ وتركه لهم سواء وكذا
الانذار وتركه سواء والدعاء وتركه سواء كان صبرهم في النار وتركه سواء
وجزعهم فيه وتركه فيه سواء وانت اذا كان عصيانك في الشيب والشباب
سواء وتماديك في المرض والصحة سواء واعراضك في النعمة والمحنة سواء وسلوكك
على القرب والبعد سواء وزيغك في السر والعلانية سواء ما حسني ان يكون
توبتك عند الموت واصرارك سواء وعذرك عند النزع وسلوكك سواء
وزيارة الصالحين قبرك وامتناعهم سواء وقيام الشفعا بامرك في القيامة
وتركهم سواء وقوله انذرتهم الالف الذي تزاد
في اول الكلمة على صورة الالف الاستفهام يجي على ثمانية اوجه للاستخبار
كما في قوله تعالى قالوا ءانت فعلت هذا وللاستكبار كما في قوله اتقولون
على الله ما لا تعلمون وللاثبات كما في قوله الست بربكم وللنفي كما في قوله

ءانتم اشد خلقا ام السماء والامر كما في قوله الا تسقون وللتمني كما في قوله
انا مرون الناس بالبر وللتحقيق كما في قوله اجعل فيها من يفسد فيها
هو تحقيق عند بعضهم وللتسوية اذا كانت الالف في احرس وام
في اسبق الاخر كقوله سواء انذرتهم ام لم تنذرهم سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وفي الاستفهام يدخل في التسوية ايضا في قولك ازيد
في الدار ام عمرو وانما تقول ذلك حين استوى علمك فيهما ان احدهما فيها
ولذلك يقول في التحقيق علمت ازيد في الدار ام عمرو وقال صاحب النظم
وانما ورد هذا بالف الاستفهام والاستفهام عن محقق وهذا محقق
لانه يستفهم هاهنا ان يقال سواء علينا ايتهما فعلت الانذار وترك الانذار
وكلمة اى في الاصل للاستفهام وهذا في معناه فصلح فيه الف الاستفهام
ثم الانذار هو التخويف وقيل الابلاغ وقيل الاعلام بالعذاب واما
قراءة قد قرا ابو جعفر وشيبة ونافع والاعمش بمدودة ممهوزة مكررة
واحدة وكذا ابو عمرو والى عمرو طريق في اجتماع الهمزتين فان كانتا متفقتين
مفتوحتين او منضمتين او مختلفتين اوليا اوليك حتى اذا جاء احدهم الموت
على البقاء ان اردت بحصانيق الاولى وحقق الثانية وان كانتا مختلفتين
كما امين السفهاء والبغضاء ابدا أمنتم في السما ان تخسف حقق الاولى ولين
الثانية واما عاصم وحمزة والكسائي فانهم يثبتون الهمزتين جميعا على الاصل
ثم قوله انذرتهم خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان الانذار منه
والانذار المذكور في القرآن مسنده الى الله تعالى ما انذركم نارا تلظى
ومركبا به قرانا عربيا الى قوله بشيرا ونذيرا ومن انسانه ولقد ارسلنا فيهم
منذرين ومن المصطفى صلى الله عليه وسلم انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
ومن العلماء ولينذروا قومهم ومن الشيب اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم
النذير فالشيب نذير الموت وبذير الموت ورسول الموت واليد الموت

والمخبر بمجئ الموت واختلفوا في الذين اريد بهذه الاية وقال الكلبي
بنو رهط من اليهود كعب بن الاشرف وحيي وجدي ابنا اخطب وابو ياسر
بن اخطب وبنو امي وحيي وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وابو ياسر بن
مرت قصتهم عند تفسيرنا الم بتطويلها وتفسير بعض المقطعات بتفصيلها
وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الاية في شأن اليهود هم كعب بن
الاشرف وحيي بن اخطب ومالك بن الصيف وكان مالك راس اليهود وقد
جادل النبي صلى الله عليه وسلم بما قال له هل وجدت في التوراة
ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم فقال صلى الله عليه وسلم انت منهم
فغضب مالك فقال ما انزل الله على بشر من شيء فانزل الله تعالى هذه الاية
وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى نورا فقالت اليهود لمالك ما حملك على قال انه
اغضبني فالوا كلما غضبت كفرت وعزلوه عن الرياسة واقاموا كعب
بن اشرف مقامه الى ان بعث رسول الله رهط من الانصار فقتلوه
وكان اليهود امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وكانوا
يستنصرون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكان سبب كفرهم حب الرياسة
واخذ الرشوة قال فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا
من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وقال مقاتل نزلت الاية في شأن عتبة
وشيبة والوليد بن المغيرة وقال الربيع نزلت في الذين قتلوا ببدر وقال
ابو العالية نزلت في شأن ابي جهل وجماعة معه سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
معجزة حتى قال ابو جهل وكان يسرك بالليل فاستغله رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ارى اية على نبوتك والا فاقتلك فقال ما ترى قال شق القمر نصفين
فرأيت حراء شق القمر فقال اللعين ما اسحرك يا محمد فانزل الله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكان اسمه صلى الله عليه وسلم

مطلب

هذا الانكار منهم

يطمع في ايمانهم بعد وبيتهم المعجز وايقانهم فقال تعالى انذرتهم ام لم
تنذرهم لا يؤمنون **قوله** ام هذه الكلمة في القرآن على اربعة
اوجه احدها عطف على ما دخلت الف الاستفهام امنتم في السما الى قوله
ام امنتم والثاني ابتداء استفهام كالالف لم نصب من الملك اي الهم
والثالث بمعنى بل ام انا خير اي بل انا خير والرابع بمعنى او مع استفهام
كما في هذه الاية انذرتهم ام لم تنذرهم اي اولم تنذرهم فالاستفهام في
هذه الاية **قوله** لم كلمة نفي وكلمات النفي لم ولما للماضي لم يلد ولم
يولد ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وليس للحال بسواء ولن للمستقبل
ولن يوخر الله نفسا اذا جاء اجلها وما ولا ان للخصلة للكل امّا ما فيصلح
للماضي وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وللحال وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور وللمستقبل وما لهم منها بمخرجين واما لا فيصلح للماضي فلا صدق
ولا صلى وللحال لا فارض ولا بكر وللمستقبل بل ان يعد الظالمون بعضهم
بعضا الا غرورا **وقوله** تنذرهم مجزوم بلم وقوله لا يؤمنون
محل هو جواب لقوله ان الذين كفروا وفي الاية تقديم وتاخير ونظمه ان
الذين كفروا لا يؤمنون سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم فهما ابتدا ان
وخبرا ان وقيل ان الذين كفروا ابتدا وقوله سواء عليهم ابتدا اخر
وجواب الابتدا الثاني قوله انذرتهم اي سواء عليهم انذارك وتركك ثم هذا
الابتدا وخبره جواب الابتدا الاول وقد اتصل بالاول بها العائد التي في قوله
انذرتهم وهو كقولك اني بزيد وجهه حسن ثم قوله لا يؤمنون كلام تام
فيه تاكيد لقوله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم وبيان لهم هذا الحكم
على النبي صلى الله عليه وسلم او تقرير لقلبه حتى اخبره عن حال هولاء
مما اخبره نوحا وسائر الانبيا عليهم السلام في الانتها فانه قال لنوح عليه السلام
بعد طول الزمان ومقاساة الشدائد والاحزان انه لن يؤمن من قومك

اي لم يصدق ولم يعمل بما امر به وانما يصح ان يفسر بهما لان الايمان كما يكون للماضي والحال يكون للمستقبل

الامن بدا من قد عاينهلاكهم بعد ذلك وكذا سائر الانبياء والآيه معجزة النبي ﷺ
حيث اخبرانهم لا يؤمنون فكان كما اخبر وهذا غيب لا يطلع عليه احد الا باطلاع
الله تعالى والله تعالى لا يطلع على الغيب الا من اختصه بالرساله قال عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وفي الآيه اثبات فعل العباد فانه قال
لا يؤمنون وفيه اثبات الاختيار ونفي الاكراه والاجبار فانه لم يقل لا يستطيعون
بل قال لا يؤمنون فان قالوا لم قال لا يؤمنون ونرى بعض الكفار يؤمنون
قلنا ليس هذا في حق كل الكفار بل في حق قوم باعيانهم وقد بيناه فان قالوا
فان قالوا لما علم الله انهم لا يؤمنون فلم امر النبي صلى الله عليه وسلم بدعائهم
قلنا كان الانذار للاعذار قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل وقال لولا انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا الآيه فان قالوا لم اخبر الله تعالى رسوله انهم لا يؤمنون فهلا
اهلكهم كما اهلك قوم نوح بعد ما اخبرانهم لا يؤمنون قلنا ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان رحمة للعالمين كما ورد به الكتاب وقد قال تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وقال الامام القشيري من كان في غطاء
وصفه محجوبا عن سماع دعوة فسبيان عنده قول من دله على الحق وقول
من اعانه على استجلاب الحظ بل هو الى داعي الغفلة اميل وفي الاصغاء
اليه ارغب وكان الكافر لا يدعوه عن صلاة الله لما سبق من شقاوته لما
سبق من سعادته فكذلك المربوط بالغلال نفسه محجوب عن سماع دعوته
وحقه هو ان يصير رشده ولا يسكل قصده وقال ايضا ان الذي
بقي في ظلمات دعاويه سواء عنده نصح الراشدين وتسويلات المبطلين
لان الله تعالى نزع عن احواله بركات الانصاف فلا يصغى الى داع الى
الرشاد كما لا يصغى الى النصوح نصيحتي وعلى عصيان النصوح

وقوله ختم الله على قلوبهم انتظامه مما قبله وذكر هو الاصغاء ثم ب

وحالاتهم ثم الختم به ذكر عقوباتهم وختم في اللغة لثلاث معان للطبع
ومنه سمي الخاتم لانه يطبع به والاتمام وبلوغ الآخر ويرجع القرآن ومنه
قوله تعالى في صفة النبي وخاتم النبيين هو آخر النبيين ومتم عدة المرسلين
وقوله ختامه مسك اي آخره يجد فيه رائحة المسك وللاعلام يعلم ختم
على الكتاب وعلى الباب وعلى الشهادة اي اعلم عليها فاما تفسيره
هنا فقد قال ابن عباس طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير وقال مجاهد
هو ان تجف الذنوب بالقلب من كل نواحيه حتى يكتنفه وقال القتبي
اي اقفل عليها واغلقها فلا يقع فيها خير ولا تسمعه والتحقيق على طريق اللغة
على الاول ان الله تعالى طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها
ما ليس فيها من الايمان وعلى الثاني ان الله تعالى اتم وجودها وكفرها وعنودها
وجعل ذلك آخر امرها فلا يزول ولا يحول وعلى الثالث ان الله تعالى اعلم
عليها ووسمها بما فيها تعرف به توصف واما معنى هذا الختم فعلى للاله
اوجه للاشاطوا يف من المتكلمين فاما الجبرية فقد حملوا ذلك من الله
منعا عن الاسلام والمعرفة واجبارا على الكفر والنكرة كما في قوله اليوم نختم
على افواههم انه منع حقيقي وهذا منهم جرى على مذهبهم الفاسد في ان العباد
لا يحبون ولا فعل لهم اختيارا وفساد كلامهم ظاهر واما المعتزلة
فقد حملوا ذلك اعلاما محضا على القلوب بما يظهر للملائكة انهم يلعنونهم
ولا يدعون لهم بخير لختم الكتاب والباب اعلام عليه بعلامة مجردة وجعلوا
ذلك ايضا مجرد شهادة من قولك كتب فلان شهادته وختم عليها اي انت
شهادته مقبولون معناه شهد الله عليها بكفرها واظهر ذلك للملائكة وهذا
ايضا منهم جرى على مذهبهم الفاسد في ان افعال العباد ليست مخلوقة
لله تعالى ولا هي بقضائه وبقدره ومشيئته وارادته واما اهل السنة
والجماعة فقد قالوا الله اسند فعل الكفر والجاده وحاصل الختم *

عند اهل الحق عقوبة من الله تعالى لا منع العبد من الايمان جبرا ولا حمله
على الكفر كما هايل هي زيادة عقوبة على سوء اختياره وتمادية في الكفر واضلاله
وحرمانه عن اللطف الذي يسهل به فعل الايمان وترك العصيان يدل عليه
انهم بقوا مخاطبين بالايمان بقوله امنوا بالله ورسوله ومكلفين على الامتناع
عنه بقوله فانهم لا يؤمنون وقوله ما دا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر
ومتوعدين على الكفر بقوله فتل الانسان ما اكفره اي ما حمله على الكفر
ولو صادوا مجبورين وعاجزين لازال الخطاب وسقط اللوم
والعتاب والختم على الافواه يوم الحساب لما معنى وابه حقيقة عن الكلام
في هذا المعنى في كتاب الله تعالى بلا نه اشيا الختم والطبع والكنان وفي كل واحد منها
ذكر فعل نفسه وفعل العبد اما في الختم فقد قال ختم الله على قلوبهم وهو
اثبات فعل بنفسه وقال قبله ان الذين كفروا وهذا اثبات فعلهم
وقال من الطبع بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله طبع فعله وقوله بكفرهم
فعلهم وقال في الكنان انا جعلنا على قلوبهم اكنة وقال قبله ومن اظلم
ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ثم الختم في القران على ثلاثة اوجه للعقوبة
كما في هذه الاية وللكرامة كما في قوله ام يقولون افترى على الله الكذب فان يشا الله
يختم على قلبك والمثالك اي يختم بالصبر فلا تجد غصة الكذب وهذا
يسهل عليك بطريق الكرامة وللموعظة كما في قوله قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم
وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يا تيكم به قالوا الحمد لله اضاعيانها
وختم اصدقنا فعها مع تقاصور اعيانها وتقديره ايتها الشاغلون
السماع والابصار والقلوب بغير الحق لو اخذ الله هذه الاعيان فاد هبها
ومن اتى بها وايها الشاغلون هذه الاشيا بالحق لو ان الله اراد الها عن الحق
الذي يعيدها اليه وهو تنبيه وعظ للمبطل والمحق جميعا ثم سمى هذه

الكلام في

العقوبة الاصرار على الذنوب روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان المومن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع
واستغفر صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى تعلو قلبه وهو الرين الذي
الحظ عن هذا الختم رفع الختم عن الكيس ولا منعه عن حق ووضع الختم على
اللسان فلا تطلقه في باطل **وقوله** على قلوبهم هي جمع
القلب وهو الفواد وقلب كل شي خالصه واشرفه ومحزنه قلب اي خالص
وقلب النخلة ماء وسطها وقلب الشي اصرفه وانقلابه انصرافه والقلب نجم
من منازل القمر والقلب الحوال الشديد الذي تعلب الامور وتحتال لها
سمي قلب الانسان لانه اشرف اعضايه لما فيه من العقل والفهم ونحو ذلك والاقلام
الاصابع كالنجم وللقلب في الامور لتصريفه الاعضاء والقلب في قوله ان
في ذلك لذكرى لمن كان له قلب قيل اي عقل حداي تعالى كل كافر ان ما محل
مهر كرداند ودل مومنان را محل مهر كرداند ختم الله على قلوبهم كفت
كافران را وجبت اليكم الايمان وزينه في قلوبكم كفت مومنان را ٥
وقوله وعلى سمعهم فاسمع في الاصل السماع وهو مصدر
والسمع ايضا الاذن بمعنى السامعة والسمع بالكسر الصيت والاستماع
الاصغا للسماع والسامع والسميع النعت والسمع المستمع ايضا وقوله
فاسمعوني اي فاطيعوني ودعا لا يسمع اي لا يجاب وسمع الله لمن حمده
اي قبل واجاب وسماعون للكذب اي قابلون للباطل وفيكم سماعون
لهم اي جواسيس انكم لا تسمع الموتى اي لا تقدرون ان توفوا الكفار لقبول الحق
وكانوا لا يستطيعون سمعا اي سماع القران لبغضهم الرسول والخير اي
الساعات اسمع اي احق بالدعا وارجا الاجابة وفي الحديث لم اسمع قوما
اسمع منه اي ابلغ وانجع والقلب كل هذا من السماع بمعنى الاية ختم الله على
اذانهم وقلبها لا تصغي الى خير ولا تقبله وعقوبة لهم على سوء اختيارهم

وميلهم الى الباطل وايثارهم وقول الجبرية والمعتزلة فيه وبرد ناقة
في حتم القلب ثم قوله وعلى سمعهم على الوحدان دون الجمع لوجوه احدها
انه في الاصل مصدر والمصدر يصلح للواحد والاثنين والجمع يقال هو يضر
ضرا وهما يضران ضرا وهم يضرون ضرا قال تعالى انهم يكيدون كيدا واكيد
كيدا وقال لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وقال خبرا
عن ابرهيم هو لاضيفي فوحد لانه في الاصل مصدر والثاني ان فيه اضمارا
ومعناه وعلى مواضع سمعهم اى سماعهم وهي الاذان كما في قوله وسئل القرية
اى اهلها وثبت هذا الاضمار دلالة ان السمع فعل والختم على الفعل وانما ختم
على محله والثالث انه اراد سمع كل واحد منهم وهذا كما يقال اثنتي برأس كبشين
قال شعر كلوا في نصف بطنكم تعيشوا فان زمانكم زمن خميص
والرابع قول سيبويه انه توسط جمعين فدل على الجمع وان وحد كما في
قوله يخرجهم من الظلمات الى النور دل على الانوار دكد الظلمات قال
الراعي بها جيف حشري فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب
اى جلودها فصليبة وقوله وعلى ابصارهم اى عيونهم
فالبصر العين وجمعه الابصار كالسفر جمعه الاسفار والبصار
بالكسر الرؤية والبصارة صفة البصير وقد بصر من حد شرف اى علم
بصيرا وبصر به اى راه قال تعالى حيرا بصرت بما لم يبصروا به والبصيرة
رية القلب والبصيرة البينة ايضا وقوله فبصرك اليوم حديد اى علمك
نافذ وقوله والنهار مبصرا اى يبصر فيه وقوله وجعلنا اية النهار مبصرة
اى مضيئة والاستبصار التبين قال قالوا لم جمع الابصار والواحد
بصر وهو مصدر كالسمع قلت لانه اسم للعين ايضا فكان اسما لاثنين
فجمع لذلك ومعنى الكلمة والله اعلم وعلى ابصارهم غلف وغطا
شبهه وسحاب ظلمة فلا يدركون الحق ولا يقبلونه ولا ينقادون له

معناه يتعامون عن الحق مع وجود العيون كما يتصامون عنه مع وجود
الاذان وقوله عشاوه فالعشاوه والغشا الغطاء والتغشية
التغطية وقوله يستغشون ثيابهم اى يتغطون بها وقوله والليل اذا يغشى
اى يغطي ظلامه الافق وعشيهم من اليم ما عشيهم اى علاهم فغطاهم وقوله
فلما تغشاها اى وطيها وفيه التغطية وقوله كالذي يغشى عليه من الموت
اى يغمى عليه وفيه يستر العقل ثم اختلف في قراءة هذه الكلمة فقراءة العامة
بكسر الغين وزيادة الالف وبرفع الاخر وقراءة الحسن بضم الغين مع الالف
وقراءة اصحاب عبد الله بن مسعود غشوة بفتح الغين بغير الف وقراءة
الجحدري بفتح الغين مع الالف وقراءة المفضل غشاوة بكسر الغين ونصب الاخر
ويستقيم في اللغة ستة اوجه غشاوة بفتح الغين وكسرها وغشوة بغير
الف بضمها وكسرها واظهرها واصحها الكسر مع الالف قال
تبعل الذي عيني عليها غشاوة فلما اكتحلت فطعت نفسي لومها وقراءة
الاكثر برفع الاخر فان قوله وعلى ابصارهم غشاوة هذا كلام مبتدأ
وهو غير معطوف على الاول بالختم ومن نصبه فعلى اضمار وجعل اى وجعل
على ابصارهم غشاوة ثم معناه وعلى ابصارهم غلف يمنعهم غطاء غفلة وغلاف
شبهه ولما تعاموا عن الحق في الدنيا كذلك يتعامون في العقبى قال تعالى
ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ولما جعلوا على ابصارهم غشاوة تصل
لهم هذه الحالة في الدنيا وعند الموت وفي القبر وفي القيامة وفي النار
قال في الدنيا فاعشيناهم فهم لا يبصرون وقال في الموت كالذي يغشى
عليه من الموت وقال غاشية من عذاب الله وقال يوم يغشاهم العذاب
وقال تعالى وتغشى وجوههم النار وقال هل اتاك حديث الغاشية
هذه غشاوة في الدنيا اورثتهم هذه الغشاوات في العقبى تخفيفا لقوله تعالى
كما بدأكم تعودون ثم انما ذكر في الاية القلوب والسمع والابصار لان الخطاب

تصور

كان ما استعمال هذه الثلاثة في الحق كما قال اولا تعقلون اولا تسمعون اولا
وكان هذا الخطاب تعدادا هيأ الله تعالى لهم الاسباب قال وهو الذي
انشأ لكم السمع والابصار والافئدة فلم تستعملوها فيما امروا باستعمالها
فيه فعوقبوا في الدنيا بالختم على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار
ويوم القيامة من جنس ذلك عقوبات اخرى وهي ما قال جل وعز فلوبهم يومئذ
واجفة التي تطلع على الافئدة فاذا جاءت الصاخة اي الصيحة ابصارها
خاشعة وحشر المجرمين يومئذ زرقا اي عميا ثم بين عقوبتهم في الاخرة
فقال فلهم عذاب عظيم فالعذاب العقوبة والعذب ذو العذوبة
وهو نقيض الملوحة واعذب النفس عن كذا هو منعها عنه وسمي العذاب
عذابا لانه يمنع عن الجنايه اذا نامل فيها العاقل وقيل انما سمي به لانه جر
ما استعذبه المرء بطبعه اي استطابه فلذلك قال فذوقوا عذابي الذي
يذاق الطيب على معنى انه حراما استطابه واستحلاه بهواه في دنياه
وقوله عظيم اي كبير وقيل اي كبير وقيل اي دائم وهو
التعذيب بالنار ابدا ثم عظمه باهواله وشدة احواله وكثرة سلاسله واغلاله
وقيل هو القتل والاسر في الدنيا والتحريق بالنار في العقبى ثم ذكر بعد
ذلك المؤمنين ظاهرا وباطنا والكافرين ظاهرا وباطنا المنافقين الذين كانوا
ظاهرا وكفروا باطنا فقال ومن الناس اي ومن جنس الانس والناس جمع انسان
على غير لفظه فالانسان فعلان من انس وماخذه من آنس اي ابصر والجن من
اجتن اي استتر فالبشر يرون والجن لا يرون وقيل هو من الانس الذي هو
ضد الوحشة وسمي به لاستيناس روحه ببدنه وبدنه ببدنه وعمرو وقيل
هو افعلان واصله انيسان ودليل ذلك انه تقال في التصغير انيسيان
فتعاد اليا المحذوفة وسمي به لنسيانه قال تعالى في حق ادم فنسي فلم نجد له
عزما ولذلك في تفسير ان الانسان لربه لكنود اي ينسى كان للمحن

والناس جمعه لا من لفظه فانه لا يستقيم جعله من الانس لان النسيان ومعنى
هذا الجمع من النوس وهو التحرك يسمونه لحركاتهم في مباحاتهم وواجباتهم ومحظوراتهم
وحركات سائر الحيوانات لا بوصف وجودها منهم وقوله منهم
يقول كلمة من يصلح للواحد والجمع وهنا للجمع اي قوم يقولون وهم عبد الله
بن ابي بن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وغيرهم وهو الرؤس المنافقين
قال مجاهد اربع ايات من اول السورة في نعت المومنين واثنتان
في الكافرين وثلاث عشرة في المنافقين وقال مقاتل اثنتان في اولها
في نعت المومنين المهاجرين واثنتان في مومني اهل الكتاب واثنتان في الكفار
وثلاث عشرة في المنافقين وقوله امنا بالله وباليوم الاخر اخبر عنهم
انهم يدعون ذلك ثم قال وما هم بمومنين اي ليسوا في الايمان عنهم لانه لم يكن
في قلوبهم وقد قال تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم وقال
قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا وبطل بهذا قول الكرامية انه مجرد
الاقرار فان المنافقين اقروا بذلك والله تعالى عنهم ذلك بما انه قال من يقول
وهذا فعل الواحد لان كلمن يصلح له ثم قال وما هم على الجمع لانه هو المراد فحمل
على المعنى وهو كقوله بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه فهذا
على الوحدان للصيغة ثم قال لا خوف عليهم ولا هم يحزنون على الجمع للمعنى
وكذا قوله من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حيوة طيبة ثم قال
ولنجزينهم اجرهم وقوله بمومنين الباء للتاكيد وهو كقوله
وما هو بقول شاعر ويجوز حذفها قال ما هذا بشرا وهذا ان ما بمعنى
ليس ويجوز في ليس الباء وحذفها قال تعالى اليس الله باحكم الحاكمين وقال ايضا
اليس اسوا وفي الايه معجز النبي صلى الله عليه وسلم فانهم اظهروا الايمان
واضمروا الكفر والنبي صلى الله عليه وسلم اخبر عما في قلوبهم وذلك غيب فالله تعالى
يقول عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى ودلت الايه ان الدعوى

مردوده اذا لم يقم عليها دلاله الصحة قال قايلهم شعر
من تحلى بغير ما هو فيه ... فضح الامتحان ما يدعيه
وان من مدح نفسه ذم ومن ذم نفسه مدح قال فرعون انا من المسلمين وقيل له وكنت
من المفسدين قال يونس النبي عليه السلام اني كنت من الظالمين وقيل له
فلولا انه كان من المسبحين وقوله يخادعون الله الخدع والختل
والاخداع الاخفاء ومنه المخدع وهو البيت الصغير تخفاه الشيء وخدع
فوه اى تغيرت رايحته ودينار خادع اى ناقص وسنور خادعه
اى قليله المرافق وقوله يخادعون الله قيل معناه يخادعون رسول الله
والمومنين باظهار الايمان مع اضمار الكفر رفع درجة النبي والمومنين
حيث جعل خداعهم كما جعل ايذاءهم ايذاه وقيل معناه يفسدون
ما اظهروا من الايمان بما اضمروا من الكفر وقيل يخادعون الله على زعمهم
اى هو عندهم خداع الله يظنون انهم يخدعون الله شيأ وهو كما قال
يحسبون انهم على شيء ونظيره قوله ويوم يناديهم اين شركائي اى على
زعمكم وقال مقاتل اجتروا على الله فقالوا فيما بينهم نخادع الله وكان
هذا هتانا منهم كسائر ما افتروا على الله وقيل معناه يخادعون الله
على الاستفهام وهو كقوله قال هذا ربي اى اهذا ربي وقيل انهم اظهروا
شيأ واضمروا خلافه فتصور بصورة الخداع تسمية فان لم يكن هو فان حقيقته
ان يمكر باحد فلا يعلم به الممكور وهذا كقوله فما اصبرهم على النار ولا صبر
لاحد عليها لكن لما داموا على الفعل الذي به يصيرون به الى النار يصور
ذلك بصورة الصبر على النار وقيل معناه يحتالون لاذا لوا الحق بالباطل
ثم الخادعة وهو على المفاعلة فان اصلها لما يكون بين اثنين وقد يكون
لفعل الواحد كالمسافرة والمصادفة فان حملت على الوضع فالخداع كان منهم
وجزا الخداع من الله على ما بين فان قالوا ان لم نعرف الله فكيف نخادعه

ان عرفوه فكيف قصد واخداعه قلنا قد بينا انهم عملوا عمل المخادعين
من الوجوه الذي ذكرناها وقوله والذين امنوا عطف على الاول
اى ويخادعون المومنين ايضا ويجوز حمله على الحقيقة بحتهم فانه ح وسعهم
فاما قوله يخادعون فقد مر قولنا ان معناه يخادعون الرسول والمومنين
والصحيح ان يحمل ذلك على مخادعتهم الرسول وحده دون المومنين فان
خداعهم المومنين مذكور على التصريح بعد وهو قوله والذين امنوا انما جعل
مخادعتهم رسوله مخادعة منه شرفا له كما جعل نصرته نصرة بقوله ان تنصروا الله
اى نصر رسوله وكما جعل مخادعة منه محادة الله فقد جعل مبايعته مبايعة
الله بقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وكذا في اشباه ذلك في هاتين الايات
امنوا بالله ورسوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يعص الله ورسوله
يحادون الله والرسول ومن يشاقق الله ورسوله يخادعون الله ورسوله
وينصرون الله ورسوله اذا نصحوا لله ورسوله فاذنوا بحرب من الله ورسوله
يودون الله ورسوله والله احق ان يرضوه انما وليكم الله ورسوله فترى
الله عملكم ورسوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله مهاجر الى الله ورسوله
وقوله وما يخدعون الا انفسهم قرا ابن كثير وابو عمرو وما يخادعون
على موافقة الكلمة الاولى والباقون وما يخدعون لان خدعهم انفسهم لا يعدوهم
وقال بعض اهل اللغة يقال خادع اذا لم يبلغ مراده وخدع اذا بلغ مراده
فلما لم يبلغ خداعهم فيما قصدوا كان مخادعة فلما وقع ضرره عليهم على انفسهم
كان خدعا لانفسهم خداعا وتسمية فلا يفقد خداعهم فيما قصدوه فكانهم
خدعوا انفسهم كما يقال فلان يخدع فلانا وما يخدع الا نفسه وقيل
وما يرجع وبال خداعهم الا اليهم قال تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله
ومثله ومن نكث فانما ينكث على نفسه انما بغيكم على انفسكم قال هنا
وما يخدعون الا انفسهم وقال في سورة اخرى يخادعون الله وهو خادعهم واريد

به الجزاء وقيل تعاملهم على وفق ما عاملوا وذلك فيما جاء انهم اذا القوا
ع النيران وعدوا فيها طويلا من الزمان واستغاثوا بالرحمن قيل لهم
هذه الابواب قد فتحت فاحرجوا فشاهدوا الى الابواب فاذا انتهوا الى
الابواب علقت ونهم واعيدوا الى النار والسوائد مع السياطين ط
والطواغيت يقول الله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وقال انهم
يكيدون كيدا واكيد كيدا **وقوله** وما يشعرون الشعر العلم
والعطف والاشعار الاعلام واشعار الهدى منه والشعار العلامة
والمشاعر المعالم والشعائر العلامات وهى معالم الحج واعماله واحدتها
شعيرة وسعاره ثم هو اسم لعلم خاص وهو العلم لدقته النظر في الشيء
ماخوذ من الشعر ولذلك يطلق هذا الاسم على معرفة الكلام المحقق الموزون
بوزن خاص فاما تفسيره وقد قيل اى وما يعلمون انه خداع
لانفسهم وقيل اى وما يعلمون ان وباله راجع عليهم وقيل اى وما
يعلمون ان الله تعالى يطلع على خداعهم رسوله والمومنين وقيل اى
وما يعلمون انهم لا يقدرون ان يخادعوا الله وقيل اى وما يعلمون
ان الله جازيهم جزاء خداعهم وقيل اى وما يعلمون ان الله يعلم
بصنيعهم وهذا كما قال ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
والعظة فيه ان المنافق يعلم ما عمل وهو لا يعلم بوبال ما عمل
والمومن يعلم بعمله فما عذره ثم ع هذه الاية نفى العلم عنهم وع قوله وتكتموا يعلم به ثم
الحق وانتم تعلمون اثبات العلم لهم والتوفيق بينهما انهم علموا به حقيقة
ولكن لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا وهو كقوله صم بكم عمى وكانوا
ناظرين سامعين ناظرين حقيقة ولكن لم ينتفعوا بذلك فكانوا كانهم
صم بكم عمى فذوا الاله اذا لم ينتفع بها فهو وعادم الاله سواء والعالم الذى
لا يعمل بعلمه فهو والجاهل سواء والغنى الذى لا ينتفع بماله وهو والفقير

والحى الذى لا ينتفع بحيوته هو والميت سواء ثم ان الله تعالى ابان للمومنين
العلم بقوله واتوا العلم وابان لهم الجهل بقوله الذين يعملون السوء بجهالة كما ابان
الكفار العلم بقوله ولقد علموا والجهل بقوله بل اكثرهم لا يومنون واعدابهما
الجاهلون وليسوا سواء بل اثبات العلم للمومنين اثبات الكرامة وذكر الجهل
تلقين عذر المعصية واثبات العلم للكفار الزام الحجة وذكر الجهل اثبات
النقصان له **وقوله** ع فى قلوبهم مرض المرض اللعة العلة والامراض
اثبات صفة المرض والتمريض القيام على المريض وقيل كل ما خرج به الانسان
عن حد الصحة من علة او نفاق او تقصير ع امر المرض ع القرآن لاربعة
اشياء للعلة ع قوله ولا على المريض حرج وللجراح ع انه اتيم وان كنتم
مرضى او على سفر وللفجور ع قوله فيطمع الذى ع قلبه مرض وللشك
ع قوله ع قلوبهم مرض فاما التفسير فقد قال ابن مسعود وابن عباس
والربيع وقتادة اى شك وقال مقاتل اى نفاق وقال الانبارى
اى ظلمة قال يقال ليلة مريضة اى مظلمة وقال بعضهم اى عمى بسبب
نصرة النبى صلى الله عليه وسلم وزوال ما يستهم اليه وقال الامام
ابو منصور رحمه الله اى اضطراب وتردد ومرض الجسم كذلك وطريق
تسمية النفاق مرضا ان المومن سمى حيا وللكافر ميتا فسمى المنافق مريضا
لتردده بين موافقة الظاهر ومخالفة الباطن كتردد المريض بين حياته
حيا وبين موته لان الله تعالى قال الا من اتى الله بقلب سليم اى خال عن الشك
والشرك فكان قلب المنافق بخلافه فلم يكن سليما بل كان مريضا
وقوله فزادهم الله مرضا الزيادة خلاف وبحى متعديا
كما ع هذه الاية ولازما كما ع قوله لمائة الف او يزيدون ونظيرها
تشيبهما وهو النقصان هو متعد ع قوله ننقصها من اطرافها ولازم
ع قول النبى صلى الله عليه وسلم انهن ناقصات العقل والدين واما النقصان

فقد قيل جازاهم بزياده شكل على شكلهم عقوبه لهم على اصرارهم
وعنودهم وقال السدى فزادتهم عداوة الله مرضا
وقيل اى زاد الله غما على غمهم وقال الامام ابو منصور
اى زاد الله خلق الكفر في اعتقادهم وقالت المعتزله هو التخليه
بين المنافق ونفاقه وهذا بناء على اصلهم الفاسد انهم لا يرون الكفر
والمعاصى بخلق الله ومشيته فلا يحملون مثل هذا الا على التخليه
وقيل معناه زادهم الله ضعفا عن الانتصار وعجزا عن الاقتدار
كما قال الشاعر يا مرسل الريح جنوبا وصبا ان غضبت
زيد فزدها غضبا وزيد قبيله ومعنى الدعاء في هذا البيت اى لا
تقدرها على الانتصار فيما غضبت منه ثم هذه الصيغه للتحقق
عند بعضهم وللدعاء عند اخرين فان قالوا الدعا للعاجز عرفا فما معنى
هذا الدعا من الله تعالى قلنا هذا تعلم من الله تعالى انه يحرم الدعا
عليهم وهذا كقوله قاتلهم الله وكقوله الا شيطانا مريدا لعنه الله
وقرب منه فسحقا لاصحاب السعير وتبت يدا ابى لهب ثم في الايه
اثبات خلق الافعال من الله تعالى طاعاتها ومعاصيها قال هنا فزادهم
الله مرضا وقال في اية اخرى زادتهم هدى ثم قيل زياده مرضهم
كان بانزال الايات المتتابعه واللحق المتناصره قال تعالى فاذا ما انزلت
سوره فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم
وذاك على وجه التسبب اى صارت الايه سببا لزياده يعني هولا
ولزياده شكوا منهو كقوله فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا وقال
فلم يزدهم دعائى الا فرارا ومن العجب ان زيادة شكهم بالايات النيره
واضطراب قلوبهم مع الدلايل البينه لكن الشمس تزيد عليل العين

علة والمائدة الحجر الصلب صلابة بهم فزادتهم القران الذى انزل شفاء
ورحمة في القلوب مرضا وعلة وقيل كانت زياده مرضهم بانزال الفرايض
والحدود فقد كان يشق عليهم التكلم بالشهاده فكيف وقد لحقتهم
الزيادات وهي وظايف العبادات ثم العقوبات على الجنايات فان
زاد وابد لكل اضطرابا على اضطراب وارتيابا على ارتياب وبزادوب
في الاخره عذابا على عذاب قال تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب والمومنون
لهم في الدنيا ما قال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وفي العقبى ما قال
ويزيدهم من فضله وقوله ولهم عذاب اليم وهذا في العقبى
والاول في الدنيا والالم في اللغة الوجع والاليم الوجيع وهو بمعنى الملم
اى الموجع كما يقال السميع بمعنى المسمع قال الشاعر
امن ريحانة الداعي السميع يوّرقني واصحابي هجوع وامّا نفسي
فقد قتل اى يصل المه الى القلوب وقيل هو الشديد الذى لا يزول
والاسقط وقوله بما كانوا يكذبون اى بكونهم كاذبين فان ما مع كان
مصدره وكذا كل فعل يقول سمعت ما قلت اى قولك وكلمة كان يحكى للماضي كما
في قوله وكان في المدينه تسعة رهط وقد يحكى للمستقبل كما في قوله
وكان يوما على الكافرين عسيرا وقد يحكى للحال كما في قوله كيف يكلم من كان
في المهد صبيا وقد يحكى حامعا للزمان كله كما في قوله وكان الله غفورا رحيما
اى لم يزل ولا يزال رحيما هم في الازل وفي الحال وفي الابد وقد يحكى بمعنى صار كما في قوله
وكان من الكافرين وقد يحكى بمعنى وقع كما في قوله وان كان ذو عسرة ثم الكذب خلاف
الصدق وفيه لغتان كذب وكذب كقولك لعب ولعب والتكذيب النسبه
الى الكذب وقراءاصم يكذبون بالتخفيف وهو كذبهم فما قالوا وقراءة ابن
بالتشديد وهو تكذيبهم الله ورسوله واما بقيه فقد قيل
اى يكذبون على الله باثبات الشريك وقيل اى بتحليل ما حرمه وتحريم ما احله

وقيل اى بقولهم انك لرسول الله بالسنتهم بغير تصديق قلوبهم لذلك
وهو منصوص عليه بقوله قالوا نشهد انك لرسول الله الى ان قال والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون وقيل اى بقولهم امنا بالله وباليوم
الاخر من غير اعتقاد وهو الذى سبق ذكره فى هذه الاية وتحقيقه
ما قلنا ان الايمان هو مجرد الاقرار فقد كذبهم الله تعالى فى دعوى الايمان
مع اقرارهم باللسان لمخالفة الجنان والله المستعان **وقوله**
واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض اذ كلمة توقيت وهى ظرف للزمان
المستقبل واذ ظرف للزمان الماضى والفساد ضد الصلاح والافساد
ضد الاصلاح واما تفسيره فقد قيل اى واذا قال المسلمون
لهؤلاء المنافقين وهو النظم لا تعملوا المعاصى فى ارض المدينة وحولها
وقيل اى لا تداهنوا وقيل اى لا تفرقوا الناس عن محمد وقيل
اى لا تصدوا الناس عن دين الله واتباع رسوله وقيل اى لا تمايلوا
الكفار وقيل اى لا تتبعوا الهوى بترك المأمور وارتكاب المنهى
واختلفوا فى المراد بهذه الاية قال ابن عباس وابن مسعود وحماعة
هم المنافقون وقال متاتل وهو رواية عن ابن عباس هم
اليهود من هاهنا الى قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم قال ويل الله قال
قالوا انما نحن مصلحون فى اليهود هم الذين كانوا يعتقدون هذا الافساد
اصلاحا ويظهرون ذلك واما المنافقون فما كانوا يقولون ظاهرا ان هذا
اصلاح ولو قالوا ذلك لاظهر كفرهم فقتلوا واما اليهود فقد كانوا اظهروا
انهم على الحق وغيرهم على الباطل والمنافقون كانوا يقولون نشهد انك
لرسول الله ويحلفون بالله انهم لمنكم ودليل اخر قوله واذا قيل لهم امنوا
كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء والمنافقون ما كان يكلمهم النبى
بهذا ظاهرا فثبت انه فى اليهود وافسادهم هو كتمان حال النبى صلى الله عليه وسلم

وصد الناس عنه

وصد الناس عنه واخذهم الرشوة وتغييرهم الاحكام بها واما القائلون بان
الاية فى المنافقين فقد قالوا ان ما قبلها وما بعدها فى المنافقين على ما بيناه
وبينا فاما قولهم انما نحن مصلحون فمعناه انهم قالوا لا نفعل هذه الاشياء
التى هى افساد بل نتبعكم على دينكم وهذا انكار منهم للنفاق والافساد
فكان افسادهم على قول هؤلاء ما ذكر فى هذه الايات كخادعون الله والذين
امنوا وبين شياطينهم لنقولن انما كنا نخوض ونلعب وهو قصة سفيرهم
نافة النبى صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقوله ويقولون هو اذن
والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الا ارادوا الا حسنى يشهد ان انهم لكاذبون
يتحاكموا الى الطاغوت وهو كعب بن الاشرف يقولون لاخوانهم الذين
كفروا من اهل الكتاب لا يخرجون ولئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم
احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم
ويصدون عنك صدودا الا ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم
نصيرا ونحوها **وقوله** فى الارض اى فى وجه بساط
الدنيا والسماء سقفها وقيل اراد بها هنا ارض المدينة فان افساد
المنافقين كان فيها **وقوله** قالوا انما نحن مصلحون ان ما كلمتان
فى الاصل ان كلمة تاكيد قرنت بما فصارت للحصر والقصر وقوله انما
الهكم الله واحد تقديره لا اله الا هو الواحد وقوله انما الصدقات للفقراء
لذلك وكذا هاهنا معناه ما نحن الا مصلحون **وقوله** نحن جمع انا
على غير لفظه كهو لا جمع هذا وهذه وكقولهم اولئك جمع ذلك وذاك وتلك
وكالنسوة جمع المراة وكالابل جمع الجمل والناقة وكالغنم جمع الشاة
ثم هذه الكلمة يتكلم بها الواحد اذا خرج الكلام مخرج خطاب الملوك قال تعالى
وانا نحن نحيى ونميت ويتكلم بها الاثنان قال تعالى خبرا عن هاروت وماروت
انما نحن فتنة ويتكلم بها الجماعة كما هاهنا الا انما نحن مصلحون والاصلاح
ضد الافساد والصلاح والصلوح ضد الفساد وفى تصريفه ثلاث لغات

صلح يصلح وصلح يصلح وصلح يصلح والصلح والمصالحة والاصطلاح من ذلك
ثم لقولهم هذا وجوه احدها انهم انكروا الافساد وهو النفاق وما نهوا عنه
لانهم كانوا يخفون ذلك فاظهر الله ما اضمروا وكشف ما ستروا والثاني
انهم اعتذروا الى المسلمين وقالوا انما نوافق الكفار وما يلبثون نريد بها
الا اصلاحا بينهم وبين المؤمنين وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه والثالث انهم قالوا
نصلح امرنا بموافقة الكفار في الباطن وموافقة المؤمنين في الظاهر نظرا الى العاقبة
حتى لو كان الظفر لهؤلاء قالوا لم نكن معكم ولو كان لهؤلاء قالوا لهم كذلك والرابع
ان هذا جواب لليهود واظهروا به ان ما هم فيه اصلاح وليس بافساد وقوله
الا انهم هم المفسدون الا كلمة تنبيه وان كلمة تاكيد وهم كناية عن المذكورين
قبله وهم ثانيا تاكيد لان التكرير تاكيد وتقريره هذا كقوله اني انا الله
انا لحن نزلنا الذكر انه هو العفور الرحيم اكم انتم الظالمون انهم هم المفسدون
اثبتوا لانفسهم اسم المصلحين ففاه الله عنهم واثبت لهم اسم المفسدين
وكان لكلامهم اربعة اوجه ورد هذا ردهم على ذلك الوجوه اما الاول
فكان انكارا منهم واسرارا فكان هذا هتكا لاستارهم واظهارا والثاني
كان اعتذارا بانا نطلب الاصلاح باستمالة الكفار فاخبر بهذا ان هذا افساد
منهم حيث علم الكفار ان المنافقين لهم انصار وهذا باعث لهم على الاضرار
والثالث كان ظنا منهم ان موافقة الفريقين منجية لهم ينفعهم في الحالين
فيكون اصلاحا لهم فاخبر انه افساد لحالهم ومالهم فانهم طلبوا رضى الناس
وقد فاتهم ذلك كله فان المؤمنين يبغضونهم لما انهم لا يوافقونهم في الباطن
والكفار يردونهم لما انهم لا يتابعونهم في الظاهر فكذا حال اهل الرياء والاخلاص
الا بالاخلاص والرابع كان جوابا لليهود حيث رأوا كانوا ممن قال الله فمن زين له سوء
عمله فرآه حسنا وكانوا كفرعون سمى صلاح موسى فسادا وغوايته رشادا
بقال ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض

الفساد وقال ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فرد الله عليه
فعال انه كان من المفسدين وقال وكنت من المفسدين وقال ههنا الا انهم
هم المفسدون وقيل في هذا ما يدل على انهم وصفوا انفسهم بالاصلاح
والمؤمنين بالافساد واقتضى انهم قالوا انما نحن مصلحون وانتم مفسدون
وتقديره هم المفسدون لا انتم فلو كان كلامهم هذا الواجب المنصوص عليه
لحسبت كفى جوابا لهم انهم مفسدون فبكرارهم وتعريف النعت بالالف
واللام دليل على ما قلنا وهو كقوله ان شانئك هو الابتر هو رد قول ذلك
اللعين ان محمدا ابتر اذا مات انقطع ذكره فقال الله تعالى ان شانئك هو الابتر
لا انت يا ابن شرف المؤمنين حيث تولى جواب المنافقين عما قالوه للمؤمنين
كما كان في حق المصطفى صلى الله عليه وسلم ان الوليد بن المغيرة قال له انه مجنون
ففاه الله تعالى عنه بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون ثم قال في ذم ذلك
اللعين فلا تطع المكذبين وقال ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد
اثيم عتل بعد ذلك زنيم وهي عشرة اسماء مذمومة فكذلك في حق المؤمنين قال المنافقون
سموا المؤمنين مفسدين ففاه عنهم وسمى المنافقين بعشرة اسماء مذمومة مخاطبا عن
بقوله حاهلين بقوله وما يشعرون مرضى بقوله في قلوبهم مرض كاذبين بقوله
يكذبون مفسدين بقوله هم المفسدون سفهاء بقوله هم السفهاء طاغين
بقوله في طغيانهم وتمامها صم بكم عمي وقوله ولكن لا يشعرون
لكن كلمة استدراك وقيل هي لحقيق شيء تشبثه بذلك شيء تنفيه وتشرد
وتخفف والمشدد ناصب والمخفف رافع ويدخلان جميعا الاسم والمخفف منه يدخل
الفعل ايضا قال تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم وقد تسقط نونه للضرورة
في الشعر قال الشاعر ولكني سقى ان كان ما وكذا فضل
وفي موضع العطف يكون لكن الخفيفة كسائر حروف العطف في العمل يقول ما جاءني
زيد لكن عمرو وما رأيت زيدا لكن عمرا وما مررت بزيد لكن عمرو ولا يشعرون

اى لا يعلمون واختلف فى معناه فقيل لا يعلمون انهم مفسدون وان فعلهم افساد
قال الامام ابو منصور ان كان التاويل هذا فهو يشقض قول من يقول ان الحكم
لا يلزم الا بالمعرفة وهو قول النظام وغيره من المعتزلة لانه اخبر بفساد صنعهم
وان لم يشعروا به وهو كقوله ايضا ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون اخبر بحبط
اعمالهم وان كانوا لا يعلمون بعد ان كانوا سبيل من العلم به اى متمكنين من الوصول
الى العلم بالنظر الى دلايله وقيل ليس هذا نفى حقيقة العلم بل هو نفى علمهم
بالعلم وقد قررناه فيما مر وقيل لا يشعرون انهم يعذبون وقيل اى
لا يشعرون متى ينزل بهم الموت فيقطع عنهم التوبة فلما كانوا موصوفين
بالعلم فى الاصل بقوله ولقد علموا وصاروا موصوفين بالجهل بقوله لا تشعرون
من الوجوه الثلاثة انهم لم يعلموه افسادا ولم يعلموا ان عليه عذابا ولم
يعلموا متى يموتون قبل ان تتوبوا الزمهم الحجة فازالهن الجهالات
بالدلالات من الثلاث فقال فى الموت فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون وكذا
وصف المؤمنين بالعلم بقوله والوا العلم بم وصفهم بالجهل مخالفتهم العلم
وقال يعلمون بجهالة وكان جهلهم بهذه الوجوه الثلاثة فازالها فقال فى حق
الاول انه فسوق بقوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وقال فى عقوبته
وان الكفار لفى جحيم وقال فى الموت من قبل ان يأتى احدكم الموت فيقول رب
لولا اخرتنى الى اجل قريب **وقوله** واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس
قالوا انؤمن كما امن السفهاء ذكر الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس ان الاية نزلت
فى شان اليهود ومسلمى اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشى
واصحابه وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث ابن مسعود وجعفرا الطيار
رسولا الى النجاشى فاستقبلهم عبيد الشام وهم اهل الكتاب وكان ابن
مسعود يقرأهم فانتهى الى هذه الاية يا ايها الذين امنوا اوتوا الكتاب
امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على

ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وفى الغير عبد الله بن سلام
فلما سمع ذلك هاب وجعل يمسح راسه ووجهه خوفا من المسخ وهم ان
ياتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم فاتى المدينة فدخل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى سيد قومى فانهم يعظمونى
وارجو انهم يسلمون باسلامى فادعهم وسلهم عنى من انا فيهم فاخبرهم
باسلامى عسى يحبونك ففعل فلما دخلوا عليه قال لهم ما تعدون فيكم
بن سلام فقالوا هو سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابو علمنا وهو دى بقى على وجه
الارض يعرف كتاب الذى انزل الله على موسى وقال صلى الله عليه وسلم اتسلمون
ان اسلم هو فقالوا هو لا يسلم فكرر ذلك فاجابوا كذلك فخرج عبد الله اليهم
وقال لهم يا معشر الله فعل الله بكم كذا وكذا اما وجدتم نعت محمد وصفته
مكتوبا فى التوريه فى موضع كذا فقالوا يا ابن سلام ما كنا اهلا للذى اثنينا
عليك ولكن كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك وخرجوا وهم يقولون له انك
رجل جاهل سفيه فانزل الله تعالى هذه الاية فعلى هذا تاويل الاية واذا
قيل لهم اى لليهود امنوا بمحمد وكتابه كما امن عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشى
واصحابه قالوا انؤمن كما امن هؤلاء الجهال ابن سلام واصحابه وقال الحسن
كما امن السفهاء اى النساء والصبيان وقال ابن مسعود وابن عباس فى رواية
مجاهد وقتادة والربيع والسدى انهم المنافقون ويفسرها على
هذا القول واذا قيل للمنافقين امنوا بالقلوب مع ايمانكم باللسنة كما امن
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا انؤمن كما امن هؤلاء الصحابة
والذين لا يعلمون شيأ على النفر الاول كان قولهم هذا جهرة كانوا
مصرين على اليهودية ظاهرين بالكفر مجاهرين على النفر الثانى
كان المنافقون يتكلمون هذا الكلام فيما بينهم دون ان ينطقوا به
بالسنتهم لكن هتك الله استارهم واظهر اسرارهم بعقوبته لهم على عداوتهم

وهذا كما اظهروا اضمروا اهل الاخلاص من الكلام الحسن وان لم يتكلموا به
بالسنتهم حقيقة ولا يتم قال يوقنون بالندر الى ان قال انما نطعمكم
لوجه الله وكان هذا في قلوبهم فاطلعه الله تعالى ونبيه الحالهم
وفي الآية بيان رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته احدها في قلوب المنافقين
باخبار رب العالمين على ما مر **وقوله** الا انهم هم السفهاء
هو جمع السفيه ومصدره السفه والسفاهة وهو اك ضد الحلم وقال
هو خفة العقل كما يقال ثوب سفيه اي رديء النسج وسفهت الريح الشجرة
مالت بها وحركتها واستخفها وقال ابو تمام **شعر** سفيهة
الريح جاهله اذا ما بدا فضل الحلم على الحلم اي سريع الطمع بالريح
خفيفه وسفهت الشيء اي استخففته وسفهت فلانا عن ماله اي ضرعته
والسفه ان يكثر الرجل شرب الماء فلا يروى وسافهت الناقة الطريق اذا قعدت
عنده تشرب منه ساعة بعد ساعة وسافهت الناقة الطريق لازمته
لا تبالي به واما تفسيره فقد قيل السفهاء الجهال وقيل النباتون
المتعهدون بخلاف ما يعلمون وقيل العجال الظالمون القايلون خلاف
الحق وقيل المجاهدون الى ركون النظر في العواقب وقيل الجهال
بمصالح الامور الخفاف العقول والآراء وحاصل تفسير السفيه
في صفة المنافق على مجموع اللغات واقاويل الطبقات انه ظاهر الجهل
عديم العقل خفيف اللب ضعيف الراي رديء الفهم ممال الغي مستخف
القدر سريع الذنب حقير النفس مخدوع الشيطان اسير الطغيان دايم
العصيان ملازم الكفران لا يبالي بما كان في قلوبهم هداة شيان اثبات قلة يقينهم
على ايمانهم وسفه من آمن من اخوانهم وهذا الاستفهام في اول الكلام للانكار
وللاستعظام تراى لهم انهم هم الاولياء وان غيرهم السفهاء وهذا من
تسويل النفس وتزيين الشيطان ومنه ضلالات اهل الهوى والطغيان

فعال الله تعالى الا انهم هم السفهاء وهذا اكرم رتبه واعز رفعه
للمؤمنين المخلصين اذ حماهم ورعاهم وردّ على من عاداهم وباسوء
رماهم فقال بالغ ما ابدا به الكلام الآوكد ما يوشح به النظام ان
وباحسن ما يتبع به البدء وبالختام هم هم السفهاء اي لا هؤلاء الا انهم
بانانهم واخلاصهم من السفه هربوا في العلم والحق دعبوا وهم
العلماء على الحقيقة والمستعصمون على الطريقة **وقوله**
ولكن لا يعلمون اي لا يعلمون انهم السفهاء وقيل اي لا يعلمون علما يميز
به بين الحق والباطل وقيل اي لا يعلمون عاقبة صنيعهم وقيل اي
لا ينتفعون بعلمهم لا انهم معذورون بجهلهم ثم من لطايف الايات ان
الذين قالوا لهود النبي عليه السلام انا لنريك في سفاهة اجابهم هو بنفسه
فقال يا قوم ليس بي سفاهة والله تعالى يولي جواب المؤمنين وابتث السفه
للقايلين فقال الا انهم هم السفهاء **وقوله** واذا لقوا الذين
امنوا قالوا آمنا لقوا اي عاينوا واللقاء الرؤية والمعاينة واللقي واللقيا
كذلك والملاقاة والالتقاء الاجتماع وهو الاجتماع في الحرب ايضا في الخصوص
وقال قد كان اية في فئتين التقتا والتلقي الاستقبال وهو الاخذ ايضا في قوله
تلقى ادم وهو رواية بعضهم من بعض في قوله اذ تلقونه بالسنتكم وامتا
تفسيره فقد قال ابن عباس في رواية ومقاتل وابو سهل الطالقاني معناه
واذا عاينوا اليهود المؤمنين ويدل عليه قوله في هذه السورة واذا لقوا
الذين امنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم وذلك
في حق اليهود باجماع وقال ابن عباس في رواية ومجاهد والجمهور واذا عاينت
المنافقون المؤمنين وامتا النزول فقد روي ان عبد الله بن ابي
المنافق كان جالسا مع اصحابه المنافقين على قارعة الطريق اذا استقبله
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله لاصحابه انظروا الى

وتعلموا منى كيف ارد هولا السفها عنكم فانظروا كيف افعل بهم فافعلوا
كما افعل فقال لابى بكر الصديق رضى الله عنه وكان اول من لقيه
مرحبا بسيد بنى تميم بن مرة القوى فى دين الله صاحب رسول
الله فى الاسفار ثانى اثنين فى الغار الباذل بنفسه ونفسه وماله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبله عمر رضى الله عنه فقال مرحبا
بسيد بنى عدى بن كعب بن مرة القوى فى دين الله الشديد فى الغضب
على اعداء الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم استقبله على رضى الله عنه
فقال مرحبا بسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ان الله اصطفاه
وخصه من بين خلقه بالنبوة فقال له على اتو الله ولا تنافق فان
المنافقين شر خليقة الله فى الارض فقال يا ابا الحسن لا تقل هكذا
فوالله ايماننا كايمانكم ونصديقنا كتصديقكم ونحن موقنون فى السر
والعلانية ثم افترقوا فقال عبد الله بن ابى كيف رايتم هولاء منكم فقالوا
لا نزال بخير ما عشت بيننا ثم رجع ابو بكر واصحابه الى النبى صلى الله عليه وسلم
فاخبروه بذلك فنزلت هذه الاية فى شانهم فاما من حملها على اليهود وهم
مجاهرون بالكفر فانه يحمل قولهم قالوا امنا على الايمان المذكور فى قوله
وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار
واكفروا اخره لعلهم يرجعون واما من حملها على المنافقين فظاهر وانتظام
هذه الاية بالاية التى قبلها انه ذكر فى تلك الاية ما قالوا لهم وذكر فى هذه الاية ما قال
المنافقون لا ولئك وفى تلك الاية مقابله السفيه بالسفيه وفى هذه الاية مقابلة
الاستهزاء بالاستهزاء **وقوله** واذا خلوا الى شياطينهم فقوله
خلوا اللجمع وللواحد خلا وصرفه خلا يخلو خلوة وخلا المكان خلاء اى صار
خاليا وخلا بفلان اى اجتمعا على الخلوة وخلا امراته اى دخل بها وخلا
اليه للخلوة وخلت المراة اى صارت خلية اى طالقا وخلا اى مضى وانقضى

بمعنى هنا فقد وصل واذا خلوا الى شياطينهم اى افضوا اليهم ويقال اى ذهبوا
اليهم ويقال اى خلوا مع شياطينهم اى اجتمعوا على الخلوة والى بمعنى مع كما فى النصر
بن سميل وهو كقوله من انصارى الى الله اى مع الله وعلى هذا قوله الى المرافق اى مع
المرافق ويقال معناه انصرفوا من لقاء المومنين الى شياطينهم ثم دخل على احد
ابتداء قيل خلا به واذا انصرف عن احد ودخل على غيره قيل خلا اليه وقال الاخفش
خلوت اليه اى جعلته غايتى فى حاجتى وقال بعض الكوفيين خلوا الى شياطينهم
اى صرفوا خلوتهم الى شياطينهم فاما الشياطين فهو جمع شيطان وقال
الخليل كل متمرد عند العرب شيطان واختلفوا فى المراد بهذا الاسم هنا
فقال ابن عباس هم اليهود الذين امروهم بالتكذيب وقال مسروق
هم رؤساؤهم فى الكفر وقال الضحاك هم كهنتهم وهم فى قريظة
كعب بن الاشرف فى بنى سليم ابو برده وفى جهينة عبد الدار وفى بنى
اسد عوف بن عامر وفى الشام عبد الله بن سوداء وكانت العرب تعتقد
فيهم انهم مطلعون على الغيب يعرفون الاسرار ويداوون الامراض
وليس من كاهن الا وعند العرب ان معه شيطانا يلقى اليه كهانته وسموا
شياطين لبعدهم عن الحق قال الشطون هو البعد ولعتوهم وتمردهم
قال الشيطان هو العاتى المتمرد وقال الشياطين قرناؤهم وهم سموا
بقرنائهم وقال مرشانه احدا سمى به ولما كان هولاء على صفة الشياطين
سموا بهم ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لمن راه يتبع حماما شيطان
يتبع شيطانا وقال للمار بين يدى المصلى فليقاتله فانه شيطان
وقال نسوة فى المدينة ليوسف ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم لما راينه
لما راينه بصفة الملك قال صلى الله عليه وسلم علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل
لما كانوا بصفتهم فعلى العاقل ان يتصف بصفة الملائكة والابتا
ولا يتصف بصفة الشياطين الاغويا **وقوله** انا معكم

مع كلمة قران يقال جاء زيد مع عمرو اى مقترنا به وفيه لغتان تحريك العين
وتسكينها قال الشاعر ومن يتق فان الله معه ورزق
الله مؤتاب وغاد وقال جاء معا بالتنوين اى مقترنين ويقال حيث
من معه اى من عنده وهو فى القران لمعان للقران وهو الاصل قال واذا
كانوا معه على امر جامع وللقرب واللحوق قال هذا ذكر من معى ومعنى بعد
قال ودخل معه السجن فتيان بمعنى عند قال مصد قا لما معهم وبمعنى سوى
قال الٰه مع الله اى سوى الله وبمعنى المعونة ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وبمعنى العلم قال هو معهم اذ يبيتون وبمعنى المتابعة قال
وطائفة من الذين معك بمعنى شهود الصورة قالوا لم يكن معكم بمعنى
شهود القلب قالوا انا معكم وبمعنى شهود الصورة والقلب والدين معه
فامّا نحن هنا فقد قيل معناه انا عون على محمد وان كنا معه
ظاهرا وقيل معناه انا لكم انصار وقيل اى انا على ما انتم عليه من التكذيب
والعداوة وقيل اى على دينكم اراد والجمع بين الامرين فخوا عنهما قال تعالى
مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كذلك من رام ان يجمع بين طريق الارادة
وما عليه اهل العادة لا يلتئم له ذلك والضدان لا يجتمعان ومكان لكل
ناحية حليط وفى كل اديم من قلبه ربيط كان نهبا للطوارق ومتقسما
بين العلائق وقوله انا نحن مستهزءون الهزء والسخرية من شىء
لحق عند صاحبه ولا حق عند الهازئ وقد هزئ به اى سخر والهزاة يتشكلون
الزاهو الذى سخر منه واستطامه بما قبله انهم لما قالوا لشياطينهم انا معكم
قالوا فما لكم تشهدون مشاهدهم وتدخلون مساجدهم وتحجون وتعتمرون
معهم قالوا انا نحن مستهزءون قيل معناه ساخرون بمحمد واصحابه
وقيل اى مكذبون بما ندعى اليه وقيل اى نرى لهم انا موافقهم على دينهم
ظاهرا وباطنا وانما نكون معهم ظاهرا لنشاركهم فى غنايمهم ونكح بنا تهم

ونطلع على اسرارهم ونحفظ اموالنا واولادنا ونسائنا من اذيتهم وقوله
الله يستهزئ بهم له ثمانية اوجه احدها انه عاملهم فى الدنيا معاملة من
فانهم اظهروا الايمان وفى باطنهم النفاق والله تعالى اطلعهم فى الحال الامان
وعاقبتهم الاحراق الثانى ان معناه يجازيهم فى الاخرة جزاء استهزائهم
والعرب تسمى الجزاء باسم الاول قال عمرو بن كلثوم الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا وفى القران وجزاء سيئة سيئة مثلها
قال فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
الثالث معنى الله وهو خادعهم ومكرون فى مكر الله يكيدون كيدا واكيد
كيدا نسوا الله فنسيهم فسخرون منهم سخر الله منهم انا نحن مستهزءون
الله يستهزئ بهم والرابع قول سيبويه الله يستهزئ بهم
اى يوقع ضرر استهزائهم بهم كما قال فى الخداع وما يخدعون الا انفسهم
وهو كقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله والخامس قول ابن عباس
كلما احدثوا خطيئة جدد لهم نعمة والسادس قول الحسين بن الفضل
العجلى هو اعطاء المراد فى الحال واخذ البغتة فى المال قال تعالى فلما نسوا
ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
السابع انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم نشهد انك لرسول الله
فلم يكن ذلك فى عقيدهم ويقال للمنافق ذق انك انت العزيز الكريم وليس ذلك
من صفتهم والثامن قول قتادة وهو ما اخبر الله عن حالهم يوم القيامة
بقوله يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم
الى ان قال الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم
انا معكم واليوم يقولون لهم الم نكن معكم وكنتم تستهزءون فاليوم نحن
بكم مستهزءون ويكون الاستهزاء من المؤمنين مجازاة لهم وانما اضاف الله تعالى
ذلك الى نفسه بقوله الله يستهزئ بهم تشريفا للمؤمنين وجعلا لفعلهم

الغراء مدت فما كانت الزياده منه كمد النهر والامداد فما اذا كانت
الزياده من غيره كامداد الجيش وقال الاخفش المد الترك والامداد
الاعطاء قال تعالى ونمد لهم من العذاب مدًا وقال فليمدد له الرحمن
مدًا وقال الحسبون انما نمدهم به من مال وبنين اى نعطيهم فاما
تفسيره هنا فقد قيل ونمدهم اى نتركهم وقيل نخلهم وقيل
نطيلهم وقال ابن مسعود نملى لهم وقال مجاهد نزيدهم مدد وقال
ابن كيسان نمهلهم وهى اقاويل متقاربة واما الطغيان فهو مجاوزة
الحد فى اللغه قال طغى السيل اى جاء بالماء الكثير وطغى البحر اى هاجت
امواجه وقال الخليل هو من الواو واليا جميعًا طغوت وطغيت طغيانا
وطغوانا واما تفسيره هنا فقد قال ابن عباس والسدى فى طغيانهم
اى فى كفرهم وضلالهم وقيل هو اطهار القوة على من لا قوة له وقيل
اى فى علوهم فى الكفر وقيل اى فى عتوهم وقيل اى فى تكبرهم وقيل
اى فى جهلهم وقيل اى فى عمايهم وقيل اى فى تمادهم وقيل اى فى
مجاوزتهم قدرهم ومعناه نطيل مكثهم فى طغيانهم فى الدنيا وقيل
اى نطيل مكثهم فى جزاء طغيانهم فى العقبى واما العمه فهو التردد
فى الحيرة وقد عمه يعمه فهو عمه وعامه وجمعه عمه قال الراعى
ومهمهٍ اطرافه فى مهمهٍ ... اعمى الهدى بالجاهلين العمه وقال ذهبت
ابله العمها اذا لم يدر الى ذهبت واما تفسيره هنا فقد قال
ابن عباس ومجاهد والربيع معناه يترددون وقيل اى يحيرون وقيل
اى يعمون عن رشدهم فلا يبصرونه وهذه الصفات الثلاث بانه فهم اما
التردد فى قوله مذبذبين بين ذلك واما التحير فى قوله لا يهتدون سبلا
فاما العمى ففى قوله عمى فهم لا يعقلون ثم قوله فى طغيانهم يعمهون مذكور
فى القرآن فى صفة الكافرين والمبتدعين والمرتدين والمنافقين قال

فعله كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى والثانى من قول الكلبى انهم ضحكوا من المؤمنين فى الدنيا فيحملهم
يوم القيامه يضحكون منهم وهو انه يحمل المؤمنين يطلعون على المنافقين
من الجنه فيقولون لهم اتحبون ان تخرجوا من النار وتدخلوا الجنه
فيقولون نعم فيفتح لهم باب من النار فيقصدون اليه فيغلق
ثم يفتح باب اخر فيقصدونه فلا يزال يفعل بهم كذلك والمؤمنون
يضحكون منهم قال الله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون
الى ان قال فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون ودلت على قوله
الاستهزاء بالناس وقال تعالى لاسخر قوم من قوم وقال فقتله
موسى اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فاخبر
انه فعل الجاهلين اذا كان وعيد الاستهزاء بالناس هذا فما جزاء
الاستهزاء بالله وهو فيما قال النبى صلى الله عليه وسلم المستغرق الدنيا
ويومه مصر عليه كالمستهزى لربه ثم مقابله الاستهزاء للاستهزاء
دليل على ان الجزاء من جنس العمل وقد عددنا ايات فى اجزيه اعمال السوء
واجزيه اعمال الخير لكن قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال للذين
احسنوا الحسنى وقال فاذكرونى اذكركم اوفوا بعهدى اوف بعهدكم
ان ينصركم الله ينصركم رضى الله عنهم ورضوا عنه اجيب دعوه الداعى اذا دعانى
فليستجيبوا لى وقوله ويمدهم فى طغيانهم يعمهون يمد
الحبل جره ومد النهار ارتفاعه ومد الظل بسطه ومد العيش تطويله
ومد النهر ازدياد مايه وزيادة نهر اخر فى مائه لانه ومتعدى ومديد
الفاء تطويلها ومد الالف فى البأ والواو تطويلها ومد الدواه امدادها
للاقتها بالمداد وامداد الجيش الحاق المدد به وذكر الفرق بين مد
وامد بلاثة اوجه قال يونس مددت فى الشر وامددت فى الخير وقال

قال في الكفار الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون وقال
في المبتدعين من يضلل الله فلا هادي له ونذرهم في طغيانهم يعمهون
وقال في المرتدين ونقلب افيدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا
به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقال في المنافقين هذه الاية
ونمدهم في طغيانهم الاية دليل اهل السنة والجماعة فانه قال
ونمدهم وهو اثبات فعل لنفسه وقال في طغيانهم يعمهون وهو اثبات
فعل العبد فدل على ان العبد فاعل والله لفعله خالق وبطل قول
الجبرية ان لا فعل للعبد وقول القدرية ان لا صنع لله في فعل العبد
ثم ما منع ان يفرح العبد بطول العمر وامتداده ولا بكثرة اموالهِ
واولاده والله تعالى يقول في اعدائه في حق العمر ونمدهم وفي حق
المال والبنين أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين وكان طول العمر لهم
خذلانا وكثرة الاموال والاولاد حرمانا ثم لهم بمقابله هذا المدّ مدّ لا يحد
قال تعالى وليمدد له الرحمن مدا ثم قال ونمد له من العذاب ونذر جعل لعدوه
في الدنيا مالا ممدودا وللولي في الاخرة ظلا ممدودا وقال جل جلاله لمحمد
ليلة المعراج ان من نعمتي على امتك اني قصرت اعمارهم كيلا يكثر ذنوبهم
واقللت اموالهم كيلا يشتد في القيامة حسابهم واخرت عنهم كيلا
يطول في القبور حبسهم **وقوله** اولئك اشتروا الضلالة
بالهدى فالشرا البيع والاشترا الابتياع والشرى المثل ونظيره
هنا قول ابن عباس وابن مسعود اخذوا الكفر وتركوا الايمان وقال قتادة
استحبوا الضلالة على الهدى اي اثروها وقيل اي اختاروها وقيل
اي استبدلوها وهو كقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان ثم هذا على قول الذين
قالوا ان الاية في اليهود يرجع الى قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين
كفروا الاية وكان هذا استبدالا منهم الضلالة بالهدى وعلى قول من جعلها

في حق المنافقين وهم لم يكونوا في الهدى قط فمعناه اخذوا النفاق وتركوا
الاخلاص اصلا او ان استبدلوا الضلالة بالهدى وهذا كما في قوله تعالى اخرجهم
من الظلمات الى النور في حق الكفار يخرجونهم من الظلمات ليس هذا بطريق
النقل بل الابقاء على الاصل ثم هذا مجاز وهو متعارف اهل اللسان وهو
ابلغ في البيان واوقع في القلوب والاذان وهو كثير في القرآن قال تعالى
فجعلناه هباء منثورا وقال لما طغى الماء وقال اية لهم الليل نسلخ منه النهار
وقال ما نرى لهم الا الاكبر من اختها وقال نساؤكم حرث لكم وقال هنا
اشتروا الضلالة بالهدى واصله في استبدال مال بمال واستعير في الهدى
والضلالة والجامع بينهما معنى الاختيار والاستبدال وكل مشترٍ مختار
وكل مشترٍ مستبدل وكذا هؤلاء اختاروا الكفر على الهدى واستبدلوه
وقد اشار الى هذين المعنيين ابن عباس وقال استحبوا العمى على الهدى
ومن يتبدل الكفر بالايمان **وقوله** الضلالة بالهدى قيل الكفر
بالايمان وقيل الشك باليقين وقيل الجهل بالعلم وقيل الفرقة
بالجماعة وقيل النفاق بالاخلاص وقيل الدنيا بالاخرة وقيل النار
بالجنة ومعناه ان اختيارا لدنيا ضلالا العمل بما يوجب النار ضلال اختيار
الاخرة هدى فالعمل بما يناله الجنة هدى ثم هذا دليل على ان حكم البيع يثبت
بالتعاطي من غير تكلم بالايجاب والقبول فان هؤلاء سموا مشترين فترك الهدى
واخذ الضلال من غير تكلم بهذه المبادلة اشار اليه الامام ابو منصور رحمه الله
وقوله فما ربحت تجارتهم فالربح والربح الفضل ونظيره
المثل والمثل والرباح كذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم السماح
رباح والتجارة مصدر تجر من باب دخل والتجر افتعل منه وجمع التاجر
التجر كالركب والتجار كالفجار والتجار كالصيام ومعناه فما ربحوا في
تجارتهم وهي اشترا الضلالة بالهدى وهو مجاز واستعارة كالشرا

م هو مع الاستعارة من مقلوب الكلام كقوله فاذا عزم الامر اى عزموا
عليه وقوله والليل اذا يسرى اى يسرى فيه وقوله بل مكر الليل والنهار
اى مكركم فيهما ومن كان على هذا الوجه مبالغة حسرت صفقته
وما ربحت تجارته **قوله** وما كانوا مهتدين قد مر في قوله
بما كانوا يكذبون ان كان يصلح للماضي وللحال والاستقبال هنا ويدل
بالوجوه الثلاثة قيل اى وما كانوا على الهدى فلذلك خذلوا فاختاروا
الضلالة على الهدى وقيل اى وما هم بمهتدين للحق لتمسكهم بالضلال
وقيل اى وما يكونون مهتدين اى لا يومنون من بعد وقيل في اسلام
هؤلاء اولئك وما نالوا الهدى حيث اشتروا الضلالة بالهدى وقيل
انما نجد المرء للربح والاهتداء لم يكن لهم لا ربح ولا اهتداء وقيل اى
وما اهتدوا الى الاتجار بالتجارة الرابحة التي اهتدى اليها المومنون
فقد قيل لهم يرجون بجارة لن تبور وهل ادلكم على تجارة تنجيكم من
عذاب اليم وقيل لهم اولا اولئك هم الخاسرون او لئك الذين خسروا
انفسهم وقوله مثلهم المثل في القرآن لعشرة معان
للصفة ولله المثل الاعلى ذلك مثلهم في التوراة وللشبه فلا تضربوا لله
الامثال اى لا تصفوا الله الا بما وصف به نفسه وللنوع ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل اى من كل نوع وللعبرة فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين اى عبرة
وللامام وجعلناه مثلا لبني اسرائيل وللصلة والزيادة كمثل الذين من قبلهم
معناه كالذين من قبلهم وللحال مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً اى حالهم كحال المستوقد
وللعاقبة مثل ما سقون في هذه الحديقة الدنيا وللمثال انما مثل الحياة
الدنيا وللعذاب كمثل الذين اى عذابهم كعذاب الذين من قبلهم والمثل
في اللغة الشبه والمثال ما يماثل الشيء والتمثال الصورة وفي القرآن امثال
وهي الايضاح والابلاغ فانها اوجزت الذكر واوقع في الفهم وقالوا ان

المثل في الكلام

ان المثل في الكلام كالمرآة للوجه يرى الناظر فيها مثل وجهه فيقف
على حقيقة حاله ويعرف كماله وصفه وكذا وقوف السامع على معنى كلام
المتمثل وقوله الى مراد قوله للمتأمل معا يذهب فيه النفس كل مذهب
وتستفيد منه كل معنى معنى وتوضح كل واحد ان الله تعالى قال انما
مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه فتكلموا في معنى تمثله بالماء وقيل ان الماء اذا
قل نفع فاذا كثر ضر ففي القليل التطهر من الحدث والجنابة والحيض
والنفاس واتخاذ الاطعمة والاشربة وغسل الاعيان النجسة وسقي الزروع
والرياض والاشجار واحياء الفلاة فاذا كثر هدم البنيان وقلع
الاشجار وافسد الزروع وشق الانهار وبسد الطرق واغرق
الناس وكذا المال القليل يكفي به المؤن وتقام به المصالح ويتزود به للمعاد
فاذا كثر اورد الطغيان وولد العصيان واورث البغضاء والشنآن
واكثر الاعداء والحساد وقيل اذا قل الماء اجرية حيث شئت وفي الحيوة
والعمارة واذا كثر جرى حيث شاء فيه الخراب والاماتة فكذا حال المال وعلى
هذا جميع الامثال **قوله** كمثل الذي استوقد ناراً اى اشعل
ناراً يقال وقدت النار وقودا اى اشتعلت واوقدها غيرها واستوقدها اى اشعلها
والوقود الحطب لانه تشعل النار والوقد النار ووقدة الحر شدته والاستيقاد
هنا كالايقاد بمنزلة الاستيقاد والايقاب والاستخراج والاخراج
والاستذهاب والاذهاب وكذا قال الاخفش ان معناه كمثل الذي اشعل
ناراً بنفسه ويقال استوقد اى سأل غيره ان يوقد فان سين الاستفعال
للطلب السؤال واختلفوا المراد في بهذه الآية قال ابن عباس في رواية
سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطاء ومقاتل بن رباب هم اليهود كانوا قد
بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وكانوا يستفتحون على الذين كفروا فلما بعث
نار الحقارة للام فطفئت فعل هذا جاء عنهم في قوله ذهب الله بنورهم

اى ارسل عليها ريحا عاصفا فاطفاتها وهو ما جاء صفة اليهود في اية
اخرى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها وقال مقاتل وقتاده والضحاك
والسدى والكلبى وهو قول ابن عباس وابن مسعود الاية في المنافقين
امنوا بالشهادة كما امن صاحب النار في المقالة ثم زال ذلك بالموت
ثم انما قال كمثل الذى استوقد على الفصل ان كان قوله مثلهم على الجمع
لوجوه احدها انه معناه مثل كل واحد منهم كمثل المستوقد وهذا كقوله
ثم نخرجكم طفلا ولم يقل اطفالا والخاطب الجمع لان معناه نخرج كل واحد
منكم طفلا وقيل هو اسم جنس يصلح للواحد والجمع وقيل الموقد
للجمع يكون واحدا والمستضيئون كثيرا وقيل هو مثيل فعلهم لاعيانهم
ومعناه مثل فعل المنافقين كمثل فعل المستوقد وكلا الفعلين واحد واضمار
الفعل في الاسم جائز كما في قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اى كخلق
نفس واحدة وبعثها وقوله فلما اضاءت ما حوله اى
انارت والضوء النور وضاء اى نار واضاء يكون بمعنى ضاء ايضا لازما
ويكون متعديا بمعنى نير وهو في قوله كلما اضاء لهم لازم ويكون ضاء واضاء
واحدا كقولهم نار وانار بان وابان وفي هذه الاية فلما اضاءت ما حوله
متعدى لانه ذكره بالتاء ومعناه فلما نورت النار المواضع التي حولهم
هذا المستوقد ولو كان لازما لكان يقول فلما اضاء ما حوله لان ما مذكر
قال قالوا اهل بين الضوء والنور مغايرة او هما شيء واحد فان كانا غيرين
فلم ابنيا جميعا في شيء واحد هنا قيل فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
فان كانا واحدا فلم يغاير بين الكلمتين قلنا هما واحد هنا وانما ذكرهم
جميعا لانه اعذب لفظا واحسن نظما وابلغ في الفصاحة والطف في العبارة
من الاعادة بلفظ الاول ودليل اتحادهما قوله في صفة نور المعرفة يكاد
زيتها يضيء وقال بعده على نور وقال في التوراة ولقد اتينا موسى وهارون

الفرقان وضياء وقال عنهما ايضا انا انزلنا التورية فيها هدى ونور
وقوله ما حوله اى جهات المستوقد يقال حوله وحوليه
ذهب الله بنورهم اى اذهبه والذهاب والذهوب الاستلاك والمذهب
الطريق والذهاب الزوال ايضا قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اى ليزيله وذهب لازم ويصير متعديا بالباء كما قال اتى وجاء
واتى به غيره وذهب هو وذهب به غيره والنور هنا ضوء النار التي
اوقدوها وانما لم يقل بنارهم وان كانت هي المذكورة قبلها لان للنار شيئين
حرارة ونورا والله تعالى اذهب النور وبقي عليهم الحر المحذور والامام ابو منصور
شمر الى ان معناه اذهب الله نور بصرهم على ما نبين وقوله
وتركهم اى خلاهم في ظلمات هي جمع الظلمة وجمع على الظلم والظلمات والظلمات
بضم اللام وكذا الحجرات والغرفات وهي الظلمات المحيطة به من كل جهة ففي كل
جهة ظلمة ومن الجهات ظلمات واما تفسيره فقد قال الحسن نور القرآن
الذي اظهره للرسول والاسلام قطعه الله عنهم بالموت في قبورهم وقال
الاصم ذهب الله بنورهم بسود وجوههم في الاخرة عقوبة لهم وقيل
معنى تركهم في الظلمات اى لم يأتهم بضياء يبصرون به وقيل اى لم يخرجهم
منه كما يقال تركت الدار اى لم يخرجه منها وهذا رد على المعتزلة فانهم لا يقولون
بخلق افعال البشر من الله والصحيح من التاويل عند اهل السنة والجماعة
وتركهم اى جعلهم في الظلمات وهو كقوله فتركه صلدا اى جعله صلدا
وقوله لا يبصرون اى لا يبصرون ما حولهم لذهاب النور
عنهم فما قال وتركهم في ظلمات لا يبصرون بالجمع مع ان المذكور في اول الآية
الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله وهو واحد لما مر ان الموقد
واحد والمصطلون جمع او اريد بالواحد الجمع من الوجه الذي مر وهو
كقوله والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وقوله بلى

من اسلم وجهه لله وهو محسن ثم قال ع اخره ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون ومعنى الاية ع قول ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل
والسدي مثل المنافقين في كفرهم ونفاقهم كمثل رجل اوقد نارا ع ليلة
مظلمة ع مفازة واستضاءها واستدفا بها وآمن ما حوله واتقى
ما حذر وخاف فامن فبينما هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي ع ظلمة خابفا
متحيرا فكذلك المنافقون اذا اظهروا كلمة الايمان واستنارو ابنورها
واعتزوا بعزها وامنوا بسببها فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم
وقسموا الغنائم وامنوا على اموالهم واولادهم فاذا ماتوا عادوا الى الخوف
والظلمة وبقوا ع العذاب والنقمة وقال الامام ابو منصور ع هذه الاية
كشف قوله الله يستهزئ بهم وهو خادعهم فانه فضحهم ع الدنيا والاخرة
لانهم طلبوا نفاقهم الامن فاعقبهم الله خوفا دائما كما قال يحسبون كل صيحة
عليهم هم العدو وقال رايت الذين ع قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر
المغشي عليه من الموت الاية وقال فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك
تدور اعينهم الاية وقال الخذر المنافقون ان تنزل عليهم الاية ولانهم طلبوا
بالنفاق رضا الفريقين والشرف والعز فيهم فعلم الفريقان جميعا ذلك
فطردوهم قال الله تعالى ما هم منكم ولا منهم وقال لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء
فزال الشرف والعز وجاء الهوان والذل فمثلهم كمثل مستوقد النار
ليستضيء بها وينتفع بحرها فاذهب الله بضوئها فذهب ما كان يامل
الاستضاءة بضوئها والانتفاع بحرها واعقبه خوف الاحراق لودنا
منها وذهب الانتفاع بحرها ع البرد واصلاح الاغذية بها بذهاب البصر
واما ع الاخرة مما دلنا من جواب المؤمنين لهم عند اقتباس النور وضحك
المؤمنين منهم وهم ع النار وقوله صم الصم انسداد
حروف المسامع والاصم الصخر الاملس والجذر الاصم اصل الحساب الذي

لا يصل الى معرفته العباد والقناة الصماء التي ليست بجوفاء والصماء
الداهية والصمة الشجاع والصمة الاشد وقارورة مصمتة اي
مشدودة وصمامها شدادها واصل كله الشد والسد والاصم النعت
من الصمم وجمعه الصم وكذلك فعل كان نعتا ما هو خلقة فجمعه الفعل
ومثله البكم والعمي فان كان اسما فعل الافاعل يجمع كالارنب والارانب والاعجم
والاعاجم فان كان نعتا ما هو فانه على الفعلى كالاعجف والعجفى والاحمق
والحمقى وقوله بكم فالبكم هو الخرس وهو افة اللسان
لا يمكن معها ان تعتمد مواضع الحروف وقيل البكم هو الذي يولد اخرس
وقيل هو الخرس مع ذهاب الفؤاد وقوله عمي فالعمى ذهاب
بصر العين والعمى ايضا الجهالة والعمى الخفاء ايضا والتعمية الاخفاء والبعث
من البكم الابكم وجمعه البكم ومن العمى الاعمى والعين وجمعه العمى ومن العلب العمى
وجمعه العمون قال تعالى بل هم منها عمون ثم رفع هذه الكلمات باضمار كلمة
هم اي هم صم بكم عمي وقرا عبد الله بن مسعود صما بكما عميا على ثلاثة اوجه
احدها ونركهم صما بكما عميا والثاني على الذم والثالث على الحال
وانتصب على قتادة اي صم عن استماع الحق بكم عن التكلم به عمي
عن ابصاره وقيل اي تتصامون يتباكمون وتتعامون مع بيان
الالات والاعراض عن الحق الذي قامت على حقيقته الدلالات وقد قال
قابلهم قل ما بدا لك من زور ومن كذب حلمي اصم واذني غير صماء
وقيل معناه كانهم صم بكم عمي فانهم لا يسمعون بهذه الالات مع وجودها
وكانهم عدموها وهذا كما يسمى الكافر ميتا لانه لا ينتفع بحياته لما وصفوا
بهذه الصفات في الدنيا عوقبوا في القيامة بجنسها قال تعالى ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما فلا يسمعون بسلام الله
ولا يخاطبون الله ولا يرونه والمؤمنون كانوا سامعين الحق قابلين الحق ناطقين

الى الحق فيكرمون يوم القيامة بخطابه وسلامه ولقائه وقوله
فهم لا يحسون الرجوع الا انصراف والرجع الصرف فيكون رجع لازما ومتعديا
والرجاع رجوع الطير بعد وقوعها اى خروجها من بلاد البرد الى
بلاد الحر والارجاع بمعنى الابل وحسن حالها بعد هزالها ورجعة الزوج
في المطلقة بفتح الراء وكسرها والرجعى الرجوع والمرجوع جواز الرجلة
وتغيير هنا لا يرجعون الى الحق وقيل اى عن التعامي والتصام
والتباكم وقيل الى دونه الحق وسماعه والتكلم به وقيل الى جواب
الله وافادت الاية انهم كانوا يستطيعون الرجوع باستطاعة سلامة
الالات حيث استحقوا الذم بتركه وان قوله صم بكم عمى ليس بنفي الالات
بل هو نفي تدبرهم استعمالها ثم ان الله تعالى ندب الخلق الى الرجوع اليه
بالاستعداد بامره والانتهاء بنهيه بقوله وكذلك نفصل الايات ولعلهم
يرجعون ثم لم يرجع اليه احيانا رجعوه اليه اجبارا بالموت والبعث
قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون فيه الى الله ومرجع
اليه في الدنيا بفعله وحقق ذلك بقوله انا لله وانا اليه راجعون
كان رجوعه اليه بالكرامة وخاطب بقوله يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي
الى ربك راضية مرضية الاية وقوله او كصيب
من السماء او في القرآن لثلاثة عشر معنى احدها للشك قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم وللتشكيك ان مات او قتل وهذا غير الاول هذا اخفا
الحال على السامع من غير سؤل من القائل وللتخيير ككفارته اطعام عشرة مساكين
الى قوله او تحرير رقبة وللاباحة مثل ادعوا الله او ادعوا الرحمن وهذا غير التخيير
ذلك بيان الواجب احدها لا الكل وله الخيار وفي الاباحة له ان يفعلهما
او يفعل احدهما وللتفصيل اما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية كل
عقوبة منها لجناية غير الاخرى وبمعنى الواو قال بعضهم اذكروا وخشوا وبمعنى

بل كلمح البصر او هو اقرب وبمعنى ولا قال ولا تطع منهم آثما او كفورا
وبمعنى حتى ليس كل من الامرين اوتوب عليهم ولذلك شيئين يعلق
الحكم بايهما وجد وبهما ان وجدا فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة
او تعلق للدخول بين المذكورين وللحق بهما مذكورا ان بهما كلمة او ايضا
والمراد تعيين احدهما لاحدهما وبعض الاخر للاخر اوانا او اياكم لعلى هدى او في
ضلال مبين اي انا لعلى هدى وانكم لفي ضلال وللتكرير امرين ونوهم انه
مخير بينهما وباح له كلاهما والمراد به انه لو فعلهما لم ينفعاه ولو فعل
احدهما لم ينفعه اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم ولاحتمال
وجهين او وجوه مما يستعمل فيه كما في هذه الاية او كصيب يحتمل ان يكون
للتخيير اي ان شئتم فاجعلوا مثل المنافقين كمثل المستوقد نارا وان
شئتم فاجعلوا مثلهم كمثل اصحاب صيب يجوز ان يكون بمعنى بل ويجوز
ان يكون للتفصيل فالتشبيه الاول لشيء والثاني لشيء اخر على ما
بين وقوله كصيب فالكاف للتشبيه وهو احد
اقسام البلاغة وهو ابلغ في المعنى واوقع في القلب واعذب في السماع
واوصل الى المراد وهو في القرآن كثير كشجرة طيبة كسراب كرماد
اشتدت به الريح كمثل صفوان كمثل الكلب وليل كالانعام في البحر
كالاعلام كانهم اعجاز نخل كمشكاة فيها مصباح كانها كوكب دري كمثل
حبة انبتت سبع كمثل جنة بربوة كما انزلناه كمثل عيث كانهم جراد
منتشر كالعهن المنفوش وردة كالدهان طلعها كانه رؤوس الشياطين
يغاثوا بماء كالمهل كانهم لؤلؤ مكنون كانهن بيض مكنون كانهن الياقوت والمرجان
والصيب المطر من قولهم صاب يصوب صوبا اي نزل
قال فلست انسي ولكن ملاكا تنزل من جو السما يصوب
يصوب والصيب السحاب ايضا قال ابو دواد بقرا رفيقان

سقاها صيبت واه فاجم بزهه ما يقلع والصيب اصله صيوب
صارت الواو ياء لوقوعها بين ياء وكسرة وادغمت كالسيد والجيد
وتفسره ها هنا والمطر في قول ابن عباس وابن مسعود وقد
قال بعضهم كسحاب لانه قال فيه ظلمات ورعد وبرق وذلك في السحاب
لا في المطر وسمي السحاب صيبا لان الصيب منه وهو المطر الذي يصوب
اي ينزل وقوله من السما والسما اللعه سقف
الدنيا والسما السحاب ايضا والسما المطر ايضا والسما سقف البيت
والسما طهر الفرس ايضا وهي في القران على وجوه ذكرت للسموات السبع
ثم استوى الى السما فسوهن الاله وللسما تاليا او لم ينظروا الى السما
فوقهم وللسحاب انزل من السما ماء وللمطر يرسل السما عليكم مدرارا وللهوا
اصلها ياء وفرعها في السما ولسقف البيت مليحد وسبب الى السماء
ولسما الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض ولسما جهنم خالدين
فيها ما دامت السموات والارض ويفسر ها هنا اي من السما الدنيا وقوله
من السحاب ثم جعله مطرا امكنه صرفه لاكل واحد منهما والتوفيق بين السببين
ان المطر من السحاب عيانا وهو من السموات اصلا قال تعالى الم تر ان الله يزجي
سحابا ثم يولف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وروى وهب
بن منبه في المسند عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال تحت العرش بحر
ينزل منه ارزاق الحيوانات بوحي الله تعالى اليه فيمطر ما شاء من سماء
الى سماء حتى ينتهي الى سما الدنيا فيوحي الى الريح فتحمله فتبثه في السحاب
والسحاب بمنزلة الغربال ثم يوحي الى السما ان غربله فيغربله فليس من قطرة
يقطر الا ومعها ملك يضعها موضعها ولا من السما قطرة الا بكيل معلوم ووزن
الا ما كان من يوم الطوفان فانه نزل منهمرا بغير كيل ولا وزن وقوله

فيه ظلمات هي ظلمة الليل والسحاب والمطر ويقال ما يسترء السحاب
والما من نور الطوالع وقوله ورعد وبرق اما الرعد فقد سئل
وهب بن منبه عن الرعد فقال الله اعلم فقال معمر سألت الزهري
عن الرعد ما هو فقال الله اعلم وسألت عبد الله بن عمر عن الرعد
فقال ملك وكله الله بسياقة السحاب فاذا اراد الله تعالى ان يسوق الى
بلد امره فساقه فاذا تفرق عليه زجره بصوته حتى يجتمع كما يزداحكم
ركابه ثم قد يسبح الرعد بحمده والملايكة من خيفته وعن جماعة
من الصحابة انهم كانوا اذا سمعوا الرعد قالوا سبحان من يسبح الرعد
بحمده والملايكة من خيفته وعن سهر بن حوشب ان الرعد ملك بحدة
السحاب كما يحث الراعي الابل وكما ينعق الراعي بغنمه فاذا ارفق سحابه
ضمها فاذا اشتد غضبه طار من فمه النار وهي الصواعق وقال قتادة
الرعد خلق من خلق الله سامع مطيع وقال ابن عباس ليس شي احسن منطقا
ولا احسن ضحكا من السحاب قالوا ما منطقه وما ضحكه قال منطقه الرعد
وضحكه البرق وقال ابن عباس رواية الرعد ريح تخنق بخ السحاب
فيتصاعد فيكون منه ذلك الصوت وقيل الرعد صوت اصطكاك
الزجام وهو من الرعدة لانه صوت يرتعد اي يضطرب وارعدت
فرايصه عند الخوف من هذا والرعديد الجبان لارتعاده من خوفه
والبرعد يدة الماء اللينة الا عضا من ذلك والبرق هو ما ينقدح من
اصطكاك الزجام عند هولاء وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو ضرب
الملك الذي هو الرعد السحاب بمخراق من حديد وقال ابن عباس والضحاك
هو سوط من نار يزجر به الملك السحاب وقيل هو تلألؤ الماء وقال
مجاهد ومحمد بن مسلم الطايفي البرق ملك له اربعة اوجه وجه انسان ووجه
ثور ووجه نسر ووجه اسد فاذا امتع باجنحته وذلك البرق والمصع

التحريك والضرب وقال شعب بن الحبحاب وجدت في كتاب الله تعالى
ان حملة العرش لكل ملك منهم وجه انسان ووجه ثور ووجه اسد
ووجه نسر فاذا حمدوا الله جمعتهم فهو البرق في على كل هذه الاية والرعد
والبرق المذكوران في هذه الاية الصوت والنار الذي تلمع في السحاب
فان كان الرعد والبرق اسمين للملك وملكين فقد اردنا ما ذكرنا في هذه الاية
صوتهما واثرهما اعنيهما وفي قصة المعراج من رواية ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم
ثم مررت على ملك يشبه الادمي خلقا نصفه من الثلج ونصفه من النار ويقول سبحان
الذي ان بين الثلج والنار سبحان الذي يولف بين عباده المومنين فعلمت ما حمل
ما هذا الملك قال هذا ملك خلقه الله تعالى بقدرته كما تراه ووكله على السحاب
يسوقه من موضع الى موضع واسمه رعد ومنه الرعد والبرق يعني بسياقه
السحاب يظهر الرعد ويعنفه على السحاب يظهر البرق الم تسمع الله تعالى يقول
الم تر ان الله يزجي سحابا الاية وقال في كتاب حقايق قال ابن الريحاني
الرعد صعقات الملايكة والبرق خرقاتهم والمطر بكاؤهم فان حمل
هذا الكلام على الظاهر فالملايكة موصوفة بالخشية والخيفة قال الملايكة
من خيفته وهم من خشيته مشفقون وبكاؤهم شديد ايضا حكاه
النبي صلى الله عليه وسلم انه رايهم ليلة المعراج باكين اهل كل سما الى العلو
اشد اثرا من الذين دونهم فجوز ان يكون ما يرى من الهوا هو منهم الى
السما فان حمل على التمثيل فله وجه اي كما يسمعون صوت الرعد فاعلم
ان صياح الملايكة في الخوف كذلك وكما يرون لمعان البرق فلمعان نيران
اسواقهم كذلك وكما يرون نقاطر الامطار فدموعهم كذلك وهذا حالهم
مع انهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وهم عباد مكرمون
وهم من خشيته مشفقون فكيف ينبغي لنا ان نغفل مع هفواتنا وخطايانا
وقوله يجعلون اصابعهم قيل يضعون وقيل يدخلون

القرآن ج

ودلت هذه الكلمة وهي فعل الجمع ان المراد من قوله او كصيب وكاصحاب صيب
حتى يعود هذا فعلا لهم والاصابع جمع اصبع وفيها خمس لغات اصبع بفتح الهمزة
وكسر الباء واصبع بفتح الباء واصبع بضم الباء واصبع بكسر الباء واصبع
بفتح الباء وهي اشهرها وهو احدى اصابع اليدين والرجلين والاصبع والانمل
مونثة سماعا قال النبي صلى الله عليه وسلم في دجلة في بعض مغازيه هل انت
الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت ودلت الاية ان اطلاق اسم الشي
على بعضه جايز مجازا فانه ذكر جعل الاصابع في الاذان والمقصود بعضها
لا كلها ومعنى هذا يسدون اذانهم باصابعهم خوفا من الرعد وقوله
في اذانهم هو جمع اذن وهي الجارحة السامعة وقد اذن يأذن اي سمع
قال تعالى واذنت لربها اي سمعت مطيعة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما اذن الله لشي كاذنه لنبي يتغنى بالقران والاذان الاعلام بالاسماع يقال اذن
اي علم اذ سمع ورجل اذن يسمع كل قول ويقبله وقوله من الصواعق
هي جمع الصاعقة وهي الصوت مع النار وقيل هي صوت الرعد الشديد
الذي يصعق منه الانسان اي يغشى عليه او يموت وقيل هي نار تلاقي الارض
لها وقيل هي عذاب ينزل من السما يموت منه اكثر ما سمعه وقيل الصاعقة
والصاقعة واحد وهي من الصقع اي الضرب وهو الصوت ايضا والصقع
البرد المحرق للنبات والصقع بالفتح العشي ايضا وقيل في الصاعقة
وهو اجمع ما قيل فيه هو الشديد من صوت الرعد يقع معه قطعة نار تحرق
ما اتت عليه وهو المراد هنا وقد ذكرت الصاعقة في القران لاشيا للنار
في قصة بني اسرايل وقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة
والرجفة في قصة عاد مثل صاعقة عاد وثمود للصيحة في قصة هود واما ثمود
فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذهم صاعقة العذاب لمطلق العذاب
قال اعرضوا فقد انذركم صاعقة وللعذاب النازل من السما مرسل الصواعق

وقرئ يخطف بكسر الياء والحاء والطاء وقرأ بعض اهل المدينة يخطف
بسكون الخاء وتشديد الطاء وقرأ الاكثر يخطف فاما وجه تشديد
الطاء فعلى ان اصله يختطف فادغمت التاء في الطاء واما كسر الحاء فلالتقاء
الساكنين فحرك الاول بالكسر كما في قوله لم يكن الذين واما كسر الياء فاتباعها
للخاء واما فتح الخاء فلتنقل حركة التاء المدغمة اليها وقوله كلما اضاء
لهم لجوا فيه اضاء للازم وللمتعدي ومعنى الاول كلما اضاء لهم البرق مع مشيهم
كلما اضاء البرق الطريق لهم وقوله مشوا فيه المشي السير السهل
والمشي بالتشديد والمشوا الدوا المسهل والمشي في القرآن لمعان للسير
كما في قوله يمشون مطمئنين وللمضي كما في قوله فامشوا في مناكبها وللاهتداء كما
في قوله وجعل لكم نورا تمشون به وللاخبار كما في قوله فمنهم من يمشي على بطنه وللتنعم
كما في قوله مشائيم وتفسيره هنا كلما نار البرق فاناره الطريق مضوا
في ضوئه فاذا انقطع وقفوا وقوله واذا اظلم عليهم قاموا والقيام
الانتصاب قال الله تعالى فمنها قائم وحصيد والقيام الاستواء وتركوك
قائما والقيام النهوض اذ قاموا فقالوا والقيام البقاء وامانة ان يقوم
السماء والارض بامره والقيام الوقوف واذا اظلم عليهم قاموا اي واذا زال
الضوء وجاء الظلام وقفوا وقوله ولو شاء الله لو كلمة شرط والمعلق
به ممتنع بامتناع شرطه وقد يكون للتمني كما في قوله لو ان كرة فاكون من المحسنين
والمشية الارادة وقوله لذهب بسمعهم وابصارهم اي لاذهبها فالباء
قد تتبع بالب ايضا ثم وكد السمع على الوصف والابصار بالجمع لما مر في قوله
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم وتفسير هذه الكلمات ولو شاء الله
لذهب بسمع رؤسهم وابصار رؤسهم كما ذهب بسمع قلوبهم وابصارها وقيل
ولو شاء الله لجعلهم صما عميا في الاخرة كما جعلهم كذلك في الدنيا وقيل ولو شاء الله
لذهب بأعيان الاسماع والابصار منهم كما ذهب بمنافع الاسماع والابصار منهم ولكن يعرفهم

فصب بهامن يشاء بصوت الرعد كما في هذه الاية وقوله من الصواعق
اي من قبيل الصواعق وبسببها او فيه مضمر تقديره لجعلون اصابعهم
في اذانهم حذرا من الصواعق وحذفا منها والالف واللام في الصواعق عوض
الرعد او صواعق الصيب وهو كقوله فان الجنة هي المأوى اي ماواه
وقوله حذر الموت الحذر المخوف الباعث على التحفظ والتيقظ
ورجل حذر وحذرة من قوم حذرين وطير حذرى اي يحفظ شربه والتقاط
حبه والموت زوال الحيوة ونصب حذر على انه مفعول له اي لاجل حذرهم
من الموت يجعلون كذلك وقوله والله محيط بالكافرين الاحاطة
ادراك الشيء بكماله من كل جهاته ويستعمل في العلم بالشيء من كل وجوهه فالله احاط
بكل شيء علما والاهلاك الشيء بكليته واحيط بثمره الا ان يحاط بكم اي يهلكوا جميعا
ويقال هنا عند بعضهم اي بميتهم ان شاء فاذا في حذرهم وقيل
اي هو عالم بالكفار فيطلع رسوله على افعالهم وقيل اي عالم بهم فيجازيهم يوم القيامة
باعمالهم وقيل اي يجمعهم في جهنم بما فعلوا وفي قوله والله من ورائهم محيط
اي لا يخرجون من ملكه وقدرته وعلمه وقوله يكاد البرق كاد يكاد
مكادة اي قارب يقال كاد يفعل كذا اي قرب ان يفعل ولم يفعل واذا
قلت ما كاد يفعل فمعناه قرب ان لا يفعل وفعل فهو مثل عسى الا ان عسى
يوصل بكلمة ان وكاد يستعمل بغير ان وقد استعمل ايضا مع ان واللغة
الفاشية هي الاولى وفي القرآن كدت تركن قالوا اذا اوصل كاد بان فهو شبيه
بعسى فاذا استغنى عن عسى فهو سببه بكاد قال الله تعالى في عسى يعسى
ان ياتي بالفتح وقال في كاد يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يكد يراها
وقوله يخطف فالخطف الاستلاب سرعة مر حد علم ورجل خطيف
سريع المر والشيطان يخطف السمع ان سترقه والبرق يخطف البصر
اي يسلبه وقرأ الحسن يخطف بفتح الياء وكسر الحاء والطاء وقرئ يخطف

هذه الاقاويل اندفع سوال من سال فقال لما قال صم بكم عمى فقد نفى السمع
والنطق والبصر عنهم فما معنى تعليق اذهابها عنهم بالمشية لانا نعقل ما انتفاء
عنهم غير ما علق اذهابه عنهم بالمشية ومعلوم ما ذكرنا وقوله ان الله
على كل شى قدير كل كلمة استثناء تتناول جميع ما دخل فيه والشى اسم لكل
موجود وهنا اسم لكل موجود مخلوق لانه هو الذى يجوز دخوله تحت القدرة
والقدير القادر كالعلم والعالم والصفة القدرة والمقدرة والاقتدار اساءة
القدرة واقتدر فهو مقتدر بمعنى قدير فهو قادر ونفس هنا
انه على كل شى قادر وانما ذكر قبله اذهاب السمع والبصر لانهما المذكوران
فى القصة فالرعد يوثر فى السمع والبرق يوثر فى البصر والله قادر على ان ينتهما
فى هذه الحالة وقادر على كل شى فى كل حالة فاما تاويل جمل هذه الايات ففيها
اقاويل منها ما روى انه كان رجلان من المنافقين خرجا من المدينة هربا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين فاصابهما هذا المطر الذى ذكر
الله تعالى فيه رعد وبرق كلما اضاء لهما البرق جعلا اصابعهما فى اذانهما من القرق
فاذا لم يلمع لم يبصرا فكانا لا يمشيان فجعلا يقولان ليتنا اصبحنا فناتى محمدا
فنضع ايدينا فى يده فاصبحا فاتياه فاسلما فضرب الله مثلهما للمنافقين بالمدينة
وقال ابن عباس والضحاك وعطاء على بن طلحة ومقاتل والكلبى وجعفر بن محمد الصادق
هذا مثل القرآن اى مثل المنافق مع القرآن كمثل مسافر اصابه مطر فشبه
القرآن بالمطر لان فى القرآن حيوة من آمن به وفيه ظلمات ذكر الكفر والوعيد عليه
وذكر المعاصى وهو كالرعد وفيه الوعد على الايمان والطاعات وهو كالبرق
وجعل الظلمات بيان الغث والرعد الزجر والتخويف والبرق بيان البصر
والطفر وجعل الرعد المشابهات والبرق المحكمات وقيل الرعد
بيان المحرمات والوعيد عليها والبرق بيان المحللات والوعد عليها
يجعلون اصابعهم فى اذانهم ينفرون عن الجهاد وسائر الاوامر كان لم يسمعوا قط وهم
يسمعوا

ما تدل عليه شانهم والامر بتعلم وفعل يجعلون اصابعهم فى اذانهم حقيقة
كيلا يسمعوا القرآن لكاد حجج القرآن تبهر العقول وتجذبها الى نفسها لوضوحها
وفضل يكاد القرآن يدل على عوراتهم وفضل يكاد بيان القرآن يذهب
بضلالتهم كلما اضاء لهم مشوا فيه كلما تفكروا فى المحكمات قصدوا ان يؤمنوا
بالقرآن واذا استبهت عليهم المشابهات اعرضوا وكفروا وقيل
كلما تمسكوا بالمشابهات ليحتجوا بها على المرمى انقطعت حجتهم بالمحكمات
فبقوا فى ظلمة كفرهم متحيرين ولو شاء الله بسمعهم وابصارهم عقوبة لهم
كما ذهب بسمع قلوبهم وابصارها خذلانا لهم انه قدير على ما اراد وقيل
هذا فى الذين امنوا فلما سمعهم الضرائر نزلوا وهم الذين ذكرهم الله فى قوله ومن
الناس من يعبد الله على حرف فاصابه خير اطمان به الاية فقال او كصيب
وشبه الاسلام بالمطر والنعمة فيه بالبرق والفتن والمحن فيه بالرعد يجعلون
اصابعهم فى اذانهم اى لا يحبون ان يسمعوا شيئا من الشدائد والبلايا كما
مايدونه من خوف المسلمين واصابة الغنائم يجرى قلوبهم الشبهات فاذا اظلم
عليهم قاموا اى واذا زال نفع الدنيا وقفوا ولو شاء الله لسلب ما فى
ايديهم وزادهم ذلا على ذلك انه على كل شى قدير وقيل المثل المثل لليهود
وذلك ان المسافر ينتظر المطر ليعم الطرق ويملا الحياض فينتفع به هو
ودابته ولا يتوقع الظلمات والرعد والبرق فكذلك اليهود كانوا ينتظرون
خروج نبينا عليه السلام ليتبعوه وينصروه على الاعداء فلما بعث وانسخ شريعتهم
والوعيد بالنار لم يكن على دينهم فالمطر مثال محمد والظلمات نسخ شريعتهم
والوعد الوعيد بالنار والبرق معجزات النبى عليه السلام يجعلون اصابعهم
فى اذانهم تفاديا عن الايمان مع ظهور الايات تكاد البرق يخطف
ابصارهم اى كاد ظهور دلايله يذهب ظلمة قلوبهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا
اظلم عليهم قاموا اى المسافر لو نظر الى البرق لابصر الطريق ولو غمض عينيه

حفى عليه الطريق وكذا اليهود لو تاملوا حال النبى صلى الله عليه وسلم لاهتدوا ولما اعرضوا بقوا فى الضلاله وقال الامام ابو منصور رحم الله
المثل لكفار عصر النبى صلى الله عليه وسلم الا ترى انه قال والله محيط بالكافرين
وكانوا صنفين اهل كتاب قد غيروه ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
وقال يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ومن اهل
الكتاب قوم ابتدعوا الكتاب كما قال ان منهم لفريقا يلوون السنتهم
بالكتاب واندرست الكتب الحق فصاروا فى ظلمة الضلاله وطهر منهم
القول المختلف المناقض الذى لا يحتمله الحكمة وصنف لا ينتحلون
الكتاب ولا يومنون بنبى بل يعبدون الاوثان والاحجار والنيران ليس لهم
من يدلهم على رشد فاحتاجوا الى من يخرجهم من الضلال الى الهدى ومن
الفرقة الى الايتلاف فبعث الله اليهم نبيا واكرمهم بالايات ليستنقذهم
به ان اطاعوه وكانوا كقوم بقوا فى ظلمات الليل والسحاب فتحيروا فكقوم
ابتلوا بشدة الجوع والعطش بالقحط والجدوبة فاغاثهم بالمطر فلقوا النعمة
بالشكر بنجوا من الهلكة وذلك مثل من اتبعه ومنهم من لقاه بالكفران
فشبه نبيه بالمطر اذ هو رحمة كالمطر وشبه ايمان من آمن به بضوء البرق
والمشى فيه وشبه عناد المعاندين بالرعد يكاد نور محمد وبركته يخطفهم
من العذاب مع كفرهم فلما اضاء لهم اى كلما طلع نوره وبركته سكنوا اليه
واذا اظلم عليهم قاموا اى واذا رفع محمد عذبوا بانواع العذاب لو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم اى بعذبهم ومحمد فيهم انه قدير على كل شى **وقوله**
يا ايها الناس قال الزجاج يا نداء اى اسم مبهم مبنى على الضم لانه معادى
مفرد والناس صفته وهما بنيا لانهما لازما اى وهو عوض عن الاضافه اى
لان اصل اى ان تكون مضافه فى الاستفهام وقال سيبويه عن الخليل المنادى
المفرد مبنى وليس بمعرب ولذلك لم ينون وصفته ومرفوعه رفع اعراب

ولذلك دخله الالف واللام قال الاخفش الناس صله لاى والله اعلم

الغافلين واحضار الغائبين وتحريك الساكنين وتعريف الجاهلين
وتقريع المشغولين وتوجيه المعرضين وتهييج المحبين وتشويق المريدين
وان الله نادى العاصين باسم المساكين ونادانا باسم المومنين يا ايها الذين
امنوا وباسم الانسانيه وهى المروه وحسن المعامله وصدق المجامله يا ايها الناس
وهو مدح ابتدا ونعت على ملازمه الانسانيه انتها وهو مشتق من الانس
ايضا اى ابصر فكانه قال يا ولى الابصار ومن الانس ايضا وهو مدح له
بالانس بذكر ربه ومن النسيان ايضا وهو عتاب وللقرن عذرا ما عتاب
فكانه يقول يا ايها الناسى نعمنا بالكفران فى امرنا بالعصيان واما
التلقين للعذر فكانه يقول يا ايها المخالف لنا ناسيا لا عامدا وساهيا لا قاصدا
عذرناك لنسيانك وعفونا عنك لايمانك والناس هنا يصلح اسما للمومنين
والكافرين والمنافقين واعبدوا ربكم امر لهم جميعا وقد سبق ذكرهم
جميعا ذكر المومنين فى اول السورة وذكر الكفار بعدهم وذكر المنافقين
بعدهم **وقوله** اعبدوا معناه ايها المومنون اطيعوا وايها الكافرون
وايها المنافقون اخلصوا وهو وجه انتظام هذه الايه سلك الايات
وقد مر فى تفسير العباده اقاويل وذكرها قولا واحدا وهو ان العباده
استفراغ الطاقه فى استكمال الطاعة واستشعار الخشيه فى استبعاد
المعصيه وقوله ربكم اى الهكم ومالككم ومربيكم **وقوله** الذى خلقكم
الخلق فى اللغه التقدير قال **الشاعر** ولانت تفرى ما خلقت
وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى ومنه قوله اذ تخلق من الطين والخلق الايجاد
والخلق الافتراء فقوله ان هذا الا خلق الاولين والاختلاف كذلك فقوله ان
هذا الا اختلاق والخلق المخلوق فى قوله هذا خلق الله والخلق المخلوقون
فى قوله وهو بكل خلق عليم والخلق البعث بعد الموت فى قوله قادرا على

بلغ

ان يخلق مثلهم ويقدر خلقكم هنا او جدكم فهو المستحق لعبادتكم وهى
العمل له على الخلوص بالخلوص قال الامام ابو منصور العبادة جعل
العبد كليته لله قولا وعملا وعقدا قال ثم الدين وقرر معنى
التخليق بان كرر فى القرآن من كل طريق اخبر انه هو الخالق فقال
خالق كل شئ وانه الخلاق وهو الخلاق العليم وانه احسن الخالقين
فتبارك الله احسن الخالقين وانه خلق كل شئ فقال وخلق كل شئ
وانه خلق ما يشاء فقال وربك يخلق ما يشاء ويختار
وخص بعض المخلوقات بالذكر ومنها السما فقال خلق السموات بغير
عمد ومنها الارض فقال انكم لتكفرون بالذى خلق الارض وجمعهما فقال
خلق السموات والارض والليل والنهار فقال فهو الذى خلق الليل والنهار
والشمس والقمر وذكر الجن والانس فقال ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وخص الجان فقال وخلق الجان من مارج من نار وابليس خبر عنه
خلقتنى من نار والملايكة فقال ام خلقنا الملايكة اناثا وادم فقال وبدا
خلق الانسان من طين وحوا وخلق منهما ازواجا واجنا فقال
ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا واولاد ادم وحوا فقال خلق
من ماء دافق والنبات فقال ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظم لحما ثم انشاناه خلقا اخر وقال خلقا من بعد
خلق فى ظلمات ثلاث واثنى على نفسه به فقال فتبارك الله احسن
الخالقين لانه احسن التخليق فقال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم
ثم ذكر خلق اعمالهم فقال الله خلقكم وما تعملون وخلق اسرارهم
فقال انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وذكر خلق الذكر والانثى وخلق
الانعام لاجلهم فقال وخلق الانعام خلقها لكم الايات وكذا اكل الحيوانات بعضه
والله خلق كل دابة من ماء الى قوله يخلق الله ما يشاء وذكر الدواب فقال

قال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا وذكر الجمادات
فقال والله جعل لكم مما خلق ظلالا وذكر خلق ما لا يعلم فقال ويخلق ما لا يعلمون
وذكر خلق الموت والحيوة فقال خلق الموت والحيوة ثم ذكر انه ما خلقنا
عبثا فقال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وذكر انه
خلق وانه رزق وانه يحى وانه يميت فقال الله الذى خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم واذا كان هذا كله منه كان استحقاق عباده الحاله فقال
اعبدوا ربكم الذى خلقكم **وقوله** والذين من قبلكم الواو للعطف
اى وخلق الذين من قبلكم واستحق عبادكم وامرهم ايضا بعبادته فقال
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
وفى قوله والذين من قبلكم دلالة على شمول القدرة والصنعة وشبهه
عن سنة العقلاء انهم كانوا امضوا وجاوا وانقضوا ولا تنسوا مصيركم ولا
تستحيوا والتصيركم **وقوله** لعلكم سقوط على لعل فى اللغة
كلمة ترجح مما لا يعلم العاقبة وهى ترجيه من الله تعالى لانه لا يخفى عليه خافية
وهى كلمة كيف للتحقيق منا وللتحقيق من الله تعالى **وقد** ستتهما ترجى اميد داسيز وترجيد باميدم
وداشتن تعجب شكفت وداشتن وتعجيب شكفت داشتن ومعناه اعبدوا
ربكم راجين للتقوى وللتقوى هنا معنيان التقوى فى الدنيا عملا والتقوى
فى الاخرة املا ففى الدنيا الاتقاء عن الشرك ان حمل الامر بالعبادة على التوحيد
والاتقاء عن الذنوب ان حمل كل على الطاعات والاتقاء الاخر هو الاحتفاظ
عن النار وسايد العقوبات وهذه مخاطبة لطف يقول الرجل لاخر لا اراك
بالحقوة لعلك ترجع الى الصفوة والله تعالى يقول كذلك اندناه فرانا عربيا
وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون
شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون كذلك يتم نعمته عليكم
لعلكم تسلمون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون

ع العلقة مضغة فخلقنا

قد الاصمعى حقوت الرجل اذا خبرا حقوه حقوا اذا نقصه كذا صح

وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ومن العجب ذكره في حق فرعون وقوله له قولا ليّنا
لعله يتذكر او يخشى وكان الشبلي يقول في هذا لطف كيف بمن يقول انا ربكم
الاعلى فكيف لطفك بمن يسجد لك على التراب ويقول سبحان ربي الاعلى وهذا كله
على ما مر انه ترجمه ومعناه هنا انه قال لموسى وهارون اذهبا اليه وادعواه
الينا وانما على رجاء احاسه واعتذاره على جنايته والله تعالى قد علم لا يجيب
لكن امر بذلك الزاما للحجة واخفى الحال عليهما ليلا تقصر له الدعوة وقوله
الذي جعل لكم الارض فراشا هو صفة قوله ربكم ونعت موضح لكم
الارض وقيل خلق وبسط وجعل في القرآن لمعان للخلق وجعل
الظلمات والنور والانزال انا جعلناه قرآنا عربيا وللحبس الم نجعل الارض
مهدا جعلناه في قرار مكين اي حبسناه الى قدر معلوم الى وقت الولادة
وللوضع اجعلوا اصابعهم في آذانهم اي صفوا در ايمهم في جوانبها وللادخال
جعلوا اصابعهم في آذانهم وللجمع فهل نجعل لك خرجا وللبناء على ان نجعل بيننا
وبينهم سدا وللتمليك والتسليط فقال اجعلني على خزائن الارض وللقول والوصف
ولا تجعل مع الله الها آخر وللارسال واجعل لي وزيرا وللتحويل فجعلهم كعصف
ماكول وللتصيير فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وللترك وجعل وشاحا
عقما وللاعطاء وجعلت له مالا ممدودا وللاتخاذ فجعلهم منه حراما وحلالا
وللتسخير وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون وللرفع وجعلنا السماء
سقفا محفوظا وللبسط وجعل لكم الارض فراشا وقوله الارض التي
نحن عليها واستقرارها من انشاء الارض قوائم الفرس وهي اسافله وارضنا
التي يستقر عليها مستفله والارض الرعدة وارضنا فرتنزل وكانت
متزلزلة وقيل خلق الجبال عليها فجاءت الجبال لتوطيدها والارض الحقت
بالخبء كذلك ارضنا فقنها الماء والمرعى وعليها القرار والمأوى للاحياء والموتى
والاراضي البساط وهي بساطا والارض بفتح الراء الاتساع وارضا منتعة

والارضة دويبة تاكل العود وارضنا تارضا دفن فيها والتأريض
التأسيس والتأصيل وقال صلى الله عليه وسلم لاصيام لمن لم يبيت من الليل
وارضنا هي الاساس وقوله فراشا اي بساطا والفرش البسط
هو مصدر والفراش البساط وهو اسم لما يفرش اي يبسط والمرأة
فراش الرجل لانه يستفرشها قال تعالى في ازواج الجنة وفرش مرفوعة
ومظهر هذا الاسم للارض في القرآن المهد قال تعالى الذي جعل لكم الارض
مهدا وقال الم نجعل الارض مهادا وجمع بين المهد والفرش في آية وقال
والارض فرشناها فنعم الماهدون قال الله جعل لكم الارض بساطا
وقال امن جعل الارض قرارا وقرب من هذه الصفة ما قال والارض بعد
ذلك دحاها وقال الارض وما طحاها والدحو البسط والطحو البسط
والتوسيع وقال الى الارض كيف سطحت اي بسطت والارض مددناها
وقوله والسماء بنيناها على الاول اي وجعل السماء سقفا والسماء التي فوقنا
مشتقة من سما يسمو سموا اي علا وقد مرت وجوهه في قوله او كصيب
من السماء وهي يصلح للواحد كما في قوله ولقد زينا السماء الدنيا وللسموات
السبع كما في قوله ثم استوى الى السماء فسويهن وكونها للواحد ظاهر وللجمع
بطريقين احدهما انه جمع السماء كالعباء والعباءة والثاني انه جنس فيحسن
ان يتناول الكل وقوله بناء اي مبنيته فالفعال بمعنى المفعول
كثر منها الكتاب بمعنى المكتوب والفراش بمعنى المفروش والبساط بمعنى المبسوط
والمهاد بمعنى الممهود والبناء مصدر انصاف بمن بنى وهو في اللغة لبناء معان
للتركيب كما في قوله يا هامان ابن لي صرحا والرفع كما في قوله انتم اشد خلقا ام السماء
بناها وللوصل كما في قوله صلى الله عليه وسلم فليتصرف فليتوضأ وليبن على صلاته
فسمي السماء بناء لهذه الوجوه وهي انها مركبة مرفوعة موصولة والبنيان كالبناء
والكلمة في القرآن جاءت لاشيا للجماد وحده كانهم بنيان مرصوص وللرباط قال في قصة

اصحاب الكهف فقالوا ابنوا عليهم بنيانا وللمنطر ابنوا بكل بقعة ايه
وللمسجد امن اسس بنيانه وللاتون قالوا ابنوا عليهم بنيانا وللعمارة
البانه و الشاطين كل بناء وللسما والسما وما بناها وللمنازل الجنة اذ قالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ثم معنى ذكر خلق السماء والارض حمل الامر للعباد
خمسة اوجه احدها ان الله هو الذي قدر على خلقها فهو المستحق لان يكون
الها يعبد والثاني انه هو الذي يفرد بخلقها فعليهم ان يوحدوه ولا يشركوا
به شيا والثالث انه هو الذي انعم عليهم بجعل الارض بساطا لهم وموضعا
لاقدامهم وذللها يمشون في مناكبها والسما لهم سقفا منها يدل عليهم
البركات فعليهم ان يشكروا له بعبادته وطاعته والرابع انه على سبيل
الاحتجاج لان من الكفار من يعبد ما في الارض من الاوثان والنيران ومنهم من يعبد
ما في السما وهو الشمس والملائكة فقال جل وعز الارض والسما وما فيهما ملكي
وخلقي يكيف يجعلون ملكي شركاء في العباده والخامس انه على سبيل الوعيد
يعني السماء والارض ملكي بان شيت خسفت الارض بكم وان شئت القيت السما
عليكم كما قال افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السما والارض ان نشا
ان نخسف بهم الارض الاية **وقوله** وانزل من السما عطف على قوله
وجعل لكم وانزل من السما اي من السما التي هي سقف الدنيا او من السحاب في قول بعضنا
في قوله او كصيب من السما انه قيل لكل واحد منهما وقفنا بينهما ايضا
وقوله ماء اي مطرا والماء اصله الموه بدليل ان جمعه المياه والاصل فيه
وتصغيره المويه والفعل منه موه السكين واما هاء البير الا ان الواو
من الموه سكنت لحركة ما قبلها طلبا للتخفيف لانها معتلة ثم قلبت الفا
لفتحة ما قبلها كما في المال والحال والحبل فصار ماه ثم ابدلت الها بالهمزة
لتجانسهما كما في قولهم اياك وهياك وايهات وهيهات **وقوله**
فاخرج به الخروج حقيقته الانتقال من الحضر الى البعد والاخراج متعد

والاستخراج الاستنباط والتجارة من الورثة اخراج بعضهم شيا من التراث
ولخرج المسئلة ولخرج المعلم مغروفان والكلمة في القران كذلك وجوهها هذه الخمسة
التي مرت ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم وللنزول وترى الودق
يخرج من خلاله وللصعود يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وللظهور والله
مخرج ما كنتم تكتمون وللفراق وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وللرجوع الى الدنيا
فهل الى خروج من سبيل وللخلق والايجاد كما في هذه الاية فاخرج به من الثمرات
اي اوجدها ليس انها موضوعة في الاشجار فاخرجها منها وللمحو يخرج الموتى
والموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم وللاتخاذ فاخرج لهم عجلا
جسدا اي اتخذ وصاغ وللدعاء والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
من النور الى الظلمات اي يدعونهم من الهدى الى الضلالات وللتجارة ومن يتوالله
يجعل له مخرجا وللتغيير الصورة فاخرج منها فانك رجيم اي مصورة الملائكة وللذكر
كنتم خير امة اخرجت للناس اي ذكرت لسائر الناس **وقوله**
به اي بالماء الذي ذكره وهو المطر **وقوله** من الثمرات من كلمة تبعيض هنا
واصله للتبعيض وفي الجنيس معنى التبعيض لانه بعض الاجناس والثمرات جمع الثمر
واصلها الزيادة والنماء قال ثمر الله ماله اي زاده وكثره والفاكهة سمي ثمرة
لهذا ولكل ثمرة كل عين وعلم هو ما زاد عليه وجمع الثمر ثمر كاحمر فالها التي هي للتوحيد
ثمرة نبارا كالبلد جمع بلاد ثم الثمار يجمع على الثمر كالحمار يجمع على الحمر وهذه جموع
تكسير وجمع السلامة هو الثمرات ثم هي هنا المأكولات كلها من الحبوب
والفواكه وغيرها مما يخرج من الارض والشجر ويدل عليه قوله كلوا من ثمره
اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده والحصاد يكون للزروع وقد بسط الله تعالى
ما اختصر في هذه الاية اية اخرى فقال فهو الذي انزل من السما ماء فاخرجنا به
نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا الاية وقال انا صببنا
الماء صبا الى ان قال فانبتنا فيها حبا وعنبا الاية ثم الالف واللام في الثمرات

للتعريف وله وجوه احدها تعريف الجنس وهو لتعميم الكل والثانى انه لتعريف
المعهود وهو ما تعارفوه من الثمار والثالث لتعريف المعهود وهو الثمار
المخرجه من الجنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لما اهبط ادم علمه الله صنعة
كل شيء وزوده من ثمار الجنه فثمار كم هذه من ثمار الجنه الا ان ثمار الجنه لا تتغير
وقوله رزقا لكم قيل طعاما لكم وقيل قوتا وقيل غذاء وهى متقاربه
وقد مر تفسيره وتفصيله ع قوله ومما رزقناهم وحملته ان الله تعالى يعرف
الهم بذكر ما منّ به عليهم من خلق السماء لهم سقفا مرفوعا وانشاء لهم فرشا
موضوعا واخراج النبات لهم والمطر رزقا مجموعا ويقال اعقبهم عن منه الامثال
بان هيأ لهم ما لا بد منه فكافهم السماء غطاء والارض وطاء والمباحات رزقا
والطاعة حرفة والعبادة شغلا والوحدة مونسا والرب كافيا وقال ابو منصور
دلت الايه ان المقصود من خلق السماء والارض انزال الماء واخراج الثمرات وانواع
المنافع بنو آدم وهم المخاطبون فيها لانه قال جعل لكم وقال وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض وسخر لكم الليل والنهار وسخر لكم الفلك وكثير الايات اضاف ذلك كله الينا
ثم جعل بلطفه منافع السماء متصله بمنافع الارض على بعد ما بينهما فلا تخرج
الارض شيأ الا بما تنزل من السماء من الماء يعلم ان منشأها واحد لانه لو كان
منشأ هذا غير الاخر لم تتصل منافع هذا بمنافع الاخر على بعد ما بينهما وتوهم
خلاف احدهما للاخر فاذا كان كذلك فدل ان منشأها واحد لا شريك له
وقوله فلا تجعلوا لله اندادا جمع ند وهو المثل وكذلك النديد
والندلد قال ——— لكيلا يكون السندرى نديدتى واشتم
اعماما عموما عما العام جمع عم والعموم الطوال والعمائم الجماعات وقال
ابو عبيدة من قولهم ندّ ندودا وندادا اذا نفر وفسروها هنا ما قال
ابن عباس والحسن لا تصفوا لله امثالا وشركاء ملك ع بعض الالفاظ
اعدالا او امثالا وقال مجاهد وعكرمه عن ابن عباس لا تقولوا والغير الله وتحلفوا

على الله وعن النبى صلى الله عليه انه قال ايا كم ولوفانه من كلام المنافقين قالوا لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا **وقوله** وانتم تعلمون اى ان الله الذى هو خلقكم
ومن قبلكم وخلق السماء والارض وخلق الارزاق دون الاصنام فانها لا تضر
ولا تنفع قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم وقال واضله الله
على علم اى على علم ان الذى اتخذ الها لا ينفعه وقيل اى وانتم تعلمون وتقرون
ان الله هو الذى فعل ذلك قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر
الشمس والقمر ليقولن الله ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء الاية وقال الامام
ابو منصور وانتم تعلمون اى وانشأكم ما لو تدبرتم وتفكرتم وتاملتم
علمتم انه لا شكل له ولا ند له قال تعالى ع افلا تبصرون وقيل اى
وانتم تعلمون انه ليس بند وقيل اى وانتم تعلمون انه واحد وقيل اى وانتم
تعلمون ما تنزل لمن اتخذ لله انداد اى لا تجعلوا معه غيره وانتم تعلمون انه لا يسمى
الخدمة غيره ولا تبتغوا لاصنامكم غيره وانتم تعلمون انه لا نافع ولا ضار غيره ولا معطى
ولا مانع غيره والوعظ الكلى انه قال ع الاية جعل لكم وقال ذلكم ملو قال
لكم ع القيامة فعلتم هذا كله لكم فما فعلتم لى فما تقولون وعن الشبلى انه وعظ
الناس يوما فابكاهم لما ذكر من القيامة واهوالها فمر بهم ابو الحسن النورى
فقال لا تفرحوا فان حساب يوم مديد ليس بهذا الطول انما هو كلمتان من تبا
بوذم تو كدا بوذى قال ——— رحم الله رضى الله عنه شماجى خواميت تفسير
در جواب ان سوال شوى كويند لحتى تزا بوذم لحتى زن را زن كويند
لحتى شوى را بوذم لحتى كوى را خواجه كويند لحتى شوذ وزيان را بوذم
لحتى سلطان را كيست كه كويند من بوذم مر آفريد كار خلقان را **وقوله**
وان كنتم ع ريب استظامه بما قبله انه خطاب للذين يرتابون
الناس فقامر بهم بالايمان وهو بالله ورسوله وكتابه وايات دليل بوبنيته
بما وكد ع ذلك لانه وايات رساله رسوله وصحة كتابه ع هذه الايه ثم كلمه ان

لمعانى للشرط كما فى قوله ان تنصروا الله ينصركم و بمعنى اذ كما فى قوله وذروا
ما بقى من الربوا ان كنتم مومنين للنفى كما فى قوله ان الكافرون الا فى غرور
وللتاكيد بمنزله لقد كما فى قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا اى لقد
كان و بمعنى ان المشددة كما فى قوله وان كلا لما ليوفينهم وللتصله كما فى
قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه اى فيما مكناكم فيه وللتحقيق كما يقال
عليك بالصدق وان ضرك واياك والكذب وان نفعك اى مع انه كذلك
وقوله كنتم اى انتم وكنتم فى القران جاء للماضى والحال والاستقبال
وقد بينا كذلك فى كلم كان عند قوله ما كانوا يكذبون وكنتم على دلك اما
للماضى ففى قوله وكنتم امواتا واما للحال ففى قوله وانتم الاعلون ان كنتم
مومنين واما للاستقبال ففى قوله وكنتم ان واجا بلاثه اى يوم القيامة
وقوله فى ريب اى فى شك وقوله مما نزلنا مما كلمتان من ما ادغمت
النون فى الميم فصارتا ميما واحدة مشددة خطا ومميزين نطقا وما بمعنى
الذى ومعنى ما نزلنا اى الذى نزلنا وهو القران وانزاله ما فسرناه
فى قوله مما انزل اليك فى التنزيل للتفصيل ودلت الكلمة على انزاله مفصلا
وحكمته ما قال وقالوا لولا نزل هذا القران جملة واحدة كذلك لنثبت
به فوادك نزلناه كذلك الاولين جملة فتركوها جملة ونزل القران مفصلا
فبقى فى العلوم مثبتا محصلا ولان اولياء الله اليوم فى دار الحجة مجدد
لهم الانس بكتابه ساعة فساعة وقد ذكر الله تعالى فى تنزيله ثلاثة
اشياء شيئا فشيئا القران بقوله مما نزلنا والمطر بقوله ونزلنا من السما
ماء مباركا والرزق بقوله وما ينزل الا بقدر معلوم اكرمنا ان جملة اغذى
بعالميان طوفان شدى واكدروزى جملة اغذى بندة از نكاه داشتن
ان همه نا توان شدى واكد قران جملة اغذى عمل بهمه بر دل هر يكى كه ان شاء الله
وقوله على عبدنا هو نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم وله اسما كثيرة

فى القران وكان احبها اليه العبد فهو المستجمع لمعانى العبادة والعبودة
وكذلك هذا الاسم له فى القران كانه قال قران بوى وحى كردم وى مار ابنده
نزل الفرقان على عبده وباد ارسالت برخاست ووى مار ابنده وانه لما
قام عبد الله يحضرت بر دمشق دوى بندن سبحان الذى اسرى بعبده وباوى
ار كفتم ووى بنده فاوحى الى عبده ما اوحى وديار مقام مار انشا كفت
التحيات لله والصلوات والطيبات ووى مار ابنده واشهد ان محمدا
عبده ورسوله ودر هم احوال وى مار ابنده وما اورا بسنده ليس الله بكاف
عبده ووى مار ابشكر خدمت ارنده اولا الكون عبدا شكورا وقوله
فاتوا بسورة مثله هذا امر بالمانتا بسورة والايان فى اللغه هو المجى
والاتيان الفعل والاسان الغشيان والايتا الاعطا وناتيه السنيل بسميل
سيله والتاتى التهيا والمواتاه الموافقه والاتا العله والاتى والاتاوى الغرب
والميتا الطريق المسلوك ومعانيها متقاربه والاسان فى القران اربعين
معنى عددناه فى تفسيرنا الاول الاطول وهو فى هذه الايه المعارضه اى عارضوا
هذا القران بسوره وهذا خلاف قوله قل فاتوا بالتوريه داك اظهار ما قد كان
وهذا انشا ما لم يكن وهذا الزام الحجه عليهم فان القران انزله الله على عبده
وهو صادق فى دعوى الرساله وانه مبعوث لاتمامه الدلاله والدعوة
الى الهدى من الضلاله وانهم معاندون فى انكارهم وفى دعويهم انه مما افتراه
محمد باختياره يقول ان كان هذا من كلام البشر فعارضوه بمثله عندكم
وتقصوا عن هذه العهد بجهدكم وقوله فاتوا صيغته صيغه امر
ومعناه الايجاب وهذه الصيغه فى القران على وجوه للفرضيه كما فى قوله اقيموا
الصلوه واتوا الزكوة وللندب كما فى قوله وافعلوا الخير وللاباحه كما فى قوله واذا
حللتم فاصطادوا او للتخيير كما فى قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن وللتمنى
كما فى قوله اعملوا ما شيتم وللرد كما فى قوله قل فادرءوا عن انفسكم الموت والكون

كما في قوله كونوا قردة خاسئين والشرط كما في قوله قل كونوا حجارة او حديدا
اى ان كنتم كذلك فكونوا والعجز والاعجاز كما في قوله فاتوا بسورة من مثله
فاتوا بسورة والفاء هاهنا للتعقيب وبدون الفاء يقال ايتوا الا في الام
يختلبه والهمزة صارت ياء لكسرة ما قبلها وسقطت همزتها كراهة التقاء الهمزتين
وثبتت ايتا كتابة في قوله ثم ايتوا الا انه يوقف على ثم ويبدا ايتوا ولا يبتدا في
قوله فاتوا وقوله فاتوا التعذر الفصل بين الفاء وبين الكلمة وكذا بين الواو
وبينها **وقوله** بسورة والباء للتعدية فعل الاتيان اللازم والسورة
هي ماخوذة من قولهم سار سورا اذا ارتفع وعلا وسمي الجدار المحيط بالمدينة
سورا لارتفاعه ويقال لفلان سورة في المجد اى سناء ورفعة قال
النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
فالسورة هي من القران على هذا مجموع اياتٍ مفصلة ارتفعت وعلت
وظهرت وصارت كالعلم في مغايرتها سائر السور وقيل هي منزلة من منازل
القران رفيعة وقيل هي قسم من اقسام القران ارتفع شانه وعلا قدره **وقوله**
سورة من مثله اطلاقة تناول اقصر السور وهي في القران سورة الكوثر وهي ثلاث
ايات قصار وهذا ابلغ الزام واتم قطع لاهل الخصام وكان التحدي اولا بالاتيان
بمثل كل القران بقوله قل فاتوا بحديث مثله ثم اخبر عجزهم عن ذلك بقوله قل
لئن اجتمعت الجن والانس على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا ثم بعشر سور مثله بقوله قل فاتوا بعشر سور مثله ثم بسورة
بقوله قل فاتوا بسورة وقد عجزوا عن ذلك كله فلزمتهم الحجة وقوله من مثله
المثل الشبه والمماثل المشابه والتمثيل التشبيه ومثل صفة ما تضاف مثابه
وسدّ مسدّه واصلف بالمراد بالهاء التي في اخره انها كناية راجعة الى
ما ذا قال ابن عباس اى من الذي جعلتموه لي ندا وقد سبق ذكره وقال ابن كيسان
اى بمثل محمد من البشر لانه بشر مثلكم وقد سبق ذكره في قوله على عبدنا وقال

الموت ج

ج المحل ج

الالزام ط

الامام ابو منصور اى ايتوا انتم بمثل ما اتى هو اذا انتم وهو سواء
في الجزء من الخلقة واللسان وليس هو اولى بالاختلاق منكم وقيل
اى من مثل محمد من رجل امي لا يكتب ولا يقرا وهذا ابلغ في قطع الاوهام فان الناس
مع انه لا يكتب ولا يقرا ولا ينظر في الكتب ولم يسمع التقصص من الناس اخبر بنزول
هذا الكتاب فلا شبهة في انه لم يختلقه من تلقاء نفسه ولم يات به الا بوحي
من ربه وقال مجاهد وقتادة اى من مثل هذا القران وقد سبق في قوله مما نزلنا
على القران وان كان لا مثل له لانه صفة الله تعالى وكلامه وجهه ولا مثل لصفاته
كما لا مثل لذاته لكن معناه من مثله على زعمكم وقال انظر الى الهك اى على
زعمك ثم التحدي الى مثل القران كان في وجوهه وهي سبعة احدها
الايجاز والبلاغة حتى يشتمل اليسير كلماته على كثير من المعاني قال عليه السلام
اوتيت جوامع الكلم وذلك مثل قوله ولكم في القصاص حيوة وقوله اخرج
منها ماءها ومرعاها وقوله ليس له ما في السموات وما في الارض وما بينهما
البيان والفصاحة التي عجز عنها الفصحاء وقصر عنها البلغاء حتى ان
عبيد ان اعرابيا سمع قاريا يقرا فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت
لفصاحة هذا الكلام والثالث النظم الذي ينقض العادة حتى صار خارجا
من جنس كلامهم في النظم والنثر والرجز والشعر والخطب والسجع والرسايل
فلا يمتزج بها ولا يدخل في شيء منها مع استعمال حروفه وكلماته والرابع
ان قارئه لا يكل وسامعه لا يمل واكثار تلاوته يزيد في حلاوته وحسن
من الكلام وان كان مستحسن النظم مستعذب النثر يمل اذا اعيد ويشتمل
اذا ازدد والخامس ما فيه من الاخبار بما كان من قصص الانبياء مع امهاتها
والقرون الخالية في ازمنتها وهو امي من امة امين ليس لها علم
بما عرف اهل الكتاب مما في الكتب السالفة والسادس ما فيه من علم الغيب
والاخبار بما يكون وكان كما اخبر كقوله سيهزم الجمع وادبارهم الجمع

الطايفتين انها لكم وقوله لتدخلن المسجد الحرام وقوله ليظهره على الدين كله وقوله فاسألوا
تعلموا ولن تفعلوا والسابع كونه جامعا للعلوم كلها ومشتملا على ما في
الكتب المنزلة كلها ومنطويا لجوابات الحوادث كلها وآتيا على المصالح
كلها قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقالوا ان قوله ولا تشركوا
بي شيأ جامع علوم الطب وكذا في كل علم من الادب من اللغة والنحو
والبلاغة ومن الكلام والعقه والتذكير وفنون الفوايد وكل اهل العلم
يصنفون تصانيف لشرح كشف بفوايد القران فحج المتكلمين منتزعة
من القران ومسايل الفقها مستخرجة من القران ولغات الادبا مصححة
بالقران وفوايد النحويين مستوضحة بالقران وعظات المذكرين
ماخوذة من القران واشارات الحكما مستفادة من القران ولطايف
اهل المعرفة مستنبطة من القران وكذا وكذا **وقوله** وادعوا
شهداكم يقال دعا الى الشيء دعاء ودعوة والاول مطلق المصدر والثانية
المرة منه والدعوة المادبة والدعوة ادعا الولد وتداعت العطان
ساقطت من هذا مجارا والدعاء القران لمعان واختلف المذكور
هنا فقيل ادعوا اي احضروا وقيل اي استعينوا **وقال**
وتلك ربت خصم قد تمالوا علي فاجرعت ولا دعوت وتمالوا
الاصل اي اجتمعوا وتعاونوا ونظيره القران وقيل ادعوا
شركاءكم وقوله فليدع ناديه وقوله وان تدع مثقلة الى وهذا من
المجاز كقوله فاتوا بسورة وبين ان الاستعانة بالخلق الكثير هنا لا يغنيهم
شيأ وما يعني وجوع المحتاج الى المحتاج واعتماد الفقير على الفقير
والتجا العاجز بالعاجز ولا يدفع جوايحك الا من لا يشوبه وضاؤه
ولا ينسال الا ممن لا يفنى خزاينه ولا يعتمد الا على من لا يعجز عن شيء يشركك
من غير معين ويحفظك من غير صاحب ويغنيك من غير مال ويقل عدد الاعداء

الكثير اذا حماك وبكثر عدد المال القليل اذا كفاك **وقوله**
شهداكم الشهادة الاخبار بما شوهد شهود عيان او شهود ايقان
والشهود الحضور والمشاهدة المعاينة والمشهد محفل الناس وعالم
الغيب والشهادة اي السر والعلانية واما تفسيرهما فالشهدا
جمع شهيد كالفقها جمع فقيه ومعناه عند ابن عباس ادعوا كم لان الشاهد
كالمدعي في استحراح حقه وقال مجاهد اي ناسا يشهدون لكم
انه مثل القران وقيل اي قضاتكم وشعرائكم وبلغائكم وهم كبرا المشاهد
والخطبا في المحافل وقال الفراء يعني الهتكم لانهم كانوا يعتقدون انها تشهد
لهم وتشفع لهم وهذا اشبه لان قوله وادعوا خطاب للكل فيتناول
كل الفصحا وكل الاعوان والشهدا فكان الكل مامورين بان يكونوا
داعين ولا يكون مدعوين فالصحيح هذا اراده ما بعدون يدل عليه
قوله من دون وهذا اصله قوله شهدا اي الذين اتخذتموهم شهدا من دون
الله وهذه صفة الاصنام كما في قوله ام اتخذوا من دونه اولياء وقوله
ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل في هذا قل اولو كانوا لا يملكون
شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا فملك الاولياء ام اتخذوا من
دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير **وقوله**
من دون الله اي غير الله وكلمة دون لها معان ومعناها هاهنا
الغير ودون الاصل اسم ولهذا دخلها الخافض وهو من وخفضها
ولكنها استعملت استعمال الحروف لانها تفيد المعنى في غيرها كالحروف
فاجريت مجراها لذلك ومفردة عن اللام التي هي للتعريف والتنوين الذي
هو للتنكير وهما من خصايص الاسما **وقوله** ان كنتم صادقين فالصدق
هو الاخبار عن المخبر به على ما هو به وهو نقيض الكذب وهو الاخبار عن
المخبر به على خلاف ما هو به والصدق الرمح الصلب والحمام المستوي

والصديق الخليل والصداقة الخلة وفلان رجل صدق بالاضافة اى نعم
الرجل هو وثوب صدق وقدم صدق ومقعد صدق وكله بالاضافة
على هذا الوجه والصديق المبالغ في الصدق ومعنى قوله ان اسم صادق
اى دعا متالتكم ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه وقيل اى ان كانت لدعواكم
صحة وقيل هو خطاب لليهود اى ان لستم في شك مما نزلنا من القران
على محمد انه ليس من الله فاتوا بسورة من مثل القران من التورية وقابلوها
بالقران لتجدوها موافقة لما في التورية لتعلموا ان هذا لم يختلقه
محمد من عند نفسه وانه من عند الله واستعينوا باحباركم ورهبانكم
ان كنتم صادقين انكم تشكون فيه وهذا نفي تمام الاله **وقوله**
فان لم تفعلوا احتمال هو لا ايضا والفا للتعقيب وان للشرط ولم كلمة
نفي تدخل المستقبل فتجعل بمعنى الماضي مع دخول ان وهو للشرط فتجعله
بمعنى المستقبل والاشارة فيه ان المؤمن عرف بايمانه وطاعته ثم ذل بعصيانه
وخفوته ثم يعود عزيزا بتوبته وندامته وتفعلوا فعل جزم وسقطت
النون من اجزمه بلم لانه جازم والنون كانت علامة الرفع والفعل في اللغة
العمل وجاءت من فلان فعله حسنة او سيئة وفلان حسن الفعال وسيئ
الفعال بالكسر عليه اكثر اهل اللغة وقال ابن الاعرابي الفعال للمصدر في
الخير والشر وبالكسر اسم في الخير والشر وفي مجمل اللغة يقول الفعال
بالكسر جمع فعل وبالفتح الكرم وما فعل فلان اي اين ذهب والفعل عند اهل
الكلام هو صرف الممكن من الامكان الى الوجوب يقع على المباشرة والترك جميعا
لشموله اياهما وهو مشترك بين الشاهد والغايب ونسب هذا فان لم يأتوا
بسورة من مثله ولم تستعينوا بالشهداء والكلمة صالحة لكل فعل وهو اعم
من التصريح بما سبق وكانا بلغ وافصح وتذكر ايات في استعمال هذه الكلمات
لاعمال مختلفة ايضا كما لما قلنا قال تعالى انه خبير بما تفعلون هذا بيان لكل عمل
وقوله

تعملون

وقل وتقصد وقال والذين هم للزكوة فاعلون اى مؤدون وقال
ولو انهم فعلوا ما يوعظون به وقال ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم وقال خبرا انما اشركنا وابآؤنا من
قبل وما كنا فاعلين المبطلون وقال فذبحوها وما كادوا يفعلون وقال هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون وقال وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين
وقال فهمناها سليمان الى قوله وكنا فاعلين وقال خبرا عن ابراهيم واودعنه
اياه وانا لفاعلون وقال خبرا عن فعل هذا بالهتنا قال وان تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل الى قوله ومن يفعل ذلك وقال اخبرا عن كثير منهم الى قوله ومن يفعل
ذلك والايضا وكاتب ولا شهيد وان تفعلوا **وقوله** ولن تفعلوا
هذا اعتراض الكلام قبل التمام وهو من محاسن الكلام وبدايعه ومعدود في الصناعة
وانواع البلاغة وهو كقوله واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل
هذا اعتراض الكلام قبل التمام **وقوله** قالوا جواب واذا بدلنا
ههنا ايضا فتقول جوابك فان لم تفعلوا ومعنى ولن تفعلوا اى لستم
بناعلين ذلك ابدا فلن نفي تابيد وقيل معناه ولن تقدروا ان تفعلوا
وهو كقوله لن نصبر على طعام واحد وقوله فقل لن يخرجوا معي ابدا هذا
كله نفي للقدرة وهذه الاية دليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فانه
اخبر فكان كما اخبر وذلك خبر غيبا فلا يكون الا عن اخبار من عالم الغيب
له بذلك **وقوله** فاتقوا النار اى فلما عجزتم عن معارضة القران
بمثله لزمكم الحجة ان محمدا رسولي والقران كتابي ولزمكم تصديقه الايمان به
ولما لم تؤمنوا صرتم من اهل النار فاتقوها فالكلام في تفسير المتقين وجوهه
كثيرة نذكر قوله هدى للمتقين والنار هي نار جهنم وهي موصوفة سماعا
وكذلك قال التي وقودها الناس والحجارة الصفة والكناية **وقوله**
وقودها اى حطبها فالوقود ما يوقد به النار وهو الحطب والوقود

انتهابها هذا مصدر والاول اسم والناس هم الكفار هنا **وقوله**
والحجارة هي جمع حجر والحجر الصخر وهو كالجمل والجمالة وهذا جمع على غير قياس
والقياس فيه الاحجار كالشجر والاشجار والسفر والاسفار واما الكثير
فقد قيل هي جبال الدنيا وعلقت بهم حتى اذا القتهم النار علوا حتتهم
الحجارة سفلا وقال ابن عباس وابن مسعود وابن خريج هي حجارة الكبريت وانما
خصت بالذكر لان فيها خمسة اشياء هي اسرع وقودا واوطا حموا واوتن
رايحة واشد حرا والصق بالبدن وقيل هي الاصنام التي عبدوها قال تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وانما جعل التعذيب بها لتحققوا
انهم عذبوا بعبادتها وليزداد وا ذلها ومهانتها بعد اعتقادهم عزها وعظمتها
وقيل الاحجار تحرقها النار كما تحرق الناس كذلك تهويلا وتهيبا وقيل
اي وقودها الناس اذا صاروا اليها والحجارة قبل ان يصيروا اليها ثم ادخال
الاصنام في النار ليس لتعذيبها فلا ذنب لها بل لتعذيب الكفار بها وما به
تكون اعذابا لا يكون له العذاب كما قال تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم
الاية ادخلت الاموال جهنم ليعذب بها مانع الزكوة الاية وهذا كله فرحق الثواب
فان رضوان والجنة والحور العين في الجنة هم الثواب وليس لهم الثواب
والحكمة في تعذيب الكافر بها ان الكافر عبد الصنم واعتمد ورجاه
فعذب به اظهارا لجهله وقطعا لامله كما تباع الكواعب مومسهم ورجومهم
في النار تسحبون معهم للكون الشيء على هم واقطع لرجائهم وقد
يقع كل في الدنيا **وقوله** اعدت للكافرين اي هيئت وخلقت الاعداد
التهيأة والاستعداد التهيأ والعدة ما اعد للشيء والاعتداد مثل
الاعداد قال تعالى انا اعتدنا والاية رد على المعتزلة فانهم قالوا النار
والجنة لم يخلقا بعد وانما يخلقان يوم القيامة عند حصول اهلها وقولهم
مردود وباطل بهذه الاية **وقوله** للكافرين حتم لما وقع به

النداء اي انقوا الكفر الموجب للنار فانها اعدت للكافرين ثم لما قيل اعدت
لكم خطابا كما قال واتقوا خطابا لانه علم ان منهم من يؤمن فخصص الوعيد
بالنار على طبقة الكفار قال الامام ابو منصور هذا ينقض على المعتزلة
ايضا حيث خلدوا صاحب الكبيرة في النار ولم يطلقوا عليهم اسم الكفار
معنى زعمهم انها اعدت لغير الكفار ايضا ثم عندنا يجوز ان يعذب المؤمن
العاصي فيها مدة وقد اوعد الله بالتعذيب بها في القرآن على اشياء
وبلت بالاحاديث المشهورة خروج المؤمنين منها بعد مدة ثم الجمع في
بين هذه الاية وبين غيرها في هذين الامرين عند بعضهم ان هذه النار واحدة
للكل لكن بتفاصيل عقابهم فيها وقيل هذه النار التي وقودها الناس
والحجارة هي للكفار خاصة ولغيرهم نار غيرها ولما خوف النار الكافرين
بشر بالجنة المؤمنين لجمعها بوصفه كتابه بالمثاني ومن تامل نظمه وجد
على الاستظام تثنية المعاني وقد شرحنا ذلك في الفاتحة وكذا نظم سورة
البقرة فانه ذكر الكتاب وبين ان الناس في حقه صنفان مؤمنون وكافرون
وبينهما طبقة لهم وصفان اظهار الايمان وابطان الكفر ولهم مثلان مثل
مستوقد النار ومثل الواقع في الظلمات والامطار ثم خاطب الكل فامرهم
بشيئين الاعتقاد والاقرار في حق سيد ربوبية الله ونبوة رسوله
فصار وا فريقين حاذرين مخوفهم بالنار وقابلين فبشرهم بالجنة والانهار
وذكل **وقوله** وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات والبشارة
بفتح الباء وضمها وكسرها الخبر الصدق الذي لم يعرف عند المخبر علمه
سميت بها لانها تؤثر في البشرة اي البشرة بالبشر وسمي بها الخبر المحزن ايضا لانها يؤثر
في البشرة ايضا لكن المتعارف في الاول الاطلاق وفي الثاني التقيد
والبشر ظاهر جلد الانسان قال تعالى كواحة للبشر والبشر الناس
قال تعالى فاما ترين من البشر احدا وهذا جمع والبشر الواحد منهم قال تعالى

قل اما انا بشر مثلكم و البشير و المبشر و البشير الحسن الوجه و البشر
الطلاقة و الاستبشار الفرح و تباشير الصبح اوايله و بشرته بالتشديد
و بشرته من حد دخل و ابشرای قبل البشارة و ها هنا بشر امر للنبی ع م
بان يخبر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بان لهم الجنة و الكلام في الصلاة
من حيث اللغة مر في قوله انا نحن مصلحون ثم قوله و عملوا الصالحات دليل على
ان الطاعات غير الايمان لانه عطفها على الايمان و العطف دليل المغايرة
و هو رد على الشافعي في جعله العمل عين الايمان ثم العمل في اللغة هو الفعل و العمالة
اخر العمل للعامل و الاعمال الحمل على العمل و استعمال الشيء العمل و للعامل بين اللبس
و التعامل التعارف و للعمله النافة القوية على العمل و الصالحات يعم الجميع
اسم مونث محذوف و هي الخصلة او الفعلة و اختلف في تفسيرها فال عثمان
ذو النورين رضي الله عنه و عملوا الصالحات اي اخلصوا الاعمال يدل عليه قوله تعالى
فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعبادة ربه احدا و المنافق لا يكون عمله صالحا
لانه لا يكون خالصا و قال علي المرتضى رضي الله عنه اي اقاموا الصلوات
المفروضات دليله قوله تعالى و اقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين
و هو كالتفسير لقوله و عملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا و قال
ابن عباس اي عملوا الصالحات فيما بينهم و بين ربهم و قال معاذ بن جبل رضي الله عنه
العمل الصالح الذي يكون فيه اربعة اشياء العلم و النية و الصبر و الاخلاص
و قال سهل بن عبد الله اي لزموا السنة لان عمل المبتدع لا يكون صالحا البتة
و قال بعضهم اي ادوا الامانات و قال تعالى و كان ابوهما صالحا اي امينا
و قيل اي تابوا عن السيات قال تعالى و تكونوا من بعده قوما صالحين اي تائبين
و قيل اي ادوا الفرايض و اجتنبوا المحارم و عن ابن عباس رضي الله عنه هي الشرايع
و هي الصلوة و الزكوة و الحج و الصوم و الاغتسال من الجنابة و قيل هي نوعان
اعمال بينك و بين العباد كادا الامانات و الوفا بالعهود و قضا الحقوق و صلة الارحام

و اعمال بينك و بين الله و هي نوعان ظاهرة و باطنة فالظاهرة ادا الشرايع
و الباطنة صفات القلب التوكل و الرضا بالقضا و الصبر في البلا و الشكر في النعما
ثم هذا تعليق البشارة المطلقة بالايمان و العمل الصالح فان المؤمن المطيع
له الجنة بوعد الله من غير تعذيب و الكافر له النار بالوعيد الموبد و المؤمن العاصي
في مشية الله ان شا عفر له و ادخله الجنة و ان شا عذبه بذنبه ثم يدخله الجنة بعفوه
او بعصاتهم ثم ادخله الجنة **و قوله** ان لهم جنات هي جمع جنة و هي
البستان و الجنة الترس و كذا المجن و اصله من جن عليه الليل جنانا اي ستره
و الجنون ستر العقل و الجنة بالكسر كذلك و الجن و الجنة مستورون عن اعين
الناس و الجن الجنة و المجن ستر اللابس و الجنين القبر ستر الميت و الجنان القلب
و هو مستور و الجنين الولد في البطن و هو مستور و اما تفسيرها و قد
قال المفضل الجنة كل بستان فيه نخل و فيه شجر فان كان فيه كرم فهو فردوس
و قيل الجنة البستان جامع فيه النخل و العنب و كل ثمر قال تعالى ايود احدكم
ان يكون له جنة من نخيل و اعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات و قال
و جعلنا فيها جنات من نخيل و اعناب و فجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره سميت
بذلك لانها تستر و تظل من يكون فيها بما فيها من الشجر او لانها تستر الارض بظل اشجارها
ثم الجنان جمع و هي ثمانية قال ابن عباس هي دار الجلال و دار القرار و دار
السلام و جنة عدن و هي قصبة الجنة و هي مشرفة على الجنان كلها و باب
جنة عدن مصراعان من زمرد و ياقوت بين المصراعين كما بين المشرق و المغرب
و جنة الماوى و جنة الخلد و جنة الفردوس و جنة نعيم قال دار الجلال
كلها من اللؤلؤ و مدائنها و قصورها و بيوتها و شرفها و ابوابها و درجها
و غرفها و اعاليها و اسافلها و خيامها و اوانيها و حليها و كل ما فيها و دار
السلام كلها من الياقوت الاحمر و دار القرار كلها من المرجان و جنة
عدن كلها من الزمرد و الجنة العلوى من الذهب كلها و جنة الخلد من الفضة

كلها وجنة نعيم من الزمرد كلها وجنة الفردوس من اللؤلؤ كلها وحيطانها
لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة ياقوت ولبنة زبرجد وملاطها
المسك وقصورها الياقوت وحصاها اللؤلؤ ومصاريعها الذهب
وارضها الفضة وحصاوها المرجان وترابها المسك ونباتها الزعفران
والعنبر **وقوله** تجرى من تحتها الانهار فقال جرى انما يجرى جريا
وجريه وجريانا اى سال وما جارى ومياه جاريه وعين جاريه اى
تجرى ماؤها والجارية السفينة لان الماء تجرى بها وصدقة جاريه اى وقف
دايم النفع والارزاق الجاريه الدارة وقد اجرى على عبده واصحابه الاجريات
والجرى الوكيل لانه يجرى مجرى الموكل وجمع الاجرياء والاجراء بكسر الهمزة العادة
التى يجرى عليها الانسان **وقوله** من تحتها وفى بعض الايات تجرى
تحتها فالحذف لما انه ظرف والفتحة تدل عليه وابتدأت من للصلة اولبيان
ان ابتداء الجريان منه فانه لابتداء الغايه وتحت بمعنى سفل وهو اسم ولهذا خفض
بمن ولكن يستعمل استعمال الحروف لانه يفيد المعنى فى غير غالبا فاشبه
الحرف فلم تظهر فيه علامة التعريف والتنكير ومن تحتها اى من اسافل
ارضها وقيل من تحت اشجارها وقيل من تحت غرفها وقيل انها تجرى
فى غير اخدود وفى الاية التى قال تجرى من تحتهم الانهار معناه بامرهم
اى ذاك تحت ايديهم وامرهم وهى تكون فوقهم وهذه الانهار تجرى من تحتى
اى بامرى ومعنى جريانها بامرهم ما قال فى اية اخرى تفجر ونها تفجيرا
اى حيث شاؤا اعلوا وسفلا وقال الامام ابو منصور الجنة ليست بابنية
الارض والبقعة خاصة بل هى اسم لمجمع الاشجار والغراس وقوله من تحتها
اى من تحت اشجارها وغرايسها قال وقيل من تحتنا اى حيث يقع ابصارهم
عليها ومن فى العلو وذلك اثره عند الناس واحلى واطيب قال وقيل ايضا
من تحتها اى من تحت ما علامتها من القصور والغرف لا تحت الارض كقوله ع

خلاف الدنس وفلان طاهر الثياب اى نقى عن العيب والتطهير التنزه عن الاثم
والقبيح والتطهير اثبات الطهاره وقراءة ابن مسعود مطهرات لانها نعت
للنسوة وهى جمع وقراءة العامة وهو الذى فى مصحف الامام مطهرة لان
المسموع من العرب فى نعت الجمع القليل الالف والتاء وفى نعت الجمع الكثير
الهاء وهذا هو الحال امة مستنفرات وحمر مستنفرة ولان الارواح جمع روح
وهو مذكر فى اللفظ وانما صار مونثا بالجمع للحال فصارت كالواحدة كقولك بيت
خاوى وبيوت خاوية ولا تقول خاويات وتقول دار خاوية ودور خاويات
لان الواحدة كانت مونثة وهذه جماعة المونثات وانما قال مطهرة ولم يقل طاهرة
لان المطهر ابلغ فان طاهرة تدل على طهارتها والمطهرة تدل على ان الله تعالى هو
الذى منّ بتطهيرها ولان التفعيل للتكثير فيدل على انواع التطهير ولان التفعيل
للنسبة والوصف فيدل على انهن الموصوفات بها المنسوبات اليها ولانها ان
جعلت فى اوصاف نساء الدنيا دلت على انهن جعلن كذلك فى العقبى وان كن غير
ذلك فى الدنيا وان كن فى صفو الحور العين فمعناه انهن جعلن كذلك ابتداء يقفن
كذلك فاما التفسير فقد قيل مطهرات الابدان فى الخلقة فهى من المسك والكافور
والعنبر والزعفران لا من البراز والمنى والعلقة وقيل اى مطهرات الابدان فى الحال
وليس تحت الخلود دم ولا قيح ولا فى البطون ما فى بطون البشر وقيل مطهرات
الابدان من الامراض والاعراض من الورم والدرن والصداع وسايد الاوجاع وقيل
مطهرات الابدان عن الولادة وهو قول من لا يرى بالرباب وقيل مطهرات الابدان عما يخرج
منها من بول او مني او غايط او حيض او نفاس او مخاط او بلغم وقيل مطهرات
الافعال فلا يصاحبن ولا يجادلن ولا يعترضن ولا يغلطن القول ولا يشبن
الفعل ولا ينشزن وقيل مطهرات الاخلاق فلا يحقدن ولا يحسدن ولا يبغضن
ولا يغرن وقيل مطهرات عن استرابة القلوب بهن فلا يملن الى غير ازواجهن
ولا يقعن فى قلوب الرجال ما ينفر طباعهم عنهن **وقوله** ولهم فيها خالدون

الخلود البقا لغة والاخلاد الاقامة والدكون ايضا وحقيقة الخلود الدوام
من وقت مبتدا ولهذا الجوز ان يقال لله انه خالد لانه قديم ازلى لا ابتداء له ويقال
وهم في الجنات باقون دايمون مقيمون لا يموتون ولا يخرجون والبقا الابدى في الجنة
لاهلها وفي النار لاهلها قول جميع اهل الاسلام وقال بعضهم ان الجنة والنار تفنيان
لان البقا الابدى لله وحده ودليلنا قول الله عز وجل وهم فيها خالدون خالدين
فيها ابدا الابد وقوف فيها الموت وما هم منها بمخرجين وان الاخرة لها الحيوان لا منقطع
ولا ممنوعة ولان اهل الجنة لو علموا بالزوال لكانوا في اشد عقوبة واهل النار لو علموا
بالفنا لكانوا في اتم راحة فيصير الثواب عقابا والعقاب ثوابا وجواب
قولهم ان الله تعالى باق بذاته وبقا الجنة والنار واهلهما ببقا الله تعالى والله اعلم

وقوله ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها انتظام هذه
الاية بما قبلها من بلاثة اوجه احدها ان الله ذكر الكفار في اول هذه السورة
ودعاهم الى الايمان بقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم واقام الدلالة عليه بخلقهم
الاشيا واثبت الرسالة على نبيه وحقيقة كتابه وعجز اصنامهم او قالوا وادعوا
شهداكم من دون الله ولم يمكنهم ذلك فعرفهم عجز الاصنام فقال مثل الذين اتخذوا
من دون الله اولياء كمثل العنكبوت الاية وقال ان الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا وقال السفهاء منهم ليس هذا من كلام الله تعالى فلا يليق بجلاله
ذكر هذه الاشيا الحقيرة فقال ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها
وهو العنكبوت والذباب والثاني انه ذكر المنافقين بعد الكفار وذكر لهم
مثلين كمثل الذي استوقد نارا وكصيب دعاهم الى الاخلاص بقوله اعبدوا
ربكم وبين لهم دليل صحة الرسول وحقية الكتاب وقال وادعوا شهداكم اي
اعوانكم وانصاركم وهم الذين سبق ذكرهم واداخلوا الى شياطينهم وعجزوا
فقال مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء وهم هولا كمثل العنكبوت قال السفهاء منهم
ما هذا من كلام الله تعالى فانزل الله هذه الاية ردا عليهم والثالث انه لما اوعد الكفار

بالنار وبشر المومنين بالجنة قالوا لا يعذب بالنار غير الكافر ولا ينال
الجنة الا المومن عمل كل الصالحات فنزل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من يواب
الجنة ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره اي من عقاب النار والذر هي النملة
الصغيرة وقال السفها لا يليق بالله ذكر النملة فنزلت هذه الاية ويستحي
هو يستفعل الحيا وهو في اللغة انقباض وظهور العجز وقيل هو الانقباض
عن الشي والامتناع عنه خوفا من مواقعة القبيح وقد حيي يحيى حيا من حد علم
فهو حيي والحيا الفرج لانه يستحيى من اظهاره وحاصل الحيا هو الترك فان
من استحى من شي تركه وقد ذكر الحيا في صفات الله اثباتا ونفيا
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحي ان يرفع العبد اليه يديه
فيردهما صفرا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الشيب نوري فاني
استحي ان احرق نوري بنارك واما النفي ففي قوله تعالى ان ذلكم كان
يوذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق قال هنا ان الله لا يستحي
يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ومعناه الترك فان من انتفى عن ظهور عيب
شي تركه وكذا من خاف مواقعة قبيح تركه فاذا قال الله يستحي رد العبد
خائبا فمعناه انه يترك عباده واذا قال لا يستحي من الحق فمعناه لا يترك عباده
وهذا في الوجه الكشف الكلمات الموهومة انك تعتبر حاصل ذلك فتفسره
وهذا كما يعتري الانسان فجاة امر يكون من اصدر منه اساءة من كان احسن
هو اليه يستحي منه ومن احسان اجنبي اليه لم يكن منه اليه احسان فيستحي منه وذلك
يظهر مالم يكن عنده انه يظهر كذلك وهذا لا يجوز على الله تعالى لانه يعلم الاشيا
كلها وعلم ما يكون قبل ان يكون انه اذا كان كيف يكون لكن حاصل هذه الكلمة
هو غاية الرضا او غاية الكراهة والله تعالى اذا اذل منه العجب فاما ترادده احد
هذين اللذين هما الحاصل في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله ليعجب من الشاب
ليست له صبوة وهو غاية الرضا وفي قوله بل عجبت بالضم ويسخرون وهو

عامه الكراهه وعلى هذه نظايره ثم الاثبات والنفى معانى صفه واحده لا يرجع
الى ذات الله تعالى فانما اثبت لله تعالى لا يجوز نفيه عنه وما نفى عز الله تعالى
لم يجز اثباته له وانما يرجع ذلك الى ما يقع عليه دلك من الصفه وهو كقوله ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا نفى المغفره فى حق المشرك
واثبتها فى حق من لا يشرك فذاك يرجع الى دين المشرك ودين غير المشرك الى
ذات الله تعالى وكذا قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وكذا قولهم
ما شا الله كان ومالم يشا لم يكن ثم قوله لا يسحى ان يضرب مثلا بيان لقوله
مثله بالبعوضه وفعل اى لا يمتنع منه وقال قتاده وجماعه هو مشركى مكه
بدليل انه ذكر مثل هذا فى سوره المدثر وهى مكيه قال وليقول الذين فى قلوبهم
مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشا ويهدى
من يشا وقال هنا فاما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل
به كثيرا ويهدى به كثيرا ثم لذلك من اوايل الوحى فى حق مشركى مكه وكذا هذا
وفعل هو فى حق منافقى المدينه من اهل الكتاب بدليل انه قال الذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه وهذا صفه المنافقين من اهل الكتاب وقد قال فبما
نقضهم ميثاقهم ولان سوره البقره مدنيه وفعل يجوز ان يكون ذكرا لاله
فى القرآن جميعا فقد سبق ذكر الكفار والمنافقين فى صدر السوره وقال
ايضا فى سوره المدثر وليقول الذين فى قلوبهم مرض وهم اهل النفاق والكافرون وهم
اهل الشرك ثم ان الله تعالى بين انه لا يترك ضرب المثل الحق
بقول الكفار فلا تترك انت قول الحق بقول الفجار وكذا نه يسحى من احراق
النور بالنار فاسحى انت من مخالفه الملك الجبار **وقوله** ان يضرب
مثلا اى يبين والضرب فى القرآن لمعان الايلام من غير خدش ولا جرح واضرب منه
والصفح من غير ايلام ان اضرب بعصاك الحجر وتقليل ايلام فما ضربه
ولا تحث وللقطع واضربوا منهم كل بنان فى الجز والارهاق فاضربوا فوق

الاعناق وللكسر فراغ عليهم ضربا باليمين وللتعذيب الملائكة الكفار عند
الموت والملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ومن المجاز فيه وآخرون يضربون
فى الارض وهو السير وفيه ضرب الرجل على الارض وقوله افنضرب عنكم الذكر صفحا
هو الضرب بقدره افنهلكم فلا نعرفكم مما عليكم فان كنتم مسرفين واصله الراكب
اذا اراد ان يصرف مركبه عن جهته ضربه ليعدله فوضع الضرب موضع الصرف
وقوله فضربنا على اذانهم اى اسمعناهم ومنعناهم السماع ومنه ضرب الحجاب
على الاذن فى التعذيب وقوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن اى وليرخين
مقانعهن فوق جيوبهن عند صدورهن للستر وقوله فضرب بينهم بسور
له باب اى اظهر وقوله فاضرب لهم طريقا اى خط وقوله ضربت عليهم الذله اى
وظفت عليهم الجزيه وقوله فلا تضربوا لله الامثال اى لا تصفوا الله الاشكال
وقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اى يمثل وقوله واضرب لهم مثلا اى واذكر
وقوله ضرب الله مثلا اى بين وها هنا ايضا معناه البيان بالاجماع من اهل
التفسير وسلام مر تفسيره فى قوله كمثل الذى استوقد نارا **وقوله**
ما بعوضة ما يجئ على عشرة اوجه للنفى وما يستوى الاعمى والبصير وللجحد ما جاءنا
من بشير ولا نذير وبمعنى الذى وما يخفى الصدور وبمعنى من والسما وما بناها
وللمصدر ما غفر لى ربى وللاستفهام ما سلككم فى سقر وللشرط وما تفعلوا
من خير فلن يكفروه وللوقت ما دمت حيا وللتعجب ما اكفره وللصله فبما رحمه
وبعوضه هى من صغار البق والبعض من الشى طائفه منه وتبعيض الشى تجزيته
وكانت البعوضه بعض البق لصغرها وكلمه ما تصلح صله زايده موكده وتصلح
اسما وبيانه فى بيان اعراب بعوضه وهى منصوبه فى القراة الظاهره وقال
النحويون ويجوز فيها الرفع فاما النصب فلوجوه ثلاثه احدها ان ما زايده
موكده ومعناها حقا وتقديره ان يضرب بعوضه مثلا حقا ولا اعراب لها
والخافض والناصب يتخطاها الى ما بعدها قال تعالى فبما رحمة من الله لنت

يتجاوز

ان يكون ما اسما نكرة منصوبة و بعوضه صفة وصلة لها تابعة
للموصول ٤ اعرابه و تقديره ان يضرب مثلا شيئا بعثى اى مثل اراد
بعوضة فما فوقها والثالث ان يكون نصبا على نزع الخافض ومعناه ان
يضرب مثلا ما بين بعوضه الى ما فوقها فنزع بين من الاول و الى من الثانى
فانتصبا بنزع الخافض وهو كقولهم مطرنا ما زرنا بالله فالشعلبيه فاصله ٤
الدفع فيا فضمار هو تقديره ان يضرب مثلا الذى هو بعوضة والاضمار
جايز قال ـــــ فكفى بنا شرفا على من غيرنا حب النبى محمد ايانا ـ
ينشد غيرنا بالرفع و الخفض قال الربيع بن انس ضرب المثل بالبعوضه
عبرة لاهل الدنيا فان البعوضة يحى ما جاعت ويموت اذا شبعت فكذا صاحب الدنيا
اذا استغنى طغى وبه الزوى وقال الامام ابو منصور الاعجوبة ٤ الدلالة
على وحدانية الله تعالى وربوبيته ٤ خلق الصغير من الحشه و الجسم الكثير الكبار ـ
منها والعظام لان الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من البعوض والذبات
وتركيب ما يحتاج اليه من اللحم والانف العينين والرجل واليد والمدخل والمخرج
ما قدروا عليه ولعلهم تعدون على تصوير العظام من الاجسام الكبار منها
وقال غيره ان الله تعالى قوى قلوب ضعفا الناس بذكر ضعفا الجبابر
وعرف الخلق قدرته ٤ خلق الضعفا على هيئة الاقويا فان البعوض على صغره
بهيئة الفيل على كبره و ٤ البعوض زيادة جناحين فلا تستبعد من كرمه ان
يعطى قليل العمر ما يعطى كثير العمل من الخلقه كما اعطى صغير الجثه ما اعطى كبير
الجثه من الخلقه ومن العجيب ان هذا الصغير يوذى هذا الكبير فلا يمتنع منه
ومن لطف الله تعالى انه خلق له اسد نهايه القوه و البعوض و الذباب نهايه
الضعف ثم اعطى البعوض والذباب حراة اظهرها ٤ طيرانهما ٤ وجوه الناس
وتمادیهما ٤ ذلك مع مبالغة الناس ٤ ذبهما بالمذبة وركب الجبن ٤ الاسد والظفر
ذلك تباعد مساكن الناس وطرقهم ولو تجاسر الاسد تجاسر الذباب و البعوض

لهلك

لهلك الناس ومن الله تعالى ٤ جعل ٤ المجاسر الضعف ٤ القوى الجبن وهو
العزيز الحكيم وقال القشيرى الخلق ٤ التحقيق بالاضافه الى قدرة الحق
اقل من ذرة ٤ الهوا من الهبا وسيال ٤ قدرته العرش والبعوضه فلا خلق
العرش عليه اعسر ولا خلق البعوضه ايسر فانه سبحانه متقدس عن طوق
العسر واليسر **وقوله** فما فوقها فالفوق العلو و فاقه اى علبه
وعلاه وصار فوقه واستصابه بما مر ٤ قوله بعوضه واما نفسه فقد
قال قتاده وابن جريج معناه فما فوقها ٤ الكبر وقال ابو عبيده معناه فما
دونها والكلمه من الاضداد كالورا يكون للخلف والامام قال تعالى ويذرون
ورائهم يوما ثقيلا والصريم يكون للنهار والليل والقرء يكون للحيض والطهر
وقال اهل التحقيق اى فما فوقها ٤ الصغر لان الغرض المطلوب هنا هو الصغر
والكلمه من قولهم فاق فلان كذا اى جاوزه والمجاوزة نوعان بالصغر والكبر
فان ذكر شى على وجه التصغير فاذكر بعده بهذه الكلمه عرف انه اريد به مجاوزته
اياه ٤ الصغر فان ذكر على وجه التكبير عرف انه اريد به مجاوزته اياه ٤ الكبر
وهو متعارف يقال فلان صغير القدر قليل الخير فيقال هو فوق ذاك قالوا
والجامع بين المعنيين بوصف احراى من الميل الى الضدين لان الكلام للافهام
و ٤ دلالة اللفظ الواحد على الضدين حمل على الابهام وحملوا على ذلك جميع ما ورد
من الالفاظ الواقعه على الضدين ٤ الكلام وقالوا الورا ما دارك خلفا كان
اداما ما دار الصريم الوقت المتصرم ليلا كان او نهارا والقرء الوقت المعاد
طهرا كان او حيضا والفوق المجاوز عن الشى صغرا كان او كبرا واذا حمل
على المجاوزة ٤ الصغر فمعناه ان الله تعالى لا يمتنع عن بيان الحق بضرب المثل
بالبعوض الذى هو نهاية ٤ الصغر عندكم وبما هو دونه ٤ الصغر ما هو
٤ علم الله تعالى وقدرته وان لم يره احدكم بمشاهدة واذا حمل على المجاوزه ٤ الكبر
وقيل اى بالفيل الكبير فانهما يتماثلان صورة لكن هذا يطيره هذا يسيره وهذا

يألف وذاك نفور وهذا يوذيك ويستولي عليك وذاك تقشعر منه وتستولي عليه
ومن العجب عجزك عن هذا الضعيف وقدرتك على ذلك الكبير ومن الاعاجيب ان هذا
الضعيف اذا طار في جهل ضاق ملكك به وبغض عيشك وفسد عليك بستانك وكرمك
واعجب منه جراتك مع ضعفك على ما يورثك العار ويوردك النار فاذا كان جزء من
هذا من البعوض في الدنيا فكيف حالك اذا تسلطت عليك الحيات والعقارب في الآخرة
وقوله فما فوقها اي العنكبوت والذباب فقد كان ذكرهما قبل هذا على ما ذكرنا
وللعنكبوت خطر عظيم وامر جسيم فقد دفع الله به قصد الكفار عن النبي المختار
وصاحبه في الغار على ما عرف في الاخبار **وقوله** فاما الذين امنوا فيعلمون
انه الحق من ربهم اما كلمة تفصيل ولابد لها من جواب وجوابها بالفاء وهي اداة رافعة
الاسم اذا كان بعدها امر او نهي او نصب قال تعالى واما الذين امنوا فاما
الذين كفروا فلذا في كل موضع والحق نقيض الباطل والحق الواجب والاستحقاق
الاستيجاب والحق الصدق في قوله ان وعد الله حق والحق الكائن في قوله
وكان وعد ربي حقا والحق اصل الحقوق في قوله واتواحقه والحق الغاية في قوله
حق تقاته وحق جهاده وحق قدره والحق العدل في قوله فاحكم بين الناس بالحق والحق
العذاب في قوله قل رب احكم بالحق والحق الحاجة في قوله ما لنا نرى بناتك من حق
واما التفسير بمعناه واما الذين اعتقدوا دين الحق بقلوبهم واقروا به بكل
بالسنتهم فيعلمون ان هذا الحق مثل من الله تعالى فيتفكرون في هذا المثل الحق
ويوقنون ان الله هو خالق الصغير والكبير كل ذلك في قدرته سواء كما ان
الخلق عاجزون عن خلق الصغير والكبير كل ذلك في عجزهم سواء وقال العسكري
فاما من فتحت ابصار سرايره فلا ينظر الى الاعيان والاثمان الا نظر الاعتبار
ولا يزداد الا نفاذ الاستبصار فاما الذين سكرت ابصارهم بحكم الغفلة والاشغال
فلا يزدهم ضرب الامثال الا زيادة الجهل والاشكال **وقوله** فيعلمون
انه الحق من ربهم فمن عرف الحق فمن حقه القيام لحقه وقبول حقه واداء حقه

بل حق عارف الحق كونه بالحق وللحق وكونه به ان لا يلاحظ غيره وكونه له
ان لا يسأل عنه فكيف يصح التسمية لمن يعرف له الصحبة وتقسمت الخلائق
والعلائق عليه **وقوله** واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله
بهذا مثلا هذا استفهام بمعنى الانكار ومعناه فاما الذين اشركوا والذين هادوا
فيقولون اي شيء اراد الله بالضرب مثلا بالبعوض واي فايدة في هذا وهذا كقوله
منهم وقال الزجاج في ماذا الجواز ان يكون ما وذا اسما واحدا ويكون موضعهما
نصبا ومعناه اي شيء اراد الله بهذا مثلا ويجوز ان يكون ذا بمعنى الذي فيكون
المعنى ما الذي اراد الله بهذا مثلا واي شيء الذي اراد الله بهذا مثلا فيكون ما
رفعا بالابتداء وذا خبره للابتداء والارادة المشية والارادة الطلب والمراودة
المطالبة والارتياد الطلب متكلف في الارادة صفة الله ازلية قائمة بذاته
وصف بها نفسه فقال فعال لما يريد وقال يفعل ما يريد **وقوله**
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا الكثير خلاف القليل وعدد كاثر اي كثير
قال الشاعر ولنا العزة للكاثر والمكاثرة المغالبة بالكثرة
والمكثور المغلوب به فاما تفسيره فقد قيل هذا اخبار عن اليهود او المشركين
او المنافقين انهم قالوا يضل الله بالمثل كثيرا من الناس ويهدي الله بالمثل
كثيرا من الناس وقيل هو اخبار من الله تعالى وكذا قال الامام ابو منصور
هذا جواب لقولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا قال اراد ان يضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا فضل من علم منه انه يختار الضلالة وهدى به من علم انه يختار الهدى اراد
من كل ما علم منه انه يختاره قال الامام ينقض على المعتزلة قولهم فانهم يقولون
اراد ان يهدي به الكل ولكن ضل بعضهم واهتدى بعضهم وقيل يضل به من يسخف
بالمثل ولم يعده حكمة وهم الكافرون ويهدي من عرف وجه حكمته وعلم فايدته
وهم المؤمنون والاضلال خلق فعل الضلال وهو حق من اختار الضلالة
وكذا بعد ما عرف الدلالة والهداية خلق فعل الاهتداء حق من اختار صفة

الاهتداء المعتزلة حملوا ذلك على تسميتهم ضالين وتسميتهم مهتدين واللغة
لا تحتمل ذلك والدلايل السمعية والعقلية تردّ ذلك وبالله العصمة وقوله
وما يضل به الا الفاسقين الفسق والفسوق هو الخروج عن الطاعة ونسقت
الرطبة اذا خرجت عن قشرها والنوى يسقه الفاره لخروجها عن حجرها هذا
كشف الكلام الاول فانه قال يضل به كثيرا ثم بين من يضله به فقال وما يضل به
الا الفاسقين اى وما يخذل الله بسبب ذكر هذا المثل الا الخارجين عن طاعته
وانتصابه بوقوع فعل الاضلال عليه والجملة ان الهداية والاضلال من الله
حقيقته والاهتداء والضلال من العبد والجبرية لا يرون فعل العبد والمعتزلة
لا يرون فعل الله وقد ردنا قول الفريقين قبل هذا ثم الهداية حق من اختاره
فقال وهدى اليه من اناب والاضلال حق من اختاره فقال ويضل الله الظالمين
وقال وما يضل به الا الفاسقين والاضلال اذا اضيف الى الله فهو خلق الضلال
كقوله يضل به كثيرا وقد يكون للابطال كقوله اضل اعمالهم فاذا اضيف الى
الشيطان فهو التزيين والوسوسة قال لاضلنهم وما اضيف الى فرعون
ونحوه وهو الدعوة قال اضل فرعون قومه فاذا اضيف الى الاصنام فهو التسمية
فقال انهن اضللن كثيرا من الناس وقيل وما يضل به الا الفاسقين اى الذين
لا يتطرون فاعاجب هذا المثل والحاصل ان السوى للممسين والحسنى
للمحسنين قال الا لعنة الله على الظالمين ان الله لا يصلح عمل المفسدين وان
الله لا يهدى كيد الخائنين كذلك نفعل بالمجرمين ان الله لا يحب المعتدين انه لا يحب
المسرفين ويل للمطففين فبئس مثوى المتكبرين وقال وهدى وبشرى للمسلمين
وان الله مع المؤمنين والله يحب المحسنين ان الله يجزى المتصدقين ويشر الصابرين
وهو يتولى الصالحين ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين واعدت للمتقين وبشر
المحسنين ان الله يحب المقسطين ونعم اجر العاملين وقوله الذين
ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه هدانعت الفاسقين ونقض الحبل والبناء

حقيقة

والعقد والعهد والقرحة ازالة نظمها وضمها والنقض بالضم المنقوض
والانتقاض قبول النقض ونقيض اسى صنع ونقيضة القصيدة جوابها
وينقضون صيغتها للاستقبال ومعناه هاهنا المضى والحال ان الله
يخذل بذلك المثل من فسق ونقض العهد والذى هو فاسق وناقض العهد للحال
فاما العهد فى اللغة فهو الميثاق وهو لاشيا آخر ايضا وفى القرآن لاشيا للتوحيد
فى قوله قل اتخذ عند الله عهدا ولوعد الجنة فى قوله فمن يخلف الله عهده وللقرآن
فى قوله اوفوا بعهدى اى اوامره وافرايضى ولجزآء الطاعات فى قوله اوف بعهدكم
وللوعد فى قوله ومن اوفى بعهده من الله وللامر فى قوله الم اعهد اليكم
وللنذر ومنهم من عاهد الله وللميثاق فى قوله ينقضون عهد الله وللتمين
فى قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا وللامانة فى قوله لا ينال عهدى
الظالمين وللثبات فى قوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد وللزمان فى قوله افطال
عليكم العهد واما تفسيره فقد قال ابن عباس هو اخذ ميثاقه فى ذرية
ادم اخرج الذرية كامثال الذر وقال لهم الست بربكم قالوا بلى ونقض
هذا العقد هو الجحود بعد الاقرار والكفر بعد الاستقرار ومن حسن
المعاملة فيه رد الاعيان مع التفريد والتوحيد فى الاقرار وقيل العهد
هو حلف مشركى العرب حتى ضللهم اليهود والنصارى وسمعوهم لعباد الاصنام
المنحوتة والانصاب الموضوعة بما اخبر الله تعالى عنهم بقوله واقسموا بالله
جهد ايمانهم لين جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم اى اليهود والنصارى
فلما جاءهم نذير اى محمد ما زادهم الا نفورا او نقضهم ميثاقهم هو الكفر والكفور
وابطال القسم المذكور وقيل ميثاق الله على اهل الكتاب وقال تعالى واذ
اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس اى بالقول ولا تكتمونه
اى بالفعل ونقضهم ما قال فنبذوه وراء ظهورهم اى كتموا صفة محمد
وفسقوا ونقضوا العهد واشتروا به ثمنا قليلا اى عرض الدنيا

وتقضيهم

ميثاقه

ليس ما يستوون كتموا الحق لاجل العرض اليسير من الكرباس والشعير او قعوا
انفسهم بذلك في التعيير وقيل هذا الميثاق هو المذكور في قوله واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة ونقضه ما ذكر ثم توليتم
من بعد ذلك وقيل هو المذكور في قوله واذ اخذنا بني اسرايل لا تعبدون الا الله
الاية ونقضه ما قال ثم توليتم الا قليلا وقيل هو المذكور في قوله واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم الاية ونقضه فما ذكر ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم
وقيل هو ما اودع الله فيهم من الالات التي يقع بها التمييز بين الحق والباطل نحو
العقل والسمع والبصر فنقض ميثاق الفطرة وهو اعطاء الالات للتمييز والقدرة
بتعطيلها وترك استعمالها في لوازمها وقيل العهد الاول هو مشاقة الذرية
بما حمد الله ميثاق كل امة بارسال رسولهم اليهم بكتاب وشريعة ونقضهم هو
خلافهم ما قبلوه وقيل هو ما اخذ على اهلها بقوله الم يوخذ عليهم ميثاق
الكتاب الاية ونقضه خلافهم ولكن وقيل كل من اسلم فقد قبل عهد الله في توحيده
وعبادته والايمان بامره والانزجار بزجره والثقة بوعده والرضا بحكمه
ونقضه الاعراض والاعتراض واحتيار الاغراض وطلب الاعواض وقيل من العهد
نذر العبد اذا نذر له محذوران يلازم التوبة ويجانب الشرور ونقضه
العود الى مالوف الفساد ومرافقة التغاطي المعتاد **وقوله** وبعد
ميثاقه اي توثيقه والوثيق المحكم وقد وثق وثاقة من حد شرف والتوثق
والاشاق الاحكام والميثاق العهد المحكم والوثاق بفتح الواو وكسرها
ما يحكم به الشيء والمراد من الميثاق في هذه الاية هو المصدر المذكور على وزن المفعال
دون نفس العهد وقد ذكره في قوله عهد الله والهاء التي اخره لخوزان يعود الى
الى العهد اي بعد توثيق لك العهد ولخوزان يعود الى الله وقد ذكر قبله ومعناه
بعد توثيق الله ذلك **وقوله** ويقطعون ما امر الله به ان
يوصل هذه صفات الفاسقين الذين سبق ذكرهم اي هم المضيعون حق الله

وحق خلقه وتضييع حق الله نقض عهده وتضييع حق خلقه بقطيعة ارحامهم
والقطع في اللغة هو الابانة والقطيعة الهجران وقطاع الطيور خروجها من بلاد
البرد الى بلاد الحر وقطوع النهر والوادي عبوره بما والامر بالشيء الدعاء الى تحصيله
والايتمار الامتثال بالامر والوصل نقيض الفصل والوصل ضد الهجران وما يتقرب به الوصل
فاما التفسير فقد قيل هو الايمان ببعض الانبياء والكفر ببعض وقد امروا
بالايمان بالكل بقوله امنوا بالله ورسله واخبر عن المومنين انهم قالوا لا نفرق
بين احد من رسله وقيل هو قطيعة الرحم وقد امروا بوصلها بقوله فاتقوا الله الذي
تساءلون به والارحام وقيل هو تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وخلافه ومعاداته
مع انه مر ولاد اسمعيل عليه السلام واهل الكتاب من ولد اسحق عليه السلام وبينهم قرابة
العم وقد قال الله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى اي الود بسبب
القرابة التي بيني وبينكم من هذا الوجه وقيل هو مبايعتهم ومشاقتهم
كل العرب والعرب من اولاد اسمعيل وهم اولاد اسحق وبينهم هذه القرابة
وهم يمنعون المجانبة والمحاربة قاطعون الارحام وقد امروا بوصلها **وقوله**
ويفسدون في الارض وهذا من صفات هؤلاء الفاسقين ايضا وقد مر معنى
الكلمة في تفسير قوله لا تفسدوا واما تفسيره هنا فقد قيل هو الكفر
كما في قوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وقيل هو العمل بالمعاصي كما في
قوله اتجعل فيها من يفسد فيها وقيل هو اخذ اموال الناس وبناول املاكهم
كما قال ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض وقيل هو حمل الغير على
الفساد ودعاوه الى الفساد كما قال واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض وقيل
صد الناس عن دين الله واتباع رسول الله وقيل هو كل ما خالف الحق والرشاد
قال تعالى والله لا يحب الفساد **وقوله** اولئك هم الخاسرون اي هؤلاء
المذكورون هم الذين صفتهم الهالكون المغبونون فان المصدر منه
الخسر والخسار والخسران وكلها لدلالة معاني النقصان والهلاك والغبن

قال تعالى ولا تحسبوا الميزان اى لا تستبصوا وقال خسروا انفسهم اى غبنوا وقال العشرى
اى الهالكين وقال قد خسروا انفسهم اى غبنوا وقال العشرى
من بعض العهد ان يحيد شرك لحظه عن شهوده ومن قطع ما امرت به وصله
ان تتخلل وقائك نفس لحظك عن القيام لحقه ومن افسادك به الارض ساعة
يجرى عليك ولم تدم فيها على مشاهدته الان ذلك هو الخسران المبين وقوله
كيف تكفرون بالله كيف يستعمل بمعانى الاستفهام المحض هو سؤال عن الحال
تقول لصاحبك كيف انت وللشرط تقول لصاحبك كيف تعاملنى اعاملك بمثله
وهو على الشرط والجزآء والاياسه تقول لمن اراد ان يحمل شيا وعدك انه يعجز
عنه كيف تحمل مع ضعفك وللتعرض تقول لصاحبك كيف انت وكسوه فاخره اى
هل تريدها وللانكار كيف تجحد صديقك وقد وفاك وللنفى نحو له ما وكما
به قوله كيف يكون للمشركين عهد اى ما يكون ولا يكون بدليل انه استثنى عنه
فقال الا الذين وللتاكيد ما قبله وكفى ما بعده فكيف اذا حيانا من كلامه
نشهد اى ان الله لا يظلم مثقال ذره فكيف به الاخره ومعنى لم كما فى قوله كيف
وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة اى لم يقاتلوكم وللتعجب كما فى
قوله انظر كيف يفترون على الله الكذب اى تعجب يا محمد فانه موضع التعجب
لك وللتعجب بعضهم اى لم تكفرون بالله وهو حلفكم وقيل اى وكيف استجزتم
من انفسكم الكفر بالله وهو خالقكم وقيل اى عجب كفركم والله خالقكم وقيل
هو انكار وقيل هو توبيخ وقوله وكنتم امواتا فاحياكم ذكرنا
الموت فى تفسير قوله حذر الموت والاحيا اثبات للحبوه والانتظام هذا
بما قبله انه قال فى اما الذين كفروا ثم ونحوهم فقال وكيف تستجيزون من انفسكم
ان تكفروا بالله وهو الذى اوجدكم بعد عدمكم قد كنتم امواتا اى نطفا اجزاؤها
متساوية فاحياكم اى جعلكم احيا بجعل بعض اجزا النطف عظاما وبعضها لحما
وبعضها عصبا وبعضها عرقا وبعضها جلدا وبعضها شعرا وجعلك تنطق

بلحم وتسمع بعظم وتبصر بشحم وتعرف بدم وابطشك وامشاك بايدك وقواك
وجعلك تستولى على طيور الهوآء وحيتان الماء وحوش الصحرا ثم يميتكم بعد ما كنتم فى الاصل امواتا ويجوز ان يكون الخطاب للمسلمين وعتابهم على وجه آخر كيف
تكفرون اى نعم الله عليكم وتنكرون ايادية اليكم وقد كنتم امواتا بالكفر فاحياكم
بالايمان وكنتم امواتا بالجهل فاحياكم بالعلم وكنتم امواتا بالرغبة فاحياكم بالرهبة
وكنتم امواتا بالشك فاحياكم باليقين وكنتم امواتا بالاختلاف فاحياكم بالايتلاف
وقال بعض البغداديين وكنتم امواتا بجهوه انسبكم فاحياكم بامانتها وقال ابن
عطا كنتم امواتا بالظواهر فاحياكم بالسرايد وقال فارس وكنتم امواتا
بشواهدكم فاحياكم بشاهده وقال الواسطى وكنتم امواتا فاحياكم به
ثم تفسير ظاهر الايه على نظمها كنتم نطفا لاحيوه فيها فاحياكم صوركم احيا قادرين
عالمين ثم يميتكم عند انقضا اجالكم ثم يحييكم فى القبر للسوال والجواب وتمهيد الثواب
والعقاب ثم يبعثكم يوم القيامة للجزاء على الاعمال فريقا للسلاسل والاغلال
وفريقا للارائك والظلال واما على طريقة الحقيقة فعلى ما اشار اليها
الامام القشيرى اولاها وكنتم امواتا بجهلكم عنه ثم احياكم بمعرفتكم به ثم يميتكم
عن شواهدكم ثم يحييكم به ثم اليه ترجعون بحفظ احكام الشرايع ومراعاة الحقايق
والثانية وكنتم امواتا بفقد نفوسكم فاحياكم بفنا نفوسكم ثم يميتكم
عن شهود ذلك لئلا تلاحظوه فيفسد عليكم ثم يحييكم باخذكم عنكم ثم اليه ترجعون
بتقليبكم فى قبضته والثالثة هذا تقليب احوالهم من حيوتهم فى دنياهم كانوا امواتا
بذواتهم فى الاصل فاحياهم بما اقام فيهم ثم اماتهم عن ذويه البقا فافناهم ثم ابقاهم
فابقاهم ثم جعل اليه فى كل الاحوال مرجعهم ومنتهاهم فهم الذابلين بغى واثبات
واماته واحيا وبقا وفنا وصحو ومحو ممن المحال كفر العبد وكفرانه مع هذه الاحوال
وقوله ثم يميتكم اى فى الدنيا عند انقضا اجالكم ثم يحييكم قيل اى يوم القيامة
للحساب والجزاء على اعمالكم وقال السدى اى ثم يحييكم فى القبر ثم اليه ترجعون فى الاخرة

فان ثم للتعقيب على سبيل التراخي فدل على انه لم يرد به حيوة البعث
فان الحيوة يوميد تتاخرها الرجوع الى الله بالحساب والجزاء يتصل به من غير
تراخي ودلت الايه على اثبات عذاب القبر وراحة القبر في القرآن اثبات
تدل على ذلك حكى عن ابرهيم بن جعفر انه قال ختمت القرآن سبعمائة مره مع نفسي
وتدبرت حتى استنبطت ثلاث ايات في اثبات ذلك احداها قوله ولكم في
الارض مستقر ومتاع الى حين يعني الى الموت ثم قال قال فيها تحيون اى
في القبر وفيها تموتون بعد هذه الايات في القبر ومنها تخرجون اى
من القبر بالبعث والثانيه قوله تعالى قل الله يحييكم وهذا خطاب للاحياء فينصرف
ذلك الى احيائهم بعد موتهم لان احيا الحي لا يتصور ثم قال ثم يميتكم اى بعد هذه
الحيوه ثم يجمعكم الى يوم القيامه اى يبعثكم للجزاء والثالثه في هذه الايه وكنتم
امواتا اى في ارحام امهاتكم فاحياكم ثم يميتكم في الدنيا ثم يحييكم في القبر ثم اليه
ترجعون بالبعث يوم القيامه ومنها قوله اغرقوا فادخلوا نارا في
والفا للتعقيب بغير تراخي ومنها قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
ثم قال ويوم يقوم الساعه ادخلوا ال فرعون اشد العذاب اى الجحيم ومنها
قوله سنعذبهم مرتين اى مره في الدنيا بهتك الستر ومره في القبر ثم
يردون الى عذاب عظيم ومنها قوله وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك اى
في القبر ومنها قوله في حق الشهدا احيا عند ربهم يرزقون فرحين ومنها
قوله بالت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ومنها قوله فان له
معيشه ضنكا روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه فسره بعذاب القبر وقوله ثم اليه ترجعون ثم يحيى على اسبعه
اوجه للترتيب مع التراخي كما في هذه الايه ومعنى الواو كما في قوله ثم الله شهيد
اى والله ومعنى مع ذلك كما في قوله ثم كان من الذين امنوا والترتيب في الذكر لغة
الوجود كما في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم والتقديم كما في قوله فانهم لاكلون

منها الى قوله ثم ان مرجعهم الى الحكم والابتداء كما في قوله ثم اورثنا الكتاب
والتعقيب كما في قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقوله يرجعون قراه عامه القراء
بضم التا وقرا يعقوب ترجعون بفتح التا وهو اخبار عن رجوعهم والاول اخبار
ان الله تعالى يفعل بهم ذلك ويرجعهم الى نفسه وهو كقوله ثم ردوا الى الله
وقوله انما يكون اياتنا بكم الله جميعا وقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا هم الهاء وصلها ابن كثير في الاصل والواو اشباع للضمه وهي كلمه اشاره ودلاله
على ما سبق ذكره او تقدم عهده وهي ها هنا دلاله راجعه الى ما ذكر في الايه التي
قبلها كيف تكفرون بالله واستفهام هذا بالاول من وجهين احدهما ان هذا خطاب
الكفار ووجهه كيف يكفرون بالله وهو الذي خلقكم وهو الذي خلق ما في الارض
لكم فانظروا في تخليقه اياكم الى قدرته وانظروا الى تخليق ما في الارض لاجلكم الى منته
ولا تستجيزوا الجحود ربوبيته والتقصير في طاعته والاعراض عن عبادته والثاني
انه خطاب المومنين ووجه نظمها انه وبخ الكافرين ثم الطف المومنين فقال
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فيه الاصول نعم الدنيا وانتم المختصون بنعم
العقبى لكم ما في الدنيا بطريق الاصاله وللكفار بطريق التبعيه ولكم نعم الاخرة دون
الكفار بطريق الخصوصيه قل من حرم زينه الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوه الدنيا اى بالاصاله خالصه يوم القيامه اى
بدون الكفار فلا ينالون شربه من ما الجنه قال تعالى حكايه عنهم ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنه ان افيضوا علينا من الما او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
واما التفسير فقد قيل هو الذي خلق لكم اى قدر ان يكون في قتا بعد وقت
فانه واقع على كل ما كان في الدنيا وما يكون وقد ذكر بصيغة الماضي وكان واقعا
على التقدير دون الايجاد ثم ان اهل الاباحه من المتصوفه الجهله خذلهم الله
حملوا اللام في قوله لكم على الاباحه على الاطلاق وقالوا الاحظر ولا محرم ولا اثم
ولا امر واذا تحققت المعرفه ناكدت المحبه سقطت الحرمة وزال الحرمة

فالجنس لا يكلف جنسه ما يتعبه ولا يمنعه ما يريده ويطلبه وهذا منهم
كفر صراح وخروج من الايمان بافصاح فقد نهى الله وامر واباح وحظر
ووعد وأوعد وبشر وهدد والنصوص ظاهرة والدلايل متظاهرة فمن حمل
هذه الايه على الاباحة المطلقة فقد انسلخ من الدين بالكليه فالمحمل الصحيح
ما قاله ابن عباس خلق لمنافعكم ومصالحكم وشرحه ان جميع ما في الدنيا دفع
حوائجكم وقوام معايشكم فلانتفاعه للبشر الا بالطعام والشراب ودفع الحر
والبرد بالاكنان والاثواب وقد هيأ لكل كله مما لكم وفيها ايضا على الضروريات
من تناول الطيبات والتجمل بانواع الزينات والتنقل من وجوه اللذات
والاستراحة بانواع الراحات فالسما سقفكم والشمس سراجكم والقمر نوركم
والنجوم هداكم والريح رَوحكم والغيث غياثكم والثلج لبردكم والسحاب ظلكم
والارض بساطكم والبحار والانهار سقاكم والحبوب والثمار ارزاقكم والاودية
والرياحين طيبكم والرياض والحدايق مسرتكم والادوية علاجكم والنبات
النفيسة ملابسكم والجواهر حليكم واللحوم الطيبة مآكلكم والانعام السمن
مراكبكم ثم انكم تملكون ما كان من جنس الصيود والحطب والحشيش وثمار الجبال
والبوادي التي هي غير مملوكة سوى الاستيلاء وما في ايدي الملاك بالعقود المشروعة
الصحيحة تنتفعون بالاعيان المملوكة للاغيار بالاعارة والاجارة والاباحة
فيما شرع به ذلك وتنتفعون بالكل بالنظر اليها وشم ريحها والاستظلال بظلها
والسلوك في طرقها واستلذاذ الاسماع بطيب اصواتها فما ليس فيه ارتكاب محرم
واجتلاب مأثم والوصول الى ملاذ الانكحة بملك النكاح وملك اليمين واما الحيوانات
العقارة والمواشي والاعيان النفيسة الخطيرة ففيها مذكر عقوبات الجحيم
ومعرفة النعم في اضدادها وهو نفع عظيم واعظم ذلك كله نفع الاستدلال
بها وهدايته الله تعالى سنريهم ايانا تنا في الافاق وفي انفسهم فالبنا دليل
على البنا في الخط على الكاتب الصياغة على الصايغ والمصنوع على الصانع

واما اهل الحقيقة فقد قالوا فيه اقاويل بعضهم معناه خلق لكم ما في الارض
لتقتدروا به على طاعته لا لتصرفوه في وجوه معصيته وقيل خلق لكم ذلك لتعتبروا
بعمم عليكم فتقتضوا السكر من انفسكم طلبا للمزيد على ما لديكم وقال ابن
عطا خلق لكم ما في الارض ليكون الكون كله لك وتكون انت بكليتك لله تعالى
فلا تشتغل بما لك عما انت له وقال القشيري سخر لكم جميع المخلوقات
على معنى حصول الانتفاع بكل شيء منها فعلى الارض تستقرون وتحت السما تسكنون
وبكل مخلوق بوجه ما تنتفعون بل ما من عين واثر فكر فيه الا وكمال قدرته
وظهور ربوبيته به تعرفون وقوله ثم استوى الى السما استوى
في اللغة لبلوغ الشيء غايته او ما بلغ اشده واستوى وللتساوي لا يستوي الخبيث
والطيب وللجلوس فاذا استويت انت ومن معك على الفلك وللركوب لتستووا
على ظهوره وللقيام فاستوى على سوقه وللاستقرار واستوت على الجودي
وقد وردت هذه الاستعمالات في قول الشاعر قد استوى
بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق وعلى هذا حمل بعض اهل
العلم قوله ثم استوى على العرش قال معناه استولى اي هو مالك الملك وملك الملوك
في الازل والابد لا يحدث ملك وتجدد ولايته وهو كسايره ما يذكر في صفات الله تعالى
انه فعل كذا ويفعل كذا ليس ذلك لانقضاء ما كان في الماضي ولا لحدوث ما يكون
في المستقبل بل هو وصف ازلي ابدي وصيغة الماضي والحال والمستقبل لظهور
المخلوق المفعول في زمان مخصوص وهكذا استوى ايضا للصعود والاقبال
وقد ورد عن بعض اهل التفسير في هذه الاية ثم استوى الى السما اي صعد وعن بعضهم
اي اقبل والمشبهة يجرون هذه المشابهات على ظواهرها ويحوزون على
الله تعالى ذلك والله تعالى منزه عنه قال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير واهل

الحق يؤلون ذلك كله على موافقة الاصول فاما تاويل هذه الاية على قول
من فسره بالصعود وان قوله استوى اى صعد الدخان فقد قال هو الذى خلق لكم
ما فى الارض جميعا وكان فى الارض دخان فصعد ذلك فجعله الله سما كما قال فى اية
اخرى وهى دخان دنا وبلها على من فسر ذلك بالاقبال انه استعارة لطيفة فان
من رتب فعلين وهو من المخلوقين يقال له فعل كذا ثم اقبل على كذا اى اكمل الاول
وحقق اراده الثانى وقدر الله تعالى هذا فى افهام الخلق انه اكمل خلق الارض
ثم رتب عليه خلق السما ولا يفهم فى هذا ما يفهم من يرتب فعل البشر ان الاول
ينقضى ثم الثانى ياتى بل معناه ما قلنا ان فعل الله ازلى ابدى لكن يريد ذكر
الاشيا للترتيب ظهور الاثار فى الاعيان هذان تاويلان خارجان على تفسير السلف
بالصعود والاقبال تاويل اخر ان فيه تقديما وتاخيرا هو الذى خلق
لكم ما فى الارض جميعا الى السما اى خلق ذلك كله ثم قال ثم استوى اى انتظم
ذلك كله وتم وتاويل اخر ان الاستوا فى الايه مذكور من الله تعالى والمراد منه الاستوا
من السما وهو على القلب كما فى قوله كيف نكلم من كان فى المهد صبيا اى كيف
يكلمنا هو ونحو قوله فانهم عدو لى اى انا عدو لهم ودلت الايه على خلق الارض
قبل السما وفيه ايضا تاويل بانه قيل خلقهما معا بدليل قوله تعالى لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وقال قتاده والسدى خلق
السما اولا ثم الارض بدليل قوله والارض بعد ذلك دحاها وهذا اعجب
وهو اظهار السقف قبل الاساس فاما قولهم ثم استوى الى السما وهى دخان
فثم لترتيب الاخبار عنه لا لترتيب الوجود كما فى قوله خلقه من تراب ثم قال
له كن فيكون وقال ابن عباس ومجاهد خلق الارض اولا ثم السما بدليل
هذه الايه ثم استوى الى السما واما قوله والارض بعد ذلك دحاها معناه مع
ذلك كما فى قوله بيس الاسم الفسوق بعد الايمان اى مع الايمان ولانه قال بعد ذلك
دحاها ولم يقل خلقها ودحاها اى بسطها وبه نقول انه خلق الارض ثم السما

ثم بسط الارضين وهو اقرب الى الحكمة تمهيد الاساس ثم رفع البنا ثم بسط
الاساس وقال ابن عباس اول ما خلق الله جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة
فى مسيرة عشرة الاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها
دخان وارتفع واجتمع زبد فقام فوق الما فجعل الزبد ارضا والدخان سما
قالوا فالسما من الدخان وبريح ارتفعت وباشارة تفرقت وبلا عماد قامت
وتمحقت ابكسنت **وقوله** فسويهن سبع سموات ذكر هذه الكناية
على الجمع دليل على ان المراد من السما السموات وهى جمع والواحد سماه ومعنى
سويهن اى خلقهن مستويات محكمات وسبع سموات مفعول ثانى لسويهن
وقال سلمان هن سبع اسم الاولى رقيعا وهى من زمرد خضرا واسم الثانية
ارقلون وهى من فضه بيضا والثالثه قيدوم وهى من ياقوته حمرا والرابعة
ماعون وهى من دره بيضا والخامسة دبقا وهى من ذهبه حمرا والسادسة
دفنا وهى من ياقوته صفرا والسابعة عريبا وهى من نور يتلالى **وقوله**
وهو بكل شىء عليم كل كلمه احاطه واشتمال اى وهو عالم كل شى والبا بحرف
صله فى العلم تاكيدا ويصح بدونها وضعا ومعنا عالم بخلق الارضين والسموات
وغيرهما من الذوات والصفات **وقوله** واذ قال ربك انتظام هذه
القصه بما قبلها من وجوه احدها انه اخبر عن خلق السموات والارض ثم اخبر انه خلق فيها
بعدها البشر وابوهم ادم واخبر الملايكه قبل خلقه انه يخلقه ويستخلفه
والثانى انه قال خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم خلقكم فهيا اسبابكم ثم اخرجكم
وفيه تقريع قلوبهم وتوبيخ كروبهم والثالث كيف تكفرون بالله وقد خلقكم
وخلق الاشيا لكم وانعم على ابيكم بما ذكر فى تمام القصه وذكر النعم على السالفين
استبدا الشكر على الخالفين كما عدد نعم بنى اسرايل على اولادهم فقال
يا بنى اسرايل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم الى اخر القصه وكذلك ذكر تلك
القصص بعد هذه القصه بقوله واذ قال ربك والواو للاستئناف واصله

للعطف وهذا عطف جملة على جملة واذ كلها ظرف للزمان الماضي وقد يجيء لغير وقد
قالوا انه يجيء على خمسة اوجه للماضي كما في قوله واذ قلتم يا موسى وللحال في الماضي كما قال
اذ يلقون اقلامهم وللحال كما قال نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم
نجوى وللمستقبل المحض واذ قال الله يا عيسى بن مريم اانت قلت وتزيد والمائدة
كما في اوائل القصص واذ قلنا للملائكة ونحوه عند بعضهم وهو قول ابي عبيدة
وخالفه سائر اهل اللغة وقالوا هو للتوقيت وله وجهان احدهما واذكر يا محمد
حين قال الله للملائكة هذا والثاني في خلقكم حين اتم خلق السموات والارض وحين
قال للملائكة كذا وربك خطاب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم **وقوله**
للملائكة هو جمع الملك واصل الملك مالك من الالوك وهو الرسالة قال
لبيد وغلام ارسلته امه بالوك فبذلنا ما سال والملائكة رسل الله قال بعالى
جاعل الملائكة رسلا والمالك قلب فقيل ملاك وجمع على الملائكة والمستعمل
في الواحد ملك بحذف الهمز بحقيقا سم الملائكة في القرآن على بلاغة اوجه
للواحد كما في قوله فنادته الملائكة وهو قائم اي جبريل عليه السلام ولطائفة
مخصوصة كما في قوله تتنزل عليهم الملائكة وللاستيعاب كما في قوله شهد الله
انه لا اله الا هو والملائكة وقوله كل امن بالله وملائكته واما النفر
فقد قيل كان هذا خطابا لملائكة السما وقيل كان هذا خطابا لملائكة
الارض وقيل كان خطابا للكل وكذا اختلفوا في قوله واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم وقوله ان كلمة تاكيد والياء للاضافة الى نفس المتكلم **وهو**
اني جاعل قد مر التفصيل في الكلمة ومن وجوهه الخلق ومنها التصيير وبكل
واحد منهما هنا ورد التفسير وقيل معناه هنا اني خالق اي صانع خلق
وقيل اي مولي وناصر والاول للاحوات والثاني للتصيير والكلمة
يحتملها والتنوين في قوله جاعل مع النصب في قوله خليفة دلالة الفعل
وذلك الفعل هو الواقع على قوله خليفة وتقديره ساجعل خليفة وهو

خلاف

خلاف ترك التنوين والذكر على وجه الاضافة دال دليل وجود الفعل قبل
الاخبار وقولك الى ضارب زيد على الاضافة اخبار منك انك ضربته وقولك
ضارب زيدا بالتنوين اخبار انك تريد ضربه وعلى هذا قال اهل الفقه
من قال لاخر انا ذابح شاتك بالاضافة ضمن له شاة وسقط اقراره له بالف
شاة من قبل ولو قال انا ذابح شاتك لم يضمن شيا انه يريد ذبح شاته من بعد وعلى
هذا ظهر ان قوله وجاعل الليل سكنا وقوله اني جاعلك للناس اماما وجاعل الملائكة
اثبات امور كاينة وقوله اني جاعل في الارض خليفة اخبار عن امر سيكون وكذا قوله
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا فاما الايات التي تقرا فيها على الوجهين
فالدلالة على الامرين قال الله تعالى والله متم نوره فذكر بهما فالاضافة دليل كتبين
الاتمام لتحقيق الاسلام والتنوين وعد باكمال ظهور اهل الاسلام وقال هل
هن كاشفات ضره هل هن ممسكات رحمته وقال ان الله بالغ امره فالاضافة
فيهما للحال والتنوين للاستقبال **وقوله** خليفة فعيلة من خلفه يخلفه
خلوفا اي جا بعده يقوم مقامه ويسد مسده قال تعالى هو الذي جعلكم خلايف
في الارض والخليف ايضا كذلك وجمع هذا الخلفا قال تعالى واذكروا اذ جعلكم
خلفا من بعد قوم نوح وهو قياس الشريف والشرفا وجمع الخليفة الخلايف
وهو قياس الخليفة والخلايق والها للمبالغة لا للتانيث كما يقال علامة ونسابة
ورواية والخليفة ايضا هو المنصوب للامور لتنفيذ الامور قال تعالى انا جعلناك
خليفة في الارض واختلف في تفسيره هنا فقال ابن عباس هذا للعموم والمراد
به ادم واولاده وسموا به لانهم خلفوا الملائكة والجن بني الجان في سكنى الارض
ولذلك استقام قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ولا سك
انهم اراد وا بذلك اولاد ادم دون ادم نفسه وقال القفال قال الحسن البصري بل اولاد
ادم دون ادم وسموا به لانهم يخلفون ادم ويخلف بعضهم بعضا والملائكة
والجن بني الجان لم يخلف بعضهم بعضا بل جاوا جملة وقال السدي اراد به ادم

وحده وهو للخصوص ثم اختلفوا في تسميته خليفة قال ابن مسعود خلافة
الحكم بين الخلق وتبليغ الوحي وبيان الامر والنهي وقيل الوعد والوعيد وقال
بعضهم خلافة وخلافا اولاده من انبات الاشجار واستخراج الثمار وشق الانهار
وقالوا ان الله تعالى خلق العرش والكرسي واللوح والقلم وسدرة المنتهى وحسن
الماوى ولم يخبر عن خلقها قبل كونها وخص بذلك ادم واولاده لانه شرفهم وكرمهم
وفضلهم وقدمهم وما فعل ذلك لكون اصلهم ازين وما لكون تعليمهم احسن
ولكن منه فضلا وكرما وطولا وقد **قال قابلهم** ولم ابصرت
من حسن ولكن عملك من الورى ونع اختيارى **وقوله** قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدما قيل هذه الالف الف استفهام مختصرا
الحمل فيها من قصد فيها ام من يصلح فيها ومن يسفك الدما جراة ام من
يسمع الدموع خشية وقيل يجوز حذف احد الشيئين اذا دل المبقى على الملقى كما
قوله سرابيل تقيكم الحر اى الحر والبرد وقيل هو سوال الحكمة اى اى حكمة
في خلق من يفسد ويسفك وقيل هو الاشاب كما في قوله الم يان اى قد ان
قال انتم خير مرتكب المطايا واندى العالمين بطون راح قال
قالوا لما استخلف الله خليفة في الارض لم يعلم انه يكون
في الارض تباغ وتظالم فجعل فيهم من يمنعهم عن ذلك ولم يكن في السما ذلك فلم يجعل
فيهم خليفة فان قالوا انما يتخلف من غاب او عجز والله تعالى منزه عن ذلك كله
قلنا بلى لا يغيب عنه شئ وهو لا يعجز عن شئ لكن الامر غيب وليس لكل عبد
يطلع على الغيب فخص الانبيا بذلك ونصب ادم خليفة ونبيا ليبلغهم
ذلك ولا عجز ايضا لكن العباد يعجزون عن الوقوف على حقوق فجا الخليفة
ليبينها لهم قالوا كيف علم الملائكة ان من اولاد ادم يكون كذلك ولم تكلموا
بهذا الكلام قيل لانهم راوا الجن بن الجان فذا فسدوا افنها وسفكوا الدما فقاسوا
شهوته ونهمته وتوالده وتناسله والملائكة لم يكن لهم ذلك فلم يكن منهم ذلك فقاسوا

ادم واولاده ولهم تناسل وتوالد وشهوات انهم يكونون كذلك ولكن هذا
غير واضح لان تناسل ساكن في دار وافساده فيها لا يدل على انه اذا ذهب
وجاء غيره عمل عمله ولهذا لم ينسد الملائكة الذين جاوا بعدهم الجواب الصحيح
ما قاله ابن عباس وابن مسعود والحسن وابن جريج ومحمد بن اسحق ان الله تعالى
اخبرهم بذلك واذن لهم بالسوال بدليل انهم قالوا بعد ذلك لا علم لنا الا ما
علمتنا ثم هذا الكلام منهم بعد العلم لم يكن طعنا فيهم ولا اعتراضا على الله بل
له وجوه صحيحة اصحها انه للتعجب كما في قوله ادعوا بعلا وهو من وجهين احدهما
التعجب من استخلاف الله ايانهم مع علمه بحالهم والثاني التعجب من سفكهم وافسادهم
مع كثرة نعم الله عليهم واخرانه سوال الحكمة لا للاعتراض على الحكم وسوال الحكمة
جايز قال الله تعالى خبرا عن صحابه انهم قالوا ربنا لم كتبت القتال
لولا اخرتنا الى اجل قريب فلم ينكر عليهم لكن اعلمهم فقال قل متاع الدنيا قليل
اى امتلكم بالقتال لتحصل لكم الثواب الكثير وقال اينما تكونوا يدرككم الموت اى
ان قاتلتم او لم تقاتلوا والموت في الشهادة حيوة فاجعلوا الحيوة الفانية
باقية والمتاع القليل كثيرا **وقوله** من يفسد فيها من هنا للجنس كما في قوله
من يقول امنا بالله وتفسد من نفس وقيل اراد هنا الكفار اى تكفرون
بك وتسفكون دما خلقك فذكروا خيانتهم في حق الله تعالى بالكفر وخيانتهم
على الخلق بالقتل وهو اعظم ما يتصور من الخيانة في حق الحق وحق الخلق وردت
عليه انهم ذكروا من انفسهم شيئين يقابلانهما التسبيح بحمد الله والتقديس لله
والتسبيح بحمد هو الايمان به ووصفه بصفاته العلى والتقديس له هو تطهير
انفسهم وتطهير العالم عن كل فعل لا يرتضى وقيل المراد بهذا الفساد العمل
بكل المعاصي ثم عطف سفك الدما على الافساد مع ان المعاصي دخلت في الافساد
لتعظم حاله وتكثر وباله كعطف قوله منكر ومن نوح على قوله واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم لعلو درجتهما وعظم مرتبتهما وقوله فيها اى في الارض

وقوله وسفك الدما والسفك الصب والدم خاصة عند بعض اهل
اللغة والدمع ايضا عند بعضهم والدم اصله الدمى وحذف الياء تخفيفا
لكثرة الاستعمال ولهذا يعود في التصغير وتظهر في الفعل دمى يدمى
وادماه غيره ودماه وجمعه الدما والمدمى الفرس الاشقر الشديد الحمرة
يشبه لونه لون الدم والشجة الدامية التي تدمى والاثيل وبسفك بفعل
واحد ومعناه الجمع كما في يفسد والالف واللام في الدما بدل الاضافة اى
دما الناس كما في قوله يستمعون القول اى قول الله والمراد بسفك الدما
هو سفكها من غير حق لان سفكها قصاصا وحرابا للمحاربين غير مذموم
وهم ارادوا السفك المذموم وقد عظموا على الافساد متقيدا المطلق به
دلالة هؤلا وصفوهم بالفساد وسفك الدما والله تعالى وصفهم بالصلاح
وسفح الدموع قال تعالى ترى اعينهم تفيض
من الدمع والملايكة قالوا صدقنا فقد اخبروا بذلك والله تعالى يقول
ومن اصدق من الله قيلا وكانه يقول فيهم هذا وفيهم هذا لكن الفساد عارض
وهو العصيان والصلاح دايم وهو الايمان وقال المخلوق للمخلوق واذا
الحبيب اتى بذنب واحد جات محاسنه بالف شفيع وقال اخر
فان يكن الفعل الذى ساءك واحدا فافعاله اللاتى سررن الوف وقال اخر
ما حط كل الواشون عن رتبته عندى ولا ضرك مغتاب كانهم اثنوا ولم يعلموا
عليك عندى بالذى عابوا وقوله لحن تسبح التسبح تنزيه الله من
كل سوء وسبحان من كذا اى ما ابعده قال الشاعر وقد مما جاء
فخره سبحان من علقمة الفاخر ويقال هو كلمة تعجب ومعنى هذا البيت اى عجبا
منه وقوله كان من المسبحين اى المصلين وسبحان الله حين تمسون الاية اى صلوا لله
والسبحة النافلة واما التفسير فقد قال ابن عباس وابن مسعود معناه
ونحن نصلى بامرك وقيل اى ننزهك عن الصاحبة والاولاد والاضداد والانداد

وعن الصفات التي لا تليق لك وقوله نحمدك دون ما عن
عباس وابن مسعود ان معناه بامرك ونحمده بامرك والحمد مصدر اريد به
المفعول كقولهم هذا ضرب اى مضروبه وقال الثعلبي قال بعضهم
اى نصلي لك بفاتحة الكتاب وقوله نحمدك هذا اسم هذه السورة واضيف
الى الله تعالى لانها وحيه وكلامه وقال مجاهد اي نعظمك بالحمد لك على نعمك
وتحقيق قولهم نسبح بحمدك اى نقول سبحانك اللهم وبحمدك وهو تنزيهه عن
الصفات الذميمة وحمده على الصفات الحميدة وقال المفضل اى نرفع
اصواتنا بذكرك قال جرير فتح الاله وجوه تغلب كلما
سبح الحجيج وكبروا اهلالا وقال الثعلبي اى نسبحك ونقدس لك
وذلك بحمدك اى لك الحمد على توفيقك فانه بك لا بنا وهو يقرر مذهب
السنة والجماعة وهو رويه الفعل من نفسه والحول من ربه وقوله
ونقدس لك التقديس التطهير والقدس الطهر والقدوس من اسما الله تعالى ومنه
المقدس والارض المقدسة والقادسية ماخوذات من القدس البركة ايضا
وفي الخبر قدس على القدس كذا من الانبيا واما هنا فمعناه عند بعضهم نطهر لك
عما لا يليق بك واللام صلة وقيل معناه ونطهر قلوبنا من الشرك وانفسنا من
المعصية لك اى لاجلك وقيل نطهر اعمالنا لك من الرياء والسمعة والرياء
فان حمل على الاول اى التطهر فقد ذكر لك في التسبيح والتكرار للتاكيد كقوله
عليها خيرا وان التسبيح نفي ما لا يليق به والتقديس ما يليق به فان حمل على الثاني
فلا تكرار لان الاول تنزيه الله والثاني تطهير انفسهم لله ثم محمد عليه السلام كلام هولا
ثلاثة اشيا احدها التوحيد وهو قولهم نسبح والثاني السنة وهي قولهم
نحمدك فانه رويه الفعل من انفسهم والفضل من ربهم والثالث الطاعة
وهي قولهم ونقدس لك فانه تطهير الانفس من الذنوب والاعمال من العيوب
وهو اخلاص الطاعة لله وهذا تنبيه لكل مسلم وتحريض له على اتمام الخلال

لبلغ محل الكمال وقد ذكر كثير من المحارفين في هذا الموضع اشياء لا يجوز اعتقادها
قالوا انهم حسدوا بني آدم وعابوهم ومدحوا انفسهم بعوقبوا بالامر بالسجود
لادم وبالعمل لاولاده في الدنيا وخدمهم في العقبى وهذه مقالات شنيعة
وذم للمقدسين الذين مدحهم الله في ايات قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه
الله ما امرهم لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل لا يفترون
وغير ذلك فاما قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها فليس باستنكار وكراهية
بل هو سؤال حكمة ووصفهم انفسهم بالتسبيح والتقديس ليس بنظر
الى عباده بل اعتراف بعبوديته وامرهم بالسجود لادم تشريف لادم
لا تحقير لهم وكذا امرهم بالعمل لبني آدم في كتبه الاعمال ومراقبة الاحوال
وايصال الارزاق وحفظهم في الافاق ائتمار لهم على عظام الامور وامرهم
بزيارتهم في الجنة اكرام الاضياف بقيام الاعزة عليهم في تلك المنازل والقصور
وقوله اني اعلم ما لا تعلمون لم يبين لهم في الحال وجه الحكمة والاكتفاء
لهم عن الجميع بل قال اني اعلم وجه الحكمة في استخلافهم على ما يكون منهم او صافهم
فلا تتكلشفوا عيب تدبيري فلا تعترضوا على حكمي وتقديري فليس كل مخلوق
يطلع على غيب الخالق ولا كل واصل من الدرجة يقف على سر الملك وقال ابن عباس
وابن مسعود ومجاهد معناه اني اعلم ما يخفيه ابليس من الاستكبار والمعصية
والاستكبار فما يوجب من السجود لادم وكشفه انكم فيكم انهم يفسدون
والدما يسفكون وفيكم من هو اهل للفساد وماده العناد والسعي في
افساد العباد وقالوا اما احق حال ابليس في الحال لاخفايه دلك على الاسكال
ولم يهتك ستره حتى اظهر هو بالعمل سره وقال قتادة اني اعلم ان فيهم الاولياء
والانبياء الذين يصلحون ولا يفسدون وقيل معناه انكم اطهرتم من انفسكم
الطاعات وهي في جميع الحالات لكن ذاك منكم طبع بغير تكلف ومنهم الطاعات
في بعض الحالات لكن بالتكلف ولهم هوى النفوس ووسوسة الشيطان وفتنة

الدنيا وهم اولى وعلمهم اعلى وقيل اي لهم العلم ولكم العمل والعلم افضل ولهذا
قال بعد ما علم ادم الاسماء وسألهم عنها فلم يعلموا وابناهم ادم فنهموا قال الم
اقل لكم اني اعلم وقيل اي لكم الطاعة وبها منكم الافتخار ومنهم المعصية وبها لهم
الاعتذار وقيل اي انتم تعلمون منهم العصيان وانا اعلم مني لهم الغفران
وقيل تسبيحكم وتقديسكم من فعلكم وفي ذكرها اظهار فضلكم وفي العفو عن
خطاياهم وغفران سيآتهم اظهار فضلي ورحمتي واتمام منني ونعمتي وقيل اذا
حسنتم فلكم المدح فاذا اسأتم فلي العفو فلي المدح وقيل اني اعلم ما لا تعلمون
من صفاء عتايد المؤمنين في محبتنا وزكاء سرايرهم في حفظ عهودنا وان تد
طواهرهم بعصياننا وقيل اني اعلم ما لا تعلمون انهم يذنبون باجسامهم
ويكرهونه بقلوبهم وانتم تطيقون باجسامكم وتعتمدون عليه بقلوبكم وقيل
اي خطر لطاعتكم مع عدلي واي بقا لمعاصيهم مع عفوي وقيل اني جعلتم
انفسكم بالطاعة وانا جعلتهم بالمعرفة وتحملهم بمغفرتي فوق تحملكم بطاعتكم
وقيل تركلكم الذنوب بعصمتنا وخروجهم عن الذنوب برحمتنا ثم ذكر
تعليمه الاسماء وبين هذا وبين الاول اضمار خلقته ونفخ الروح فيه وقصته
ما قال وهب ابن منبه لما اراد الله ان يخلق ادم اوحى الى ارضها وانبتها
اني جاعل منك خليقة منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن اطاعني ادخلته
جنتي ومن عصاني ادخلته ناري فقالت الارض مني يخلق خلقا يكون للنار
قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة وبعث الله
اليها جبريل عليه السلام ليأتيه منها بقبضة منزوا ياها اربع مرات فسردها
واحمرها طينتها وخبثها وسهلها وجبلها فلما اتاها جبريل ليقبض
منها قالت الارض اني اعوذ بعزة الذي ارسلك اني اناخذ مني شيا يكون
منه نقيصة للناس عذا فرجع جبريل لامكانه فلم ياخذ منها شيا فقال
يا رب استعاذت بك الارض مني فكرهت ان اقدم عليها فقال

الارض ص

لمكائيل انطلق الى الارض فائتني بقبضة منها من زواياها الاربع سوداها
واحمرها وسهلها وحزنها وطيبها وخبيثها فلما اتاها مكائيل لتقبض منها
قالت الارض له كما قالت لجبرئيل فرجع مكائيل وقال كما قال جبرئيل فقال الله لا ترد
مثل ما قال لجبرئيل الى ان رجع وقال مثل ذلك وقال الله لملك الموت انطلق
الى الارض فائتني منها الى اخر ما ذكر فلما اتاها ملك الموت قالت الارض
اعوذ بعزة الله الذي ارسلك الى ان تقبض مني اليوم قبضة تكون للنار
تصيب منها عددا وقال ملك الموت وانا اعوذ بعزة الله ان اعصي الله امرا
فقبض منها قبضة من زواياها الاربع من ادیمها الى على فصعد به الى السما
فامره فجعلها طينا اربعين سنة حتى صار لازبا ثم حمأ مسنونا اربعين سنة
ثم صارصلصالا اربعين سنة فجعل جسدا موضوعا على طريق مكة للملائكة
الذين يصعدون من الارض الى السما اربعين سنة فلما مر به ملا منهم عجبوا
منه من حسن صورته ولم يكونوا راوا قبل ذلك على صورة ادم سيا شبيها
من الصور حتى مر به ابليس عليه اللعنة فقال لشئ ما خلق الله تعالى هذا اجوف
يا كل الطعام اني لا ارى صورة مخلوق سيكون له نبا فقال لاصحابه ارايتم هذا
الذي لم تروا على صورته شيا من الخلق اي فصل عليكم ما ذا انتم صانعون قالوا نطيع
ربنا ولا نعصي له شيا وقال ابليس في نفسه لين فصل علي لاعصينه ولين فضلت
عليه لاهلكنه فلما ان اراد الله ان ينفخ فيه الروح امره ان يدخل فمه وقال الروح
مدخل بعيد القعر لمطلع المدخل فقال له ثانيا ادخل فقال كذلك فقال له
ثالثا فقال كذلك فقال له رابعا ادخل كرها واخرج كرها فلم يدخل
الا كرها ولا يخرج الا كرها فلما نفخ فيه مار في راس ادم وجبينه وادنه
ولسانه مار في جسده كله حتى بلغ قدميه فلم يجد منفذا فرجع فخرج من منخره
فعطس فقال له ربه قل الحمد لله رب العالمين فقالها ادم فقال له ربه يرحمك
الله فلذلك خلقتك فلما انتهى الى ركبتيه اراد الوثوب فلم يقدر فلما بلغت

قدميه وثب فقال الله تعالى وخلق الانسان عجولا فصار بشرا ولحما
ودما وعظاما وعروقا وعصبا واحشاء كساه لباسا من طفر يرداد
حدة في كل يوم وحسنا وتلونا في كل حين وهو في ذلك منطق متوضح وجعل
في جسده تسعة ابواب سبعة في راسه اذنين يسمع بهما وعينين
يبصر بهما ومنخرين يجد بهما كل رائحة وفما وفيه لسان يتكلم به وحنك
تجد به طعم كل شي وبابين في جسده وهما قبله ودبره يخرج منهما ثفل طعامه
وشرابه وجعل عقله في دماغه وشرهه في كليه وغضبه في كبده وصداقته
في قلبه ورغبته في ديته وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان
من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم **وقوله**
وعلم التعلم تلقين العلم والتعلم للتفهم والتعلم الاعلام ايضا قال تعالى
قل اتعلمون الله بدينكم والتعلم العلم ايضا قال تعلم كذا اي اعلم والعلم تبين
المعلوم على ما هو به والنعت منه العليم والعالم والمبالغة منه العلام والتفضل
منه الاعلم والاعلام ايقاع العلم والاستعلام سوال الاعلام واما تفسيره
هنا فقد قال ابن عباس لما قالت الملائكة اتجعل فيها الا اراد الله فضله
عليهم بعلمه واظهر فضله بعلمه ما لا يعلمون واختلف في وجه تعليمه فقيل
ارسله الله اليه ملكا من غير هو لا واوحى الله بذكر اسما المخلوقات فسمعها
وحفظها وقيل الهمه فدفع به قلبه وجرى لسانه بما في قلبه بتسميه الاشيا
من غير ان واختلف ايضا اله جرى لسانه بتسميتها بلسان واحد ام بالسنة
كلها فقيل بلسان واحد ام كل قوم تواضعوا على غيره لكل من الالسنة بل
للالسنة كلها الذي يتكلم بها جميع الناس اليوم السامية وعلم هود لكل كلها اولاده
فلما تعرفوا تكلم كل قوم بلسان استنبطوه منها والقوه ثم شواعين
بعد تطاول الزمان وقيل اصبحوا وكل قوم منهم يتكلمون بلغة فنسوا
غيرها في ليلة واحدة واختلف ايضا في انه كان يعلم الاسما وصورها او تعليمها

بمعانيها فسئل كان يعلم الاسماء على التجريد وقيل بل كان يعلمه بمعانيها
ان هذا اسمه كذا ويستعمل كذا او نفعه كذا وضره كذا ع قوله آدم هو
اسم عبراني ولا استحقاق له واكثر اسماء الانبياء كذلك قالوا ع القرآن من كلام الله
لانه خطاب الكل فجمع ألسنة الكل وقيل لا يجوز ان يكون القرآن غير العربي لان
الله تعالى قال قرآنا عربيا وقيل عشر يتكلمون بكلمات ويتكلم بها العرب ايضا
فصارت عربية او نقلت الى العربية فصارت منها وقيل آدم عربي الاصل
فانه على صيغة كلام العرب وهو على وزن افعل ويصلح نعتا ع العبرانية والسريانية
بها اختلفوا ع معناه قال ابن عباس سمي به لانه خلق من ادیم الارض وهو وجهها
الظاهر وكذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ع سؤالات عبد الله بن سلام
وقيل هي من الأدمة وهي من الالوان وهو قول الضحاك والنضر بن شميل
ثم اختلف ع لفظ الادمة وقال الضحاك هو السمرة وهي الاشهر وقال النضر
هو البياض ويجوز ان يكون من الادمة وهي باطن الجلد والبشرة ظاهرها
وفلان مؤدم مبشر اي جمع لين الادمة وخشونة البشرة فكان بشرا
واسمه ادم لجمعه الوصفين ويجوز ان يكون من قولهم ادم اي احب
قال شعر والبيض لا يؤدمن الا ودما اي لا يحببن الا محبا وكان
ادم حبيب الله بخصايصه اسما بتوبته قال تعالى ان الله يحب التوابين
ويجوز ان يكون من قولهم جعلت فلانا ادمة اهلي اي اسوتهم ومعناه الله
اسوة للاولياء وقدوة الاصفياء فانه اول الانبياء وقال الفراء الادمة الوسيلة
ومعنى الاسم من هذا انه ظاهر الوسيلة كامل الفضيلة **وقوله الاسما**
كلها قال الربيع بن انس وابو العالية علمه اسما الملايكة وقال عبد الرحمن بن زيد
اي اسماء ذريته كلهم وقال ابن عباس ع رواية مجاهد وقتادة والضحاك علمه
اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة وقال ابن عباس ع رواية علمه اسم كل غرو وكل
نعرة وقال ما يعلم الله كل شئ من الحيوان والجماد وغير ذلك مما علم آدم

اسماها فقال له يا آدم هذا فرس وهذا بغل وهذا حمار حتى اتى على آخرها وقال سعد
بن جبير علمه اسم كل جنس الطير والبقر والشاة ونحوها قال ابو موسى علمه صنعة
كل شئ وقال الضحاك عن ابن عباس علمه اسم المدر والقرى والجبال واسماء الطير
والشجر وما يكون وكل شئ خلقها الى يوم القيامة وقيل علمه اسماء المخلوقات كلها
الى يوم القيامة ع الارض وما السماء من الحيوانات والجمادات والمطعومات والمزروعات
وكل نعيم ع الجنة وقال حميد الشامي اسماء النجوم وقال العشري عموم قوله
الاسماء يقتضي الاستغراق واقتران قوله كلها توجب الشمول فكما علمه اسماء
المخلوقات على ما قال المفسرون علمه اسماء الحق تعالى لكن ظهر للملايكة محل اختصاصه
ع علم اسماء المخلوقات وبذلك امتاز ربان رجحانه عليهم واما انفراده بمعرفة اسماء
الله تعالى فذلك سر لم يطلع عليه ملك ومن ليس له رتبة مساواة آدم ع معرفة
اسماء المخلوقات فاي طمع له ع مساواته ع معرفة اسماء الحق فاذا كان تخصيصه
بمعرفة اسماء المخلوقات يقتضي ان يصح سجود الملايكة له فما الظن بتخصيصه
بمعرفة اسماء الحق سبحانه وتعالى ما الذي يوجبه **وقوله** ثم عرضهم
على الملايكة اي عرض اصحاب الاسماء وهم الناس والملايكة والجن والشياطين وغيرهم
فاجتمع ع ذلك من يعقل ومن لا يعقل فلذلك الهاء والميم لان الاسم اذا دل على جميع
من يعقل ومن لا يعقل غلب ذلك وهو قراءة العامة ع قراءة ابي ثم عرضها
وهو يرجع الى الاسماء ع قراءة ابن مسعود ثم عرضهن ويرجع الى المسميات ومنهم
من قال هذا يدل على ان الاسماء ع هذه الاية اريد بها المسميات ولذلك قال ثم عرضهم
والعرض يقع على الذوات دون التسميات والصحيح ان اسماء التسميات ع هذه
الاية قال النعلبي يقع عليها لا على الذوات ويكون معنى قوله ثم عرضهم اي اسماء على الاصحاب الاسماء
هو خايبون **وقوله** فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين الانباء الاخبار
وقد نبأه وانباه اي اخبره والنبأ الخبر وجمعه الانباء والنبآء ع قوله بل هو نبأ عظيم
هو القرآن ع قوله عم يتساءلون عن النبأ العظيم هو القيامة ع قوله وانك علمهم

نبا انى ادم هو القصه وفى قوله وجئتك بنبا هو الخبر وفى قوله انبئهم باسمائهم هو التعليم وفى قوله واوحينا اليه لتنبئنهم هو الخبر يفعلهم وفى قوله نبانى العليم الخبير هو الاظهار اى الاطلاع فقد قال قبله واظهره الله عليه اى اطلعه ومعنى قوله انبئونى اى اخبرونى باسماء هؤلاء المسميات ودلت الايه ان للاسم هنا التسميه وهو غير المسمى فانه اضاف الاسماء الى هؤلاء والاضافه دليل المغايره ثم فى الايه كنايتان احديهما بالهاء والالف وهى كلها والاخرى بالهاء والميم وهى عضهم ولا يرجعان الى شئ واحد بل الثانيه ترجع الى المسميات والهاء ترجع الى المسميات وهى من قوله من قريتك التى اخرجتك اهلكناهم الثانيه ترجع الى القريه والجمع يرجع الى اهلها وتعلق القائلون بجواز تكليف ما لا يطيقه العبد بهذه الايه ان الله تعالى خاطبهم بما لا يطيقونه وعلى هذا ليس بخطاب تكليف بل هو خطاب تعجيز كقوله فاتوا بسوره وقول ابرهيم لنمرود فان الله ياتى بها من المغرب ولانه معلق بالشرط وهو قوله ان كنتم صادقين اى فى قولكم لنا فضل منه والفضل العلم فان كنتم اعلم منه فانبئونى بما علمتم والمعلق بالشرط لا يوجد قبل وجود الشرط ثم قوله انبئونى هو خطاب تعجيز واخبار لا اعلام فانه انتفاع العلم وهو فى حق من قد علمه لا يتصور فاما الاخبار فهو تكلم بالمخبر ويصح ذلك لمن علم ولمن لا يعلم فاما فى قوله يا ادم انبئهم باسمائهم فهو اعلام للملائكه فانهم كانوا يعلمونه ودلت الايه ان المدعى يطالب بالحجه فان الملائكه ادعوا الفضل طولبوا بالبرهان وبحثوا عن الغيب فقرعوا بالعيان اى لا تعلمون اسما ما تعاينون فكيف تكلمون فساد ما لا تعاينون فيه ارباب الدعاوى اين المعانى يا ارباب المحبه ويا ارباب المحبه ابن الطاعه قال ابو بكر الواسطى من المحال ان تعرفوا ثم لا تحبوه ومن المحال ان تحبوه ثم لا تذكروه ومن المحال ان تذكروه ثم لا تجدوا حلاوة ذكره ومن المحال ان تجدوا حلاوة ذكره ثم تشتغلوا بغيره **وقوله** ان كنتم صادقين مر الكلام فى الصدق وقال قتاده لما خلق الله ادم من تراب عجبت الملائكه فيما بينهم وقالت

لئن ان يخلق الخلق ما شا لكن لن يخلق خلقا افضل واعلم منا فاظهر الله عجزهم وعلم ادم الاسماء وامر الملائكه فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين انكم اعلم منه ولما عجزوا عن ذلك اتباهم ادم بما اطلعه الله عليه وفضله عليهم وقيل معناه انبئونى بصدق فان علمتم باسمائهم وكنتم صادقين فى الانباء عنها فانبئونى والا فلا تنبؤا وقيل ان كنتم عالمين كفى عن العلم بالصدق لان الصدق ايقام الرجا بالعلم وقيل معناه ان كنتم صادقين اى لما كنتم صادقين فاصدقوا فانبئوا ان علمتم والا فلا تكذبوا وهذا كقوله ان كنتم مؤمنين وقال الامام ابو منصور يحتمل ان يكونوا نبهوا حتى لا يسبق الوهم عند اعلام ادم ان ذلك من حيث يدركونه لو يكلفوا او اراد ان يبين لهم اية عجيبه تدل على نبوته ذكرهم عجزهم عن ذلك والزمهم الخضوع لادم فى افادة ذلك العلم وهذا كما قال وما تلك بيمينك يا موسى ذكره اولا لحاله وحال عصاه ليعلم ما اراه مما فيه من اية نبوته **وقوله** قالوا سبحانك لبدايتهم بالتسبيح قبل اخبارهم انه لا علم لهم وجوه احدها انه تعجب ومعناه عجبت سوالنا عما لا علم لنا به والثانى انه تنزيه الله عن ان يخفى عليه ما يخفى على الملائكه ونصبه للمصدر عند الخليل بن احمد اى ننزهك تنزيها وقال الفراء هو على النداء اى يا سبحانك والثالث انهم بدءوا بالثنا على الله قبل الجواب وكذا يجب على العبد فى كل خطاب والرابع انهم ذكروه على وجه التوبه عما قالوا فانها كلمه يقدم عليها التوبه قال تعالى حكايه عن موسى سبحانك تبت اليك اى يا طاهرا طهرنى عن العيب الذى وقع فيه والخامس انهم حققوا ما وعدوا من انفسهم وقالوا نسبح نحمدك **وقوله** لا علم لنا الا ما علمتنا قال ابن عباس وابن مسعود معناه انك علمتنا انهم يفسدون فى الارض وعلمنا الجعل فيما صنعوه مما علمتنا من هذه الاسماء فلو اكتفوا بقولهم لا علم لنا كان جوابا تاما لكنهم قالوا الا ما علمتنا ليكون زياده عبوديه فان قولهم لا علم لنا يشارك العذر وقولهم الا ما علمتنا يشارك الشكر وهما جماع كل الخير وقولهم لا علم لنا

وصف انفسهم وقوله الا ما علمتنا وصف لهم اي منا النقص ومنك
الكمال ومنا الطلب ومنك الافضال وافادة الا انه ان العبد ما ينبغي له ان
يغفل عن نقصانه وعن فضل الله واحسانه ولا يأنف ان يقول لا اعلم فيما لا يعلم
سئل الشعبي عن مسئلة فقال لا ادري فقالوا له استحي وانت امام العراقيين
قال ان الملائكة كانوا في الحضرة وقالوا لا علم لنا فمن انا فقالوا لا ادري يصف
العلم وسئل ابو يوسف القاضي عن مسئلة فقال لا ادري فقيل له ترتزق
من بيت المال كل يوم كذا ثم تقول لا ادري فقال انما ارتزق بقدر علمي
ولو اعطيت بقدر جهلي لا يسعني مال كل الدنيا وسئل ابو بكر العياش
عن رباط المربع عن مسئلة فقال لا ادري قيل له ليس المنبر موضع الجهال
فقال انما علوت بقدر علمي ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السماء وحكي
ان عالما سئل عن مسئلة فقال لا ادري فقال السائل ليس هذا مكان الجهال
فقال لعالم المكان لمن يعلم شيئا ولا يعلم شيئا واما الذي يعلم كل شيء فلا مكان له

وقوله انك انت العليم الحكيم انك تاكيد خطاب وانت مبالغة
في التاكيد لانه يكرر وفيه تاكيد وتقرير والعليم مر تفسيره والحكيم المحكم
الصنعة والمصيب في القول والعمل قال ابن عباس العليم الذي بلغ في العلم
غايته والحكيم الذي بلغ في الحكمة نهايته ومعنى قول الملائكة اي لا علم لنا
الا ما علمتنا فعلمنا انا قصرنا وانت العالم بالكمال والمصيب بالافعال علمت ما لا نعلم
ولك الحكمة البالغة في تفصيل آدم وصف الملائكة الله بالعلم والحكمة فقالوا
بذلك المدحة ونفى ابليس الحكمة في امره بالسجود فاستحق الطرد واللعنة
وقيل في الحكيم هو الذي سوى وقدر ولا يقصر الملك البشر وقيل هو
العالم بعواقب الامور والمطلع على المكشوف والمستور **وقوله**
قال يا آدم انبئهم باسمائهم روي انه رفع على منبر وامر ان ينبئ الملائكة باسماء
الاشياء فابتلاهم بها وهم جلوس بين يديه وقيل قيام حوالية وقال وهب

سماها لهم وهو في الارض كل سمي من الطير والبهائم والسباع والبحار وما
في البر وما في البحر منحه السموات سمي اهل كل سما باسمائهم وقوله فلما
انبأهم باسمائهم اي اخبرهم بها وعرفوا فضله وعلموا محلهم وقوله
قال الم اقل لكم اني اعلم ظاهر استفهام ومعناه التقرير اي قد قلت لكم
وهو كقوله الم يعلم ان الله على كل شيء قدير وكذا كل استفهام دخل على احد
الى يكفيكم الم يأتكم اليس الله باحكم الحاكمين **وقوله** غيب السموات
والارض اي ما غاب عن اهل السموات وما غاب عن اهل الارض وقيل
اي اعلم سر اهل السموات في السموات وسر اهل الارض في الارض وقيل
غيب السموات هو اكل آدم وحواء من الشجرة التي نهيا عنها وهو اول عصيان
كان في الارض **وقيل** غيب السموات ما قضاه فيها من امور خلقه وغيب
الارض ما فعلوا فيها بقضائه السابق وقال القشيري اعلم ما تقاصر
عنه علوم الخلق من اهل السما والارض **وقوله** واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون اي ما تبدون من الطاعات وتكتمون من السيات وقيل ما ابدى
من فضل آدم الاتي وما كتم تكتمون من رد وتكبر فصل المسلم عليه فيما كان وقيل
ما تبدون هو قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون من رد وتكبر فضلكم
عليه وقال الحسن البصري وقتادة ما كنتم تكتمون هو ما اضمروه في انفسهم
لن يخلق الله خلقا الا ونحن اكرم عليه وقال ابن عباس وابن مسعود وسعيد
بن جبير هو ما اسره ابليس من الكبر والعصيان فعلى الاول الخطاب بالجمع لكل
الملائكة في الابداء الكتمان جميعا وعلى هذا الاخير خطاب الكتمان لابليس
اي ما تكتم يا ابليس وهو وعيد له والاول خطاب للملائكة وهو وعد لهم
وخطاب الواحد بصيغة الجمع مستقيم كما في قوله رب ارجعون او هو خطاب
كل الملائكة لكتمان الواحد منهم ذلك في نفسه وقوله ما يجوز ان يكون اسما
للمفعول الذي يقع عليه الابداء والكتمان ويجوز ان يكون مع الفعل مصدرا اي يعلم

الدالكم وكتابكم وقوله واذ قلنا للملايكه اسجدوا لادم نظمها بما قبلها
من بلاثة اوجه احدها انه لما اظهر فضله عليهم بالعلم امرهم بتعظيمه بسجود
التحيه والثانى انه كشف باول هذه الايه ما اجمل في تلك الايه واعلم ما كنتم
تكتمون وهو قصد ابليس والثالث انه عطف على كل ما مر علينا بقوله الذى
جعل لكم الارض فراشا الى ان قال خلق لكم وخلق ابائكم وفضله وعلمه وامر
الملايكه بسجوده واختلف فيهم قيل هم ملايكه الارض الذى كانوا مع ابليس طهرهم
الله بهم الارض ممن افسد فيها من بنى الجان وقيل هم ملايكه السموات السبع
وقيل كل الملايكه وقد اكده بقوله اجمعون والسجود في اللغه التطامن والانقياد
قال سلامه بن جندل هل رأينا معشر ممن نجازيهم الا اقروا لنا بالفضل
او سجدوا وقال ابو عمرو وبقال اسجد اذا طأطأ راسه وانحنى قال
فضول ازمتها اسجدت سجود النصارى لاربابها واسجد البعير طاطأ راسه
قال فعلن له اسجد لليلى فاسجدا وسجدت النخله اذا تدللت
اغصانها ومالت الى الارض واختلف في هذا السجود الذى امروا به قيل هو
الايماء دون السجود المستوفى المشروع في الصلوه كالذى تفعله الياس
في لقاء عظمائهم من الخضوع والتواضع لهم تشريفا وتعظيما وقيل فوق
الجهوس كان بوضع الوجه الارض كسجاة الصلوه ودليله قوله في اله اخرى
فقعوا له ساجدين ثم اختلف في انه كان لادم او لله قيل كانت عباده لله وبمعنى
قوله لادم اى الى ادم فكان هو قبلة امروا بالتوجه اليها والسجود كان عباده
لله تعالى وقيل وهو الصحيح كان لادم عليه السلام ولو كان لله تعالى ما امتنع
ابليس عن العباده لله تعالى ولا فرق بين كون ادم قبلة وبين غيره ثم اختلف
انه كان له على الخصوص او كيف كان قال قتاده كان حرمة لادم كصلوه
الجناره عباده لله تعالى ودعا للميت والصحيح انه كان تحيه لادم على الخصوص امر بها
ابليس عنه فلم ير آدم مستحقا لتعظيمه فابى واستكبر ولم يكن عباده لآدم لان
العباده

العباده لا تجوز لغير الله تعالى وكان سجود تحيه جايزا فنسخ ثم نسخ قال الله تعالى
في قصه يوسف وخروا له سجدا ولما اراد سليمان ان يسجد لرسول الله عليه السلام
منعه وقال لا ينبغى لمخلوق ان يسجد لاحد الا لله تعالى ولو امرت احدا ان يسجد
لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها وقال الامام ابو منصور رحمه دليل ان الكتاب
نسخ بالسنه بان جواز السجود لغير الله ثبت بفعل ادم وبفعل يوسف ثم نسخ
ذلك بالخبر وتكلموا في الحكمه في الامر بالسجود له وقيل هو بيان فضل العلم واستحقاق
العالم حرمة غير له وقال الامام ابو منصور امتحنهم بوجه يظهر فيه
الطاعه لان الخضوع لمن يعلو قدره ويجل امره امر يسهل عليه طبع الخلق
فاذا كان في نفس المامور به بالخضوع انه دونه في الرتبه او سكله فيها اشتدت
المحبه بالطاعه في مثله والخضوع له فامتحنهم الله به حتى ظهر الخاضع لله والمستسلم
لحكمه والمستكبر في نفسه وهو ابليس وعلى ذلك كان امتناع المسلمين الماضين
عن اتباع المرسلين وقيل هو بيان استغنايه عن عباده تمام اياه وان كان
علمهم قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم لا حاجه لى الى عبادكم
وضر منكم فاحدهم واعبد ابن عبادى لم يخدمنى كبير خدمه وقالوا قال الملايكه
لنا فضل خدمه وطاعه وقال ابليس في فضل الاصل والنسبه وقال ادم
في حيا الخطا والزله فقال الله تعالى للملايكه ان كان لكم الطاعه والخدمه
ولى الملك والعبيد وقال لابليس ان كان لك الاصل والنسبه فبكبرك وابائك
عليك اللعن والسخط وقال لادم ان كان منك الخطا والزله وسبب لك
الحيا والهيبه فلك المغفره والرحمه وقال العشهرى سر حل الى
ان قدسه لجلاله لا بافعالهم وان التحمل بالتسبيح والتقديس عاير الهم
فهو الذى جل من اجله باجلاله وتعزز اعزه باعزازه جل عز اجلال
الخلق قدره وعز عن اعزاز الخلق ذكره وعن وهب قال اول من سجد
جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سايرالملائكه وقيل

اول من سجد حتى بل ما كرم ما نزل الوحي على النبيين وخصوصا على سيد
المرسلين وقيل اول من سجد اسرافيل فرفع راسه فقد طهى كل القرآن
مكتوبا على جبهته كرامة له على سبعة الى الايتمار وقيل كان هواء الارض
وقيل بل كان في السماء وقيل كما نفخ فيه الروح من غير اختيار لقوله تعالى
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والف للتعقيب
وقيل بل كان بعد تعليم الاسماء انبا الملائكة باسماء الاشياء ودل عليه نظم ايات
هذه السورة وذكر ابو بكر النقاش في تفسيره الملقب بسنا الصدور
عن بعضهم ان سجودهم له كان مرتين مرة كان عند نفخ الروح فيه لملك
الاية ومرة بعد انبائهم بالاسماء لنظم هذه السورة قال وهذا قول غريب
القايل لم يوافقه عليه احد والاظهر انه كان بعد انبائهم بالاسماء فاما الفا
في ملك لابيه فقد يكون للتعقيب مع التراخي كما في قوله فازلهما الشيطان
عنها وقوله فتلقى ادم من ربه كلمات وكان هذا السجود بعد مائتين سنة او اكثر
ومن لطف الله تعالى بنا ان امر الملائكة بالسجود لابينا ونهانا عن السجود
لغيره فقال لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن فنقل الملائكة
المقربين الى ادم وسجدتهم ونقلنا الى سجدة واحدة وقوله الا
ابليس الا كلمة استثناء واختلف ان ابليس هل كان من الملائكة ام لا فقال علي
بن ابي طالب وابن عباس وابن مسعود وسعيد بن المسيب وابن جريج
كان من الملائكة وكان اسمه عزازيل وكان من اشراف الملائكة ثم ابليس وقال
الحسن البصري وقتادة ومقاتل وسهل بن حوشب وابن زيد كان من الجن
لان الملائكة خلق من نار السموم وله نسل وذرية وهو اب الشياطين واحتجوا
بقوله الا ابليس كان من الجن واما دخل في الامر بالسجود مع الملائكة لانه
منهم ولكونه كان فيهم وكلهم الا استثناء منقطع وهو من حلا والجنس
وهو سابع في اللغة قال الشاعر ليس كل عطش ولا جوع

الا الرقاد والرقاد ممنوع وفي القرآن لا تسمعون فيها لغوا الا سلاما
انثى برا مما تعبدون الا الذي فطرني وقالوا ايضا الله قال خلقتني من نار
وخلقته من طين كما قال في الجان والجان خلقناه من نار السموم ولانه
ابى واستكبر وعصى وكفر والله تعالى يقول في صفة الملائكة لا يعصون
الله ما امرهم وقال لا يستكبرون عن عبادته فالوا ولانه قال افتتخذونه
وذريته اولياء ولا نسل للملائكة ودليل الاولين قوله واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم كان الامر بالسجود مقتضيا على الملائكة ثم استثنى منهم ابليس
والمستثنى من جنس المستثنى منه في الاصل فلا يصرف عنه الا بدليل ودليل
دخوله في هذا الامر بقوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك فاما قوله كان
من الجن ففسل اي صار من الجن كما قال وكان من الكافرين اي صار وقال
ابن عباس الجن قوم من الملائكة اشد الملائكة اجتهادا وقال ابو اسحق الجن اسم
الملائكة ايضا لاجتنابهم اي استتارهم عن اعين قال تعالى وجعلوا بينه
وبين الجنة نسبا واراد به الملائكة وقال اعشى بن ثعلبة في سليمان
وسخر من جن الملائكي شيعة قياما لديه يعملون بلا اجر وقيل الجن صنف
من الملائكة لا يراهم الملائكة كما لا نرى الملائكة وقال ابن مسعود كان من الجن
اي خازن الجنة وقولهم انه خلق من النار فلنا المارج من النار اللهب وهو
النور والملائكة خلقوا من نور والنار اسم للنور ايضا قال تعالى في خبر موسى
اني انست نارا وقولهم له نسل وذرية قلنا صار له بعد ما مسخ ثم الممسوخ
وان كان لا يكون له نسل لكن لما سال النظرة وانظر صار له نسل وذرية كما ان
الممسوخ لا يبقى بعد ثلاثة ايام وبقي هو لانظاره الى قيام الساعة وكذا النسل
فاما وصف الملائكة بانهم لا يعصون ولا يستكبرون فدال ليل تصور العصيان
منهم ولولا التصور لما مدحوا به لكن طاعتهم طبع وعصيانهم تكلف وطاعة
البشر تكلف وعصيانهم طبع ولا يتكلف من الملائكة تصعد العصيان وقد ذكر هاروت

ومادوت ما ذكر وقوله ابليس هو اسم اعجمي ولا اشتقاق له
وحوار كون غير العربي في القرآن قد مر القول فيه في ذكر آدم وقيل هو مشتق
من أبلس اي يئس قال تعالى فاذا هم مبلسون وابلس ايضا معناه سكت قال
ياصاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا وابلست الناقة
اي لم تلقح من شدة شهوة الفحل هي ناقة مبلاس فابليس يئس بكفره واصراره
من رحمة الله وامتنع عن السجود لادم كما يمتنع الساكت عن الكلام ولم يقبل على
العمل كما لا تقبل تلك الناقة على الرعي وتصبه على الاستثناء الا بثبات وترك
تنوينه لانه غير منصرف ومنع صرفه للعجمة والتعريف وقوله
أبى واستكبر الإباء الامتناع والإباء من الرد وايقال اصابه ابا اذا كان
يابى الطعام وتغير ابى اي عتى وقيل امتنع وقيل كره وقيل رد
والاستكبار الاستعظام والكبار الاعظام والكبر العظم والكبر
العظم والكبرياء العظم والكبر العظيم والكبار تعظم الكاف وتشديد الباء
وتخفيفها العظم وتكبر واستكبر اي واستعظم نفسه وقيل
استعظم امر الله بدل اياه وهو كالاستنكار وقيل مجموع الكلمتين
ابى اي كره السجود حقه واستعظم حق آدم وقيل اي امتنع عن الفعل
وعظم نفسه عن الالزام وقيل واستكبر اي عد نفسه اكبر من ان يحكم
غيره وقيل اي عد نفسه اكبر من ان يومر بسجدا ولهذا قال لم اكن لاسجد
وقال انا خير منه وقالوا لما امروا بالسجود وسجد الملائكة وامتنع ابليس
ولم يتوجه الى آدم بل ولا آدم طهن واسمه هكذا الى ان سجدوا وبقوا في
سجودهم مائة سنة وقيل جسما له سنة ورفعوا رؤسهم وهو قائم معرض لم يندم
على الامتناع ولم يعزم على الاتباع فلما راوه خذل فلم يسجدوا لهم وقفوا
فسجدوا سجودا لله تعالى ثانيا فصار لهم سجدتان سجدة لادم وسجدة لله تعالى وابليس
يريهم ما فعلوا ولا يفعل وهذا اباؤه فغير الله صفته وحالته وصورته

وهيئته ونعمته فصار اقبح من كل قبيح قال تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم وقوله وكان من الكافرين قد مر القول في كان واقسامه
ومعناه هنا وصار من الكافرين لاباه استكباره وهو رد الامر لانه ترك
العمل بالامر وقيل اي وكان من الكافرين في علم الله اي كان في علم الله انه يكفر
بعد اباه لا ان يكون علم الله كونه كافرا هنا مسائل اصولية احداها ان ترك
السجود لم يكن كفرا عند اهل السنة والجماعة وكذا كل كبيرة وقالت الخوارج من ارتكب
كبيرة كفر واستحق التخليد في النار وقالت المعتزلة من ارتكب كبيرة خرج
من الايمان ولا يدخل في الكفر لكن يستحق التخليد في النار ولنا لا تضر المعصية
بصغيرة ولا كبيرة كافرا ولا يخرج به عن الايمان اذا لم يستحله ولم يرد الامر فان
الله تعالى سمى المذنبين مؤمنين فقال يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص يا ايها
الذين امنوا وذروا ما بقي من الربوا وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها
الذين امنوا اخوتوا الله والرسول وقال وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون
والحاصل ان قبول الامر ايمان والعمل طاعة وتركه معصية وردة
كفر ومنها ان الجبرية يقولون لا ينفع ايمان وطاعة ولا يضر كفر ومعصية
فان الله تعالى لعن ابليس مع كثرة الطاعات واكرم سحرة فرعون مع كثرة الخطوات
انما العبرة لسابق العناية وفيها هذا باطل لان الله تعالى انما لعن ابليس
بكفر رد امره واكرم سحرة فرعون بالايمان به وبذكره ومنها ان ابليس صار كافرا
بعد ان كان مؤمنا عندنا وقالت الاشعرية كان كافرا ابدا وهي مسئلة السعادة
والشقاوة انهما يتبدلان وتتغيران عندنا لانهما صفتا المخلوق والاسعادة
والاشقاء لا يتبدلان لانهما من صفات الخالق ولا تتغير على ذاته ولا على صفاته وقالت
الاشعرية لا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وهي مسئلة الموافاة وعلى
هذا الاصل مسئلة احباط العمل بالردة ومسئلة الاستثناء في الايمان ودليل اهل
الحق قول الله تعالى اكفرتم بعد ايمانكم وقال كفروا بعد ايمانهم وقال ان الذين امنوا

ثم كفروا بما سواهم كفروا وانتفت الصفتان على التعاقب فلم يجز نفي الاول حال
وجود الثاني ووقته وعندهم من ختم له بايمان او كفر وصف بما حتم
له به ولا يسمى بما كان قبله ولا يحق له وهذا انكار العيان وابطال الحقايق
فاما قوله وكان من الكافرين اي صار كما في قوله وكان من المعرقبين قال وكان
من الكافرين ولم يكن جحد كافرا الله كان في علم الله انه يكون كافرا وقد كفر
انه صار من الكافرين اي من الذين يكفرون بعد وهذا كما في قوله وكونا من الطالمين
وقوله خبرا عن ابرهيم قال ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على
ذلكم من الشاهدين وقال الامام ابو الحسين محمد بن يحيى الشاعري كان في علم
الله الازلي انه يكتم عصيان ادم ويريد الامر فعصى كافرا عند الله وقته
الاضمار وعصى كافرا عند نفسه وعند الملايكة وقت الاباء والاستكبار وقوله
وقلنا هو عطف على قوله واذ قلنا وفيه اضمار اي خلقناه زوجه وقلنا
لهما ذلك وقوله يا ادم اسكن انت وزوجك اسكن امر من سكن الدار
يسكنها سكنى اي اقام فيها وتقال سكن المتحرك يسكن سكونا وسكن القلق المضطرب
يسكن سكينة والسكن بفتح الكاف ما يسكن اليه القلب وامراة الرجل سكنه لان
يسكن حركة المذبوح وسكان السفينة يسكنها والمسكين العقير الساكن
عن التقلب ونفسي يا ادم استقر وقيل اي انم وقيل اي انزل
وقوله انت وزوجك انت ضمير المخاطب لقوله اسكن وانما اظهر ليصح
عطف اسم ظاهر عليه وهو قوله وزوجك لان المعطوف لابد له من المعطوف
عليه وقوله وزوجك اي زوجتك وهي حوا قال كعب وهب وجماعة
خلقها الله خارج الجنة ثم مشى بعضهم كان خلقها في الارض وادم بين طائف
ومكة ثم حملا على سرير فرفع الى السما وقيل بل حمل ادم وحط الى السماء
فلما وصل الى باب الجنة وضع السرير والقى عليه النعاس وخلقت حوا من ضلعه
اليسرى ثم امر بدخول الجنة وقال ابن عباس وابن مسعود وجماعة خلقها الله في الجنة

بعد دخول ادم فيما خلقها الله من ضلع ادم اليسرى القصرى وكان
بين المنام واليقظان ولو كان في النوم لم يعلم انها منه فلم يعطف عليها
ولو كان بيقظان اتاه ملك ولم يعطف عليها ايضا فلما هبت من نومه اي يقظ
قال لها من انت قالت انا زوج خلقني الله تعالى لكي تسكن الي واسكن
اليك فقالت الملايكة عند ذلك يا ادم ما هذه قال امراة قالوا ولم قال لانها
خلقت من المراة قالوا وما اسمها قال حوا قالوا ولم سميت حوا قال لانها خلقت من حي
قالوا اتحبها قال نعم قالوا لحوا الجنية قالت لا وفي قلبها اضعاف ما قلبه قالوا
ولو صدقت امراة في حبها زوجها لصدقت حوا ولما استحيت عن اظهاره بقي
ذلك ميراثا بين بنيها وبين الناس من قال لا يجوز ان يقال خلقت حوا من
ضلع ادم لانه يكون نقصانا منه ولا يجوز النقص بنفس الانبيا قلنا هذا
نقص منه صورة وتكميل له معنى لانه جعلها سكنه وازال بها وحشته وفرقه
وعن ابن عباس رضي عنهما انه قال ان الله تعالى اخرج ادم من الجنة حين ادخله
لان الامر كان بالسكنى والسكنى عارية والعارية مستردة ثم هذه الجنة
كانت جنة الخلد وهي مخلوقة اليوم عندنا وقالت المعتزلة غير مخلوقة
والنصوص تبطل مقالتهم وقالوا هذه الجنة كانت بستانا بين فارس وكرمان
من ارض فلسطين وقالوا لا يجوز ان يكون هذا جنة الخلد لان الله تعالى اخبرها
ونهاها فيه وجنة الخلد لا يكون فيه امر ولا نهي ولانهما اخرجا منها وداخل
جنة الخلد لا يخرج منها ولانهما زلا فيها وجنة الخلد لا تقع الزلة فيها ولان
الشيطان وسوس اليهما ولا وسوسة في جنة الخلد وقلنا قد قال الله تعالى
لادم انك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى وذلك صفة
جنة الخلد وقال اهبطوا منها والهبوط يكون من علو الى سفل ولا يستقيم
ذلك في بستان مخلوق على الارض فاما الامر والنهي وذلك تكليف وهو لا يزال
عن اهل الجنة فانهم يكلفون التوحيد والمعرفة فاما الاخراج فمن الدخال

كان للابتلا لا للجزا وقد دخلها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ثم خرج
منها واما الزلل فلهذا المعنى انه كان للابتلا للجزا واما وسوسة الشيطان
فلم يكن منه وهو فيها على ما تبين وقوله وكلا هذا امر
لادم وحوا وقوله منها فعلى اي من الجنة وهي كناية راجعة الى الطاهر
وصح لان الماكول ثمارها وهي من اشجارها وهي من الجنة وقيل اي هي
من الثمار وهي كناية راجعة الى المعنى دون المذكور وقوله
رغدا يقال رغد عيشهم رغدا مهموز غيد ورغد ورغدا اي طيب
واسع وارغد القوم اي اخصبوا وارغد الرجل الماشية اي سرحها
والرغيدة الزبدة واما تنبيه فقد قال ابن عباس ومسعود
الى هنيا وقال ابو عبيدة والضحاك اي واسعا وقال مجاهد اي حلالا
لا حساب فيه وقيل اي كثيرا وقال الزجاج الرغد الكثير الذي لا تعنى طلبه
وهو نعت مصدر محذوف ولذلك نصب اي اكلا رغدا وقوله حيث
شئتما اي في اي بقعة شئتما من الجنة وقيل اي من اي ثمارها شئتما وحيث
اسم للمكان واصله حوث ولذلك ضمت ثاؤها لوا وكانت قبلها فحوز
ان يكون اراد المكان الذي هما فيه للاكل ويحوز ان يكون اراد عين الثمرة اي مكان
الاكل ومحله فكان نعيم المشتهى في ذلك والآية رد على المتقشفة الذين
يحرمون تناول الاطعمة الشهية وليس الثياب اللينة والله تعالى يقول
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده الآية مع ان الامر معنى الاباحة والتسفل به
مع انه احتصه واصطفاه والخلاف ابداه الله مخلوق والذي يليق بالمخلوق
هو التكون بالخلق والقيام باستجلاب الحظ وقوله ولا تقربا
هذه الشجرة اقتضيان ابيان الشيء والقرب منه الدنو منه تعالى من الاول قربته
اقربه قربانا من صرفه وهو متعد من عمر صله وتقال قربت منه اقرب قربا
من صرفه وهو لازم ويعدى بمن وفي لانا كلا من هذه الشجرة

فالنهي كان عن الاكل دون الدنو من الشجرة وانما اضاف النهي الى القرب لانه سبب
الاكل وسمي باسم سببه مجازا ودليل ان النهي كان عنه ان زلتهما كانت به قال تعالى
فاكلا منها وقال تعالى فلما ذاقا الشجرة والشجرة واحد الاشجار والشجر يكون جمعا
وواحدا والارض الشجر الكثير الشجر وكذا السجرة بكسر الجيم ووادي شجر
كثير الشجر واصل الكلمة من الداخل يقال شجر ما بين القوم اذا احدث الامر
بينهم واشتجروا اي تنازعوا وتشاجروا بالرماح اي طاعنوا والشجر معرج
الفم وهو مدخل الطعام والشراب وغيرهما والشجار خشب الهودج المدخل
فيه والشجير القريب الداخل بين قوم فكذلك الشجرة تتداخل اغصانها واحلف
على ما يليه تلك الشجرة قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والحسن البصري وعطية
وقتادة ومحارب ابن دثار ومقاتل هي شجرة البر وفي بعض الالفاظ النبلة
التي جعلها الله رزقا لاولاد آدم في الدنيا وقال السدي وابن مسعود
وسعيد بن جبير وجعدة بن هبيرة هي الكرمة افتتن اولاد آدم في الدنيا بها
وقال ابن جريج وحكاه عن بعض الصحابة انها التين وقال علي رضي الله عنه هي
شجرة الكافور وقال الكلبي والدينوري هي شجرة العلم وهو علم الخير
والشر من اكلها علم اشياء كان لا يعلمها وقيل علما بالاكل منها طبع عورتهما
قال تعالى فبدت لهما سوآتهما وما كانا يعلمان قبل ذلك وقال محمد بن اسحق
هي شجرة الحنطة وقال ابو مالك هي شجرة النخلة وقال ابن جريج هي شجرة الحلد
الذي كان يتناول منها الملائكة وقال ابن عباس في رواية هي شجرة الكروم
وكانت في وسط الجنة وفيها من الثمار كلها وكانت ارفع الاشجار وازينها واجملها
وكانت ثمرتها احلى من العسل واطيبها وقال الربيع ابن انس كانت شجرة
من اكلها احدث والجنة لم تكن موضع الحدث وقال محمد بن علي الترمذي كانت
اصلها السنبلة وعلقها من كل لون من ثمرها احلى واين من الزبد واشد بياضا
من الثلج كل حبة من حباتها كقلية البقر وقال الامام ابو منصور ليس بان

مايتهما نص قاطع ولا يعرف ذلك حقيقة الا بالنص ولا حاجة بنا الى
معرفة مايدلنا على التعيين وحاجتنا الى معرفة انهما نهيا عن الاكل من شجرة
وقوله فتكونا يحوز ان يكون نصبا بالفاء جواب النهي ويحوز
ان يكون جزما لعطفه على النفي الاول وعلى التقدير الاول ان قدرتما كنتما
من الظالمين وعلى التقدير الثاني لا تقربا ولا تكونا من الظالمين والنون تسقط
لشبه الفعل وجمعه في النصب والجزم وعلى الوجه الاول فتكونا اي
متصيرا وعلى الوجه الثاني على حقيقته ولا تكونا وقوله من
الظالمين الظلم وضع الشيء غير موضعه والظلم الجور والظلم النقص
والظلم الضرر بالنفس والارض المظلومة التي لا تمكن من الحفر
الا بشدة وكان الحفر وضع في غير موضعه قال والنوى
كالحوض المظلومة الجلد والمظلومة الجادية لم تقترعه قبل الاوان
واما النفس فقد فعل من الصادر لانفسكما كما في قوله ولكن
ظلموا انفسهم وقيل اي من الناقصين حظوظكما كما في قوله ولم تظلم
منه شيا وقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقيل اي من الواضعين
انفسكما في غير موضعها وقوله فازلهما الشيطان زل عن المكان
زللا وزليلا اي زلق وازله عين اي ازلقه والزلزلة التحريك مرة لك
وازل الى فلان ضيعة اي اشدها اليه والزلال الماء العذب الذي
يسهل جريانه الى الحلق والزلة الخطاء وهي الزوال عن الصواب من غير قصد
وتفسيرها حملهما على الزلة اي سطرهما التسبيب بالوسوسة وبالغرور
وبالاقسام قال تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي وقد احتج فازالهما من الزوال اي حتى تسبب حتى وجهما عنها
وقيل اي دعاهما الى الزلل والى اسان ما اوجب خروجهما عنها وقوله
عنها قيل عن الجنة وقيل اي عن السجود وقيل اي عن الطاعة وهذا كله على قراءة

حمزة والكسائي فاما على قراءة العامة فالازلال عن الجنة والشجرة يكون تنحيهما
بالتسبب الذي قلنا وعن الطاعة يكون بالزلة وهي النهي عن الطاعة من غير تعمد
ومعناه انهما وقعا في زلة بدعوته وهي الاكل من الشجرة وقصته
ما ذكر الكلبي وغيره من قال لما نظر ابليس الى ما اكرم الله به آدم وحسدهما وكان اهبط
الى الارض فاحتال ان يدخل الجنة فعرض نفسه على كل دابة ان يدخل في فمها
فابين عليه حتى اتى الحية وكانت احسن دابة في الجنة خلقا وكانت
كهيئة البعير تمشي على اربع قوايم وفيها من كل لون فلم يزل يتملقها
حتى اطاعته فدخل بين لحيتها وقام في راسها ثم اتى باب الجنة فقام عندها
فنادى يا ادم ويا حوا فاجاباه فقال ما ذا امركما ربكما وما ذا نهاكما
عنه في الجنة فالا امرنا ان ناكل من سجر الفردوس كلها غير هذه الشجرة
الواحدة فقال انما نهاكما ربكما عنها الا ان تكونا ملكين تعلمان الخير والشر
او تكونا من الخالدين لا تموتان واني اقسم لكما اني لكما من الناصحين من اكل
منها لم يمت وايكما اكل قبل صاحبه كان هو المسلط على صاحبه ولكن على
الله في ذلك سبقت حوا الى الشجرة فقال يا آدم صد فقال وكل ان الله
قد نهانا عنها واوعد العقوبة عليها فقال يا لعلم اما علم سعة رحمة
الله فاكلت منها واطعم آدم فلما وصل الى بطونهما تهافت عنهما لباسهما
وكان لباسهما النور قال تعالى فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما فابصر
كل واحد منهما من صاحبه ما ووري عنه من عورته قبل ذلك قال الكلبي عن
ابي صالح عن ابن عباس دخل آدم الجنة ولباسهما النور وعليه الاكليل مرصع
مكلل بالدر والياقوت ومنطقة مكللة بالدر والياقوت وحلي الاراكل مكللا
بالدر والياقوت وسوار ان مرصعة مكللان بالدر والياقوت وسواران
من لؤلؤ ومرجان مكللان فلما اكلا من الشجرة تهافت عنهما ذلك كله
وهريا في ورق التين تلزقان بعضه بعض تغطيان عورتهما وذلك قوله تعالى

مطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال العشري لامكان
افضل من الجنة ولا بشر اكيس من ادم ولا ناصح ابلغ من ناصح الله ولا عزم اشد
من عزمة ادم لكن القدر لا يكابر والحكم لا يعارض قال ولما كان ادم
وحين كان بكل حس وعاقبه فلما جاء الشكل ظهر باب الفتنة وفتح باب
المحنة وحين سأكن حوا اطاعها فيما اشارت اليه من الاكل وقع فيما وقع
وقد قيل شعر ٥ اء قديم في بني ادم صبوة انسان ما سبق من الكلام
هنا في كيفية الازلال من ابليس في صفة زلة ادم اما الاول وقد قيل
ناداها وهو في الارض وقيل ناداهما وهو على باب الجنة لانها
من اهل حول الجنة لانها محرمة على الكفار والله تعالى اوصل صوته اليهما
وقال لهما ما ذا امركما بكما الى ان قال ما نهاكما ربكما عن هذه السجرة وقال
هولاء وقول ابليس عن هذه السجرة وهي اشارة لا يدل على انه كان في الجنة
بحضرة السجرة التي ذكر اي عن هذه السجرة التي فلتما وقال جماعة دخل في راس
الحية والحية دخلت في الجنة كما رويناه ولا يكون هذا دخولا منه الى الجنة كما كان
للكفار من ذرية ادم في صلب ادم وهو في الجنة ولم يكن ذلك دخول الكفار
الجنة واصح هو لا انه خاطبهما وقاسمهما وراجعهما الكلام وذاك لا يكون
الا بالحضرة وسيل ابو الحسن الرستغفني عنه فقال لا يشهد بدخوله فيها لعدم
الدليل القطعي فان ثبت لم يبعد ان دخوله كان بزيادة في التلهف والحسرة
وقال الحسن البصري وصل اليهما الوسوسة من الوجه الذي حجل له وقالوا
هذا كر وسوسته اليوم في قلوب جميع اهل الدنيا في حاله واحد ولم يكن ذلك
الا بالحضرة لم يكن في حاله واحد لكن يقع ذلك في جميع القلوب وقالوا هو
كقبض عزرائيل الارواح من بني ادم وهم في مواضع مختلفة وهو في مكان واحد
واختلفا ايضا في كيفية وسوسته في قلوب الناس وقيل يجري
منهم مجرى الدم كما روي وقيل هو واقع في صدورهم منه على ما شاء الله

من غير دخول منه ولا حصول والامام ابو منصور يقول بقول الثاني انه
يوسوس ولم يقل الينا كيفيتها فمقول يوسوس فيحزر منه ولا نبحث
عن كيفيته ولا نقطع القول فيه بلا دليل قال في كل معنى يدعوا الى الباطل ويحد
عن الحق منه عمل الشيطان المقصود منه والفزع الى الله تعالى وان لم نعلم حقيقته
وذكر قال تعالى وامّا ينزغنك الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال ان الذين
اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان يذكروا وامّا صفة زلة ادم عليه
فقد ذكر الامام ابو منصور ان الحسن البصري قال انه تعمد ذلك وقوله يسي
كان نسيان تضييع لا نسيان ذكر لا وجه احرها ما جرى في حكم الله العفو
عن النسيان الذي هو ترك الذكر ولا يلحق صاحبه اثم العصيان وقد احد
هو به ووصف بانه عصى وغوى وقد تقدم في خطابهما فتكونا من الظالمين
ولان عدوه قد ذكره لو كان ناسيا حيث قال ما نهاكما ربكما عن هذه السجرة
وقاسمهما وقالها بغرور ولو كان نسيان ذكر لما اغترا بالقسم وهو كقوله
نسوا الله فنسيهم وفسره هو قوله ولم نجد له عزما اي لم نجد من اهل العزم
والثبات على حفظ الامر والنهي وهذا كله وحتى من الكلام لا يجوز ان يوصف
به الانبيا فان الله تعالى اصطفاهم واختارهم على علم منهم قال ولقد اخترناهم
على علم على العالمين وقال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وفي حق ادم ذكر حسا
وكرامات ومراتب ومقامات يجب تنزيهه معها عن مثل هذه الصفات والنسيان
حقيقته زوال الذكر وللتضييع مجاز ويقرر هذه الحقيقة قوله ولم نجد له
له عزما وهو القصد وصفا وما يقول ان العدو ذكره فلما لكثره ما جرى بينه
وبين عدوه من التراجع استغل قلبه بوجود الدفاع له والفكر في امكانه
والتحلص في مكايده حتى انساه وكذلك العهد انما كان النسيان في حق
عن عذر او هو عوتب بذلك ولم يعذره لان ادم لم يكن امر بانواع
محلفة يتعذر عليه وجه الحفظ في ذلك وانما امر بالانتهاء عن شجرة واحدة

الاسف يعذر بالنسيان فيما يكثر به النوازل لا مطلقا

بالاشارة اليها فحاصله ان لا يعذر في مسئلة وعين لهم اشغال كثيرة تتعذر عليهم
الحفظ فعذروا بها وكذلك فيما بيننا انما يعذر الانسان به فيما يكثر به النزول
الا ترى انه يعذر بالسلام في الصلوة وترك التسمية في الذبح والاكل والشرب
في الصوم ولا يعذر في الاكل في الصلوة وفي الجماع في الحج هذا والثاني انه
جايز اصل الاخبار ومعانيه الكبار بالامر الخفيف اليسير الذي لا توجد مسئلة
غيره لكثرة نعم الله عليهم وعظم منته عندهم كما اوعد وابتصاعف العذاب
على ما كان بغير حق وهو الحال بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من المناكير فيهم وفعله من عين احمد ما يوصف وكذا عوتب نبينا عليه السلام
بما خطر بباله من تقريب رؤسا الكفرة اشفاقا عليهم وحرصا على اسلامهم ويتعد
ذلك من جميع من جمال الخير والثالث انما عوتب بالذي يجوز ابتداء المحنة به
ولمثله خلقه حيث قال اني جاعل في الارض خليفة لكنه بكرمه عود
خلقه بتقديم احسانه وابلايه على محنته وبلايه قال تعالى يبلوناهم بالحسنات
والسيات ثم في ذلك ابلغ زجر وفيه تعظيم خطر الذنوب في القلوب قال
ابا البشر والمخصوص بالخلاف ومسجود الملايكة عوتب بهذا القدر من الزلة ليعلم
انه ليس في امر الله هوادة ولا في حكمه محاباة فيكونون ابدا على حذر وخيفة
ويفزعون اليه بالعصمة مما يوجب المقت والعقوبة ويحتمل ان يكون حفظ النهي
لكن خطوبه انه ليس بنهي تحريم فانه يكون على وجوه وذلك النهي وان كان مقرونا
بقوله فتكونا من الظالمين وذلك دلالة التحريم لكن يحتمل انه حفظ النهي لكن يبقى
هذا الاخر فانبنيه عليه وجه النهي فانه قد يكون للتحريم وقد يكون لايثار نهيه
عليه مع حله وقد يكون لداء فيه وضرر فيكون نهي رحمة لاحرمه فيسبق الى
وهمه ذلك ويحمل الضرر لنفع رجاه وطلبه ويحتمل انه حفظ قوله فتكونا
من الظالمين ويحتمل انه حفظ قوله فتكونا من الظالمين لكن وقع عندهم انه ليس بظلم
تعدي بل هو ظلم نقصان واضرار بانفسهما وتحمل لكل ما ذكرنا وانتفاع بعض

هذه الوجوه فلعله كان من وسوسة الشيطان لكن ظنه الهاما لا وسوسة
لانه كان لا بعاينه فصار كالناسي النهي وان كان حافظا ووجه احرمزا وبله
ان النهي كان مضافا الى شجر بعينها والمراد بها واشخاصها كما روي ان النبي صلى الله عليه
خرج وفي يده حرير وذهب وقال هذان حرامان على ذكور امتي حلالا لاناثهم
وكما يقول الطبيب لمريضه لا تاكل من هذا الطعام فانه يضرك في يديه وعينه
واشباهه يرفع عنه ان النهي مرعينه لا غير وانضاف الى هذا اشيا اخر طول
المدة وميل الطبع الى المأكول وزيادة زينه ولطافة كانت في الشجر فكانت داعية
اليها وسبق جوابها الى الاكل ولم يظهر عليها شيء لم يدر قبلها عاصيا الا ابليس
وقد عوقب كما عصى فاجتهد فوقع اجتهاده على ان حكم النهي مقتصر على عين
هذه الشجرة او ان النهي قد ارتفع ولم يجز هذا الاجتهاد له لانه كان في موضع
وجود النص فان الوحي لم يكن منقطعا وعذر فيه لانه لم يكن سبق له النهي عنه
ولم يعذر في الاكل لان النهي كان سبق عنه من آمة سمع عند لا نطلق اسم
الزلة على افعال الانبيا لانها نوع ذنب ويقولون فعلوا الفاضل وتركوا الافضل
فعوتبوا عليه وانما نحا نحوا طلقوا هذه اللفظة لقصيه قوله فازلهما انما
استزلهم وفسروها بانها فعل ينفع مخالفا للامر من غير قصد الى الخلاف
منهم قبل الفعل ولا علم لهم انه خلاف حالة الفعل ولا اصرار منهم عليه بعد الفعل
كزلة الماشي في الطين لا يقع عن قصد منه اليها ولا ثبات منه عليها فلان
العيسى اصبح ادم محمولا للملايكة مسجودا لكافة على راسه تاج الوصلة
وفي وسطه نطاق القربة وفي جيده قلادة الزلفة لا احد فوقه في الرتبة
ولا يحصى مثله في الرفعة تتوالى عليه النداء كل لحظة يا آدم يا ادم فلم يمض
حتى نزع عنه لباسه وسلب استناسه وتبدل مكانه وتشوش زمانه
قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها مكررا لذا من يأمن الاحبا
قوله فاخرجهما مما كانا فيه اي نسب الشيطان الخروج هو

الوسوسة التى بها زلة فامر بالخروج وهو لقوله انهن اضللن كثيرا من الناس
وقوله حتى انسوكم ذكرى وقوله فزادتهم رجسا الى قوله مما كانا
فيه قال محمد بن قيس اى من اللباس الذى كانا فيه حتى بدت لهما سوآتهما
وقيل هو قول الاكثر اى من الجنة وانما قال فيه ولم يقل فيها صرفا الى قوله ما ويل
اى من الحال الذى كانا فيه يعنى من النعمة والراحة الى البلاء والشدة وقيل اى
من الطاعة الى الزلة وقوله وقلنا اهبطوا الهبوط الانحدار
والهبوط الحدور وهبط لازم ومتعدى ودلت الكلمة انهما كانا فى جنة الخلد
حيث امر بالهبوط الحدار وهو النزول من علو الى سفل فلم يستقم تاويلها بستان
فى الارض ثم الامر بالجمع وهما اثنان سبق الذكر لما انه يتناول معهما غيرهما
قال مجاهد الخطاب لادم وحوا وابليس قال ابن عباس رضى الله عنه والسدى
الخطاب لهم وللحية وعن ابن عباس فى رواية هو لخمسة وخامسهم الطاوس وهو دليل
ابليس على الحية فاخرج معهم من الجنة وهذا لا مزية ان تطهم فى كلهم فما كان
هبوطهم جملة بل هبط ابليس حتى لعن بدليل قوله قال فاهبط منها وقال
فاخرج منها وقال اخرج منها مذءوما مدحورا وهبوط ادم وحوا والحية
كان بعد بكثير واما قوله اهبطا منها جميعا فهو لادم وحوا لاغير وقيل
اهبطوا خطاب لهما وانما جمع وقعا لسانهما كما فى قوله وداود وسليمان اذ
يحكمان فى الحرث الى قوله وكنا لحكمهم شاهدين اولاد اتهما مع ذريتهما
وهو كقوله قالتا اتينا طائعين اى بمن فينا من الخلق ثم ظاهر هذا امر بالنزول
الى الارض وقيل اراد به انحطاط المرتبة وتقصان المنزلة بسبب الزلة
وقوله بعضكم لبعض عدو اى ابليس لهما وهما لابليس وان جمع
معهم الحية فهو عدو لبنى ادم وهم عدو لها كما تستعهم وهم يدمغونها وابليس
يقتلهم وهم يلصقونه وان اريد للاول ادم وحوا وذريتهما فالتعادى
من التحاسد فى الدنيا والاختلاف فى الدين وهذا اخبار عن كونه لا امر بتحصيله
وقالوا

وقالوا العداوة مع ابليس دينية فلا ترتفع ما بقى الدين والعداوة مع الحية
طبعية فلا ترتفع ما بقى الطبع هذه عداوة تالكدت بيننا وبينهم لكى حربا
يكون الله معهم كان الظفر لهم وقيل لما قال بعضكم لبعض عدو قال ادم
الحمد لله حيث لم يقل انا لكم عدو والعدو هو المجاوز حده مذءوما حال
ماخوذ من التذءى ثم هو اسم يصلح للواحد والجمع والذكر والانثى قال تعالى
هم العدو فاحذرهم وهذا الاية على بنا بعض المصادر وقوله
ولكم فى الارض مستقر اى موضع قرار وقد قر واستقر والمستقر
مكان الاستقرار وقيل اراد بالمستقر موضع القرار فى الارض للحيوة
وقيل اراد به موضع القبور وهو قول السدى ثم المستقر لانه
رجع الام قال للام قال تعالى مستقر ومستودع اودع فصل الاب واستقر
فى رحم الام والتى فى الدنيا قال ولكم فى الارض مستقر والثالث فى العقبى
اما فى الجنة اصحاب الجنة توفيد خير مستقرا واما فى النار وانها ساءت مستقرا
ومقاما وقال الى ربك يومئذ المستقر وقوله متاع اى معاش وقيل
الى حدة وقيل اى منفعة وقيل اى بلاغ وقيل المتاع اى ما يتمتع
به من مرافق العيش من الاكل والشرب واللبس والنكح وغيره لكن خصصه
طول الانتفاع بالشئ يقال متع النهار اى طال واستمتع بالشئ اى انتفع به
طويلا وقوله الى حين اى غاية والحين فى الاصل اسم للزمان المحدود
قال كل امرئ راجع يوما لشيمته وان تخلق اخلاقا الى حين وجاء
فى القرآن لوقت صلوة قال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وجالسته اشهرا تؤتى اكلها كل حين هو من حين تطلع الى ان ترتطب الا حين
سنة هذا فى عرف الانسان حين من الدهر وجالدته الدنيا كما فى هذه الاية
عند بعضهم وقد قال ابن عباس والسدى اى الى الموت وقال مجاهد والضحاك
اى الى قيام الساعة وهذا حق للجميع والاول فى حق الاشرار ولما هبطوا وقع

ادم بارض الهند على جبل يسمى نديب ولذلك طابت رايحة اشجار تلك
الولاية لانه لما معه من ريح الجنة ووقعت حواء بجدة وبينهما سبع مائة
فرسخ وطاوس بمرج والحية باصبهان وابليس ببسد يأجوج ومأجوج
وقيل وقعت الحية بموضع اسمه باصبهان وطاوس بميسان وكانوا احسن حال فابتلى
ادم بالحرث والكسب وحواء بالحيض والحبل والطلق ونقصان العقل والميراث
وجعل الله قوائم الحية في جوفها وجعل قوتها الترابة وقبح رجلي طاوس
وجعل ابليس بأقبح صورة واقبح حالة وكان ملك ادم وحواء الجنة
من وقت الظهر الى وقت العصر من ايام الاخرة وقوله فتلقى ادم
اى اخذ وحفظ ويقال تلقينا الحاج اى استقبلناهم للقائهم ويقال لقيته
الشئ وتلقاه ولقنته وتلقفته بمعنى وقوله من ربه
كلمات الكلمات جمع كلمة وهى مجموع حروف الكلمات في القرآن لمعان للعلم كما في
قوله لو كان البحر مدادا لكلمات ربي وللقرآن كما في قوله وتمت كلمات ربك
وللفرايض كما في قوله واذا ابتلى ابرهيم ربه بكلمات وللوعد كما في قوله
لا تبديل لكلمات الله واختلفوا في المراد بهذه الكلمات قال علي ومجاهد
هي قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي
فاغفر لي وانت خير الغافرين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوأ
وظلمت نفسي وتب علي فانك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك
رب عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني فانت خير الراحمين قال علي رضي الله عنه
من قالها غفرت ذنوبه وان كان مثل زبد البحر وقال ابن
عباس هي التحميد والتسبيح والاستغفار والمناسك يعني امر حتى حج البيت
وتكلم بها وقبل توبته وقيل هي الصلوة على النبي ع والاستشفاع به وقد روى عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ادم عليه السلام قال يا رب محمد ان غفرت لي وكيف عرفت
محمدا قال لما خلقتني ونفخت في الروح فتحت عيني ورايت على ساق العرش

١٢٨

مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه اكرم الخلق عليك حتى قرنت
اسمه باسمك فقال نعم وغفر له بشفاعته وقال سفيان الثوري قال
ادم يا رب بمعرفتي انه لا يسعني ساعة الا بمشيتك وقد درك ان تغفر لي فغفر له
وقيل قال يا رب ما خدعت الا بك فقال صدقت فتاب عليه وقيل
هي هذا الدعا اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي
فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا
يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي
ورضا بما قسمت لي قال الله تعالى من قال من ذريتك هذا غفرت له ذنوبه
وقيل اوحى الله تعالى الى ادم ان من اذنب صغيرا او كبيرا ثم ندم واعتذر
وعزم ان لا يعود فاني اتوب عليه فتلقى ادم هذا من ربه فقبله وعمه ماب
عليه وهي الاوامر والنواهي قبلها وايتمر بها امر وانتهى بما نهى فغفر له ودليله
قوله واذا ابتلى ابرهيم ربه بكلمات وقيل هو قولهما ربنا ظلمنا انفسنا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين هو قول مجاهد وسعيد
بن المسيب والحسن والربيع بن انس وقال ابن عباس والسدي قال اذنب حلفتني
بيدك ونفخت في من روحك وسبقت رحمتك غضبك او اتيت ان تبت واصلحت
فهل انت راجعي الى الجنة قال نعم قال وتتوب علي ان تبت قال نعم فتاب ادم وتاب
عليه وقال عبيد بن عمير قال يا رب ما اتيته اشئ ابتدعته من قبل نفسي
او شئ قدرته علي قبل ان تخلقني قال بل شئ قدرته عليك قبل ان اخلقك قال
يا رب كما قدرته علي فاغفر لي فغفر له وقال عبد الله بن مسعود احب الكلام
الى الله ما قال ابونا حين اعترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك تباركت اسمك
وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وقال
العنسي حري على لسان ادم مع الحق سبحانه كلمات واسبغ الحق سبحانه
ادم كلمات واجمل الحق سبحانه القول في ذلك اجمالا اما التفصيل القصة

مستوره اى ليكون الاحتمال فى النطق مساغ ولما تحتمله الحال من التاويل
مطرح ويحتمل ان يكون كلمات ادم اعتدادا وتفضلا وكلمات الحق قبولا
وتفضلا ويقال حيث امر بخروجه من الجنة جعل ما اسمعه اياه من عدم
خطابه له زادا ليكون له تذكرة وعتادا **قال** واذكر ايام
الحمى ثم انثنى على كبدى من خشيته ان تقطعا ومخاطبات الاحباب لا تحتمل
السرح ولا تحيط بها اللاجئات علم وقد ابن كثير فتلقى ادم من ربه كلمات
بالرفع ومعناه جاءت الكلمات ادم وهو كقولك بلغنى زيدا وبلغانى
وقوله فتاب عليه التوبة الرجوع تعالى تاب الله وتاب واب
واناب وقد تاب العبد الى ربه اى رجع اليه من ذنبه وتاب الله عليه اى
وفقه للتوبة وقبلها منه قال تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا هذا للتوفيق للتوبة
وقال فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه هذا لقبول التوبة
وفى هذه الاية تصلح لهما وتمام التوبة من العبد بالندم على ما كان وترك الذنب
الان وبالعزم على ان لا يعود فى مستانف الزمان وفى مظالم العباد بمعنى
الرشا وبارضاء الخصم بايصال حقه اليه باليد والاعتذار منه باللسان
وقوله انه هو التواب الرحيم اى الكثير القبول للتوبة وهذا
وعد منه ان العبد اذا اذنب وتاب ثم وقع فى الذنب ثم تاب وتكرر ذلك
منه قبل الله تعالى منه كلما فعل لكن اذا كانت التوبة فى كل مرة صحيحة والرحيم من
اسمائه والتسمية ومعناه هنا انه يرحم التائب فيعفو عنه ويقبل توبته
وقيل الكلمات لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى
ادم بذلك ما يه لا ان رفع راسه حيا وقال ابن عباس بكى ادم وحوا مائتى سنة
ولم ياكلا ولم يشربا اربعين يوما ولم يقرب ادم حوا مائة سنة قال الواحدى قال
فتاب عليه ولم يقل عليهما وقد سبق ذكر ادم وحوا ملنا انه ذكر المتلقى وهو ادم
وحذف ذكر قبول التوبة لدلالة ان مبنى حال النساء على ستر من والسكوت عن ذكر هن

ولان تفريع العلم الدنيا للاشياء على الخصوص ولانها كانت تقع من ادم قبل حكمها
بذكر المتبوع اذا كان معنى بعلمها واحرا فذكر احدهما ذكرهما قال تعالى واذا
رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
ودلت الاية ان العصيان لا تزيل الايمان وهو رد على الخوارج ودلت ايضا
على بطلان قول المعتزلة ان الصغائر معفورة لا تحور العقاب عليها ولا يجب
التوبة منها وما كان من ادم كان زلة ونبى دون الصغير وقد عوتب عليها وامر
بالتوبة منها وما كان من ادم كان زلة ونبى دون الصغير وقد عوتب عليها وامر
بالتوبة منها ثم الحكمة فى ابتلاء ادم بذلك من وجوه ذكرها الامام او منصور
احدها ما كان فى صلبه من الكفرة وهم ليسوا من اهل الجنة والثانى رحمة للخلق ليلا
ييأسوا ولا يزيلوا الولاية عن كل ذنب والثالث لتنبيه الخلق ان لا احد يقوم بتعهد
نفسه عما ندم عليه ابدا وكل بنفسه اليه فيكون ذلك سببا لزجر الخلق عن النظر
الى انفسهم ودعاءا الى التضرع الى الله لتعصمهم عن كل شر وقال يوسف عليه السلام
وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى **وقوله**
قلنا اهبطوا منها جميعا اما كرر الامر بالهبوط لانه تعلق بكل واحد منهما معنى
اخر فالاول معناه اهبطوا على عداوة بعضكم لبعض وعلى سكناكم فى الارض
الى حين ثم ذكر امرهم بالهبوط ثانيا للابتلاء بالعبادة بقوله فاما ياتينكم منى
هدى وكان يصح لو قرر المعنيان بذكر الهبوط مرة لكن اعترض بينهما كلام
وهو تلقى الكلمات وقيله قبول التوبة فاعاد الاول ليتصل المعنى الثانى وهو
الابتلاء بالعبادة والثواب على الطاعة والعقاب على المعصية **وقوله**
فاما ياتينكم الفا للتعقيب وامّا كلمتان ان وهو كلمة شرط وما وهو
للصلة وياتى شرط والنون للتاكيد فعادت الياء المحذوفة بالشرط
وقال الامام ابو منصور معناه ليأتينكم قال وهذا حايز فى اللغة وقال
ابن عباس ليس هذا شرطا وان كان ظاهره شرطا الا ترى انه لا جواب له
قال بحر الدين رضى الله عنه ووجه تصحيح هذين الكلامين مع تقرير العربية

على وجهها وحقيقتها انه شرط والمشروط قد يكون وقد لا يكون وابيان
الهدى كان مما يكون لا محالة لكن استدعى البناء شرطا اخر عليه واراد
جواب بعدهما والمشروط الثانى مما يكون من بعضهم ولا يكون من بعضهم
وكان مقتضى الشرط ان يدل الاول على هذا فعقد الاول وعلق الثانى بالشرط
وبعدوه سيأتيكم منى كتاب هادى ورسول هادى ومنى ياتكم فلك
من تبعه فلا خوف عليه ولا حزن وكان قوله فمن تبع جوابا لقوله فاما ياتينكم
وهو شرط اخر يقتضى الجواب فجعل جوابه فلا خوف فمن هذا الجامع شرط جواب
للشرط الاول وفعل الجزاء الاخير جواب للشرطين جميعا كما فى قوله ولولا فضل الله
عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم ولم يجئ له جواب ثم قال ولولا فضل الله عليكم
ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا فكان هذا جوابا للكل **وقوله**
منى هدى هذا مصدر اريد به النعت فهو الهادى وهو نعت منعوت
مضمر وهو الكتاب او الرسول وانما وصلان المراد احدهما او يذكر احدهما
فصير الاخر مذكورا فان الرسول يأتى بالكتاب والكتاب ينزل على الرسول
وهدى مرفوع لفعله وهو الايمان وقال ابن عباس رضى الله عنه قوله فاما
ياتينكم خطاب لذرية بنى آدم لان ابليس وذريته لا يأتيهم كتاب ولا رسول
ولا يكون منهم اتباع وقال مقاتل بن حيان هدى هو محمد ومن اتبعه
من اطاعه فلا خوف عليه ولا حزن **وقوله** فمن تبع هداى تقال
تبعه واتبعه اى تلاه واتبعه اى لحقه قال تعالى فاتبعهم فرعون بجنوده
ونفسه فمن عمل بالكتاب فلم يخالفه واطاع الرسول فلم يغادره **وقوله**
فلا خوف عليهم اى فليس عليهم خوف فيما يأتى امرهم من الاخرة ولا هم يحزنون
اى لا يهتمون على ما فاتهم من الدنيا وقيل اى فلا خوف عليهم من عقاب ولا حزن
بفوت ثواب وقيل الخوف استشعار عدم لفعد مطلوب والحزن استشعار
عدم لفوت محبوب قال تعالى جزاء بعقوب انى ليحزننى ان تذهبوا به واخاف

هدى خ

ان ياكله الذيب وقيل اى ولا خوف عليهم من الضلالة فى الدنيا ولا حزن
الشقاوة فى العقبى قال تعالى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ثم وحد
الشرط هنا وجمع الجزاء لما مر فى قوله ذهب الله بنورهم **وقوله**
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اى دائمون لا يموتون
فيها ولا يخرجون منها هذه الاية فى وعيد من لم يتبع والاية الاولى فى وعد من تبعه
وقال الامام ابو منصور قوله فمن تبع هداى اى سمعه ودام عليه حتى مات ولذا
قال ابو العتاهية قال فى الاسنى نقض قول الجهمية ان الجنة والنار يفنيان
ويبقى ما فيهما فان الله تعالى نفى الخوف والحزن عنهم ولو كانا يفنيان كان
لاهل الجنة اشد الخوف والحزن وذكر عذاب اهل النار انه شديد اليم ولو
كان لها فناء وزوالا لكان ذلك عليهم وكان اسعد حالا من اهل الجنة
فان اهل الجنة يخافون زوال تلك النعمة وهو اجل محنة وهو لا يخافون
زوال العقوبة وهو اجل نعمة **وقوله** يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى
ادم انه وعد متبع الهدى بالجنة ومخالفه بالعقوبة وختم هذه الاية على
الوفاء بعهده وهو الايمان به والطاعة ليوفى بعهدهم وهو ادخال الجنة
فقال اوفوا بعهدى اوف بعهدكم وقد قال وما وفى بعهده من الله بعد قوله
ان لهم الجنة وانتظامه بتمام قصة ادم ان الله تعالى عدد على بنى نعمه على ابائهم
وعدد على بنى اسرائيل نعمه على ابائهم وانتظامه بما قبل قصة ادم انه قال الذين يقصون

قوله فان اهل الجنة الخ ترك ضبطه وقوله وانه كانا يفنيان الخ فيه نظر

عهد الله يم امرهم هنا بالوفا بعهد الله وقوله يا بنى اسرايل اى يا اولاد يعقوب
واصله بنين وهو جمع ابن وقد سقطت النون للاضافه والنون اسم للمذكور
والاناث من الاولاد اذا اجتمعوا اكتفت الرجال بشمل المذكور والاناث اذا اجتمعوا
واسرايل اسم يعقوب قال ابن عباس اسرا بالعبرانيه عبد وايل هو الله ومعناه
عبد الله وقيل اقاويل اخر لا يعتمد عليها **وقوله** اذكروا نعمتى التى
انعمت عليكم يجوز ان تكون امرا بالذكر الذى هو مضموم الذال وهو بالقلب
خاصة وهو الحفظ الذى يضاد النسيان ويجوز ان يكون امرا بالذكر الذى
هو مكسور الذال وهو يقع على الذكر باللسان والذكر بالقلب ويكون امرا بشكر
نعمة باللسان وحفظها بالجنان فلا يكف عن قضاحقها بالعمل والنسيان
والنعمة اسم جنس يقع على الكل فى مثل هذا قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
واصلت فى المراد بها هنا قيل هى كل النعم الذى انعم الله على كل خلقه بها وهى كلها
تقتضى الوفا بعهده وقيل هى النعم التى كانت على سلفهم من الانجا وبعث الانبيا
وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وتفجير العيون من الحجر للشراب وساير ما عدد
فى هذه الايات وهذا كله انعام على الآبا لانهم شرفوا بتشريف الابا وهذا
قول الحسن البصرى رحمه الله وقال ابن عباس رضى الله عنه هى ما استودعهم من التوريه
التى فيها صفه رسوله ونعته بيا وقيل النعمه هى محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا
يستفتحون به على الذين كفروا فكانه قال احفظوا حقه وامنوا به واوفوا
بعهدى فيه وكان نعته نعمه لهم لانه بعث فى وقت اختلافهم ودروس الكتاب
وفى وقت فترة الرسل وكان فى طاعته بجاتهم وبطيره قوله فكفرت بانعم
الله هى محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكره باسم الجمع لكثره ما فيه من النعم كما سمى
ابرهيم امة لقيامه مقام الامة **وقوله** وافوا بعهدى وقيل هو
الامر بالوفا بالميثاق الذى اخذ الله على ذريه ادم عليه السلام من الايمان به
والايتمار بامره والعهد اسم للايمان وقال تعالى وقل اتخذتم عند الله عهدا

اى هل قلتم لا اله الا الله وقيل هو ما اخذ عليهم من العهد فى كتابهم من الايمان
برسولنا محمد عليه السلام قال تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
ليبيننه للناس ولا يكتمونه وقال ابن عباس والربيع اى اوفوا بما امرتكم
به اوف بما وعدتكم به والعهد يكون بمعنى الامر قال تعالى ولقد عهدنا الى
ادم وقال الم اعهد اليكم وقال وعهدنا الى ابرهيم وكان قوله اوفوا
بعهدى اوف بعهدكم اى بوعدكم ويكون العهد بمعنى الوعد قال تعالى
ومن اوفى بعهده من الله اى بوعده فقد قال وعد عليه حقا وقال ومنهم
من عاهد الله اى وعد فقد قال ما احلفوا الله ما وعدوه وقيل اى
اوفوا بعهدى باداء الفرايض اوف بعهدكم بقبولها والجزاء عليها وقال
ابن عباس كان عهد بنى اسرايل على لسان موسى انى باعث من بنى اسمعيل
نبيا امينا من اتبعه وصدق بالنور الذى ياتى به غفرت له ذنبه وادخله
الجنه وجعلت له اجرين اثنين فذكرهم ذلك بهذه الايه وقيل اوفوا بعهدى
فى محاهدة انفسكم اوف بعهدكم فى معونتكم عليها وقيل اوفوا بعهدى
فى اخلاص سرايركم اوف بعهدكم فى اصلاح ظواهركم وقيل اوفوا
بعهدى اجيبونى فيما قلت لكم افعلوا ولا تفعلوا اوف بعهدكم اجبتكم
فيما قلتم لى افعل ولا تفعل قال تعالى اجيب دعوه الداع اذا دعان فليستجيبوا
لى وهو قول سفيان الثورى رحمه الله وقال ابو منصور رحمه الله عهد الله
على خلقه على وجهين عهد خلقه لما جعل فى خلقه كل احد دليلا على ربوبيته وتوحيده
والله لم يخلقه للبعث ولا تركه سدى وعهد رساله على السنه الرسل قال تعالى
قال الله انى معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلى وعزرتموهم
واقرضتم الله قرضا حسنا وقوله اوف بعهدكم هو قوله لاكفرن
عنكم سياتكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار وقال العشرى النعم
ما اسعدك المنعم او ما ذكرك المنعم او ما وصلك الى المنعم او ما لم يحجك عن المنعم

وقال الله سبحانه امر بنى اسرائيل بذكر النعم وامرامه احمد بذكر المنعم فاذكرونى
اذكركم وقال ع قوله اوفوا بعهدى اوف بعهدكم اوفوا بعهدى الذى قبلتم
يوم الميثاق اوف بعهدكم الذى ضمنت لكم يوم التلاق اوفوا بعهدى
ع ان لاتؤثروا على غيرى اوف بعهدكم ع ان لاامنع عنكم خيرى اوفوا بعهدى
ع استدامة عرفانى اوف بعهدكم ع ادامة احسانى اوفوا بعهدى ع القيام
بخدمتى اوف بعهدكم بقبولها منكم بمنتى اوفوا بعهدى بحث المجاهدة
اوف بعهدكم برد وام المشاهدة اوفوا بعهدى بصدق المحبة اوف بعهدكم
بكمال القربة اوفوا بعهدى اكفوا منى لى اوف بعهدكم ارضى عنكم اوفوا
بعهدى ع دار المحنة على بساط الخدمة بشد نطاق الطاعة وبذل الوسع
والاستطاعة اوف بعهدكم ع دار القربة على بساط الوصلة بادامة الانس
والدنو اوفوا بعهدى بقولكم ابدا لى ربى اوف بعهدكم لجوابكم ابدا عبدى
عبدى وقوله فارهبون قال الفتى اى افردونى
بالرهبة لانفرادى بالقدرة وقال الامام ابو منصور اى اخشوا سلطانى
وقدرتى قال وقيل اى اخشوا عذابى ونقمتى قال وقيل اى
اخشوا نقض عهدى وكتمان نعتى يعنى صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما
اى انزل عليكم من العذاب ما انزل على من قبلكم وقد بينا ع قوله اياى فارهبون
ان تقديم اياى يقتضى الافراد معناه احشونى ولا تخشوا غيرى كما قال ولا تخشوا
الناس واخشونى واصل فارهبون فارهبونى بياء الاضافة وبه قرا بعض
القرا كما سيجىء لموافقة رؤس الاى وقوله وامنوا بما انزلت مصدقا
لما معكم وهو نعت القرآن الذى مر ذكره العهد اى امنوا ايها اليهود بالقران الذى انزلته
على محمد مصدقا لما معكم ويجوز ان يكون مفعولا به اى بالذى
الذى انزلته مصدقا لما معكم اى موافقا للتوراة التى معكم ع التوحيد والنبوة
عن الامور الماضية والمستقبلة ومنها ذكر نعته وانزال القران عليه فاما الاحكام

وحدثتهم

ع الشرايع والاحكام فلا توجب النقاض لانه نسخ ويجوز نسخ بعض ما ع الكتاب
ببعضه فكيف بكتاب بين ع النسخ بيان مدة الحكم الاول ولا ابتداء وقوله
ولا تكونوا اول كافر به فعل بالقران وقيل بمحمد ع وقد مضت ذكره بذكر الانزال
لانه انزل عليه مجازا صرف الكتاب اليه وقيل اى بما معكم وهو التوراة فان فيه
نعت محمد عليه السلام والصرف الى القران قول ابن جريج والصرف الى محمد قول
ابى العالية والصرف الى التوراة قول الزجاج ثم لم يقل اول كافرين على الجمع
لان الكافر اسم مشتق من فعل يكون بمعنى مفعل فيدل على الجنس ويجوز جمعه
على الجنسية قال فاذا هم طعموا فالام طاعم فاذا هم جاعوا
فسير جياع وجمع ع الاول وجمع ع الثانى وقال الجيش مثل والجند منهم
ولا يجوز هذا ع الاسم الذى ليس ما خوذ من الفعل لا يجوز الجيش رجل والجند غلام
وتقال الجيش رجال والجند غلمان وقال الجنس فيه اضمار اى اول فريق
كافر به فوحد على اللفظ دون المعنى ثم معناه اول كافر من اهل العصر فقد كان
قبلهم اهل الكفر اولا والكفر اولا واخر احرام ان فيه زيادة قبح ووبال اى لا تكونوا
اول من يكفر به فتقتدى بكم غيركم فيكون لكم وزركم ووزر من اقتدى بكم قال
النبى صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم
القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة
وذلك انه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فكذبه يهود المدينة ثم تواطئوا وسوا
البصرى بصيرهم فدخل ثم تتابعت على ذلك سائر اليهود وقوله
ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا قد فسرنا الاشتراء ع نحو قوله اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى ومعناه هاهنا ولا تاخذوا على تعليم الكتاب اجرا
هذا قول اهل العالية وكان مكتوبا عندهم ع الكتاب الاول يا ابن ادم علم مجانا
كما علمت مجانا وقال الحسن اى لا تاخذوا على تغيير كتابكم وتبديله
ثمنا وقال السدى اى لا تاخذوا طمعا على كتمان ما فيه من ذكر محمد وتصديق

البصرى

القران وقصة نزوله ان كعب بن الاشرف قال لاحبار اليهود ما تقولون
في محمد فقالوا انه نبي فقال لهم كان لكم عندي صله وعطيه لو قلتم غير هذا
فقالوا اجبناك من غير تفكر فامهلنا حتى نتفكر ونظر في التوريه فخرجوا
وبدلوا نعت محمد ﷺ ثم رجعوا وقالوا ذلك واعطى كل واحد
منهم صاعا من شعير واربعة اذرع من كرباس وهو القليل الذي ذكره الله
في هذه الايه وقيل اياما سماه قليلا لان الدنيا كلها قليلة في نفسها لا سيما
اذا قوبلت بالاخره ولما ترك بهائم ما احدوه لم يكن ثمنا حقيقة لكل احد وه
عوضا عما بذلوه فكان في صورة ثمن المبيع قال ان كنت حاولت
دنيا او طفرت بها فما اصبت الا من ثمن وقوله واياي
فاتقون اي اخشون في كتمان نعت محمد وما ذكر في هذه الايه واما سهل
الائتمار بالامر والانتهاء بالنهي لمن خشي الله فامرهم هنا بخصيته ليسهل
عليهم الائتمار بما امر به في تلك الايه واعاد الامر بها هنا ليسهل عليهم
الانتهاء بما نهى عنه في هذه الايه وقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل اللبس
الخلط من باب ضرب واللبس الاكتساء من باب علم وقال ابن عباس
معناه لا تخلطوا الصدق بالكذب اي نعت النبي صلى الله عليه وسلم نعت
الرجال وقال مجاهد اي اليهوديه والنصرانيه بالاسلام وقيل
اي التوريه المنزله بما كتبتم بايديكم وقيل اي الامانه بالخيانه لانهم اذ
كتموا ما في التوريه ان يبدوه فلا يكتموه فخانوا فيه مرتين بكتمانه
وتبديله وقوله وتكتموا الحق عطف على النهي الاول اي ولا تكتموا
الحق وهو امر محمد ﷺ وقيل القران وقيل اي الايمان وقوله
وانتم تعلمون انه حق فلكن تكابرون وقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل
هو نهي عن التغرير وقوله وتكتموا الحق هو نهي عن الكتمان فكلاهما منهيان
واضمر لاها هنا كاضماره في قوله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا

اماناتكم اي ولا تخونوا اماناتكم وقيل هذا خطاب المشركين وكانوا
يقولون في تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه
وما ملك وقيل هو خطاب للمنافقين ومعناه لا تخلطوا الاخلاص بالنفاق
ويجوز صرفه الى المسلمين والى كل صنف منهم وبيانه ايها السلاطين
لا تخلطوا العدل بالجور والقضاة لا تخلطوا الحكم بالرشوه وكذا كل من هو
في مثل حالهم ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا اي لا تتوخذوا
على تعليم حقي حسبس حقكم ما يأتي فاتقون فكثير من يبقى على عقوبته
وعذابه من يهاب ربوبيته ولا تلبسوا الحق بالباطل اي لا تتوهموا ان
لكم جمع الصدين والكون في حاله واحده في محلين ما مبسوط بحوا ما مر بوط
بخط ولا تلبسوا الحق بتدليس ولا تكتموا الحق بلبيس وانتم تعلمون ان حق الحق
بتدليس وقوله واقيموا الصلوة اي اقبلوها وادوها واتوا
الزكوة كذلك وقيل اي اقيموا الثنا والحمد به السنتكم واتوا الزكوة
اي طهروا له انفسكم عن الكفر والمعاصي قال تعالى وقل هل لك الى ان تزكى
وقال بنفسه زاكيه اي طاهره وزكوة المال سميت بها لمعنيين للطهارة
كما ذكرنا وللنماء تقال زكى الزرع اذا نما وسميت بها لنما المال بها بالزياده
ولطهاره مؤديها بالمغفره وقوله وازكعوا مع الراكعين والركوع
في اللغه هو الانحناء من الارتفاع قال لبيد بن ربيعه العامري
اخبار القرون التي مضت اد بكاني كلما قمت راكع وفي الشرع
هو ركن مخصوص في الصلوه بين القيام والسجود ومعنى الايه اركعوا مع
في الصلوة ركوع اهل الاسلام ولم يكن لصلوه اليهود ركوع اي اسلموا
واعملوا عمل اهل الاسلام ولذلك قال مع الراكعين اي مع المسلمين الذين
يركعون في صلواتهم وقيل الركوع هنا اسم لكل الصلوه وقد مر في قوله
ويقيمون الصلوة ان الصلوه لها اسامي منها الركوع ومعناه صلوا

مع المصلين

وله معنيان احدهما صلوا مع امة محمد صلوتهم اى اشرعوا فى دينهم واعمالهم
وصلوا صلوتهم المشتملة على كل اركانها واستقبلوا بها الكعبة وهو امر له
باقامة الجماعة فمادون الانفراد بها ثم هو ليس بتكرار لقوله واقيموا الصلوة
لان ذاك امر بقبولها واداء اصلها وهذا امر باتمامها بالركوع فيها واقامتها
بالجماعة مع اهلها وقوله اتامرون الناس بالبر البر فى اللغة
لاشيا للصدق ولحفظ اليمين ولمراعاة حق الوالدين وللطاعة وللطف والعرف
من حد علم والنعت البر والبار وهو معناه هنا عند السدى اتامرون الناس
بطاعة الله وانتم تعصونه وقال ابن عباس اتامرون بالتمسك بكتابكم وتتركون
ان تجحدوا ما فيه من نبوة محمد وقيل اتامرون الناس بالصدق وانتم تكذبون
وقيل اتامرون الناس بتصديق محمد ع واتباعه وانتم تخالفونه وتدرون
انه فى علما اليهود فان الرجل منهم كان يقول لصهره ولقريبه كذلك ع
ولرضيعه المسلم فى السر الزموا دين هذا الرجل فان ما يقوله حق وكانوا
لا يفعلون ما يامرون به كيلا تفوتهم الرشوة والرياسة فنزلت الاية
وقيل كانوا يقولون لفقرائهم الذين لا مطمع لهم فيهم فى السر امنوا
بمحمد فانه حق وكانوا يقولون للاعنياء دعوا عنكم علامات نبى اخر
الزمان دون بعض فاسطروا استبقاء لما ينالون منهم وقوله اتامرون
هذا استفهام بمعنى التوبيخ والتهديد وقوله وتنسون
انفسكم النسيان فى اللغة نقض الذكر والنسيان الذكر والنسيان
الترك والنسى ما يسقط فى منازل المرتحلين من رذال امتعتهم وتقولون
تتبعوا انساكم هو جمع ذلك قال كان لهذه الارض نسيانا تنقصه
اى تتبعه ومن الاول قوله نسوا الله فنسيهم اى تركوا امر الله فتركهم
مخذولين ومن الاخر قوله ان نسينا او اخطانا ومن الاخر قول الرجل اسيت
امرى اى اخرته عن سائر الامور ومعنى الاية هنا ولا تفعلون انتم كانكم

تنسون انفسكم او تتركون انفسكم فلا تنهونها عن القبيح بالايمان به ومتابعته
او بوخزون امورا نفسكم فلا تتبعونه فى الحال لئلا تسقط مرافق اعنيائكم
عنكم ومن عزمكم ان تتبعوه يوما وبشوم اصراركم وتاخركم باحسانكم
سقيكم على الكفر الى اخر العمر وكذا حال من تمادى فى العصيان والعيب يقول
انتم عند الكبر والشيب فى دنياكم الموت وتبقى فى حسرة الفوت
وقوله وانتم تتلون الكتاب اى التوراة وتعرفون ان المصطفى
حق وكتابه صدق ثم تخالفون علمكم وقوله افلا تعقلون
اليس كل عقل يعرفون به ان قبح منكم ترك اصلاح انفسكم والاستعانة بغيركم
وقبح ايضا مخالفة ما تعلمون وقيل اى تتلون فى كتابكم ان المحمود عند
الله من امر غيره به لا من امر غيره به وترك نفسه وفى كتابنا ذلك ايضا
قال تعالى يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات ثم سماهم
بعد ذلك اولئك من الصالحين فقال ابن عباس التحفى منعنى عن الجلوس للعامة ليلة بل
وقالوا امى دامغة الواعظين قول الله تعالى خبرا عن شعيب النبى عليه السلام
وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقوله يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون
وقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقيل فى معناها انه اخرى
يا اهل الكتاب تسمع على عاصى حتى تعلموا التوراة والانجيل ثم هذا التوبيخ
ليس على امر الناس بالبر بل لترك العمل بعد الاستقامة قول من يقول لا حول الا امر
بالمعروف لم الا بعمل به لهذه الاية بل يجب العمل به ويجب الامر به وقد قال عليه السلام
مروا بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه وهذا
لانه اذا امر به مع انه لا يعمل به فقد ترك واجبا واداء الم بامره فقد ترك
واجبين وقوله واستعينوا بالصبر والصلوة اى بالصبر على
الطاعات وترك الشهوات وتحمل الاذى والمصيبات فى جهاد الاعدا بالمحاربات
وبالصلوة على تكفير السيات وقضا الحاجات فان الصبر حبس النفس وهو

وهو يكون على اداء الطاعه مع مشقتها وعلى ترك المعاصي مع شهوتها
والباللاداه والالم ما يستعان به عليه مضمر وهو يكفر السيات قال الله
الصابرين والصابرات الى ان قال اعد الله لهم مغفره والصلوه كذلك قال الله
ان الحسنات يذهبن السيات ويستعان بهما على قضاء الحاجات
ايضا وهو المضمر عند بعضهم فان الصبر مفتاح الفرج والصلوة
تنال بها الحاجه ايضا قال تعالى وهو قائم يصلي فحراب ان الله يبشرك
بحي وقيل الصبر هو الصوم ويسمى شهر رمضان شهر الصبر لانه
شهر الصوم وبالصوم والصلوه تستعان على الكفارات والحاجات ايضا
اما الصلوه فقد بينا فيما تقدم واما الصوم فلان شهر الصوم شهر المغفره
وشهر اجابة الدعوه وقيل استعينوا بالصوم والصلوة على سائر
الطاعات فان الصوم باب العباده كما روى والصلوه جامعة العبادات
كما حكى وقيل معناه استعينوا بالصبر في الحروب على معونة النبي ص
ومتابعته وبالصلوه على حسن العمل لله وخدمته وقيل استعينوا
بهما على طلب الاجر وقال محمد بن علي الترمذي واستعينوا بالصبر وهو
الصوم على رياضه النفوس وبالصبر على تنوير القلوب فانه اذا صام وجاع
نشأ عن الطعام شبعت عن الذنوب فاذا صلى ففيها مناجات الله
وقره العيون وقيل معناه استعينوا الله على الصوم والصلوه والمستعان
هو الله وان لم يذكر في هذه الايه والباء في الصبر والصلوه بمعنى على كما في قوله
وظنوا انه واقع بهم وقيل معناه استعينوا بالله على الصبر على زوال
الرياسه والمأكله وعلى الصلوه الى الكعبه فانهما كانا يشقان على اهل الكتاب
وقيل قوله وانها لكبيره اي ثقيله كما في قوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
واصله العظمه والشيء قد يعظم في نفسه قدرا وقد يكون عملا صعبا على المباشر
فعلا والهاء في انها راجعه الى الاستعانه التي دلت عليها قوله واستعينوا
والاستعا

انه لا استعانه بها ان تحصلها على الاشياء التي ذكرنا اضمارها كما سبق
عليهم وقيل انها راجعه الى الصلوه واذا ذكر شيآن ذكر كنايه بعدهما
والاصل صرف الكنايه على الشيء اليهما ويجوز الصرف الى احدهما احتمالا
والاولى الصرف الى اخيرهما لانه اقرب الى ذكر الله تعالى ومن يكسب خطيئه او اثما
ثم يرم به بريئا وقال الذين يكنزون الذهب والفضه ولا ينفقونها في سبيل الله
فاما في قوله فادارا او اتجاره او لهوا انفضوا اليها وانما صرف الى الاولى وهي التجاره
لان اللهو تبع التجاره وكان صرف الكنايه الى المتبوع اولى على ان كل واحد منهما
جايز فان كل واحد منهما سود وجه فلذلك قرئ في قوله امنه نعاسا يغشى
طائفه بالياء والتاء جميعا وكذا في قوله ان سجره الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي بالياء
والتاء لسبق ذكر المذكر والمؤنث جميعا **وقوله** الا على الخاشعين على
امه محمد ص هذا من ايمانهم كالدالعين على ما قلنا والخشوع في اللغه الذلل
عرجيد وجمع اي تطامن وجمع بصره اذا غضه وقال ابن عباس
هم الذين جمعت قلوبهم بالتذلل للايمان بما انزل وقال الضحاك والربيع الخاشعين
اي الخائفين يقول ان ترك الرياسه والصلوه مع المسلمين الى الكعبه مع علمهم
الصلوه الى بيت المقدس شاقه الا على من جمع الله بالاسلام والاستسلام
وقوله الذين يظنون اي يوقنون قاله مجاهد وابن جريج والسدي
والربيع وقال ابن عباس اي يعلمون وانما جاز تسميه العلم ظنا لان الظن
طرفا بين العلم والبقين فلولاه لكان جهلا وهذا كقوله ان ظننت فظنا حتى
الله وقوله اني ظننت اني ملاق حسابيه **وقوله** انهم ملاقوا ربهم اي معاينوه
وهو كنايه عن شهود مشهد العرض والسوال يوم القيامه وهو الوجه فيما روي
في الاخبار لقي الله وهو عليه غضبان وما جرى مجراه **وقيل** اي يعلمون انهم
ميتون قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله
كره الله لقاءه واراد به الموت ولقاء الله تعالى رويته ثابت عند اهل السنة

على

لكن في مثل هذا الموضع لاستعداد لاشهاد مشهد الجزاء كما تقال قدم فلان
فلان الى السلطان فامر بعقوبته او بكرامته وفي قوله فاعقبهم
نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه لا يمكن حمله على الرؤية التي هي كرامة بل هو على اشهاد
مشهد على الجزاء كذا ما هو مثله **وقوله** وانهم اليه راجعون اي ويعلمون
انهم راجعون يوم القيامة الى الله اي الى جزائه اياهم على اعمالهم **وقيل**
اراد به الرجوع الى الله في كل الامر ومعناه انها شقيلة على العالمين انهم عبيد
ويرجعون الى جزائه ويوقنون ان مرجع الخلق كلهم الله لا استغناء عنه
ولا تخلص عن اخذه بم وصف الصلوة بالثقل على اليهود وذم لهم لانها
كذلك اعتقاد وهي كقوله في صفة المنافقين لا يعقلون الا قليلا كاذبون
فاما ما ذكر في صفة المؤمنين كنت عليكم الفتال وهو كره لكم وقوله في اهل بدر وان
فريقا من المؤمنين لكارهون ذلك ليس بذم لانها كراهة طبع ومدح المؤمن
بتحمله ذلك مع كراهة طبعه ابتاعا لشريعة وثواب زائد على احتمال ما يستحق
على نفسه **وقوله** يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم قد ذكره
والتكرير للتاكيد والتقرير ولان الاول في انعامه عليهم والثاني في انعامه على
اباهم وقد عدد بعد ما كان على الاسلاف من التفضيل على عالمي زمانهم وبايد
ما عنده فيما بعد من الايات وذكر النعم على الابناء الزام الشكر على الانباء فانهم
يشرفون بشرفهم ولذلك خاطبهم فقال فضلتكم فلم يقل فضلت اباكم لان في فضل
اباهم فضلهم **وقوله** واني فضلتكم على العالمين التفضيل الزيادة والتفضيل
اثباتها والافضال الانعام والتفضل كذلك والفاضل ذو الفضل ومعناه واذكروا
ايضا اني جعلت لكم فضلا على اهل زمانكم باعطاء الرياسة والملك قاله ابو العالية
وقال مجاهد وقتادة فضلكم على من بين ظهرانيكم فانهم كانوا اولاد الانبياء
وغير بني اسرائيل لم يكونوا كذلك ثم لم يكن لهم بهذا فضل على امة محمد عليه السلام
فان الله تعالى قال لهم كنتم خير امة اخرجت للناس فكان هذا على الخصوص

دون العموم كما في قوله اني حرمتهم واصطفاك على نساء العالمين
اي نساء زمانك فان خديجة وعائشة وفاطمة افضل منها **وقيل** هو على
العموم وهو في حق تظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى وتفجير الما
من الحجر فانهم خصوا به فكذا في حق مريم ان اريد به فضلها بالولد بغير
اب فهو على العموم وقال الشعبي اسمعوا الله بني اسرائيل وفضل
انفسهم فقال وفضلتكم على العالمين واشهد على امة محمد وفضل نفسه فقال
قل بفضل الله وبرحمته وشتان بين من مشهوده فضل نفسه وبين من مشهوده
فضل ربه ومشهوده فضل نفسه فذيوث الاعجاب ومشهوده فضل ربه
يوجب الاعجاب **وقوله** واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا
وما ذكر انه فضلهم بان جعلهم اولاد الانبيا قالوا ان ابانا تخلصونا يوم
القيامة فقال واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا قيل اي لا تعني
وقيل لا تكفي وقيل اي لا تنوب وقيل اي لا تقضي وهذا هو الموافق
لاصل اللغة يقال جزى الدين اي قضاه وتجازاه اي تقاضاه وجزاه الله
اي قضاه خيرا وقوله عليه السلام لخزيمة ولا لاحد غيرك بعدك اي لتقضي عن ضحيتك
وعن كفارتك وجزى عن فلان اي قضى عنه اي قام مقامه وناب عنه وكفاه
امره وقوله نفس اي نفس مؤمنة عن نفس اي عن نفس كافرة وهو كقوله لا يجزي والد
عن ولده وقال لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم وكيف تنفع وقد قال يوم يفر المرء
من اخيه وامه وابيه بم هذا في حق الكافر فاما المؤمن فقد اغنياه فقال
يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اي خال عن الشرك وما اموالكم
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا ثم قيل فيه مضمر واتقوا
يوما لا تجزي فيه نفس عن نفس شيا وانما حذف لانه ظرف ويجوز حذف الظرف في مثل
قولك اشتكا اليوم واشتكى اليوم **قال** فيوما شهدناه
سليما وعامرا قليلا سوى الطعن النهال نوافله اي شهدنا فيه وقيه

وفيه اضمار اخر عند قوله واتقوا يوما اى عذاب يوم لان نفس اليوم
لا يتقى ويجوز ان تقال ان اليوم مخوف ايضا لان المخاوف فيه ثم ان الله تعالى
قال واتقوا النار وهذا للعامة ثم قال واتقوا يوما وهذا للخاصة وقوله واتقوا
وهذا لخاص الخاصة **وقوله** ولا يقبل منها شفاعة يقرا بالتاء واليا
ومر ايت قولان الشفاعة مونثة ومذكر ولان تانيث ما ليس بحقيقي
حقيقي ولان الفعل مقدم على الاسم ولان بينهما حائلا وفي القران واخذ الذين
ظلموا الصيحة واخذت الذين ظلموا الصيحة قد كانت لكم اسوة لقد كان
لكم اسوة وقد جاءكم بينة من ربكم وان كان طايفة منكم والحاصل ان ما كان
تانيثه ليس بحقيقي تذكيره وتانيثه جايزان تقدم او تاخر وكان بينهما
حايل او لا وما الحقيقية يجوز تانيثهما في كل حال وتذكيرها اذا تقدم الفعل
وبينهما حايل ولا يحسن بغير حايل **وقوله** منها شفاعة منها راجعة
الى النفس التي ذكرت اولا وهي النفس المومنة اى لا تقبل شفاعتها في النفس الكافرة
والشفاعة مصدر الشافع والشفيع وهو طالب قضاء حاجة غيره ماخوذ
من الشفع لانه يشفع نفسه بمن يشفع له في طلب مراده والشفعة منها وهو
ضم ملك غيرك الى ملك نفسه والاشفاعة في حق الكفار قال تعالى ما للظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع وقال خبرا عنهم فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
والكفار لقولون ذلك حين يرون المومنين شفاعة الشفعاء ومعونة
الاصدقاء وقال صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكباير من امتي مرتجاة
بهائم يسلمها وقال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وهو اثبات الشفاعة لمن
اذن له بها وقال العشري فالله تعالى هو الشفيع الاكبر على التحقيق
وان كان لا يطلق عليه اسم الشفيع لعدم التوقيف وقيل معناه الحمد لله
شكرا وكل حمد لله صاد الحمد سمعي الى سمعي الله **وقوله**
ولا يوخذ منها عدل اى فدية قال تعالى وان تعدل كل عدل لا يوخذ منها سميت الفدية

عدلا لانها تعادل المفدى اى تماثله قال تعالى او عدل ذلك صياما والعدل بالفتح
مثل الشيء من غير جنسه وبالكسر مثله من جنسه ثم معناه لا يوخذ من الكافر
فدية ينجو بها من النار ولا احد ذلك لمفدى به قال تعالى ولو ان للذين ظلموا
ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم
وما في حق المومنين فقد روى انه يعطى لكل مومن يهوديا او نصرانيا فيقال
له هذا فداوك من النار **وقوله** ولا هم ينصرون النصرة العون
والمنع ايضا اى لا يجارون ولا يمنعون عذاب الله عن المعذبين منهم للكافرين
واما المومنين فقد قال في حقهم انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة
الدنيا ويوم تقوم الاشهاد ثم انما جمع هذا مع ان الذي سبقه موحدان
ذاك نكرة في سياق النفي وكان للعموم وتناول جمع الكفار فجاز ختم الاية
بالجمع على المعنى ثم هذه الاية في نهاية البلاغة فانها جمعت ذكر الوجوه التي
بها يتخلص المرء عن النكبة التي اصابته في الدنيا وهي اربع ينوب عنه غيره
في تحمل ما عليه او يفتدي نفسه فيتخلص منها او يشفع له شفيع فوهب له او نصره
ناصر فمنعه فقطع الله جميعها **وقوله** واذ نجيناكم اى واذكروا
ايضا اذ خلصناكم وقد ينجي بمعنى نجاه وانجاه الله انجاء ونجاه تنجية ويقال
انجاه اى خلصه قبل وقوعه في المهلكة ونجاه بعد وقوعه فيها وقد اذ
فرقنا بكم البحر فانجيناكم قبل الوقوع وقال هنا نجيناكم وهو بعد الوقوع
وهذا ضعيف فانه قال نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ولم يكن
ذلك بعد الوقوع والصحيح انهما سيان والنجوة المكان العالي لان من صار اليها
تخلص ومعناه خلصنا اباكم وجعل ذلك نعمة عليهم لانهم مجوا بنجاتهم وعادة
العرب هذا تقول قتلناكم يوم عكاظ اى قتل اباءنا اباكم **وقوله**
من ال فرعون قال ابو عبيدة الاهل بيته وقال بعضهم آله قومه المباشرون
وقتلهم ابناءهم وحقيقة الآل هم الذين يؤول امورهم اليه في نسبه او صحبه

وفرعون قيل هو اسم الملك الذى كان لهم فى ذلك الوقت خاصة واسمه
الوليد بن مصعب وقيل الوليد بن ريان وقيل انه لكل من كان ملكا من
كقيصر للروم وكسرى للفارس والخاقان للترك وتبع لاهل اليمن **وقوله**
يسومونكم اى يذيقونكم **قال عمرو بن كلثوم** اذا ما الملك
سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا والخسف الذل **وقيل**
اى يكلفونكم الاعمال الشاقة **وقال المفضل** اى يريدونكم على ذلك
ويريدون بكم ذلك المساوهة البيع وهو اراده كل واحد من البايع
والمشترى بما غير ما يريده الاخر **وقيل** اى يديمون عليكم ذلك
وقد سام ابله اى اكرهها على العلل بعد النهل ودوام عليها **وقوله**
سوء العذاب اى اشده واشقه ومعناه يحملونكم على ما فيه غاية الاذى
ولا يكون العذاب الا سيئا لكن بعضه يشتد وسوء العذاب
ما اشتد منه ثم قوله يسومونكم هذا بيان ما جاء منه **وقوله**
يذبحون ابناءكم يجوز ان يكون تفسيرا لقوله يسومونكم اذ لا عطف
بينهما ويجوز ان يكون امرا اخر سواه فقد قال فى ايه اخرى يسومونكم سوء
ويذبحون ابناءكم بالواو ودلك دليل المغايرة وحرف الواو وهنا لحذفها
من قولك اكرمتك وهبتك لك وليتك والذبح قطع الحلقوم والاودج
واصل الشق يقال ذبحت المسك اى فتقت عنه والتشديد للكثرة كما يقال
فتحت الباب وفتحت الابواب والابناء جمع الابن واصل الابن البنى بالياء وقيل
بالواو فانه يقال فى المصدر البنوة ولكن هذا لا يدل على ذلك كما لغتوه هى
بالواو والفتى بالياء ولذلك يجمع فتية والفتيان والاظهر انه من الياء لانه
قيل معناه انه يبنى على ما بنى ابوه والمراد من الابناء هم الذكور خاصة وان
كان الاسم يقع فى غير هذا الموضع قد يقع على الذكور والاناث كالبنين قال تعالى
يا بنى ادم يا بنى اسرايل لكن هنا المراد منهم الذكور فانهم كانوا يجعلون الغلمان لاعين

وكذا اريد به الصغار دون الكبار لانهم كانوا يجعلون الصغار
وقوله ويستحيون نساءكم اى يستبقون نساءكم ويتركونهن
حيات فالاستحياء استفعال من الحيوة والاستحياء الاسترقاق
ايضا وكانوا يسترقونهن ويمونهن ايقاء الحيوة ايضا فيهن **وقيل** اى
يفتشون عن حياء النساء ايضا يطئونهن حبلى والحياء الفرج وسمى به
لانه تستحى من كشفه والنساء جمع المراة لا واصل لها من لفظها وهى فى الاصل
اسم للبالغات دون الصغار وانما ذكر النساء هنا وان كانوا
يفعلون ذلك بالصغار لوجوه احدها انه سماهن باسم المآل لانهن اذا
استبقوهن صرن نساء بعد البلوغ وهو كقوله ولا يلدوا الا فاجرا
كفارا وقوله اعصر خمرا وقوله انك ميت وانهم ميتون ولانهم كانوا
يستبقون البنات مع امهاتهن والاسم يقع على الكبيرات والصغيرات
عند الاختلاط كما يقال للرجال اذا اقبل ايها تعون ومعهم الصغار
واقبل النساء اى اقبلت البالغات ومعهن الصغار ومن فسره بتفتيش
فروج البالغات لا حاجة له الى هذا التاويل وان قالوا ان كان ذبح البنين
من سوء العذاب فما استبقا البنات لم جعل من سوء العذاب فلانا لانهم
كانوا يستبقونهن للاسترقاق والاستخدام وتحمل المشاق الكبار
ولان بقاء البنات مما يشق على الاباء لاسيما بعد ذبح الابناء **وقال** القفال
ويجوز ان يكون الذبح والاستحياء جميع ما ذكره فى قوله يسومونكم سوء العذاب
ويحتمل بعض ذلك وقد روى انه كان يوضع منهم للحبه والجراح ويكلفون ضرب
اللبن والاعمال القذرة **قال** تعالى اذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب
جعلهم خدما فصنف يذبحون له وصنف يدعون له ولم يكن له صنع
فعلمنا الحكمة وكان سبب ذبحهم الذكران من الصغار ان كهنتهم ومنجميهم
خوفوهم وخبروهم ان زوال ملكهم على ايدى بنى اسرايل وقيل كان بنو

اسرايل يتحادثون انهم يتسلطون على آل فرعون ويدبرون ملكهم ويروون
ذلك عن انبيائهم فكان آل فرعون يقتلون بهم ارادة تكديرهم وفعل ان الكهنة
والمنجمين قالوا لذلك فيمن يولد في وقت كذا فامر بذبح ذكرانهم وقال
الذي راى فرعون في منامه ان نارا اقبلت من بيت المقدس فاستملت
على بيوت مصر فاحرقت القبط وبيوتهم وتركت بني اسرايل وعالم السحرة
والكهنة والقافة فسالهم فقالوا الحرج من بيت المقدس رجل يكون
على يده هلاك مصر فامر ان لا يولد لبني اسرايل غلام الا ذبحوه وقال للقبط
كلفوا ابناء اسرايل الاعمال القبيحة وذلك قوله ان فرعون علا في الارض
الاية فجعل لا يولد لبني اسرايل ان الا ذبح واسرع الموت في المشيخة فدخل
رؤس القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع فينا ويوشك ان يقع
العمل على غلماننا فامر ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فلما كانت السنة
التي لا يذبحون فيها ولد هارون وموسى فلما كان في السنة التي يذبحون
فيها حملت ام موسى بموسى التقصه وحكي انهم بقوا لسبع حوابل جايعة
اكبادهم وذبح من ابنائهم اثني عشر الف صبي وقوله وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم البلاء النعمة كما في قوله وليبلي المومنين منه بلاء حسنا والبلا
المحنة ايضا وغالب الاستعمال فيها واصله الاختبار والله تعالى يبلو
عبده بالنعم ليمتحن شكره وبالمحن صبره قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير
فتنة وقال ونبلوهم بالحسنات والسيات وابلى يبلي مستعمل في الخير
وبلا يبلو في الخير والشر جميعا قال حزى الله بلاء حسنا
ما فعل اليكم وابلاها خير البلاء الذي يبلو فجمع بين الوجهين في الخبر قال تعالى
وليبلي المومنين منه بلاء حسنا وقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة ثم يقول
هنا وفي ذلكم بلاء اي وفي ذلكم الانجاء نعمة عظيمة من ربكم وقيل اي وفي ذلك
التقدير منهم من التذبيح والاستحياء محنة عظيمة وقد سبق ذكرهما وصح

١٢٩

صرف الكناية الى كل واحد منهما وفي اخبار النبي عليه السلام عن ربكم صدق
دعواه الرسالة من الوجه الذي مر ودلالة الاية على فائدة الصبر وقوله
واذ فرقنا بكم البحر والفرق الفصل والتفريق التمييز اي ادكروا ايضا نعمتي
عليكم بان جعلت لكم بحر النيل افراقا اي ذي عشر فرقا بامر الله تعالى وفارق وفرق
كالطود العظيم وبكم للباء وجهان احدهما لكم والباء قد يجيء بمعنى اللام قال تعالى
ذلك بان الله هو الحق اي لان امره والثاني ان يجعل فرقكم فيكون الباء على حقيقتها
والبحر سمي به لاستبحاره اي اتساعه وانبساطه فانجيناكم اي سلمناكم
وهو انجا قبل الوقوع وقوله واغرقنا آل فرعون غرق في الماء
من باب علم اي رسب فيه فهو غرق اذا كان لم يمت بعد فاذا مات فهو
غريق وجمع الغرقى وهو كالمرضى والجرحى وكل ما كان من يفوت الافات
فهو كذلك والاغراق الاهلاك في الماء وآل فرعون قومه وهو قولهم لانه
علم دخوله فيهم وقوله وانتم تنظرون نظر اليه بعينه فرآه نظر
فيه بتقليب قدراه فاما المفسر فقد قال اي تنظرون بابصاركم
الى انفراق البحر لكم حين سلكتم وانطباقه على آل فرعون حين غرقوا فيه
بعد سلامكم منه وقيل لم ينظروا اليهم حين غرقوا ولكنهم اخبروا اليهم
بعد ما نظروا اليهم قاله الكلبي وقيل كانوا ينظرون الى ذلك بانتظام امواج
البحر بآل فرعون في الموضع الذي صار لهم منه طريقا يبسا وذلك ينظر عيانا
وقيل تنظرون اي انتم بالقرب منهم يواجهونهم وتقابلونهم وان كنتم
لا تدركونهم بابصاركم لبعدهم قاله الفراء وهو كقولك العرب ودمنان تتناظر
اي تتقارب وتتقابل وقصته ان قوم فرعون قالوا له
انك يا موسى وقومك لتفسدوا في الارض الاية فامر الله موسى ان يخرج ببني اسرايل
فامرهم ان يخرجوا وان يستعيروا الحلي من القبط وامر ان ينادي احد
منهم صاحبه وان يسرجوا في بيوتهم حتى الصبح ومن خرج لطخ بابه بكف دم

اذ مال موسى عليه ان
يوتهم ايتام فلنظم البحر
فنظروا اليهم ح

لنعلم انه قد حرح فحرجوا اليلا والقبط لا يعلمون وقع في القبط موت فجعلوا
يدفنونهم وشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس قال تعالى فاتبعوهم مشرقين فكان
هارون امام بني اسرايل يقودهم وموسى على ساقتهم وخرج موسى ستمايه
وعشرين الف مقاتل لا تعدون فيهم ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره
وسعهم فرعون على مقدمته هامان في الف الف وسبعمايه الف جاد ذكر بس
فيها ممكه على راس كل واحد منهم بيضه في يده حربه فنظر فرعون قوم موسى تعالى
ان هولا لشرذمة قليلون وقال قوم موسى انا لمدركون يا موسى اوذينا من قبل
ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا اليوم نهلك فان البحر امامنا وفرعون خلفنا
قال كلا ان معي ربي سيهدين واوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك
البحر فضرب فانفلق وصار فيه اثني عشر طريقا كل طريق كالجبل
العظيم فكان لكل سبط طريق ياخذون فيه فلما اخذوا فيه قال بعضهم ما لنا
لا نرى اصحابنا قال سيروا فان لهم طريقا مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى
نراهم فقال موسى اللهم اعني على اخلاقهم السيئه فاوحى الله تعالى اليه ان
قل بعصاك هكذا وهكذا يمينا وشمالا فصار فيها كوى ينظر بعضهم الى
بعض فساروا حتى خرجوا من البحر فلما جاز اخر قوم موسى لحقهم فرعون على
البحر وهو على فرسه ادهم فلما بلغ هاب الدخول فتمثل له جبريل على
فرس انثى وديق فلما راى فرس فرعون تقحم خلفها فلما دخل اخر قوم فرعون
وجاز اخر قوم موسى اطبق البحر على فرعون وقومه فاغرقهم فنادى فرعون
لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل فقصه وقالت بنو اسرايل لم نغرق
فرعون والان ندركنا بيقيننا فلفظهم البحر في ستمايه وعشرين الفا
عليهم الحديد فذلك قوله فلنوم ننجيك ببدنك فلم يعلم البحر بعد ذلك عربيا
على وجه الماء وقطع بهم موسى البحر وذلك يوم عاشوراء وقال الغزي
تعاقب بصايد بني اسرايل فانتهم المحراث عيانا وتفقد بصايدهم الامة

فكاشفهم بانانة سرا وحين شاهدوا طاهر تلك الايات من فلق البحر واغراق
العدو ردا جلهم ريب، فقالوا انهم لم يعرفوا فقدهم البحر فنظروا اليهم وهم مغرقون
وهذه الامة لفرط تفقدهم الرسول وقوه بصايرهم قال واحد من عرض
الناس كاني باهل الجنة يتزاورون وكاني باهل النار يتعاوون وكاني بعرش
ربي بارزا فشتان بين من يعاين فيرتاب مع عيانه وبين من يسمع كالعيان
حاله من قوه ايمانه وقوله [illegible] واذ واعدنا موسى اربعين ليله ذكر منه
منه اخرى مما انعم به على الامه للاولى بالحمل والبلاده اى واذكروا انعمتي على اباكم
بما وعدت موسى ان باتي الطور فانزل عليه التوريه التي فيها بيان ما تحاجون
اليه ففعل موسى فاجزته ما وعده ولما تاخر رجوعه كفروا باوكم لي
واتخذوا العجل الها فعفوت عنهم انعاما عليهم ثم فراه الى عمره ووعدنا
لان الله تعالى مفرد بالوعد وهو التوجيه بالخير والمواعدة يكون بين اثنين
وغيره قرا واعدنا والمواعده يكون وعدا من اثنين وقبولا من موسى فاستقام
على المفاعله وقوله اربعين ليله وقال الاخفش وغيره الى انقضا
اربعين ليله او تمام اربعين ليله لان وعد انزال الكتاب كان بعد
انقضا هذه المده وهذا الاحتضار معهود يقال اليوم اربعون يوما
منذ خرج فلان اى تمام اربعين يوما وقوله اربعين ليله اى بايامها
فان ذكر الايام جميعا يقتضي دخول ما بازايها من الليالي وعلى العكس لذلك
بدليل قوله ثلث ليال سويا وقوله ثلاثه ايام الا رمزا والقصه واحده
فكانت المدتان واحده منها ذو القعده وعشر ذي الحجه وقيل ذو الحجه
وعشر محرم والاول اشهر واطهر وهذه الاربعون هي التي ذكرت في قوله
واذ واعدنا موسى ثلثين ليله واتممناها بعشر الاية قال الكلبي وعدهم
ان ياتي الكتاب بعد اربعين يوما فعد قومه عشرين يوما وعشرين يوما
وقالوا لم ياتنا بما وعد فعبدوا العجل وقوله ثم اتخذتم

العجل اى اتخذتم العجل الها او معبودا قال تعالى انت قلت للناس
اتخذونى وامى الهين الاية واتخذ افتعل من الاخذ واصله ايتخذ لينت الهمزة
الثانية ثم جعلت تاء وادغمت فى التاء التى بعدها والعجل ولد البقرة
الى ان يكبر سمى به لان العجل هى السرعة وقصر المد كالسرعة وقوله عجلا
او الها لوضوح معناه وقوله من بعده اى من بعد نجاتكم من الغرق
وقيل اى من بعد انطلاق موسى الى الطور وقوله وانتم ظالمون
اى كافرون وقيل اى ضارون انفسكم وقيل اى واضعون العبادة
غير موضعها قال سعيد بن جبير كان وعدهم ان اتى بالكتاب بعد ثلثين
وهو الميقات الاول فلما زيدت عشر ولم يات به بعد الثلثين عبدوا
العجل فى هذه العشر الزايدة وقال ابن عباس عبدوا عشرين بعد عدهم
عشرين ليلة وعشرين يوما وقال مقاتل بن سليمان عبدوا العجل يوما
واحدا وقال القشيرى كان بنى قوم عبدوا العجل واحزنوه
الها بغيبته بنيهم اربعين ليلة وبنى قوم ثبتوا على توحيدهم بعد ذهاب
من جمسماله مايه سنة وسبب ذلك ما روى ابن عباس
ان السامرى كان من قوم يعبدون البقر وكان حب ذلك فى نفسه
بعد ان اظهر الاسلام وكان عرف جبريل ان امة حيث خاف على ان يذبح
خلفه فى مهاد فكان جبريل عليه السلام فيغذوه باصابعه وكان السامرى
يمص من اصابع يمينه عسلا ومن اصابع شماله سمنا فلما راه حين عبر البحر
عرف فقبض قبضة من اثر فرسه فلم تزل القبضة فى يده حتى انطلق موسى
الى الطور وكان السامرى سمعهم حين خرجوا من البحر وانتهوا على قوم
يعكفون على اصنام لهم وقالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة ووقع فى نفسه
ان نفستهم من هذا الوجه وكان موسى خلف هارون فى بنى اسرائيل وقال
لهم هارون قد تحملتم اوزارا من زينة القوم اى حليهم فنظروا منها

فانها نحس فاوقد لهم نارا فامرهم بقذف ما كان معهم ففعلوا فما قبل
لسامرى الى النار وقال يا نبى الله القى ما فى يدك قال نعم وهو
يظن انه حلى فقذف فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار فصار كذلك وقيل
كان السامرى صايغا فاتخذ من الذهب عجلا ونفخ ذلك التراب فى فمه
ودبره فصار عجلا جسدا لحما ودما وشعرا له خوار فافتتنوا به ودعاهم
الى عبادته فعبدوه فقال لهم هارون ما قال القصة وقوله
ثم عفونا عنكم اى تجاوزنا واصله محو الاثر وقد عفت الديار اى انمحت
اثارها وعفتها الريح لازم ومتعدى وقوله من بعد ذلك
اى بعد اتخاذكم العجل فلم نعاجلكم بالهلاك بل امهلناكم الى مجى موسى
فنبهكم فاخبركم كفاره ذنوبكم وقيل اى من بعد التوبة والقتل وعلى هذا
يكون العفو على التاويل الاول باخر المواخذة وعلى التاويل الثانى يكون
ذلك المواخرة اصلا وقوله لعلكم تشكرون اى لتسكروا هذه
النعمة فان الانعام يوجب الشكر وقيل معناه لتومنوا وتوحدوا
فان الشكر اسم الايمان قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه
لكم ولعل هنا مثل هذا لا يكون شك لان الشك لا يجوز على الفعل وقوله واذ اتينا
موسى اى اعطينا الكتاب والفرقان الكتاب التورية والفرقان فلقنا فاوبل
قيل هو التوريه ايضا قاله الفراء وسماه باسمين مختلفين لاختلاف لفظيهما
كما يقال سحقا له وبعدا والدليل على انه اسم التوريه قوله ولقد اتينا موسى
وهارون الفرقان على انهما وان كانا اسمين لشئ واحد فمعناهما مختلف فان
الكتاب هو المكتوب المجموع والفرقان هو الفارق بين الحق والباطل فصح العطف
بالواو لتغاير المعنيين وهو كقوله تعالى القرآن ولقد اتيناك سبعا من المثانى
والقرآن العظيم وقوله يس والقرآن الحكيم وقوله قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
وقيل الفرقان هو بيان معانى التوريه وقيل هو النصر على الاعداء فرق به

بين موسى وقومه وبين فرعون وقومه فانجاهولا واهلك هولا وقال تعالى
وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان هو يوم النصر وهو يوم بدر وقال القتال
ولعل معناه ان النصر اذا حاط اهل الحق باهل الباطل فرق احد الفريقين
من الاخر بعرفان هولا محقون وهولا مبطلون وقيل الفرقان الروح من الكرب
لانهم كانوا مستعبدين وقال تعالى يجعل لكم فرقانا اى فرجا ومخرجا وقيل
الفرقان انفراق البحر لموسى وبنى اسرايل حين عبروا عنه على ما شرحنا
وقيل هو اسم القرآن ومعناه اسما موسى التوراة وذكر بالله نزول الفرقان
على محمد وقيل اى اسما موسى التوراة ومحمد القرآن قال تعالى تبارك
الذى نزل الفرقان فاضمر كلمة وهذا كقوله حتم الله على قلوبهم الى ان قال
وعلى ابصارهم غشاوة وقرء بعضهم غشاوة وعلى هذه القراءة تكون
وجعل مضمرا قبل فاجمعوا امركم وشركاءكم اى ادعوا شركاءكم

قال الشاعر تراه كان الله لجدع انفه وعينيه
ان مولاه ثاب له وفراى ويفقؤ عينه وقيل الفرقان صحف
انزلت على موسى قبل التوراة وقوله لعلكم تهتدون اى
لتهتدوا بالكتاب وهذا البيان الحكم فان الله ان تتدبروا فيه تعلموا
ان الله تعالى لم يغفله وذلك الادلة على صحة نبوته فتجتهدوا بذلك
على اتباع الرشد فاذا فعلتم ذلك امنتم بمحمد عليه السلام انه قد اتى من المعجزات
ما يدلكم اذا تدبرتم على صحة دعواه النبوة وقوله واذ قال موسى
لقومه يا قوم انما فتنتم بالعجل فتنا لكثرة الاستعمال فى الندا
وقوله انكم ظلمتم انفسكم اى ضررتم بايجاب انفسكم العقوبة عليها
وقيل اى نقصتموها ثواب الاقامة على عهد موسى فان الظلم يكون
ضررا ونقصانا على ما مر بيانه فاقتلوا انفسكم اى ايخاذه الهاوعبادته
وقوله فتوبوا الى بارئكم اى خالقكم وقد برا البرء من المرض

اى طلق والبرء الخلق وبرا بئ اى صح من مرضه ويدرى براءة اى وقعت
له البراءة من الدين ونحوه ويدرى عنه بمعنى تبرا وقوله فاقتلوا
انفسكم القتل ازهاق الروح والانفس جمع النفس وهى هذه البنية
الانسانية هيا وهى بيان كيفية التوبة وهو قول ابن عباس
وسعيد بن جبير وابن العالية وقتادة والزهرى والسدى وقيل
الفعل معطوف على التوبة اى ارجعوا الى الله بالايمان وقد اعرضتم
عنه بالكفر بعبادة العجل واقتلوا انفسكم بعد هذه التوبة ومعناه
فليقتل بعضكم بعضا لان المؤمنين اخوة واخو الرجل كانه نفسه وهو
كقوله لا تقتلوا انفسكم ولا تلمزوا انفسكم وقوله ظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم خيرا وقوله تسلموا على انفسكم وقيل معناه استسلموا
للقتل وكنوا القاتل من انفسكم وهو فى معنى فعل بنفسه وهذا
قول محمد بن اسحق ثم كيفية هذا القتل ما قال الحسن
برز واصفين فضرب بعضهم بعضا يوما الى الليل هذا يقول لم عبدت
وذلك يقول لم لم تنهنى وقيل ان الذين اختارهم موسى وهم السبعون
قالوا عبدة العجل وبلغ المقتولون سبعين الفا فقد احتبوا فماتوا
جلوا حبوة حتى قتلوا بلا تة ايام وقيل ان السبعين قد ارتدوا
بما قالوا فلم يكونوا هذا الامر اولى من غيرهم فلم يصح هذا القول وقال ابن
عباس امر موسى عليه السلام بنى اسرايل الموافين ليصيروا على المقتل فاصبحوا
غدوا بافنية البيوت كل بنى اب على حدة اتاهم هارون عليه السلام والاثنا عشر
الف الذين لم يعبدوا العجل وهم سبط ونصف سبط بايديهم السيوف
فمشوا فى العسكر فصلوا من لقوا فكان الرجل يحى الى قومه وهم جلوس
بافنية بيوتهم ويقول ان هولا اخوانكم قد اتوكم شاهرى سيوفهم فاقتلوا
فاصبروا فلعن الله رجلا احل حبوته او قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم

بيد اخ رجل فقالوا امن فجعلوا يقتلونهم الى المساء وقال مقاتل كان موسى
يقدم ويقول هولا اخوانكم اتوكم شاهرين السيوف كما مروقتلوهم
الى الضحوة حتى بلغ القتل سبعين الفا وقال الكلبى وقام موسى يدعو ربه
لما راى من كثرة الدما وشدة الاصوات حتى نزلت التوبة وقتل لموسى ارفع
السيف فانى قبلت التوبة منهم فمن قتل منهم ومن لم يقتل وجعلت القتل
لهم شهادة وعفرت لمن بقى منهم فنودى بذلك فتركوا وقوله
ذلكم خير لكم عند بارئكم اى القتل والتوبة او القتل الذى هو التوبة
انفع لكم عند الله من الامتناع الذى هو اصراركم عليه عذاب النار وقوله
فتاب عليكم اى فعلتم ذلك ففعل بوسكم انه هو التواب اى كثير قبول التوبة
الرحيم اى رحمكم ففتح باب التوبة وقبلها فقتل توسكم وقيل التواب
لمن لم يقتل والرحيم لمن قتل وقيل التواب لمن عبد العجل والرحيم لمن لم يعبد
وقيل التواب بقبول التوبة مرة بعد مرة الرحيم بمهل وله يعاجل بالعقوبة
وقيل كان الامر بالقتل من الاغلال التى كانت عليهم وخفف الله تعالى ذلك
عن هذه الامة بجعل الندم توبة فذلك فضل الله توتيه من يشاء وقال الفقال جعل
ذلك كفارة لهم اذ علم ان المصلحة فى هذا النوع قد جعل الكفارات والعقوبات
على مراتب بعضها قتل وبعضها جلد وبعضها اخراج مال على ما علم الله تعالى
من مصلحة عباده وقال الامام ابو منصور لولا اجماع اهل التفسير والتاويل
على ان قتل انفسهم كان على الصفة لم يمكن صرف الامر الى ذلك لان ذلك الامر
كان قبل توبتهم ورجوعهم الى الله قال تعالى ولما سقط فى ايديهم
ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا الاية ثم قال ولما رجع موسى
وقد شرع الله على لسان الرسل قتل الكفرة حتى يسلموا لان القتل عقوبة
الكفر اعقوبة الاسلام وكان سعى ان يصرف هذا الامر الى احياء النفس
بالعباده لله والطاعة له واحتمال الشدايد لتفرير طهم بعصيان ربهم
فذلك

ذلك جائز قال فلان يقتل نفسه يعنى كذا ولا يعنون به حقيقة القتل
ولكن يعنون به انخاذه اياها وجوز ان يكون الامر بحقيقة القتل
اسدا لمحتوم امر الله لهم بالقتل لا عقوبة للذنب وبه ان يمتحن عباده بقتل
انفسهم اسدا قال تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم وجوز
ايضا ان يكون الامر بقتل انفسهم الامر بمجاهدة الاعداء وان كان فيها
تلفهم قال تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم الاية
وقوله واذ قلتم يا موسى لن نصبر لك على طعام واحد وقيل ايضا واذ قلتم
يا موسى اى واذ قال السبعون من اسلافكم الذين اختارهم موسى حتى ذهبوا
معه الى الطور وقوله لن نومن لك اى لن نصدقك كما فى قوله وما
انت بمومن لنا اى لن نصدقك على ان هذا كتاب الله تعالى وانك سمعت كلام
الله وان الله امرنا بقبوله والعمل وقيل اى برسالتك وقوله
حتى نرى الله جهرة اى حتى نرى الله عيانا وهو قول قتادة وقال
ابن عباس علانية وبينهما فرق العيان صفة الراى والعلانية صفة المرئى
وعن ابن عباس فى رواية ان معناه واذ قلتم جهرة على التقديم والتاخير
والجهرة يرجع الى القول وهو كالجهر بالقراءة وهو اظهارها والمجاهرة بالمعاصى
كذلك والاول يرجع الى سوال الرؤية لاحجاب ظاهر الا فى الندرة ونحوه
يقال جهرت البئر اى كشفته واظهرته وجهرت البئر اذا كان ماؤها
قد يغطى بالطين فنقيته حتى ظهر ماؤها وصفا وصوت جهير ورجل
جهورى الصوت اذا كان صوته عاليا ظاهرا ووجه جهرة اى ظاهر
الوضاءة وجهرت الرجل واجهرته اذا نظرت اليه وعين جهراء حسنة
قال الاخطل يوما باجود منه حين تسأله ولا باجهر منه
حين يحتشد وقوله فاخذتكم الصاعقة هو كل امر هائل
مميت او مزيل للعقل والفهم ويكون صوتا ويكون نارا ويكون غير ذلك

واحلف فيها هنا قال السدى كانت نارا وانذلت من السما فاحرقتهم
وقال قتاده والرسع هى الموت وقيل الصوت وما يتوابه وهى الرجفه
التى ذكرت فى سوره الاعراف فلما اخذتهم الرجفه فاصلها الاضطراب
وقوله وانتم تنظرون اى الى الصاعقه فان كانت نارا فقد عاينوها
فان كانت صوتا هايلا فقد مات به بعضهم اولادرى الباقون انهم ماتوا
ويسمى هذا رايه الموت مجازا قال تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان
تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون وقيل وانتم تنظرون خطاب لاهل عصر النبى ع
اى بحركم رسول الله بما كان من اسلافكم وتعلمون انه صادق وتنظرون اليه
ولا تومنون وقيل معناه وانتم تنظرون اى تنظرون مثل ما نزل بهم
اى ينزل بكم لتكذبكم محمد صلى الله عليه وسلم وهو كقوله انظرونا نقتبس
من نوركم وقصته ان السبعين الذين اختارهم موسى
الانطلاق الى الجبل قالوا لموسى بعد ما كلمه الله واعطاه الالواح ان
لنا عليك حقا فاتنا اصحابك وخيرك انطلقا معك الى الجبل ولم نصنع
ما صنع قومنا فارنا الله جهره ننظر اليه كما رايته فقال موسى ما رايته
ولقد سالته الرويه فاتى على وتجلى للجبل فجعله دكا وخررت مغشيا
على فلما افقت تبت الى الله من مسالتى واتيقنت انه لا يرى فى الدنيا
فقالوا والله لا نصدقك بالرساله حتى نرى الله جهره فاخذتهم الصاعقه
فاحترقوا فقال موسى يا رب لو شيت اهلكتهم من قبل هذا اليوم
من قبل هذا اليوم فمع اصحاب العجل ثم بعثهم الله بعد موتهم فاتوا يدعا موسى
فعاشوا الى وقت اجالهم وقال الامام ابو منصور نقلت المعتزله بظاهر
هذه الايه على نفى رويه الله تعالى وعندنا ليس فيها دليل على نفى الرويه بل
فيها اثباتها ودليلان موسى لما سالته السبعون الرويه لم ينههم عن ذلك وكذا
سال ربه عز وجل الرويه فلم ينهه عن ذلك بل قال فان استقر مكانه فسوف

ترانى وهذا يعلق بما تصور وكذا سالت الصحابه رسول الله ع ع
فقالوا الذى ربنا فلم ينههم عن ذلك فى اما احدهما الصاعقه لانهم لما سالوا
سوال استرشاد واما سالوا سوال تعنت وقيل اما عوقبوا بقولهم
لن نومن لك وهذا كفر منهم ودلت الايه على صدق النبى صلى الله عليه وسلم
فى دعوى الرساله فقد اخبر عما لم يكن عندهم علمه ولا يعلم الا باخبار الله تعالى
وفيه الزام الحجه على منكرى البعث بعد الموت وهم مشركوا العرب
وقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم اى احييناكم بدعا موسى ع
والبعث فى القرآن لمعانى الاحياء قال تعالى الى يوم البعث وللانباء
قال تعالى وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم وللارسال قال تعالى
ولقد بعثنا فى كل امة رسولا وقوله لعلكم تشكرون
اى لتشكروا نعم الحيوه بالتوحيد والطاعه وقيل اى لتسكروا
لتعفو عنكم وقال العشمى التعرض لمطالعة الذات على
عين نعت الهيه افتضاح بترك الحرمه وذلك من امارات البعد والشقوه
والتولى بمكاشفات العز مقرونا بملاطفات القربه من علامات
الوصله ودلالات السعاده فلا حرم لما اطلقوا لسان الجهل بمعونة
ترك الحشمه اخذتهم الرجفه والصعقه وقال الضحاك الايه الاولى الموت
بقتل النفوس غير منسوخه فى هذه الامه الا ان بنى اسرايل كان لهم قتل انفسهم
جهرا وهذه الامه توبتهم بقتل انفسهم فى انفسهم سرا اول يوم فى العصد
الى الله الخروج من النفس لله قال ولعل توهم الناس ان توبه بنى اسرايل
كان اشق وليس كما توهموا فان ذلك كان مره واحده فى اهل الخصوص
من هذه الامه قتلهم انفسهم فى كل لحظه بل فى كل نفس مرات فاستراح
بمت اما الميت ميت الاحيا وانشد غيره قبور الورى
تحت التراب وللهوى رجال لهم تحت الثياب قبور وقوله

وظللنا عليكم الغمام اى جعلناه مظلا لكم اى ملقيا الظل وهو معروف
والظله الستره المظله والظل الظليل هو الدائم والسلطان ظل الله
اى ماوى للخلق عبد الله كالظل الذى تاوى اليه مراصابه الحر والغمام
السحاب عن ابن عباس وهو السحاب الابيض عبد السدى سمى به لانه
يغم السماء اى يسترها والغمه الامر المستور والغم الخرز يستر العلب
والغم ان يستر الشعر القفا والجبهه ورجل اغم وامراه غماء ذلك
وغم الهلال اى لم يرو ستره سى وهو ليله الغمى والتغمغم التكلم بكلام
لا يبين اى فعلنا ذلك بكم فى التيه وقوله وانزلنا عليكم
المن والسلوى قال ابن عباس ما سقط على الشجر فاكله الناس وقال
الربيع ابن انس هو سراب كان ينزل عليهم وكانوا يمزجونه بالماء
فيشربونه وقال وهب هو الخبز الرقاق وقال السدى هو الزنجبين
وقال قتاده هو الترنجبين وكان ينزل كهيئة الثلج من طلوع الفجر
الى طلوع الشمس وهو الاظهر الاشهر ويقال هو ما من الله تعالى به
على عباده من غير تعب ولا زرع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكماة من المن
ماؤها شفاء للعين اى هو ما من الله تعالى على خلقه من غير حرث ولا سقى
وقال مجاهد كان كالدبس الغليظ وقوله والسلوى قيل هو
السمانى وقال ابن عباس طائر ابيض يشبه السمانى كانت تحشره عليهم
ريح الجنوب وقالوا كانت الريح تقطع حلوقها وشق بطونها وتقع
سعورها وكانت الشمس تنضجها فكانوا ياكلونها مع المن وقيل هو حلقومها
طير سمانى كالحمام تضرب الى الحمرة يكون ناحية اليمن وقال الاخفش
واحدتها سلواه وقيل الواحد والجمع فيه سواء وقال قطرب قال بعض
العرب السلوى السمى الطيب وقيل هو العسل واشتقاقه من السلو
كانه يسلى القلب الهموم ويسلى عن غيره وقال ابن جريج كان الرجل منهم ان اراد

المن والسلوى زياده على طعام واحد فسد الا يوم الجمعة فانهم كانوا يادرون
فيه طعام يومين لانه كان لا ينزل يوم السبت وقوله كلوا
من طيبات ما رزقناكم فيه مضمر اى قلنا لهم كلوا والطيبات ها هنا
تحتمل بلا نه اوجه الحلالات والشهيات والخاليات عن الاذى والمضرات
وقصته انه لما خرجوا من مصر وجاوز البحر وقعوا في صحرا
لا ابنيه فيها فانزل الله السحاب تسترهم عن الشمس بالنهار وكان يضيء
لهم بالليل وقيل كان السحاب تتدلى عليهم كالقباب والفساطيط
والابنيه وقيل يمشى امامهم عمود من نور يضيء لهم بالليل وانزل الله المن والسلوى
المن كالخبز والسلوى كاللحم وقال الكلبى كان المن ينزل عليهم مدة فقالوا
يا موسى قد سئمنا هذا المن فادع لنا ربك فدعا فانزل الله السلوى فخلطوا فكان
هذا مثل التيه عدد اكثرهم وكذا هو في التوريه قاله المقاتل ثم ان الله تعالى
امرهم ان يحاربوا اهل قريه اريحا واذرعا وقيل بلقا وهى قريه
العمالقه بقرب بيت المقدس فبعثوا فلما قربوا منها سمعوا ان اهلها
جبارون اشداء قامة احدهم سبعة ايام ذراع وكوه فقالوا اذهب انت
وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون الى ان قال فانها محرمه عليهم اربعين سنه
يتيهون في الارض وكانت اثنى عشر فرسخا في مثلها وكانوا يصبحون ويسيرون
النهار كله فاذا امسوا كانوا حيث اصبحوا وحرموا ما كان لهم في تلك
البريه وهو قوله وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون اى ما ضرونا
ولكن ضروا انفسهم حيث حرموا انفسهم تلك النعم وقيل بل اعطاهم
الله ذلك في التيه فانهم لما عوفيوا بدلك ندموا وتابوا فلاطف الله بهم
وهيا لهم ذلك وعلى هذا التاويل قوله وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
اى امرناهم ان ياكلوا من طيبات ما رزقناهم وسكنوا والنا ولا تطغوا
فيه بالاد خاد فخالفوا المختار لكل بالاد خاد فسدوا وانقطع فكان اخرا

منهم بانفسهم ولا لمحتاضرهم ولا افتضان من خلاف من خالفنا وقيل ضرروا
انفسهم بالامتناع عن الجهاد لفوت ثواب الجهاد وما نقصونا شيا وضروا
انفسهم انفسهم اضاحت محبوا انفسهم عن دخول الارض المقدسة وقال السدى
لما طوحهم الله تعالى في متاهات القرية لم ترض الامان ظلهم وتلبسه
الكفايات جللهم وعن تكلف التكسب اغناهم وتحميل صنعه فما احتاجوا
الى ترداهم فلا استعوهم كانت تطول ولا اظفارهم كانت تنبت ولا
ثيابهم كانت تتسخ ولا شعاع الشمس كانت تتبسط وكذا سننه تعالى فيمن حال
بينه وبين احسانه بكون ما يختاره له خيرا له مما يختاره العبد لنفسه
وقوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية قال قتادة والضحاك
والسدى انس اى بيت المقدس وقال مجاهد والسدى مقاتل اى البلدة
التى فيها بيت المقدس وهى ايليا وقال ابو زيد اى ادمحا وهى بقرب
بيت المقدس والدخول الاستقرار والعودة الى الحصن ونقيضه الخروج
والقرية الابنية التى هى مجتمع الناس من قولك قريت الماء في الحوض اى جمعته
قريا والمقراة الحوض والجفنة الكبيرة التى يجعل فيها طعام الاضياف
وقريت الضيف قريا من ذلك وقرى البعير جرته اى جمعها في شدقه
والقرى الظهر وهم مجتمع القوم ومعناه واذكروا انعامنا واذ قلنا لاسلافكم
ادخلوا هذه القرية لتسكنوها فقد قال في سورة الاعراف اسكنوا هذه
القرية وقوله فكلوا منها حيث شئتم رغدا اى انجاها لكم ووسعناها
عليكم فعيشوا فيها ان شئتم بلا تضييق ولا منع وهو تمثيل لهم بطريق الغنيمة
وذكر الاكل لانه معظم المقصود وقوله وادخلوا الباب سجدا
قيل هو باب بعينه قال مجاهد والسدى هو باب حطة وهو الباب
الثامن من بيت المقدس وقيل هو باب القبة التى كان يتعبد فيها موسى
وهارون وقيل هو الباب الاعظم للقرية وقيل الباب الذى منه يخرج

القرية عين لهم كانه قال لهم ادخلوا من هذا الوجه وقوله سجدا
قال ابن عباس اى ركعا وقيل ساجدين قبل الدخول سجد للشكر على
قتل الجبابرة او فتح القرية وقيل اى مطاطئين رؤسكم خاضعين خاشعين
وقيل صلوا صلوة قبل الدخول وقولوا حطة قال
عكرمة وهو قول اختاره الاخفش قولوا لا اله الا الله وعن على رضى الله عنه
هو بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عباس هو استغفر الله وعن الحسن
هو ان يقال حط عنا ذنوبنا فانا انحططنا لوجهك وقال الضحاك
اى قولوا احطنا واعترفنا يا ربنا بخطايانا فاغفرها لنا وقال
الفتى اى قولوا مقالة هى حطة لخطاياكم وقال الزجاج قولوا مسئلتنا
حطة وقيل اى فسجودنا عند الدخول حطة لذنوبنا وقيل معناه
نحن نزول تحت حكمك مسلمون لامرك واصل الحط انزال الشئ من علو الى سفل
وقد حططت الرجل والسرج وحططت ذلك وحط الورق اسقاطه وهو
كالقى الحمل عن الراس والظهر وحط خطا متعديا وحط خطوطا لازما
وقيل امروا ان يكلموا بهذه الكلمة وصفها بعبد الحط بها اوزارهم
فغيروها بتواسرا بلدهم وقالوا حنطة كذا قال ابن قتيبة ثم من عظيم
فضل الله تعالى ان هما لهم الاسباب وفتح عليهم من النعم الكبيرة الوابة
قبل ان يكلفهم سيا ما لخطاب ثم امرهم شيئين بعمل يسير وقول قصير
فالعمل الانحناء عند الدخول والقول التكلم بالكلام المقبول ثم وعد عليهما
غفران السيات والزيادة في الحسنات وذلك قوله تعالى يغفر لكم
خطاياكم الغفر والغفران والمغفرة ستر الذنوب والعفاء والمغفر
ما خود ان من ذلك وكذا غفر الثوب وهو ثوبه الذي يستر نسجه والجم
الغفير الجم الكثير الساتر المكان والخطايا جمع الخطيئة كالبلايا جمع
البلية والخطايا ضد الصواب والخطاء والخطيئة الاثم وخطئ اى اثم

متعمدا واخطا اذا لم يتعمده والخطيات جمع سلامة للخطيه وعد غفران
كل الخطيات من غير قصر على عدد وقصر العمل على اقل العدد وقوله
وسنزيد المحسنين اى وسنزيد المحسنين منكم طاعة وامرنا هذا احسانا
انفا الى سالف احساننا عنده فيزيده في سعة دنياه وثواب عقباه وقيل
وسنزيد المحسنين منكم فيما بعد على المغفرة ثواب الاخرة وقيل وسنزيد المحسنين
الذين كانوا اسلموا قبل ذلك وقيل اى الذين لم يدخروا المن والسلوى
لغد وقيل هو على التفصيل من كان خاطيا غفرنا له خطاياه ومن
محسنا زدنا في عطاياه وقوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى
قيل لهم اى غيروا فلم يقولوا حطة بل قالوا حنطة وقيل قالوا هنطا
سمقاثا وهى بلسانهم حنطة حمراء استهزاء وهذا كان من بعضهم وفعل
المحسنون ما امروا ولهذا لم يقل فبدل الذين ظلموا وظاهره
يدل على انهم بدلوا القول وحده دون العمل وبه قال جماعة وقيل بدلوا
القول والعمل جميعا ومعنى قوله قولا غير الذى قيل لهم اى امرا غير الذى
امروا به فان امر الله قول وهو يغير جميع ما امر به وقد روى ابو هريرة
عن النبى صلى الله عليه وسلم انهم دخلوا الباب يزحفون وقال ابن عباس
دخلوا مستلقين على اقفيتهم وقيل متحرفين على شق وجوههم وقيل
على استاههم ولما امتنعوا عن السجود وان يقولوا ما امروا به امر الله تعالى
اى متعديهم
الجبل ان يقع عليهم فراوه فسقطوا على شق وجوههم ينظرون اليه
بالشق الاخر فرحمهم الله ورده عنهم فقالوا ما سجدة احب الى الله من سجدة
لكشف بها عنا العذاب فلذلك يسجدون كذلك وقوله فانزلنا
على الذين ظلموا رجزا من السماء الذين بدلوا رجزا اى عذابا وقيل
هو يقع على كل عذاب يقول الله تعالى في سورة الاعراف فارسلنا عليهم
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك

بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ثم قال فلما كشفنا عنهم الرجز
سمى ذلك كله رجزا وقال ابو سعيد الضرير هو العذاب المفسد للمعاش وقيل
هو العذاب المزلزل وقدار تجزا اى اربعة واصلف هذا الرجز الذى انزل
عليهم قيل كان ديك بادا فاخترقتهم وقيل كان طاعونا فمات به في ساعة
واحدة اربعة وعشرون الف انسان ودام فيهم حتى بلغوا سبعين الفا
وقوله بما كانوا يفسقون اى عذبناهم بهذا الرجز وحبسهم عن طاعتنا
ثم قال على الذين ظلموا ولم يقل عليهم على الاختصار وقد سبق ذكر الذين ظلموا
لانه سبق ذكر المحسنين ايضا فلو اطلق لوقع احتمال دخول الكل فيه ولما قال
في سورة الاعراف فارسلنا عليهم قال بما كانوا يظلمون ليتميز هولاء عن غيرهم
على اعادة المكنى صريحا وكنايته سائغة قال تعالى من كان عدوا لله ثم قال فان
الله عدو للكافرين وقال عدى بن زيد شعر
لا ارى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا وقالوا
ذكر هنا خطاياكم وقال في الاعراف خطاياكم وقال هناك ادخلوا وقال هناك
اسكنوا وقال هنا فانزلنا وقال هناك فارسلنا وقال هنا بما كانوا يفسقون
وقال هناك بما كانوا يظلمون ليعلم ان المراعى في اتفاق المعاني فانها لا تغير
باختلاف الكلمات وقوله واذا استسقى موسى لقومه واذا استسقاه
والاستسقاء سوال السقى وطلبه وهو بالدعاء هنا وقد سقيته سقيا
اى اعطيته ما يشربه وسقيت الارض ونحوها بفعلى واسقيت فلانا اى
اى جعلت له سقيا شرب منه وسقى به الزرع وقال في ديوان الادب سقاه
الله واسقاه بمعنى وقد جمعهما بيد فقال سقى قومى بنى مجد
واسقى نميرا والقبائل من هلال ويقال سقيته لشفته واسقيته
لماشيته وارضه اى دعوت له بالسقيا قال ذو الرمة
واسقيه حتى كاد مما ابثه يكلمني احجاره وملاعبه واسقى اهاكم

اى اجعله لى سقاء والسقى الحط من الشرب والسقى القربة للماء واللبن
والسقاية الموضع الذى يتخذ فيه الشراب فى المواسم وغيرها والسقاية
فى سورة يوسف الصواع الذى كان يشرب منه الملك والمستقاء ما يتخذ
للجرار يعلق عليه والاستقاء من البير ونحوها الاخذ منها وقوله
موسى لقومه يقوم اسرائيل ومعناه وادكروا ايضا اذ سال موسى ربه ان
يسقيهم فى البرية قبل التيه وقوله فقلنا اضرب بعصاك
الحجر وكان عصاه من اس الجنة وكان عشرة اذرع بذراع موسى وهى
التى كانت معجزة وهى التى كانت تنقلب حية فاما الحجر فقد قيل امر
الله ان ياخذ حجرا خفيفا مثل راس الانسان فيضعه فى المخلاة وقيل
مثل راس الهرة وقيل مثل راس الثور وقال مقاتل كان حجرا مربعا
وقال الضحاك والسدى كان ذراعا فى ذراع وقال الكلبى كان مدورا
مثل راس الانسان له اثنى عشر ثديا مثل ثدى المراة وكان موسى يدفعه
فى الطهور وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذى ذهب بثياب موسى لما
قال قومه انه ادر فامر الله موسى ان يحمله وقيل لم يكن حجرا معينا
وكان يضرب اى حجر وهو الصحيح انه كان معينا وقد عرفه بالالف
واللام وقوله فانبجست منه قال الفراء اى من الضرب
فدل ذلك على الضرب وقد انفجرت العيون وقيل هنا مضمر اى فضرب
فانفجرت منه والاضمار جايز كما فى قوله ممن كان منكم مريضا او على سفر فعدة
من ايام اخر اى فافطر وقوله منه على هذا يكون كناية عن الحجر وصرف لعلمنا
ان موسى لا يخالف الامر ولان الظاهر يدل عليه وهو كقوله امرته بالتجارة
فاكتسب الاموال والانفجار الانشقاق الضيق وقيل الانفجار الخروج
بكثرة والانبجاس قليلا قليلا وقيل الانفجار الخروج والانبجاس من الصلب
وقيل هما واحد وهو قول الاخفش وقيل الانبجاس الابتداء والانفجار

النبوع وقيل احد الانفجار من انفجار الفجر وهو انشقاقه وهو انشقاق
الظلمة عن الضياء وقيل اصله المفارقة والفجر يظهر معارفى البر قاله قطرب
وقد ذكرنا هذه الاية فانبجست فى الاعراف فانبجست القصة واحدة
فمن تسوى بينهما استمر قوله ومن قال لم يكن الحجر معينا بل كان يضرب اى حجر
وجد عند الحاجة فانه يقول كان اذا اخذ حجرا صغيرا فضربه انبجس واذا اخذ
حجرا كبيرا فضربه فانفجر فمن قال كان حجرا واحدا صغيرا حمل الحجر فى المخلاة او يحمل
على حمار فلما انبجس او لما خرج من الحجر والانفجار بعد سيلانه وقيل كان
ينبجس ثم يجرى ويدوم فيكثر فلذلك انفجارا وقيل كان ينبجس عند
قلة الحاجة وسقى عند الحاجة الى الكثرة وقوله اثنتا عشرة
عينا التاء لعدد المونث والعشرة فيها لغتان فى عدد المونث بعد
ما زاد على العشرة بتسكين الشين وكسرها والعين النبوع وهو موضع
سماعا ونصب على التفسير وهو مشتق من العين الباصرة لانها اشرف ما فى
الراس وهذه اشرف ما فى الارض ولان الماء خرج من هذه كالدمع يخرج من الملك
وانما جعلت على هذا العدد لان بنى اسرايل كانوا اثنى عشر سبطا وكانوا
يالفون فجعل لكل سبط مشرب على حدة من عين على حدة لكيلا تتشاجروا
وقوله قد علم كل اناس مشربهم اى موضع شربهم قال قتادة
كان كل سبط يعرف عين نفسه فيجى فياخذ مقدار حاجته ثم ينقطع الماء عنه
وقيل كان يسيل وهم نازلون فاذا ارتحلوا انقطع ماؤها وحمل الحجر وهو
فى الحواليق وكان ابو روق كان فيه اثنا عشر حفرة فكانوا اذا نزلوا
وضعوا الحجر فجاء كل سبط الى حفرته فحفروا الجداول الى اهلها فشربوا
ما شربوا منها ما شاءوا فاذا ارادوا ان يحملوه ضربه موسى فذهب الماء
وكان يستقى منه ستمائة الف وزيادة وقيل كان الحجر رخاما وكان
كراس شاة وقوله كلوا واشربوا من رزق الله وهنا

موسى لقومه اذ استسقاه لهم ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا
وقد علم كل اناس مشربهم فقلنا لهم كلوا من رزق الله الذي رزقكم من غير
تعب منكم واشربوا من الماء الذي انبعث لكم من الحجر ولا تعثوا في الارض
مفسدين اي لا تسعوا في افسادها بالمعاصي وهو من عثى يعثى كرمى يرمى
وقيل من عثا يعثو كغزا يغزو وقيل من عاث يعيث كخاف يخاف وقيل من
عثى يعثى كرضى يرضى والعثي هو الفساد الا انه اشد الفساد وقيل هو
المبالغة في الافساد وهذا من عثى يعثى من باب علم وفيه لغتان اخريان عثى
يعثو من باب دخل وعاث يعيث وقوله في الارض اي في الدنيا ومفسدين
نصب على الحال اي لا تبالغوا في الافساد حاله الفساد وتحمل النكرة
للمبالغة كما تقول لا تظلم زيدا جايرا والجور هو الظلم فكذا العثي هو الافساد
والاول وجد لانه اكثر معنى ثم معناه كلوا واشربوا من رزقنا ولا
تفسدوا في الارض بظلم الناس بغصب اموالهم ونحو ذلك وقيل
اي قابلوا نعمنا بالشكر ولا تكفروا ولا تدعوا غيرنا الى الكفر فانه ابلغ
فساد في الارض وقيل كلوا واشربوا وهو صلاح وهو صلاح البدن
ولا تعثوا وهو صلاح الدين هيئا الاسباب ثم وجه الخطاب وقال
القشيري اراد الحق جل جلاله ان يكون كل قوم ملازما لحد
غير مزاحم لصاحبه فافرد لكل سبط علامة يعرفون بها مشربهم
فهولا يردون مشرب الاخرين والاخرون لا يردون مشرب الاولين
وحين كفاهم ما طلبوه امرهم بالشكر وحفظ الامر وترك احتقار الوزر
والمناهل مختلفة والمشارب متفاوتة وكل بيد مشربه ممشرب
عذب فرات ومشرب ملح اجاج ومشرب صافي زلال ومشرب
رنق اوشال وساق كل قوم بعقودهم ورايد كل طايفة بسوقهم فالنفوس
ترد مناهل المنى والشهوات والقلوب ترد مشارب التقى والطاعات
والارواح ترد مناهل الكشف والمشاهدات والسرابر ترد مناهل
الحقايق بقفا الصفات وافاده الايه اباحة الخروج للاستسقاء ودلت
على فضيلة امة محمد صلى الله عليه وسلم فان بني اسرايل احتاجوا الا انما ترجعوا الى

موسى لبيان احتاجوا الى البقل والقثاء وسايد المأكولات ففعلوا كذلك
وهذه الامة اطلق لهم ان يسالوا الله تعالى كل ما احتاجوا اليه قال تعالى
واسلوا الله من فضله وقال ادعوني استجب لكم وفيها بشارة عظيمة سال
موسى ربه المائدة لقومه بقولهم وسال عيسى المايدة لقومه بقولهم وسال
نبينا المصطفى المغفور لنا بامر الله قال استغفر لذنبك وللمومنين والمومنات
فلما اجاب الله لهما فيما سالاه بطلب القوم فلان يجيب لنبينا فيما
ساله لنا بامره اولى وقوله واذ قلتم يا موسى اي واذكروا
ايضا اذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد اي لن نقدر على حبس انفسنا
على نوع واحد من الطعام وهو المن والسلوى وانما قالوا على طعام واحد
وهما اثنان لانهم كانوا ياكلون احدهما بالاخر فما يوكل اللحم بالجبن وقيل كان
ينزل عليهم المن وحده اولا ثم ملوه فارسلت عليهم السلوى فحورا ان يكون
هذا الكلام منهم قبل نزول السلوى يقولون قد مللنا هذا وعرفت
عنه نعوضنا وقوله فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض
اي سله لخرج لنا وكلمة من من قوله مما صلة عند الاخفش ويجوز ان يكون للتبعيض
ومن قوله بقلها هو للتخصيص وهو بعض الاحياء ايضا ثم حرم قوله يخرج
لنا جهين احدهما على تقدير الجزاء ومعناه ادع لنا ربك فانك ان تدع يخرج والثاني
ادع لنا ربك في قوله اخرج يخرج وهو كقوله وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن
وقوله قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة والبقل كل ما يوكل مع الطعام
من الخضر وهو في الاصل كل نبت اخضرت به الارض وقيل هو ما
نبت الربيع لهم نبتت عدسا وتهم مع البقل وقوله وفومها
هو الحنطة وضم القافية وهو فتاه لحي بر وثاب وطلحة والاشهب وقومها
قال ابن عباس وغيره والذي هو الخطة قال ابن الحلاج قد كنت اتمنى الناس سخطا واحدا ورد المدينة عن زراعة قوم

اي امتنعت

وقال مجاهد وعطا وابن زيد هو الخبز وقال قطرب القوم كل
عقده من البصل وقطعه من اللحم وكل لقمه كبيره وتقال فوم الشي
حصلته كذلك وقال الفراء يقال قوموا لنا اى اخبزوا او قال
الدبيع ابن انس والكسائى هو الثوم وفى قراءة ابى وابن مسعود
بالثاء وقال اميه ابن الصلت كانت منازلهم اذ داك طاهره
فيها الفراديس والفوم والبصل فمن قال هو الثوم قال
ذكر البصل فى الايه دليل على انه هو المراد لانه من جنسه وعدس
هو حب معروف وبصلها هو حب معروف ايضا وقوله
أتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير هذا استفهام
لمعنى الانكار اى اتسالون الادنى بدلا عن الاعلى من ذا يبدلو
اى قرب اى هو اقل قيمه تقال ثوب مقارب اى قليل القيمه
ومعناه انه اذا كثر ثمنه ارتفع فاذا قل اتضع والدناه الدواه وهو
دنى اى ردى خسيس وقد استدل من حمل الفوم على الثوم انه وصف
بانه دون والحنطه ليست كذلك وكذا وصف بقله القيمه وليست الحنطه
كذلك واجاب الاخرون ان الحنطه مقابله المن والسلوى اوضع رتبه
واقل قيمه ووجه اخر ان يكون معنى ادنى اى اقرب واسهل
وجودا وهو مما نشاركم فى وجدانه اكثر الناس فتستبدلون هذا
بالرفيع الجليل الذى يعز وجوده وهو مما تختصون به وهو معنى
ما قاله قطرب وقوله اهبطوا مصرا المصر كل كوره تقام
فيها الحدود وتقرى فيها الثغور وتقسم فيها الفى والصدقات من
غير مؤامرة الخليفى وقيل هو مشتق من القطع تقال مصرت الشئ مصرا
اى قطعته سمى به لانقطاعه عن النضا بالعماره ثم اختلف انه بلد بعينه
او بلد من البلاد قال الحسن وابو العاليه والربيع هو مصر فرعون

الذى مرجوا منه قال تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله واورثناها
قوما اخرين وقال واورثناها بنى اسرايل وقيل اراد به بيت المقدس
قال تعالى ادخلوا الارض المقدسه التى كتب الله لكم وعلى هذا انما تونثه
هنا لانه اراد به البلده وهو مذكور ولم تنونه فى قوله وقال ادخلوا مصرا
لانه اراد به البلده وهى مونثه فلما اجتمع التعريف والتانيث امتنع الصرف
وفى الاول لم يجتمعا وقيل اراد به مصرا من الامصار غير عين لان
ما سالوه من البقل ونحوه لا يكون الا فى الامصار وهذا قول قتاده
والذى ومجاهد وزيد بن معناه قد بعضهم انزلوا بعض الامصار
ان كنتم تريدون هذه الاشياء لانكم فى البريه فلا يوجد فيها فانطلقوا
فانما يوجد ذلك فى الامصار وقيل معناه اذا نزلتم فى بعض الامصار
وجدتم هذه الاشياء ولم يكن امر بذلك للحال لانهم كانوا فى التيه وقد كانت
ضربت لهم مده عقوبه لهم وقال العابد هذا القول انهم لم يحرموا من الشبع
وقيل هذا امر تعجيز اى ان قدرتم فانزلوا مصرا تجدوا فيه هذه الاشياء
وهو كقوله قل كونوا حجاره وقوله فاتوا بسوره وكذا القول هذه
الاقاويل ثم قال ويجوز ان يكون فى مسيرهم فى تلك المفاوز قرى غير
القرى التى كانوا وعدوها لم ينهوا عنها فكان قوله مصرا اشاره الى
ذلك وقد سمى القريه مصرا كما سمى المصر قريه توسعا او لان الاسمين يجتمع
الناس من البنيان وقال الكلبى اهبطوا مصرا اى مصر فرعون التى خرجتم
منها فان فيها هذا فارجعوا اليها فكذبوا ذلك فضربت عليهم الذله والمسكنه
والاظهر انهم لم يومروا بهبوط مصر فرعون فانه قال يا قوم ادخلوا الارض
المقدسه التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فلم يكن لهم الرجوع الى مصر
فرعون ويكون معنى قوله كذلك اورثناها اى ملكناها بنى اسرايل
بعد هلاك فرعون وآله لا ان يكونوا اسكنوها ويكون هذا امرا بهبوط مصر

من امصار الارض المقدسة وقد قيل ان موسى عليه السلام سال الله تعالى
ذلك فاجب بهذا فكان قوله اهبطوا مصرا امرا من الله وقيل لم يسال
ذلك بل رد دينهم بقوله استبدلون ثم قال هو بنفسه اهبطوا مصرا وقيل
هذا الامر وهو قوله اهبطوا مصرا كان بعد موسى وهارون وانقضا
مدة التيه والهبوط النزول يحتمل ان التيه كان في صعود والمصر
في هبوط ويحتمل ان يكون الهبوط مطلق النزول وقوله
وضربت عليهم الذلة والمسكنة والذلة نقيض العزة والمسكنة الفقر وقد
هذا موصول بقوله فان لكم ما سالتم امرهم بدخول القرى لطلب الاشيا
التي سالوها وضربت عليهم الذلة اى تذليل الانفس في الاعمال المهينة كالحراثة
ونقل القذر ودل الكسب في الاول كان ناسهم بغير كسب وقد قال تعالى
ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض
فحرم ذلك هؤلاء امتحنوا بالعصيان ثم قوله وباؤا وانعضب من الله هذا
مبتدا على هذا القول اى استحقوا غضب الله بقتل الانبيا بعد ذلك
وعصيانهم وعدوانهم وقيل اذا الكلام الاخير قوله وضربت عليهم الذلة
والمسكنة وانتظامه بما قبله ان موسى سال الله لهم ذلك لما ابوا ما اخاره
الله تعالى لهم فاعطاهم عاجل ما سالوا كما قال من كان يريد حرث الاخرة
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب
ثم نزل اولا هو لا البلاد المقدسة التي كتب الله لهم فلم يزل يفسدون
في الارض ويعصون ويعتدون ويقتلون النبيين حتى عاقبهم الله بتسليط
ططوس بن اسبسيانوس الرومي بعد ما سلط عليهم في الكرة الاولى
بخت نصر حتى خرب بيت المقدس وسبى اهله وتبدد نظامهم وتشتتوا
في البلاد فليس لهم ملك يضمهم ولا دين يجمعهم فضربت عليهم الذلة والمسكنة
فصاروا مستضعفين محقرين مساكين بعد ما كانوا ملوكا وورثوا ارض مصر

وال م

والشام وبلاد الجبابرة ثم قوله وضربت عليهم اى الصقت بهم والزموها
وادمغت لهم يقال للشي الدائم هذا ضربة لازم ولازب وضربت عليهم
البعث اى الزموه وفرض عليهم والذلة فرض الجزية عليهم في قول
الحسن وقتادة والمسكنة الفاقة في قول الى العالية وفقر النفس
في قول السدى فقيل هو التعب والمشقة في تحصيل هذه الاشيا
التي سالوها وقيل الذلة الشيخ والمسكنة الحرص وقيل هذا
اخبار وعدهم الله به في قوله ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم
سوء العذاب وهو نبينا محمد عليه السلام فاجلى بني النضير وقيل
بني قريظة وقفوا بالشام فضربت عليهم الجزية والمسكنة مفعلة
من السكون والمسكنة هي الفقر الذي سكنه عن الحركات في التصرفات
ويقال تسكن وتمسكن كما يقال تدرع وتمدرع وهذا اسكن من
فلان اى اشد مسكنة لان الميم زايدة ويجوز اسقاطها في الافعل
وقيل المسكنة فقر النفس ولا توجد لهودي موسر اد معسر غنى
النفس بارخا ما يدل على مسكنته وخشوعه وفقر نفسه وقوله
وباؤا بغضب من الله اى احملوه وقيل انصرفوا به وقيل استحقوه
وقيل اقروا به وقيل لان مؤله وهو الاوجه يقال بوأته منزلا
فتبوأه اى الزمته اياه فلزمه وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون
بايات الله اى ضربت الذلة والمسكنة واستحقاق الغضب بسبب
كفرهم بكتاب الله وهو التوراة لاستحلالهم ما حرم الله فيه وقوله
ويقتلون النبيين زكريا ويحيى وغيرهما بغير الحق قيد بهذا الوصف تاكيدا
لما في قوله لا تحدوا الا الله اثنين وقوله ولا طائر يطير بجناحيه وقوله
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقوله يقولون بافواههم ولكنهم
كانوا يفعلون الانسا وقيل الانسا قد يكون بغير حق بكل حال وقال القفال

يكفرون بايات الله اى بالمعجزات التى اجراها على ايدى الانبيا ويقتلون النبيين
وكانوا يقولون هذه تمويهات وليست من الله وهولا كاذبون ومقتولون
بهذا السبب من غير ان تقوم الحجة عليهم وانهم يسلونهم بذلك وهذا وجه
حسن وقوله ذلك بما عصوا اى ذلك الكفر بشوم عصيانهم وقوله
وكانوا يعتدون اى يجاوزون الحد وذلك يكون فى كل خلاف وقد قال الفضا
اعتدوا منكم فى السبت وذاك باخذ الصيد فى يوم النهى وعصيانهم كان
من العلماء والعامة مما قال لياكلون اموال الناس بالباطل وقال لولا ينهاهم
الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت وقال يساعون فى الاثم
والعدوان واكلهم السحت وقال فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة
واتبعوا الشهوات وقال العشر ان بنى اسرائيل لم يرضوا بحسن
اختيار الله لهم ولم يصبروا على قيامه بتولى ما كان يتعهدهم من كفايته مأكولهم
وملبوسهم فنزلوا فى التخير الى ما جرت عليه عاداتهم من اكل الخسيس
من الطعام والرضا بالدون من الحال فردهم لذلك مفاسات الهوان وربطهم
باقامة الحد لان حتى سفكوا دما الانبيا وهتكوا حرمة الامر بقلة
الاستحيا ان تركك الاوعوا فعاقبهم على قبيح افعالهم وردهم الى ما اختاروه
لانفسهم من خسايس اموالهم وحين لم ينجع فيهم النصيحة ادركهم النقمة
والفضيحة وكانوا بنو اسرائيل متفرقى الهموم متشتتى القصود
لم يرضوا لانفسهم بطعام واحد ولم يكتفوا فى دينهم بمعبود واحد
حتى قالوا لموسى حين ذاوقوما يعبدون الاصنام يا موسى اجعل
لنا الها كما لهم الهة وهكذا صفة ارباب التفرق والصبر مع الواحد
الاحد لسر امر كل احد قال تعالى واذا ذكرت ربك فى القران وحده ولوا
على ادبارهم نفورا ثم ختم هذه الايه بذكر الكفر والمعصيه وذكر بعدها
ايه فيها ذكر الايمان والطاعه وهى قوله ان الذين امنوا

والذين هادوا اهم اليهود وسموا بذلك لانهم هادوا عن الحق اى مالوا وقيل
لقولهم هدنا اليك وقيل لانهم ولد يهوذا وهو اكبر ولد يعقوب
وحولت الذال الى التاء لتغترها من العبرانيه الى العربيه والنصارى واحدهم
نصرانى وسموا بذلك لتناصرهم وتناوتهم فيما بينهم على اقامة ملتهم وقيل
لنصرهم لعيسى قال تعالى حكاية عنه من انصارى قال الحواريون نحن انصار الله
وقال ابن جريج وقتاده سموا بذلك لانهم من قريه تسمى ناصره كان ينزلها عيسى عم
والنصارى فى القياس جمع نصران كالندامى جمع نديم والندامى جمع
ندمان هو قول سيبويه والمستعمل هو النصرانى بزياده
ياء النسبه والاصل الاول قال شعر
تراه اذا دار العشى محنبا ويضحى لديه وهو نصران شامس وقال اخر فكلتاهما
خرت واسجد راسها كما سجدت نصرانه لم تحنف وقيل النصارى
جمع نصرى كالمهارى جمع مهرى ناقه منسوبه الى مهره قاله الخليل والصابئين
يقال صابصبوا اذا خرج من دين الى دين سموا بذلك لانهم خرجوا من اليهوديه
والنصرانيه وخالفوهما وقد صبا النجم اذا مال عن جهته وصبابات
البعير اذا خرج ممن ترك همزه وقيل الصابئون الصابيون صبوا صبوة اذا مالوا وقيل
هم قوم بخراسان كانوا يعبدون النجوم ويقرون بالصانع والمعاد وبعض
الانبيا وقيل هم من المانويه وقال قتاده الصابئون قوم
يعبدون الملايكه ويصلون الى الكعبه ويقراون الزبور وقال السدى
هم طايفه من اهل الكتاب وقيل هم طايفه من المتهودين
وقال مجاهد هم من المجوس واليهود لا يوكل
ذبايحهم ولا ينكح نساوهم وهو قول الحسن البصرى وبه اخذ ابو يوسف
ومحمد وقالوا هم يعبدون الكواكب وكانوا كعبدة الاصنام وقال الواحدى
هم كاهل الكتاب فى حل ذبايحهم ونكاح بناتهم لانهم يقرون الزبور ويعظمون
الكواكب تعظيم القبله لتوجههم اليها فى صلوتهم وقوله من امن بالله

والیوم الاخر ای من آمن منهم ای من الیهود والنصاری والصابئین وقوله
ان الذین امنوا ای من مشرکی العرب وغیرهم ومن امن من هولا الفرق الثلاث
بالله وبالقیامة ای صدق بکونها وقوله وعمل صالحا من یفسر بعشرة عشرة
وقوله فلهم اجرهم عند ربهم ای ثواب ایمانهم وعملهم الصالح سماه
اجرا لانه جعله جزاء عملهم موعود الحق تفضلا منه بسبب فلو بهم بوجوده لا محاله
کما یجد الاجیر اجره لاستحقاقه ذلک بعمله فهذا سماه بعمله موعد الله لا باستحقاقه
اجلال ان هولا اذا امنوا وعملوا الصالحات لم یواخذوا بما تقدم فعلهم ولا یبطل
ایمانهم ولا یقصون من ثوابهم وقوله ولا خوف علیهم ای لا یخافون ان یبطل
لهم حسنه وقوله ولا هم یحزنون ای یفوت ثوابها وقیل ان
الذین امنوا بعصر الرسول والذین هادوا کانوا علی دین موسی فی زمانه وماتوا
علی ذلک ولم یبدلوا والنصاری الذین کانوا علی دین عیسی وماتوا ولم یبدلوا
والصابئون علی هذا الناویل قوم کان لهم دین حق سوی الیهودیه والنصرانیه
بان کانوا علی اتباع رسول وکتاب من امن منهم ای ثبت علی ایمانه وعمل صالحا
علی موافقة ایمانه فلهم اجر ایمانهم وعملهم الصالح ولا خوف علیهم من العقوبة ولا هم یحزنون
بفوت الجنة وقال العتبی ان الذین امنوا بالسنتهم دون قلوبهم وهم المنافقون
والیهود والنصاری والصابئین من امن ای من اخلص منهم وامن بشرائط الصحة
فله الاجر وزوال الخوف والحزن وقوله من امن وعمل صالحا ذکر علی الوحدان
لظاهر کلمة من وقال ولا خوف علیهم ولا هم یحزنون علی الجمع لان معناه معنی الجمع فانه اسم
صالح للواحد والجماعة وقوله واذ اخذنا میثاقکم ای واذکروا
ایضا اذ اخذنا میثاقکم ای العهد بالانقیاد لموسی فیما یحکم به وقلنا له
وفجرنا منه منصرفین فرسناه نجیا واعطیناه الالواح فیها التوراة فاتاکم بها
فلم تعملوها وقلتم هی ثقیلة لا نطیقها وعصا قومکم الجبل وهو قوله ورفعنا فوقکم
الطور وهو الذی ذکره فی قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم کانه ظلة الاسد والطور الجبل

کالانا فی جمع انثییه وللامانی ثلاثة تفاسیر احدها انها الاکاذیب قال
عثمان رضی الله عنه ما تمنیت منذ اسلمت وما مسست فرجی بیمینی
منذ بایعت النبی علیه السلام ولا اکلت الکراث ونحوه منذ قرات القرآن
وبه قال ابن عباس رضی الله عنهما الاحادیث المختلفة ای احدوثاتهم عما لیهم
بعضهم او هو کقوله وان منهم لفریقا یلوون السنتهم الایه والثانی انها
القراءات قال الله تعالی الا اذا تمنی القی الشیطان فی امنیته قال
حسان یرثی عثمان رضی الله عنهما تمنی کتاب الله اول لیله واخره
لاقی حمام المقادر وما یعلم هولا السفله حصنه المنزل وانما یقرون اسما
اخذوها من احادیثهم وقراءتهم علی هذا الوجه لاسیما الامیین منهم
لان الامی من لا یکتب ولا یقرا من کتاب لامن لا یقرا اصلا والثالث انها الشهوات
قال تعالی بعدهم وسیتهم وقال ام للانسان ما تمنی وقال لیس بامانیکم
وقال لا یمنون الا علی هذا الا یعلمون الکتاب سوا الا امانیهم کبروا وهم
وعلماوهم من دخولهم الجنة بامانتهم علی دینهم وقال الا الحسن الامانی استثنا
منقطع لانه لیس المستثنی من جنس المستثنی منه وکل موضع یحسن فیه
الا لکن فهو مکان استثنا منقطع وهنا یحسن ولکن لا یعلمون الکتاب
لکی یتعوا الامانی وهو کقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقوله
ان هم الا یظنون ای وما هم الا یظنون وهو کقوله ان الکافرون الا فی غرور
یعنی ما الکافرون فی صفة الا فی غرور الاحبار وفی هذه الایة
تعلیم العوام واضلال هذه وتلک سماهما الله تعالی وصف هولا القوم
انهم غیر عالمین بالکتاب وشبههم بمخترعات دوسایهم کذبا لا حقیقة
لها فقد الطمع فی ایمان هولا لهذا السبب ای افتطمعون بایمان هولا وهم
جاهلون مقلدون او لیکم معاندون وقوله ویل للذین
یکتبون الکتاب بایدیهم وقال ابن عباس الویل العذاب وقال الکلبی

وهو اشد من العذاب وقال الاصمعي هو قبح من الله فعلهم قال تعالى
ولكم الويل مما تصفون وقيل اى كلمة تحسر وتفجع قال تعالى حسرا ياويلنا
وروى عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم الويل جبل فى النار وروى ابو سعيد
عنه الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره
وقال ابن عباس هو واد فى صديد فى اصل جهنم وقيل هو فى اللغة
الهلاك وقيل النصبة وقيل خلول الشر وقوله للذين يكتبون
الكتاب بايديهم اى التوراة مغيرا مبدلا بايديهم وقيل هو توكيد
للفعل لحصوله بما هو محتص به وهو كقولك يقولون بافواههم وقوله
يطير بجناحيه وقيل تحقيق ونفى للمجاز اى يتولونه بانفسهم فقد يقول
الانسان كتبت الى فلان اذا امر غيره بان يكتب عنده واذا قال كتبت
بنفسى او بيدى فقد اخبره انه باشر بنفسه وقوله ثم يقولون
هذا من عند اى يسندون الى الذى كتبوه وهو مغيرا انه منزل من الله تعالى
ليشتروا به ثمنا قليلا اى يكتبون لكى ياخذوا به مالا كثيرا مع قليل
لانه فانى غير باق فان المأكول والمشروب والملبوس يبلى والرياسة تزول بالموت
وقوله فويل لهم مما كتبت ايديهم اى معذبا او ويل لهم مما يكسبون
اى يحصلون لانفسهم من حطام الدنيا بهذا التغيير وقد كسب كسبا واكتسب
اكتسابا وقيل ان الاكتساب هو اجتلاب الحظ لما يجتلب له من الاسباب
وبيد يلهم كان بتغييرهم نعت النبى صلى الله عليه وسلم وقد كانوا فى التوراة انه
اسمر ربعة فبدلوه بانه ابيض طويل اعور وهو من صفات الدجال
واكتسابهم كان ببيع المكتوب بالثمن وباخذ الرشوة من الاغنياء ثم ان
الله تعالى ذكر الويل فى هذه الاية ثلاث مرات وله وجوه احدها انه
حق يضع رسوله المصطفى عليه السلام بسديد نعته والله تعالى يبالغ
فى وعيد مضيع حق اجابه ما لا يبالغ فى حق وعيد مضيع حقه قال

قوله

اجابه

وقيل هو يقع على كل جبل بعينه واختلف فى ذلك فقيل هو الجبل الذى كان
موسى عليه جين كلمه ربه وانزل عليه الالواح وقيل هو جبل من جبال فلسطين
انقلع من اصله وقام على ادوسهم مثل الظلة وكان العسكر فرسخا فى فرسخ والجبل
كذلك وقيل خمسة فراسخ فى خمسة فراسخ فاوحى الله الى موسى انهم ان قبلوا التوراة
والا ميتهم تحت الجبل فرضختهم به فلما راوا ان لامهرب لهم قبلوا ما فيها فسجدوا
من المهابة على انصاف وجوههم لانهم كانوا ملاحظين الجبل فلذلك يسجد اليهود
كذلك وقوله خذوا ما اتيناكم بقوة اى جدوا مواظبه وخذوا جميع
اقبلوا واعملوا بقوة اى باقتدار ونشاط اداء لما فرض عليكم وقيل اعطيناكم
قوة وكذلك فى سلامة الالات فخذوه بتلك القوة وقوله واذكروا
ما فيه اى ادرسوه لترق قلوبكم ولتذكروا به الوعد والوعيد ويحتمل
واذكروا ما فيه اى احفظوه ولا تنسوه ويجوز ارادة المعنيين جميعا وقوله
لعلكم تتقون اى لكى تصيروا متقين وعن النار متوقين ثم قوله خذوا فيه
مضمر اى وقلنا لهم خذوا وهذا احضار لذلك على سياق الكلام ولان المساق
يقتضيه فكانه قال واذ قلنا لكم ان خذوا ثم قوله ميثاقكم وهو ان اضيف الى
الجمع ولم تقل مواثيقكم لان المراد ميثاق كل واحد اى اخذنا من كل واحد منكم
ميثاقه كما قال ثم نخرجكم طفلا اى كل واحد وقيل اخذ على الكل ميثاقا واحدا
اى كان مساق كل واحد ما كان ميثاق الاخر وقال العقال ويحتمل
ان يكون اخذ المشاق مع رفع الطور معا والواو للجمع ويحتمل ان يكون
اخذ المشاق مقدما على ما نقضوه رفع الطور فوقهم دليل الاول قوله
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ودليل الثانى انه يجوز ان يكون معناه بميثاقهم
اى بميثاقهم الذى نقضوه اى بسبب ذلك رفعنا فوقهم الطور ثم هذه
الحادثة كانت قبل التيه والامر بدخول قرية ان يحاوا انما ذكرت بعدها
لان القصة واحدة وهذا تعداد من كانت منه على اسلافهم ويجوز ذلك على الترتيب

وعن التوبة لان المراد تذكيرهم مما كان منها وهو حاصل لكيف وكم رفع
الجبل ليقبلوا التوراة لم يكن جبرا على الاسلام لان الجبر يسلب الاختيار
ولا يصح معه الاسلام بل كان اكراها وهو لا يسلب الاختيار وهو جائز كالمحاربة
مع الكفار فما تقول الله تعالى لا اكراه في الدين وقوله انانت تكره الناس حتى
يكونوا مؤمنين فقد كان ذلك قبل الامر بالقتال ثم نسخ به وقوله
ثم توليتم من بعد ذلك اى عرضتم عن الدوام عليه من بعد القبول وقيل من
بعد رد الجبل وقيل اصل المشاق رفع الطور وانما وحد ذلك والمذكور
قبله ميثاق والمدلول عليه اكثر من ذلك وهو قبولهم التوراة ورد الجبل
لانه اراد من بعد ما ذكرنا فوحد ليتوصل كلمه ما وقوله ذلك خطاب للنبي ع
وحده بالكاف ولو قال ذلكم كان خطابا لهم جميعا وقوله
ولولا فضل الله عليكم هو زياده الانعام ورحمته اى عطفا اى فلولم
يفضله ورحمته برد الجبل عنكم وامهالكم الى ان تتوبوا بعد ما توليتم
لوقع الجبل عليكم فمتم كافرين خاسرين وهذا في حق الذين تابوا بعد ما تولوا
وقيل ولولا فضله باعطاء التوراة ورحمته بقبول التوبة بعد التولي
وقيل ولولا ايمانكم بالله الذي هو فضل من الله ورحمة عليكم بالكتاب وقيل
ثم الكلام عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ثم ابتدأ كلاما يرجع الى الاول
فقال فلولا فضله ورحمته برفع الجبل فوقكم لدمتم على انكاركم الكتاب
ورده فكنتم من الخاسرين ولكن تفضل عليكم ورحمكم حيث رفع الطور
فوقكم حتى تبتم فزال الجبل عنكم ولولا ذلك لسقط الجبل عليكم وكنتم من الخاسرين
وقيل اى ولولا فضله باعطاء التوراة ورحمته بتوفيق القبول وقيل
اى ولولا فضل الله عليكم بانجائكم من العذاب برد الطور عنكم لما توا لدتم
انتم وقوله لكنتم من الخاسرين الخسران في الاصل ذهاب راس
المال وهو هنا هلاك النفس لانها هي الاصل وقيل اى من المغبونين بالوقوع

في العذاب وحرمان الثواب وقوله ولقد علمتم خطاب لاهل
عصر النبي صلى الله عليه وسلم يقول لقد عرفتم اصحاب السبت منهم
احللنا بهم من النكال في الدنيا بالمسخ حتى اعتدوا بالاصطياد يوم السبت
فلم تأخر بالعقوبة عن اسلافكم الذين كانوا قبلهم على عصيانهم ونقضهم
ميثاقهم للعجز عن تعجيل ذلك بل مهلا ورحم ولو شيئا عجلنا بكم ما عجلنا
اصحاب السبت وكذا اتم في تمردكم على محمد ولو شيئا لانزلنا بكم ما انزلنا بهم
وقوله اعتدوا اعتدوا واصله في السبت اى الذين جاوزوا الحد الذي
حد لهم من ترك الصيد يوم السبت من اسلافكم والسبت احد ايام الاسبوع
سمي به لانه سبت فيه خلق كل شيء اى قطع وتم واصل السبت القطع والسبات
النوم لانه يقطع الحركات الاختيارية واليهود سبتوا فيه اى يقطعون الاعمال فيه
وقصته ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كان هذا
في زمن داود عليه السلام في ارض يقال لها ايلة بين المدينة والشام على
ساحل بحر قلزوم وكان مكانا يجتمع فيه حيتان كل الارض في السنة في شهر
كهيئة العيد يأتيهم الحيتان حتى لا ترى الماء من بينهم في غير ذلك الشهر في سبت
كما كانت تأتيهم في ذلك الشهر فاذا ذهب السبت لم يحسوا بشيء منه وحرم عليهم
الصيد في يوم السبت وقيل حصر ذلك اليوم لان موسى عليه السلام اراد
ان يجعل يوما لله تعالى خالصا لطاعته وهو يوم الجمعة فخالفه اليهود وقالوا
نجعل ذلك يوم السبت لان الله تعالى لم يخلق فيه شيئا فلما اختاروه لترك
سائر الاعمال نهوا فيه عن الاصطياد ايضا وصار اختيارهم وبالا عليهم
فعمد رجال من اهل تلك القرية فحفروا على شط البحر حياضا وشرعوا اليها
عليهم السمك وحبسوا السمك فيها فاخذوا من ليلة الاحد ويوم الاحد فاكلوا
وملحوا وباعوا فكثرت اموالهم فعملوا بذلك زمانا في رواية اربعين سنة وفي رواية
ستين سنة لم ينزل فيهم عقوبة وكانوا يخوفون العقوبة فلما لم يعاقبوا

استشروا وقالوا انا لنرى البيت قد اجل لنا ان استن الا بأسنه
يا قلوبهم فعلوا ذلك مرة او مرتين لم ينههم ومشى اليهم طوائف من اهل
المدينة نحو من اربعة عشر الفا من الذين كرهوا الصيد في يوم السبت
واهل القرية كانوا نحوا من سبعين الفا ونهوهم عن ذلك وقالوا يا قوم
انكم عصيتم ربكم وخالفتم سنة نبيكم فانتهوا عن هذا العمل قبل ان ينزل
بكم العذاب فلم يتعظوا فعال تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه اي ابوا ان يرجعوا
عن استحلال الصيد انجينا الذين ينهون عن السوء لانه قد صح ان الذين استحلوا
الصيد قردة خاسئين ومكثوا بعد ذلك ثلاثة ايام ينظر اليهم الناس
ثم هلكوا لم يتوالدوا ولم يمكث مسخ فوق ثلثة ايام وقوله
فعلنا لهم كونوا قردة خاسئين لهم اي للذين اعتدوا وقال فعله منكم
وهو خطاب اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله قلنا لهم كونوا قردة
خاسئين اي مسخناهم قردة اذ كونوا امر تسخير وهو اشارة الى
قوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي لما اردنا
ذلك صاروا كما اردنا من غير امتناع ولا لبث وهو كقوله كما لعنا
اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا وهو كقوله قلنا يا نار كوني
بردا وسلاما وهو من التقابل منا امرت بكذا فكان كما امرت به
اظهارا منه لعظمته ونفاذ امره ومشيته والدليل على انه تكوين
اذ قال فجعلناها نكالا لما وهو ذلك الاول والقردة جمع قرد كالفيلة
جمع فيل والديكة جمع ديك والدرصة جمع درص وقوله
خاسئين اي مهانين مبعدين مطرودين كالكلب اذا دنا من
الناس قيل له اخسأ اي تباعد وانتهر صاغرا وقوله سقلب
اليك البصر خاسئا وهو اي صاغرا ممنوعا عن معاودة النظر
وقد خسأت الكلب فخسأ لازم ومتعد وقيل اي ساكتين

كما قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون وقال مجاهد لم يكن هذا مسخ
الابدان بل كان مسخ القلوب فجعل الله لهم امثال القردة وان لم
هذا مثل ضربه لهم كما قال كمثل الحمار يحمل اسفارا وقال العقال
ومن قال هذا جعله كقول الرجل للرجل لا سطر في العلم ولا خالس اهله
اذهب فكن حمارا اي تشبيه حمار قال اذا انت لم تعشق
ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا ولكن هذا خلاف
ظاهر الكلام وخلاف الاثار ومسخ هؤلاء مشهور وكان اليهود اذا اشبهوا
قيل لهم يا اخوة القرد والخنازير وخاطبوا به في عصر النبي صلى الله عليه وسلم
وليس تحويل الصورة باعظم من انشاء العنصر مرة من ابتداع الجواهر
فما ذا عليه ان يمسخ بانقلاب الصورة ثم قيل مسخوا قردة فلم يبق فيهم
من باطنهم معنى الانسانية وقيل بقي فيهم العقل والفهم وقد روي انهم
لما مسخوا الليلا اصبح الناس الخازرون منها واتوا ابوابها فاذا اي مغلقة
لا يسمع منها صوت ولا يعلو منها دخان فتسوروا الحيطان
فدخلوها فرأوهم قد صاروا قردة وكانوا يعرفون كل واحد بسببه
معرفة بقرابة او صحبة فكانوا يقولون الم ننهكم عن ذلك فكانوا يشيرون
برؤوسهم اي نعم والدموع تفيض من اعينهم وذاك دلالة الفهم والمعرفة
ثم لم يكن لهذه القردة من هؤلاء بل كانت قبلهم قردة وهؤلاء حولوا الى صورها
لقبحها جزاء فتح افعالهم وماتوا بعد ثلاثة ايام والقردة التي في الدنيا
هي نسل مردة كانت قبلهم وقال الامام ابو منصور وفيه نقض قول
المعتزلة لانهم يقولون ليس في خلق الله قبيح ولو لم يكن في خلق الله قبيح
لم يكن لتحويل صورتهم من صورة الانسانية الى صورة القردة معنى وقوله
فجعلناها اي جعلنا هلك العقوبة كما لم رجعت الى المعنى دون المذكور وقيل
جعلنا المسخة وقيل جعلنا هذه القرية التي اعتدى اهلها فقد ذكر القرية

ع سورة اخرى وقيل اى جعلناها هذه الامة وقيل هذه القرية وقيل
هذه الفعلة وقيل القردة وقيل هذه الجماعة وهذا اقاويل متقاربة
وقوله فكلا النكال الفضيحة الشاهرة الزاجرة وقيل
العقوبة التى ينكل بها عن الاقدام على مثل تلك الجناية يقال نكل الامر
نكولا اى امتنع والنكل القيد وجمعه الانكال لانه فيه منع المقيد
عن الذهاب تقول فعلنا ذلك لمنع العباد عن الفساد لا كما يفعله
البشر للتشفى ونحوه وقوله لما بين يديها قيل بين يدى عقوبة الاخرة
وما خلفها من فضيحة الدنيا فتذكرون بها الى قيام الساعة وقيل لما بين يديها
لما تقدم من سائر الذنوب قبل اخذ السمك وما خلفها ما بعدها من اخذ
وقيل هما عبارة عن كثرة ذنوبهم المحيطة بهم اولا واخرا وقيل ما بين
يديها اهل زمانهم وما خلفها الى يوم القيامة وقال ابن عباس جعلناها
عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل لما بين يديها من شاهدها
وما خلفها من سمع من ذكرها وقيل ما بين يديها وما خلفها من القرى
وقال بعضهم لما بين يديها لمن يأتى بعدهم كما تقال الصيف بين يديك اى
يا تلك وقال اسامة للنبى صلى الله عليه وسلم ع مسيره من عرفات الصلوة
يا رسول الله فقال الصلوة امامك اى تفعلها بعد هذا الوقت فعلى هذا يكون
قوله لما بين يديها اى لما يأتى بعدها وما خلفها لما تقدمها تقول هذا الشئ
صار خلفنا اى خلفناه وتجاوزناه فكانه قال الاتين والماضين وقوله
وموعظة للمتقين اى وعظا لجميع المؤمنين الذين يتقون عقاب الله وقيل
اى يعظ المتقون بعضهم بعضا به وقيل هذا وعظ ينتفع به المتقون
وان وعظ به الناس اجمعون كما قلنا ع قوله هدى للمتقين وقيل المتقون
ع هذه الامة اسم لهذه الامة اى موعظة لامة محمد عليه السلام سائر امم سلفت
لانهم اشركوا وان الله تعالى يقسمهم النار وقوله واذ قال

موسى لقومه اى واذكروا ايضا اذ قال موسى لقومه وهو اسلافكم يا بنى اسرائيل
ذلهم بذكر هذه القصة على جهل اوائلهم وتشديدهم على انفسهم واعراضهم
عن نبيهم وقوله ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة ليتبين بها امر القتيل
الذى كان وقع فيهم وقوله قالوا اتتخذنا هزوا هذا الالف
ظاهر الاستخبار وهو هنا الاستنكار وهزوا اى سخريا وهو
مصدر هنا اريد به المفعول به كما تقول هذا علم الله اى معلومه
والله رجاؤنا اى مرجونا ظنوا ان موسى عليه السلام يستهزئ بهم ويراعيهم
قالوا اتخبرك ان رجلا منا قتل فنقول لنا اذبحوا بقرة يحتمل ان موسى
امرهم بذبحها ولم يبين المراد والثمرة بها فلذلك وقع هذا القول منهم موقع
الهزاء ويحتمل ان يكون قال لهم اذبحوا بقرة فان امر القتيل يتبين لكم بان
تضربوه ببعضها فقالوا اتتخذنا هزوا لتجهلون ان يبين امر القتيل
بذلك وقال بعض العلماء كفروا بهذا القول اذ شكوا فى حرية نبيهم او شكوا
فى قدرة ربهم على احياء الميت ببعض البقرة وقال بعضهم كان ذلك هفوة
منهم وجهالة فقد انقادوا بالطاعة لذبحها وقال الامام ابو منصور هذا
على المجازاة كانهم قالوا اتجازينا بهذا منا من عصيانك وخلافك اذ لم يعلموا
انه من عند الله بامره وهذا على المجازاة جايز كما قلنا فى الاستهزاء والمخادعة والمكر
وهو كقول نوح النبى عليه السلام انا نسخر منكم كما تسخرون وقوله
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين بترك الاستهزاء عمل لا يتجنبه مثله من اتقى
الله وانه من عمل الجهال يعلموا انه جد وانه من عند الله ودل هذا الاستهزاء
بامر الدين كبيرة والله ضرب من الجهال وقوله قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هى اى سل لاجلنا ربك يبين لنا اى وقل له يبين لنا يبين لنا وهو جزم على
جواب الامر ما هى اى اى بقرة هى وليس سؤال جنس لانه قد بين لهم انها بقرة
لكنه سؤال عن سنها قال يعنى موسى انه يقول اى الله تعالى يقول انها بقرة لا فارض

اى لا كبيرة وقيل لا هرمة وقيل لا مسنة ومعناها واحد ولا بكر ولا فتية
لم تلد وقيل ولا صغيرة وقيل ولا شابة وقيل هى التى ولدت مرة
وقوله عوان بين ذلك اى نصف وقيل اى فوق البكر ودون
المسنة وتقال البهائم لا يعلم الحمرة اى النصف من السنا لا تعلم الاعتمار
فانها قد علمته وحربت عوان اى ليست باولى بل هى بانية او ثانية
والعوان من النسا الثيب والفعل من الفارض فرضت تفرض وفرضا
ومن العوان عونت تعونت تعونيا ولم يسمع من البكر فعل وانما لم يدخل
الهآء هذه الصفات للتانيث لانها من خصايص اوصاف الاناث
وصارت كالحايض والطالق ودفع هذه الصفات عند الحفش لكونها
وعند الزجاج ناضما رهى ع اوايلها وقوله بين ذلك اى بين
البكر والفارض ولم يقل بين ذينك على التثنية وبين بعض سنين لان
معناه بين ما ذكرنا فيتناظمها وقوله شعر لذعر كاولاد
القطارات خلفها على عاجرات النهض حمر حواصله اى حواصل
ما ذكرنا فلولاه لقال حواصلها وقال ابو عمرو قلت لرؤبة ع قوله شعر
فيها خطوط من سواد وبلق كانه ع الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط
فعل كانها وان اردت السواد والبلق فعل كانها فقال اردت كان
ذلك المذكور وقوله فافعلوا ما تومرون اى اذبحوا البقرة
التى تومرون بذبحها وهو للحال دون محض الاستقبال فانهم كانوا
امروا بها وهو قايم للحال وقوله قالوا ادع لنا ربك اى سله
بيّن لنا ما لونها استكشفوا المبهم بزيادة السوال وهو سوال
اللون فقال انه تقول انها بقرة صفرا هى الصفرة المعروفة التى هى بين السواد
والحمرة وقال ابن عباس وسعيد بن جبير كانت صفرا الكل حتى القرن
والظلف وقال مجاهد كانت اظلافها وقرناها من ذهب اذ كانها ذهب

من حسنها وصفا لونها وقال الحسن كانت سوداء شديدة السواد
والعرب قد تسمى السواد صفرة قال الاعشى شعر
تلك خيلى منه وتلك ركابى هن صفر اولادها كالزبيب وكذا قال
ع قوله تعالى كانه جمالات صفر اى سود والصحيح هو الاول لانه قال
فاقع لونها وهو صفة الاصفر على الخصوص واما الاسود فانه يقال فى مبالغة
اسود حالك وغربيب ويقال احمر قانى وابيض يقق واخضر ناضر واصفر
فاقع ولان الاصفر بمعنى الاسود يكون فى الابل خاصة لان سوادها تعلو
صفرة بخلاف البقرة وقوله فاقع لونها اى شديد يعلو صفرتها وقد يقع
فقوعا من حد صنع وقوله تسر الناظرين اى يروق هذه
البقرة من نظر اليها وتعجبه وتفرح قلبه لتمام خلقها ونضوج لونها وطافة
قرونها واظلافها والمسرة لذة القلب عند توقع النفع وقوله
قادع لنا ربك يبين لنا ما هى طلبوا اتمام الكشف ليبان الوصف بعد
السوال عن السن واللون وقوله ان البقر تشابه علينا البقر
جمع بقرة كنخل جمع نخلة والها للتوحيد والحذف لالة الجمع باسم
الجنس وتشابه بمعنى استبه وهى اراد به اشتبهت وحذفها ايضا جمع
ووحد وذكر على ظاهر اللفظ ويجوز التانيث على المعنى ع غير انها
القران فاما ع الالى فلا وجه للتغيير وقيل معناه ان جنس البقر يشابه
وقرى تشابه على الاستقبال وقد سقط احدى التاءين تخفيفا كما ع
قوله تكاد تميز وقرى تشابه لادغام احدى الحايين ع الاخرى وقوله
وانا ان شا الله لمهتدون اى انا بمشية الله نهتدى للبقرة التى امرنا
بذبحها اذا جمعت لنا اوصافها التى تميزها عن غيرها وقيل وانا ان شا الله
على الهدى ع استقصايا ع المسلة عن اوصاف البقرة اى انا نرجو انا لنا
على صلاله فيما نفعل من البحث والاستقصا وقيل اى وانا بمشية الله نهتدى

للعابد اذا امتثلنا الامر بذبح البقرة التي تصفها لنا وروى عن النبي صلى
انه قال لولا انهم استثنوا ما اطلعوا على قاتله وقوله قال انه
يقول انها بقرة لا ذلول اى قال موسى يقول الله تعالى هذه البقرة ليست
بمذللة ذللها العمل والذلول بتينه الذل بكسر الذال وهو خلاف
الصعوبة ورجل ذليل بين الذل والمذلة والذلة وهو ضد العز
وذللته اى لينته وقوله تثير الارض اى تكربها وتقلبها وقد
اثارها اثارة ولازمها اثار يثور ثورانا واثارة الارض سميت بها لتوارى
تراجعها ويقال ثار الدخان والتراب والغبار وثار القطر اى نهض
وثار الدم وجهه اى ظهر وثار الشفق ايضا وقوله ولا تسقى
الحرث اى الزرع اى لا تسقى عليها للحرث بالسواني ولم تلين باثارة
الارض وتقلبها للزراعة وقوله مسلمة اى سالمة من العيوب
كلها وقيل اى مسلمة عن العمل لانها وحشية ولو عمل عليها لم تحل من عيب بها
يعني ببراءتها من العمل اى بريئة من العيوب وقوله لا شية فيها
اى لا لون فيها يخالف لون جميع جلدها واشتقاقها من وشي الثوب
وهو استعمال الوان الغزل في نسجه وقال سهل بن عبد الله التستري
اى لا علامة فيها شبيهة بها وقد يرد بها فعله واصلها وشيه كالصفة والزنة
والعدة اصلها وصفه وزنه وعده قال الامام ابو منصور دلت الآية
ان البقرة كانت ذكرا لان اثارة الارض وسقي الحرث من عمل الثيران
وهو حجة لاصحابنا فيمن حلف لا يأكل لحم بقر او بقرة انه يحنث باكل لحم
الثور لان الله تعالى سمى الثور في هذه الآيات بقرة لما قلنا وصفه
بالاثارة والسقي وهما من عمل الثيران عرفا واما الكنايات الراجعة
اليها على التانيث فللفظها كما في قوله فقالت طائفة وقالت امة
وقال ابو يوسف اذا قال بقرة فهي للانثى خاصة فاذا قال ثور صلح للذكر

والانثى كالحمار والحمار وابو حنيفة ومحمد رحمهما الله يقولان لها للتوحيد
للتانيث كالحمام والحمامة وقال الامام ابو منصور الا ان يكون
اهل ذلك الزمان يحرثون بالاناث كما يحرث اهل هذه الزمان بالذكور فحينئذ
لا يكون فيه دليل لما ذكرنا وقوله قالوا الآن جئت بالحق
اى الان بينت لنا الصفة التي كنا نطلب بالصدق وقيل اى الان تحقق
لنا وصف هذه البقرة بسنها ولونها وصفتها وهي عند فلان عرفناها
فتشتريها منه وتذبحها ايتمارا لامر الله تعالى وقيل اى الان بينت لنا الكذب
جئت بالحق والجد وما كنت هازلا ومن قال كفروا نسبته الى الهزو
فعدا منوا بهذا الى الفساد والقبول والاعتقاد وقوله فذبحوها
وما كادوا يفعلون اى فعلوا ذلك بعد الاستفصاح حتى كادوا يقعوا اليأس
عن ذلك وقيل وما كادوا يفعلون خوفا على انفسهم ان يفتضحوا بظهور
القاتل وقيل وما كادوا يفعلون لغلاء ثمنها وقيل استقصوا في صفة
تلك البقرة والسؤال عن احوالها والاستقصاء في الشيء ربما يكون للممانعة
ثم ذكر في التفاسير المعروفة انهم لو ذبحوا اي بقرة كانت جاز لهم ذلك
فلما بحثوا عنها وسألوه مرارا كان استقصاؤهم سببا لتغليظ
الامر عليهم الى ان انتهى للامر الى بقرة بلغت الثمن الكثير اشتروها بملا
مسكها ذهبا وكاد يخرج الى ان لا يأتوا وهكذا روى انهم سددوا على انفسهم
فسدد الله عليهم قالوا وفيه دليل على امضاء الخطاب على العموم وعلى ان
للحكم تعلق باقل ما ينطلق عليه الاسم وعلى وجوب العمل بالظاهر وقد كرر
عليهم قوله فافعلوا ما تؤمرون اى دعوا البحث والتفتيش لكن الامام
ابا منصور قال استدل قوم بها على عموم الخطاب وقت السماع لانه امر
بذبح بقرة بين لهم كيفيتها وقت الخطاب وذوي لو عمدوا الى ادنى بقرة
لاجزأتهم لكن سددوا على انفسهم فشدد الله عليهم لكن هذا لا يصح لانه

اى استثنوا وما ذبحوها وما كادوا يفعلون

لانه دعوى على الله تعالى حدوث شئ فى امره وردا فى حكمه وذلك كفر لان قوله
سلم فضلا ان تقوله رسول فانه قال انه تقول انها كذا فان كان الاول
غير ذلك لكان قد بدا له فيما عم وفسر بما لم يكن اراد وذلك بمعنى البدا بل
بمعنى الرجوع عن الاول فيما اراد واو التغيير له بغيره وذلك مستحيل
العواقب تعالى الله عن ذلك ثم معنى سوالهم هذا عن موسى ان يدعو
ربه ليبين ما اراد بذلك انه جعل ذلك آية لهم فوقع عندهم ان ليس كل بقرة
يصلح للاثارة ولذلك لم يسالوا موسى عن لونها اذ الله تعالى هو الذى
يعلم الاثارة فكان الامر بالذبح فى الابتداء على ما ان اليه امرها وطن لكنهم
امروا بالسوال عنها ليصلوا الى المراد فيه لانه احدث لهم ذلك بالسوال
قال ثم وجه حكمة جعل البقرة الله دون غيرها من البهايم شيآن احدهما
ما روى ان رجلا كان بارا بوالديه محسنا اليهما وكانت له بقرة على ذلك
العضف والشبه فاراد الله تعالى ان يوصل اليه الدنيا جزاء ما كان منه
والثانى انهم قيل ذلك كانوا يعبدون البقرة والعجاجيل وحبب اليهم كما قال واشربوا
فى قلوبهم العجل ثم تابوا وعادوا الى عبادة الله تعالى وطاعته فاراد الله
ان يمحنهم بذبح ما حبب اليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة وانقلاع ما كان
منهم من قلوبهم وقيل كان بعض قرابتهم حسد البقرة فامروا بذبح البقرة
ليحصل التقرب لهم بما هو افضل عندهم ثم بين الله السبب الذى امروا
به بذبح البقرة بالاية التى بعدها وهو قوله واذ قتلتم نفسا اى واذكروا
ايضا اذ قتل بعضكم اسلافكم واضيف الفعل اليهم لرضاهم بفعل اوليك نفسا
هى عاميل بن براحيل وقوله فادارأتم فيها اى تدافعتم واختلفتم
فدفع كل واحد منكم القتل عن نفسه واحال على غيره وقد ورد ادرد اى دفع
قال تعالى ويدرأ عنها العذاب وداراه اى دفعه وتدارأ القوم اى تدافعوا
وادارأ واكدارك اصله فتدارأم ادغمت التاء الدال لانها من مخرجها فسكنت

١٦٠

لانه ابتدا بسالكن وقوله والله مخرج
ما كنتم تكتمون اى مظهر امر القتل بحقه وصدقه وقد ذكرنا وجوه الخروج
والاخراج فيما مر وقيل هذه الاية مقدمة المعنى اى واذكروا اذ
وقعت هذه الحادثة فيكم فسالتم موسى بيان امرها فقال ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة وتضربوه ببعضها فيحيى فيخبركم عن قتله فقلتم له اتتخذنا
هزوا الى اخرها والتقديم والتاخير فى الاخبار والتلاوة اذا لم يوقع الملك
والتناقض جايز الا ترى ان العدة باربعة اشهر وعشرا سمحه للعدة سببه
متاعا الى الحول غير اخراج بالناسخ مقدم فى التلاوة والمنسوخ موخر
وقيل هذا كان فى وقت كذا الله امر البقرة بليه لعلة التى علمها السلام
ان قوم موسى يسيئوا موسى الى الهزو واستقصوا فى السوال فسالت
الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا ما موروا بذبح البقرة فانزل
الله هذه الاية ودليل هذا ان الاول خطاب موسى قومه والثانى خطاب الله
اولاد العاملين بم احتج فى الاية الثانية ان الخطاب لاى قوم قيل هو
لبنى اسرايل الذى فى عصر موسى ومعنى قوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اى
من امر القاتل ليظهر البرئ من المجرم وقد ادارأوا فيها وظنوا انه يتكتم
فاظهر الله بامر بذبح البقرة وضربه ببعضها وقيل هو خطاب اهل عصر النبى
وكانوا يكتمون هذه القصة لما فيها من الشنعة والتعيب ووصف
موسى بالهزو والله تعالى اظهرها بانزال هذه الايات يدل عليه انه قال
ما كنتم تكتمون ولم يقل تجحدون فى قوله وقلنا اضربوه ببعضها
اى اضربوا المقتول وانما قال اضربوه على التذكير وان تقدم ذكر النفس
وهى مونثة سماعا وهو اعتبار المعنى فانه كان رجلا وانث فى قوله فادارأتم
فيها لانه صرف الكناية الى النفس وصرف احدى الكنايتين الى اللفظ والاخرى
الى المعنى كما فى قوله سرقهيل التى اذ حتل اهلكاهم وقيل قوله فادارأتم

فنهايرجع الى القتله التى تقتضيها قوله قتلتم وقوله
بعضها اى شئ من البقره المذبوحه واضلعوا فى ذلك البعض
قال ابن عباس وعكرمه هو الفخذ وقال الفراء خذها الايمن
وقال السدى هو البضعه التى تكون بين الكتفين وقال ابو العاليه
والربيع رأس هو عظم منها وقيل هو الذنب وقيل عجب الذنب
ومنه تركب الخلق ومنه يبدا يوم القيامه قاله معاذ بن جبل وهو
اول ما خلق منه وآخر ما يبلى وقيل اللسان وقال الامام ابو منصور
لا يعلم ذلك الا بالخبر عن الله تعالى لكن نقول بعضها بقدر ما فى الكتاب
هنا مضمر اى فاضربوه بعضها فاحياه الله ثم ان موسى امرهم بضربها
وما ضربه بنفسه نفيا للتهمه كيلا ينسب الى السحر او الحيله كما اتهموه
عند احيا العصا حتى قال فرعون انه لكبيركم الذى علمكم السحر وقالوا
سحران تظاهرا وقوله كذلك يحى الله الموتى كما احيا هذا المقتول
يحى الموتى يوم القيامه وقوله تعالى فى هذه السوره او كالذى مر على قريه
معطوف على هذا وانما جاز وان بعد لان القرآن كله كتاب واحد متصل
بعضه ببعض فصل المعانى مع تباعد الايات وهو كقوله ما لهذا الرسول
ياكل الطعام وجوابه وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
وقوله ص والقرآن ذى الذكر وجوابه ان ذلك لحق وقوله والفجر ولياليٍ
عشر وقوله ان ربك لبالمرصاد فان قالوا كانوا مقرين بالبعث فما معنى
الزامهم بقوله كذلك يحى الله الموتى قلنا كانوا مقرين قولا ومعاندين فنبههم
عليه عيانا وايقانا وهو كقول ابرهم بلى ولكن ليطمئن قلبى وقال ابو سهل
الطالقانى لم يرد به احيا النفوس فى هذه الايه بل اراد احيا ما اماتوا وكفروا
من نعت النبى عليه السلام والاحكام كالرجم ونحوه اى يطهر هذه كما اطهر
تلك فى قوله ويريكم اياته اى دلايله الاخر ولا تقترحوا على الرآه

هذه الايه لعلكم تعقلون لم يرد به البصر وانما قد كانوا كذلك لكن
معناه لتعقلوا ما يحق عليكم من امر دينكم اذا رايتم ايات الله فى احيا الموتى
ونحوه وقال القفال هذا كلام مبتدا اى ويريكم ايانه يا معشر
العرب فى محمد صلى الله عليه وسلم مما يخبركم به من علم الغيب الذى لا يجوز ان
يعرف الا بخبر عن الله لكن سهوا وتغفلوا ما يدعوكم الله به كفركم كل اعقد
هذا اى افهمه وقيل يجوز ان يكون معطوفا على ما سبق اى ويريكم
ايانه كما اراكم احيا القتيل ويجوز ان يكون معناه ويريكم جميع ايانه من
اول معجز موسى الى آخره من اليد البيضاء والعصا والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم وفلق البحر ونجاتهم من الغرق واغراق فرعون
وقومه وكونهم فى التيه ونزول المن والسلوى واحيا البعض بعد
احراقهم وقصته ما قال الكلبى ان بنى اسرائيل قتل فيهم
فى التوراه اذا هبطتم ارض مصر اتيكم المقدسة التى كتب الله لكم ميراثا
من ابيكم ابرهيم دمشق والاردن وفلسطين فاقمتم فيها ومن فيها هذا
فانظروا الى قتيل وجد بين القريتين لا يدرى من قتله فليقس الى اقربهما
فلتاخذوا اهل تلك القريه به فان علموا قاتله قتلوه به وان لم يعلموا
وان اخذوا خمسين نفسا من شيوخ اهل القريه ثم ياخذون بقره حمرا
حوليه فتطلقون بها الى واد يريحون فيها ثم يضع الشيوخ
الخمسون ايديهم عليها فيحلفون بالله رب السما القرى الذى بنى اسرائيل
ما قتلناه وما علمنا له قاتلا ثم ان حلفوا يدفع دمه واخذوا بديته
فعمد رجلان اخوان من بنى اسرائيل الى ابن عم لهما اسمه عاميل فقتلاه ليرثا
ماله وكانت بنت عم لهما شابه جميله مثلاه بنى اسرائيل فخافا ان يتكحها
ابن عمهما فلذلك قتلاه ثم حملاه فالقياه الى جانب قريه فاصبح اهل
القريه والقتيل بينهم لا يدرون من قتله فاخذوا اهل القريه فلما عمى

عليهم شأنه ومن قتله قالوا لموسى ادع الله ان يطلعنا على قاتله ودعا
موسى فلما رجعوا قالوا يا موسى عاد احاك ربك قال لهم ان الله يأمركم
ان تذبحوا بقرة فتضربوا الميت بعضها فيعيش ويخبركم بمن قتله فطفقوا
ان موسى عليه السلام يستهزئ بهم فقالوا اتتخذنا هزوا وذكر سوالاتهم
وجوابه لهم على ما مر في تفسير هذه الايات الى ان قال وطلبوا البقرة على
هذه الصفة حتى وجدوها عند رجل ليست عنده غيرها بقيمتها بقرتين
لا باية فهو يبيعها كولده فلما سالوه ان يبعها اياهم دفعوا له الثمن حتى عطاهم
ملأ مسكها ذهبا فباعها منهم وكانوا امروا ان يضربوه بعضها بعد ان يذبحوها
فعلوا فحيي وجلس واوداجه يسيل دما وقال قتلني ابن عمي فاخذ وقتلا
ولم يعطيا من ميراثه شيأ وفي الخبر لم يورث قاتل بعد صاحب البقرة وقال
ابن عباس كان في بني اسرائيل رجل صالح له ابن وله عجلة فاتى بالعجلة الى غيضة
فقال اللهم استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل فلبثت العجلة
في الغيضة حتى كبر الصبي وكبرت العجلة فصارت عوانا وكانت تهرب من كل
من رآها فلما كبر الصبي اتاها ومعه حبل فمازعت له ومكنته من نفسها
وكانت احسن البقر واسمنها فاتاها امه فلما قال لهم موسى ان الله يأمركم
ان تذبحوا بقرة وذكر القصة على ترتيب هذه الايات قال وعرفوا انها البقرة
اليتيم قالوا الان جئت بالحق فساوموا بها اليتيم فقالت له امها لا تبعها حتى
تشاورني فلم يزالوا يزيدونه حتى رضوا بان يستردها بملأ مسكها ذهبا
وقال الذي طلبوا البقرة فلم يجدوها الا عند غلام من علمان بني اسرائيل
كان بارا بابيه وكان من بره ان انسانا اتاه بلؤلؤ فابتاعه الغلام بخمسين
الفا وكان في اللؤلؤ فضل فقال له الغلام ان ابي نام ومفتاح الصندوق
عند راسه فانتظر حتى يستيقظ فاعطيك الثمن قال فانتظر اباك واعطني
المال قال ما كنت لافعل ولكني ازيدك عشرة الاف فانتظرني حتى يستيقظ

ابي فقال الرجل وانا احط عنك عشرة الاف على ان توقظ اباك فقال
الغلام وانا ازيدك عشرين الفا على ان تنتظر فلم يزالا يزيد الغلام
ويحط صاحب اللؤلؤ فلم يوقظ الغلام اباه فاعقبه الله بيره ان جعل
ملك الموت عنده فاتوه فقالوا بعناها فقال لا فاعطوه بها بقرتين فابى حتى
اعطوه سبع بقرات فاتوا موسى فقالوا ادع لنا صفر هذه البقرة عند
غلام من بني اسرائيل وبعث اليه موسى وقال بعتهم فقال الغلام انا حزتها
يا موسى غصبا قال لا قال متى عالي ابعها بما شئت قال موسى صدق
فاوصوه ثم قال له ما دا تسال قال لا اسعها الا بملأ مسكها ذهبا فلم
يجدوا بدا فاعطوه فاخذوا البقرة فحاوا بها الى موسى فذبحوها
وقال سعيد بن جبير ان اصحاب البقرة طلبوها اربعين سنة وقال
عكرمة وجدوها عند رجل فقال ابيعها بمائة دينار فابوا فرجعوا
الى موسى فقال هو اعلم ان شابا عنها وان شاء لم يبعها فعادوا
الى الرجل فقالوا اخذناها بمائة دينار فقال لا انقصها من مائتي
دينار فلم يزالوا يعودون الى موسى والى صاحب البقرة فيضعف عليهم
الثمن حتى قال لست ابعها الا بملأ مسكها ذهبا فاخذوها به وقال السدي
كان في بني اسرائيل فتى يتيم في حجر عمه فلما بلغ الفتى قال يا عم ان كفء ابنتك فاتى عليه
فقال الفتى والله لا اسئل عمي ولا ارث ماله ولا انكح ابنته ولاخذن في بيته
فقال له عمه ان لي حاجة في سبط من اسباط بني اسرائيل فانطلق بعمه حتى
اذا دخل به وجاه بخبر كان اعد لقتله فلما اصبح جعل يبكي على عمه
فطاف بالاسباط التي ليس فيها عمه عمدا وقال انكم قتلتموه فذهبوا
الى موسى وعرض عليهم الدية فلم يقبلوا فقالوا انهم لم يقتلوه فاوحى الله تعالى
الى موسى ان امرهم ان يذبحوا بقرة وعن ابن سيرين ان رجلا كان له ذو قرابة
هو وارثه فقتله ليرثه ثم ذهب به فالقاه على باب قوم اخرين فاصبح

قتله؟

يطلب بدمه فهموا ان يقتلوا حتى لبس الفرقان السلاح فقال رجل منهم اتقتلون
وفيكم نبي الله موسى فكف بعضهم ببعض انطلقوا الى موسى فذكروا له ذلك
فذكروا القصة وقال العشيري في قوله لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك
اشاره الى الذي يصلح لهذه الطريقة من لم يستحكم قوة نزق الشباب وسكره
ولم يطله عجز المشيب وضعفه بل هو صاحي استغلق من سكره وبقي
له بعد نضارة من عمره وقال بعض اهل المعرفة في قوله لا شية
فيها هذا تنبيه على ان امدح الاحوال للعبد ان يكون هم الله على لونه واحد
لا يتشتت عليه هموم الدنيا قال النبي عليه السلام من جعل همومه هما واحدا
وهو هم المعاد كفاه الله جميع همومه ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله
في اي اوديته هلك وسمع بعض العقرا قايلة تقول كل يوم تتلون عمر هذا
بك احسن فوضع يستمع اليها ويشهق ويقول هكذا حالتي مع الله فلم
نزل هكذا حتى شهق سهقة كان حتفه فيها وقال بعض اهل المعرفة
في قوله وقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى انما جعل الله احيا المقتول
في ذبح البقرة تنبيها لعبده ان من اراد منهم احيا قلبه لم يتات له الا باماتة
نفسه عما تهواه بانواع الرياضات احيا الله قلبه بانوار المشاهدات
وقوله ثم قست قلوبكم اي غلظت واشتدت وقد قسا
يقسو قسوة مهموز قاس وقسي قال تعالى قاسية قلوبهم وقرى قسية
وحجر قاس اي صلب القية الليل البارد والمقساه معالجة بشدة
وقوله من بعد ذلك قال ابن عباس وقتاده اي من بعد احيا القتيل وهو خطاب
لقاتليه اي حيي القتيل فاخبر ان ابن عمه قتله فانكر امع ظهور هذه
الايه العظيمه وقيل بل معناه ثم قست قلوبكم من بعد احيا الميت عن الانقياد
للحق ولم تزدجروا بهذه اهل حسد وعناد لا انتم لا تقتلون وعظا وقيل
بل معناه وقست قلوبكم بعد احيا هذا القتيل وغيره من الاموات فلم تخلوا من عباد

واعتراض على موسى عليه السلام في اتيته وغير ذلك وهذا كله راجع الى اسلافهم
وقيل هذا خطاب اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من الاخبار التي غلظت
قلوبكم بعد ما جاءكم من الايات والعقوبات على الخطايا في المواثيق المأخوذة
عليهم فطغيتم مع ما عندكم من العلم بالايات التي تلين عندها القلوب وصف
المؤمنين بذلك وقال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم
تلين جلودهم وقلوبهم وقوله فهي كالحجارة او اي هذه القلوب
مثل الحجارة فهي جمع الحجر في الشدة والغلظ وقوله او اشد
قسوة ذكرنا عند نظيرها وكصيب وعلى وجوه كثيرة وسنتكلم هنا على احدها
على احد منها احدها انها بمعنى الواو ومنها انها بمعنى بل ومنها انها للتخيير اي
ان شئتم فاجعلوها كالحجارة فهي مثلها وان شئتم فاجعلوها اشد منها
فانها كذلك كما قال الحسن وابن سيرين انه للتخيير ومنها انها على ابهام
الامر على العباد وان كان الله جل وعز عالما بذلك كقول الرجل لاخر
اكلت خبزا ولحما اذا اردت ان تخبره انك اكلت احد هذين الشيئين
لا تالث غيرهما وان صحت الحجة عليه اذا لم يكن يدري حاجته الى التعيين او لم ترد
تعيينه له ومنها انه كقولك ما اكلت الا حلوا او حامضا اي طعامي الا خرج
عن هذين لك يتردد عليهما ومعناه ان قلوبكم عندكم اما كالحجارة او اشد قسوة
منها وليس فيها ما خرج عن هذين فتكون اين من الحجارة وحقيقته ان هؤلاء عند
من عرف شانهم منكم على هذه الصورة او اشد منها فاما عند الله فهو كاحدها
بعينه لا شك فيه وانتم لتقارب الامرين تشكون فيه وكذا قوله الى ماء الواو
يزيدون وقوله وكان باب قوسين او ادنى وقيل هذا في فريقين
اي بعضكم كذا وبعضكم كذا وقيل هذا تاسيس التقرير في القلوب قيدا
بما يعرفونه في نهاية الشدة فشبهها بالحجارة ثم بين كمال قسوتها انها اقسى
منها وقد سدا في الاحجار بالرد الى ما على وهو واقع بالقلب قال تعالى

الدرس غلظت يوم بعد ظلم الايات

المن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف ثم قال بمدكم ربكم بخمسة الاف وقال على اللام
لاصحابه انى لارجو ان تكونوا ثلث اهل الجنة ثلثى وانى لارجو
ان يكونوا نصف اهل الجنة ثلثى وانى لارجو ان يكونوا ثلثى اهل الجنة
وقوله اواشد مرفوع لانه معطوف على معنى الكاف فى قوله كالحجارة
فان معناه مثل الحجارة وقسوة نصب على التفسير كقولك هو احسن الناس
خلقا واتمهم رفقا وقال الامام ابو منصور رضى الله عنه شبهها
بالحجارة لقساوتها وشدتها وانها اشد قسوة من الحجارة وذلك ان من الحجارة
مع صلابتها وشدتها مع فقد اسباب الفهم والعقل عنها وزوال الخطاب
منها لخضع لله تعالى وتتصدع قال تعالى لو انزلنا هذا القرآن
الآية وقال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وقلب الكافر مع وجود الاسباب
بالفهم والعقل وسعة هيأة القبول لا يخضع له ولا يلين وكذلك اخبر الله
تعالى عن الجبال انها تلين وتخضع لهول ذلك اليوم بقوله ويكون الجبال
كالعهن المنفوش وقلب الكافر لا يلين ابدا او يقال ان الله تعالى جعل
من الجبال منافع الخلق مع صلابتها وشدتها حتى تنفجر منها الانهار
والمياه وقلب الكافر مع احتمال ذلك وامكانه لا منفعة منه لاحد من وجه
حكمة ضرب قلوبهم مثلا بالحجارة وشبهها بها دون غيرها من الاشياء
الصلبة من الحديد والصفر وغيرهما وذلك والله اعلم ان الحديد
تلينه النار وكذا الصفر حتى يصير منها الاوانى والحلى لا يلينه نار ولا شئ
فلذلك شبه قلب الكافر بها قال وهذا والله اعلم فى قوم علم الله انهم
لا يؤمنون بها وقوله وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اللام
فى لما للتاكيد وما خبر ان وهو مرفوع ومعناه الذى اى الحجر الذى يتفجر منه
والهاء يرجع الى ما لا الى الحجارة وقيل يرجع الى من فى قوله من الحجارة لانه
للتبعيض ومعناه وان بعض الحجارة وعلى هذا يكون ما صلة زايدة كما فى قوله

مما رحمة من الله لنت لهم وعما قليل فما نقضهم وتقديره ان بعض الحجارة
ليتفجر منه الانهار اى واسعا كثيرا والانهار جمع نهر ومعناه مجرى الواسع
من مجارى الماء وقيل هذا على العموم فى جميع الاحجار العظام التى تخرج منها
الانهار والاودية وقيل هو على الخصوص وهو حجر موسى عليه السلام الذى
كان ضربه موسى بعصاه فينفجر منه اثنى عشرة عينا لاثنى عشر سبطا
وقوله وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء اى تتصدع فيخرج
منه الماء القليل ويشقق اصله تتشقق ادغمت التاء فى الشين كما فى قوله
والمدثر وتذكرة وبصدعون ولهذا وجهان كما فى الاول ما بمعنى الذى ومنه
يرجع اليه ومن بمعنى بعض وما زايدة وقيل هذا على العموم فى كل حجر يتشقق
فيخرج منه ماء دون النهر وقيل هو على الخصوص فى قصة داود عليه السلام
باجبال اوتى معه وقوله وان منها لما يهبط من خشية الله
وما وجهان كما مر والهبوط النزول والخشية الخوف من العلم وهذا
على العموم فى كل الاحجار عند بعضهم وهى الاحجار التى تحط من رؤس الجبال
من خوف ذى الجلال وقيل هذا على الخصوص فى جبل موسى عليه السلام
الذى تجلى الرب له جل جلاله فجعله دكا وقرر بهذا ان قلب الكافر اقسى
من الحجارة التى لها هذه الآثار فان قالوا وصف الله تعالى الاحجار بالخشية
وهى لا توجد الا من عاقل ممتنز فلنا عنه اجوبة احدها ان معناه والله اعلم
وان من الحجارة لما يتردى من العلو الى السفل منقادا لحكم الله تعالى وهو
مصروف على العناد وترك الانقياد فجعل الهبوط مثلا الانقياد كما
تقال نزلت على حكم فلان فى قوله من خشية الله اى الانقياد
لامر الله والكون على ما يخترعه وهو شبيه بما يفعله من يخشى الله على معنى
انه لو وجد منه من العاقل المختار كان به خاشيا لله تعالى وهو كقوله
جدارا يريد ان ينقض اى ظهر فيه من امارات السقوط ما لو ظهر مثله فى حى

يختار كان مريدا والثاني ان المراد به الاحوال التي تحدث من الرازل
والايات التي يخشى الله عندها اي ومن المحال ما ينزل ويتراءى
بعضه من بعض من اجل ما ينزل الله به من خشيته عباده له ورجوعهم
اليه والثالث انه لو اريد به خشية الخشية منها فهو على ان يخلق
الله تعالى فيها الحيوة والتمييز وليس شرط خلق الحيوة والتمييز
في الجسم على بنية مخصوصة عند اهل السنة والجماعة وعلى هذا
قوله تعالى ولو انزلنا هذا القران على جبل لابنه وعلى هذا انطاق جلود
الكفار يوم القيامة وحنين الجذع وتسليم الاحجار على رسول الله
وتسبيح الحصى في كفه وكلام الشاة المسمومة ومجيء الشجرتين الى
رسول الله حتى تستترا بهما وقضاء حاجته ثم رجوعهما الى مكانهما وقوله
يومئذ تحدث اخبارها ونحو ذلك وقوله وما الله بغافل
عما يعملون قرأ ابن كثير بالياء على المغايبة رجوعا اليها من المخاطبة كما
في قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة والباقون على
المخاطبة كما في اول الاية وهذا ابلغ وعيد اي لا يخفى على الله شيء من اعمالكم فيجازيكم
بها وقوله افتطمعون ان يؤمنوا لكم واستئنامه بما قبله ان
النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة لما سمعوا هذه الايات وهي في مخاطبة
اليهود وطمعوا ان يؤثر ذلك في قلوبهم ليؤمنوا وقال الله تعالى افترجون
وهذا استفهام بمعنى النهي اي لا ترجوا وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه ثم هؤلاء التابعين فلن يهم ان يصدقوكم وامر اي صدقة
وقوله تعالى فامن له لوط وقال في مواضع اخر يقول لا تطمعوا منهم
ان يصدقوكم لما جاء به محمد وقيل هو خطاب للنبي عليه السلام على الخصوص
بكلمة الجمع تعظيما له كما قال الله تعالى قادرون كان من قوم موسى وبغى عليهم فعلى
اي عليه وانما جمع للتعظيم ثم هذا بيان من ايمانهم وهم قوم ماعيانهم كما في

قوله الا اندر تتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ثم بين بعد الطمع عدم ذلك بعده وقوله
وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله اي وهؤلاء اولاد قوم سمعوا
كلام الله وهم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات وقد
ذكر الكلبي انهم سألوا موسى ان يسأل الله تعالى ان يسمعهم كلامه وقال لهم اغتسلوا
والبسوا الثياب النظيفة ففعلوا فاسمعهم الله تعالى كلامه فقال اني
انا ربكم لا اله الا انا الحي القيوم وزاد الضحاك في هذا الله قال اوصيكم
ببر الوالدين وان لا تشركوا ولا تزنوا ولا تظلم بعضكم بعضا ولا تطيعوا
السبل ولا يشهد بعضكم على بعض وزاد الكلبي الصحيح انهم لم سمعوا كلام
الله تلا واسطة فان ذلك كان لموسى عليه السلام على الخصوص لم يشركه فيه
غيره في الدنيا ومعنى يسمعون كلام الله اي التوراة من موسى بقراءته كما في قوله
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقوله
ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون التحريف التغيير والانحراف الميل
والتحرف كذلك قال تعالى متحرفا لقتال وكل محرف مائل الراس فتحريف الكلام
اماله عن وجهه واما تغييره فقد قال مجاهد والسدي اي يحرفون
التوراة وقال محمد بن اسحق والربيع اي الوحي الذي سمعوه من موسى بعد
ما عقلوا تاويله وعرفوه وفهموه وقيل هو تحريف احكام الكتاب فانهم كانوا
يفتون المستفتين من العوام بما في الكتاب فاذا استفتاهم الغني اخروا اجله
الرشوة وغيروا احكام الكتاب على وفق هوى الغني كما عيروا اية الرجم
تخفيفا على الاغنياء لاخذ الرشوة يقول كيف تؤمن هؤلاء وهم يفعلون
اولئك الاباء وقال الامام ابو منصور من بعد ما عقلوه الله من عند الله
وهم يعلمون انه رسول الله وانه حق وقال بعض الايمة انهم مع كثرة ما عاينوا
من الايات وشاهدوا من العجايب في عهد موسى لم يطمع هو في ايمانهم فكيف
طمعتم انتم في ايمان هؤلاء وهم ابناء عهم وقيل معناه كيف يرجى ايمان هؤلاء

وفريق من هؤلا سمعوا القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم حرفوا ويله
من بعد ما عقلوه وقال القفال يحرفونه اى يتأولونه على غير تأويله وهم
به عن جهة من بعد ما عقلوا تأويله عن الله وهم يعلمون انهم يحرفونه باطلا
وسعودونه حسدا وبغيا ويعلمون انه يورث الوزر والعقوبة
وليس قوله عقلوه وقوله يعلمون شيأ واحدا وقال القشيرى
البسهم عرفوا بما هم وذكرانهم بعد سماع الخطاب من الله حرفوه وقد
عقلوه وقد عرفوه وكيف يؤمنون لكم وانما سمعوا بواسطة الرسالة
ومن لم يثق على الايمان بعد العيان فكيف يوثق بالبرهان والذى لم يصلح
للحق ان يصلح لكم ومن لم يخشى من الله كيف يخشى منكم وقوله
واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا اى واذا لقى المنافقون وهم الذين
كانوا من اهل الكتاب وامنوا بلسانهم خوفا من القتل والسبى وهم يضمرون
الكفر اذا لقوا المؤمنين المخلصين من اصحاب رسول الله قالوا امنا اى نحن
مثلكم مؤمنون مخلصون واذا خلا بعضهم الى بعض اى صار واحدا الخلوة مع
رؤسائهم كعب بن اشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهود اقالوا اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم اى قال هؤلا الرؤساء لليهود لهؤلا المنافقين اتحدثونهم هو
استفهام بمعنى النهى اى لا تحدثوا العرب الذى فتح الله عليكم وهو ما فى التوراة
من نعت النبى صلى الله عليه وسلم وحقيقة رسالته ودينه وكتابه وهذا كما فى
قوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض
اى لانزلنا وقال ابن عباس وابو العالية والحسن وقتادة بما فتح الله عليكم
من باب العلم بصفة النبى عم المبشر به وقيل اى بما علمكم الله تعالى وذلك
وهو من قولك استفتحته فتح اى سألته تعليمى وقال افتح على اورى
اى عرفنى وحمه وطريقه وقيل بما فتح الله عليكم اى اوجب عليكم وحكم عليكم
من اخذ الميثاق فى كتبكم بحاكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه

وهو من قولهم للحاكم فتاح وقال تعالى حبذا ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق اى احكم وقال مجاهد اى بما حكم عليكم بما جعل منكم القردة والخنازير
ليقروا له عندهم بصفة محمد فوا تحادكم وعنادكم وقيل بما فتح الله عليكم اى
لنصركم حين استفتحتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فى مغازيكم اى استنصرتم به
وقوبة ليحاجوكم به عند ربكم قال ابن عباس كان المنافقون
يحدثون العرب بما عدبوا به فيقول لهم رؤساهم اتحدثونهم بما فتح الله
عليكم من العذاب ليحاجوكم عند ربكم ليقولوا نحن اكرم الى الله منكم واحب
اليه منكم وقال مقاتل بن سليمان نزلت فى اليهود وذلك ان الرجل المسلم
كان يرى من اليهود رضيعه او حليفه فيسأله اتجدون محمدا فى كتابكم
فيقولون نعم هو حق نعرفه كما نعرف ابنا سمع كعب بن اسد فى مالك بن الضيف واصحابها
وقال لليهود فى الرابحدثون اصحاب محمد بما فتح الله عليكم من نعت محمد ليحاجوكم
به عند ربكم باعترافكم بانه نبى ثم لا تتابعونه ثم قوله عند ربكم قيل اى فى الآخرة
وهو كقوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وقيل اى يكون لهم عليكم
حجة عند الله فى الدنيا والآخرة وقال الحسن عند ربكم اى فى دينكم اى فيكونوا
هم اولى به منكم اذا قامت حجتهم عليكم وقيل عند ربكم اى فى حكم ربكم وهو كقوله
فاولئك عند الله هم الكاذبون وقوله ان عدة الشهور عند الله اى فى حكم الله
عليكم باقرارهم ان الله حكم عليكم من الميثاق الذى يتلى فى قوله ليؤمنن به
ولتنصرنه وقيل فى الآية تقديم وتأخير وتقديره اتحدثونهم بما فتح الله
عليكم اى بما نزل عليكم من عند ربكم ليحاجوكم به وقوله افلا تعقلون
هو متصل بكلامهم ايضا اى افلا تعقلون انكم ان فعلتم ذلك عادت الحجة عليكم
وفيه عيب عليكم وعيب شعلكم وقال الحسن هذا متصل بقوله افتطمعون فى ايمان من
هذا صفته افلا تعقلون انه لا يكون وقوله او لا يعلمون اى هؤلا
المنافقون او هؤلا اليهود ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اى ما يخفون

فما اخذ عليكم

وما يظهرون من القول والعمل وقيل ما يسرون من الاعتقاد وما يعلنون من
الاقرار وقيل ما يسرون من الحق ولموت محمد ﷺ وما يعلنون من الكذب
والباطل وقيل ما يسرون من النفاق وما يعلنون من الشهادة باللسان
وقيل ما يسرون من قولهم المحدثوهم بما فتح الله عليكم وما يعلنون من
قولهم هو بنى حق وهو كما تقدم ذكره وقوله اولا استفهام بمعنى النفى
وصح تعجيب للصحابة منهم اى الا يتعجبون من عنودهم وانكارهم نعت محمد
فى كتبهم ويعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وجوز ان تكون نوا
لا يعلمون لكن وتكرير قوله اولا يعلمون حريصا على تعرف ما يفيدهم العلم
كقولك للرجل الا تنتفع كذا وهو لا تفعله تحرصه على ان يفعله والاسرار
الاخفاء والاستسرار الاختفاء والاعلان الاظهار والعلانية والاستعلان
الظهور والعلن نقيض السر وقوله ومنهم اميون لا يعلمون اى
ومن اليهود اميون اى قوم لا يكتبون ولا يقرأون من كتاب سمى الامى به
لانه على الحالة التى ولدته الام عليها وهى عدم الكتابة والقراءة من الكتاب
وقيل هو منسوب الى الام والام النساء فالغالب فيهن عدم الكتابة
والقراءة منها وقيل منسوب الى الام الذى هو الاصل والاصل هذا ايضا
فان الكتابة تكون بالتعلم لا بالخلقة وقيل منسوب الى الامة وهى جهلة
العامة والاصل فيهم هذا ايضا فاما سميت العرب امية فلان الاصل فيهم
عدم الكتابة وهى فى بعضهم نادرة ولانهم من ام القرى وهى مكة والنبى عليه السلام
سمى اميا لانه من العرب لانه من ام القرى ولانه كان لا يكتب ولا يقرأ من كتاب
وعلى هذه الصفة ليست بمدح ولا ذم لذاته وهى فى حقه كانت لذاته صحة دعواه
كما قال الله تعالى فى هذه الاية اذ ارتاب المبطلون اى ظنوا انه ناحذها
من كتاب يكتبه وفى هذه الاية ومنهم اميون هذا ذم لهم لعدم العلم وتقليدهم
فيه وسائر فى الباطل وقوله لا يعلمون الكتاب الا اماني هى جمع امنية كالاثافى

وويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وهذا حق
لنفسه وهو مره وقال هما حق مضى حق بيته بلعاد هو كقوله
حق من آله بالفقر لعنوا بما قالوا وهذا مره وقال حق من عار عايشى
لعنوا فى الدنيا والاخرة والثانى ان الاول هو اخذ الجزية وهو المذلة
فى الدنيا والثانى هو عذاب القبر والثالث هو عذاب النار وهو لقوله
اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى اى فى الدنيا والقبر والموقف والجحيم
وقيل الويل الاول فى هو بقولهم هذا من عند الله والثانى بالتحريف الثالث
فى اجتلاب حطام الدنيا به وقوله وقالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودة اى وقال هو لاحبار اوعدوا بالتحريف والكسب الخبيث
لن اولاد الانبياء ولن نعذب يوم القيامة الا مدة يسيرة قال ابن عباس
والضحاك وعكرمة وقتادة والسدى هى اربعون يوما وهى مدة عبادة
موسى عنهم وعبادتهم العجل فيها وعن ابن عباس فى رواية هى اربعون سنة
وهى المدة التى حلفوا فيها فى الشبه وقال مجاهد والحسن هى سبعة
ايام وهى فى قصة نزول الاية فان النبى صلى الله عليه وسلم دخل المدينة
فوجد اليهود يقولون ان ايام الدنيا سبعة الاف سنة فنعذب
بعدد كل الف سنة يوما فنزلت الاية ردا عليهم وقال الامام ابو منصور
لا معنى لصرف هذه الايام الى ايام عبادة العجل لان هؤلاء لم يعبدوا العجل
وانما عبدا باؤهم ولو صرف ذلك الى اباهم الذين عبدوا العجل لم يحتمل
ايضا لانهم قد تابوا عن ذلك فقد قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف فتصرف الايام المعدودة الى العمر الذى عصوا فيه
وهم لم يروا التعذيب الا على قدر وقت العصيان وكانوا لا يرون التخليد
فى النار اولانهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه فلا نعذب الا بمثل
تعذيب الاب ابنه او الحبيب حبيبه فى وقت قليل ثم نرضى هذا

منهم باطل وعقوبة الكفر ابدا وثواب الايمان كذلك لان من اعتقد دينا
انما يعتقده الابد فعلى ذلك جزاوه الابد فاما من ارتكب دنيا من المسلمين
لشهوة تغلبه فتركبه ثم تركه فانما يعاقب اذا عوقب على قدر ما ارتكب وقد
لانه لم يرتكبه الابد فلذلك افترقا وقوله معدودة هو للقليل
لان ما دخل في العد قليل قال تعالى وشروه بثمن بخس
دراهم معدودة وفي سورة ال عمران ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات فاليوم مذكر فاذا جمع صار مونثا فقال بعدودة ثم جمع الجمع
على معدودات وهو كقوله تعالى له معقبات وهذا من صفات الملايكة ملك
معقب وملايكة معقبة فجمع بالهاء معقبات جمع الجمع وقوله
قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده اي قل يا محمد لهم اتخذتم هذه
الف الاستفهام بمعنى التوبيخ والالف المختلسة ذهبت بالادراج وهذه
الالف المقطوعة الف الاستفهام وهو كقوله اصطفى البنات على البنين ومعناه
اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده هذا قول قتادة وقيل معناه هل قلتم لا اله الا الله فلن يخلف الله
وعده وقيل من قال ذلك فالعهد بمعنى الوعد قال تعالى ومنهم من عاهد الله
ثم قال اخلفوا الله ما وعدوه قال ابن عباس والضحاك معناه هل امنتم بالله
وقد بينا وجوه العهد لغة وشرعا في قوله الذين ينقضون عهد الله من غير
ميثاقه وقال الامام ابو منصور لهذا وجهان احدهما هل عندكم خبر
عن الله تعالى انكم لا تعذبون الا لكن اياما معدودة فان كان لكم هذا
فهو لا يخلف وعده والثاني اي الكم عند الله اعمال صالحة وعدكم بها الجنة
فهو لا يخلف وعده وقوله ام تقولون على الله ما لا تعلمون
اي بل تقولون كاذبين على الله ما لا علم لكم به وقال علي رضه خاصمت
اليهود رسول الله عليه اللام فقالوا لن تدخل النار الا اربعين ليلة

وسيخلفنا اليها قوم اخرون يعنون النبي عليه اللام واصحابه
فقال النبي عليه اللام بل انتم فيها خالدون ولا يخلفكم اليها احد وانزل
الله تعالى هذه الاية وقال الربيع ابن انس ان اليهود قالوا ان الله
عتب علينا في امر فاقسم ليعذبنا اربعين ليلة وقال السدي قالت
اليهود ان الله يدخلنا النار فيمكث فيها اربعين ليلة حتى اذا اكلت النار
خطايانا نادى منادي ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرائيل لذلك امرنا
ان نختتن فلا يدعون في النار احدا منا الا اخرجوه منها وقوله
بلى من كسب قال الفراء بلى اصله بل وهو رد لما قبله واثبات لما بعده وذكر
على وجه العطف تقال ما قام زيد بل عمرو وما ذكر في الجواب على وجه
الافراد زادوا عليه الياء ليصح الوقف عليها وقوله من كسب سيئة قال
ابن السكيت وهو فيعل من الستو واصله سيوئ جعلت الواو ياء للياء التي
قبلها كما في السيد والجيد وهو العمل الفاسد ولذلك ذكر في مقابلته العمل الصالح
من الاعمال التي يليها على هذا يكون على قصد اراده الفعل او الخصلة او نحوها وقال
الحسن وقتادة السيئة هي الكبيرة التي اوعد الله عليها النار والهاء للتوحيد
على هذين القولين وقال الكسائي السيئة الذنوب التي اوعد الله عليها النار
وعلى هذا يكون الها للجمع وقوله واحاطت به خطيئته اي اطافت
به من كل وجه وقال القفال كل ذنب خطا وخطيئة لا تليق بصواب
احاطة بالعبد ان يكون دينا احبط ثواب كل اعماله وليس ذلك الا الشرك ويجوز
ان يكون معناه من كسب سيئة واحاط به ذلك اي اقام عليه حتى مات ويجوز
ان يكون معنى احاط به خطيئته اي اهلكته واستمكنت عليه فلا تخلص
منها من قوله ما احيط بثمره وقوله وظنوا انهم احيط بهم وقوله واخرى
لم تقدروا عليها قد احاط الله بها اي قد حصرها لكم واجبسها عليكم بحيث
لا خروج لها عن الله كم متى قصدتم الاستيلاء عليها ويجوز ان يكون المعنى

احاطت به خطيته اى استولت عليه وغلبته فلم تبق لغيرها عليه حكم
والاصح فيها للخوارج والمعتزلة والخليد صاحب الكبائر والنار احد اطباقها
فالسيئة اسم للعمل السيئ والخطيئة اسم للدنب لانا قلنا ان السيئة هى الشرك
قال تعالى من جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار وعن ابن عباس والكلبى ومقاتل
وجماعة ان معناه من كسب شركا واحاطت به خطيته اى مات على شركه
على ان ظاهر الاية هو الجحد القاطع لما قاله فالمحيط بالخطيئة هو ان
يكون المستولى عليه هو الخطيئة لا غير وهو ان لا يكون له شئ غير الدنب ومن
كان من مذهبه ان اعظم الطاعات فلا يكون الدنب محيطا به وقد ان نافع خليفة
لان الاحاطة لا يكون لشئ واحد وانما يكون لاشياء ومن فسر السيئة بالشرك
والخطيئة بالكبائر فليس احتمالهما شرط التخليد فى النار بل بالشرك وحده
ينتفى ذلك لكن الاية رد على اليهود الذين قالوا ما قالوا فقال الله تعالى
بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيته اى لستم كما ظننتم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة بلى من كان مسلما خلد فى النار وكانوا مشركين مرتكبى
كبائر فذكرهما يقتضاه ان الكفر وحده مما يوجب الخلود فى النار فكيف
اذا اجتمع اليه الفسق بارتكاب الكبائر وقوله تأويل اصحاب
النار هم فيها خالدون جمع هذا وهو راجع الى قوله من كسب وهو واحد
لان معناه الجمع وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون لما اوعد الكفار بالنار وعد المؤمنين بالجنة
وقوله واذ اخذنا ميثاق بنى اسرايل اى واذكروا ايضا اخذنا ميثاقهم
وهذا الميثاق يشتمل على الايمان والعمل الصالح المذكورين قبله وبه يقع
الانتظام ولانه رد قولهم لن تمسنا النار الاية واثبت استحقاقهم التخليد
فى النار بنقضهم الميثاق الذى اخذ عليهم ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ
ويقولوا فى النبى صلى الله عليه وسلم حسنا ولا يكتموا نعته ويعصوا ويقولوا

الدرس

واعرضوا فاستحقوا الحزى فى الدنيا والنار فى العقبى وقوله
لا تعبدون الا الله قرا حمزة والكسائى وابن كثير بالياء على المغايبة ورجع الى
بنى اسرايل والباقون بالتاء على خطابهم به والعرب تقول قل لزيد لا تذهب
وقل لزيد لا يذهب ومعنى قوله لا تعبدون الا الله اى لا تعرفون بالربوبية
الا الله والميثاق على وجهين عند خلقه وفطره وعند رسالة ونبوته وقد مر
تحقيقه مرة وقال الامام ابو منصور لا تعبدون الا الله اى لا تجعلون
له الوهية الا لله ويحتمل ان نفى العبادة اى لا تعبدون غير الله من الاصنام
وغيرها ثم قوله لا تعبدون بالنون وهى للرفع لوجوه احدها ما قال الكسائى
تقديره اخذنا ميثاق بنى اسرايل بان لا تعبدوا الا الله فلما اسقط ان رفع
الفعل لزوال الناصب قال تعالى افغير الله تامرونى اعبد شعر
الا ايهذا الزاجرى احضر الوغا وان اشهد اللذات هل انت مخلدى
يروى احضر بالرفع اى ان احضر الوغا ولذلك عطف عليه وان اشهد
وكذا قال الاخفش والفراء وقطرب والزجاج والثانى وهو احد قولى الاخفش
واجازه الفراء والكسائى والزجاج ان رفعه جواب القسم وهو كقوله
خلفه لا نعوم وهو حكايته عن المعنى الثالث قول قطرب انه رفع فى
موضع صفة الفعل وموضعه نصب على الاسم لقول دخل عليه بتسم اى متبسما
وتقدير هذه الاية اخذنا ميثاقهم غير عابدين الا الله والرابع قول الفراء
انه مضارع فى معنى النهى جاء على لفظ الخبر ومثله فى القرآن لا تضار والدة بولدها
الاية على قراءة من يرفع وفى الخبر لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها وقوله
وبالوالدين احسانا قيل وهو قول الزجاج اضمر فيه وتحسنون بالوالدين
احسانا ودل على اضمار هذا الفعل اظهار هذا المصدر وهو يقتضى الفعل ومعنى
بالوالدين اى الى الوالدين وهذا كقوله وقد احسن بى اى الى وبقال
احسن به واليه واسا به واليه مالك كثر اسنى بنا او احسنى لا ملومة

لدينا ولا مقلية ان تقلت ه وقيل المضمر اوصناهم عطفا على واذ
اخذنا وقالوا هذا اوجه لانه تقدير الباء اى صله الوصيه من غير تعيره
الى معنى كلمة الى التى هى صله الاحسان وقد عظم الله حق الوالدين حيث قرن
حقه بحقها فى هذه الايه وفى ايات من كتابه واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوا
الدين احسانا وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وقال ان اشكر لى
ولوالديك وقوله وذى القربى اى ذى القرابه وهو عطف على الوالدين
اى ويحسنون الى القريب ايضا وهو واحد يمعنى الجمع لانه اسم جنس وقوله
واليتامى هو عطف على الوالدين فى الامر بالاحسان اليهم وهو جمع يتيم وهو
الصغير الذى مات ابوه ومن الحيوانات الصغير الذى مات امه وقال الشيخ
لا يتم بعد الحلم وقد يتم يتيم يتيما من حد علم وجمع اليتيم على الايتام واليتامى وقوله
والمساكين عطف على الوالدين ايضا فذلك هو جمع مسكين وهو الذى لا كسبه له الحاجه
وقوله وقولوا للناس حسنا اى اخذنا عليهم الميثاق وقلنا لهم هذا
الميثاق وقولوا للناس حسنا قرأ حمزه والكسائى وعاصم فى رواية المفضل على
صيغه النعت وهو نعت القول اى قولوا حسنا وقرأ الباقون حسنا
وهو اسم مصدر وقال الاخفش الحسن عام يقع على جميع معانى الحسن قال تعالى
ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقال مقاتل معناه قولوا يا اهل الكتاب
حقا وصدقا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم واخبروا انه مذكور فى كتابكم الله رسول
حق وقوله للناس هذا الاسم للنبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الايه على الخصوص وقيل
اراد به اصحابه معه اى قولوا لهم حسنا وصدقوهم بما يقولون وقال سلمان
اراد به افشاء السلام وقيل اراد به ملاطفه كل الناس فى الكلام فامر بالاحسان
بالمال فى حق اقوام مخصوصين وهم الوالدان والاقربا واليتامى والمساكين ولما
كان المال لا يسع الكل امر بمقابله كل الناس بالقول الجميل الذى لا يعجز عنه
العاقل وقيل هو امر بدعاء الناس الى شهاده ان لا اله الا الله وقيل هذا كان

امرا لملايته اهل الشرك فى القول الا تدابر نسخها الله بالسيف
قاله قتاده وقيل هو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقوله
واقيموا الصلوة واتوا الزكوه عطف على قوله وقولوا وقد مر الكلام فيهما
وحاصله انه امر بتقرير لهما واداتهما على شرائطهما واما ذكرهما تنصيصا مع
دخولهما فى العباده المذكوره فى الايه تقدما لهما وتخصيصا كما فى قوله واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقوله وملائكته ورسله
وجبريل وميكال وقوله ثم توليتم اى اعرضتم اى قليلا منكم
ثم تولوا وانتم معرضون اى عن الوفا بالميثاق وله بلاغه اوجه اى تولى
اسلافكم عن الوفا بالعهد معرضين وقوله وانتم معرضون هو على الحال كما تقول
مر زيد وهو راكب اى راكبا وانما قال انتم على الخطاب لان قوله ثم توليتم
على الخطاب وظاهره خطاب اهل عصر النبى عليه السلام ومعناه خطاب اسلافهم
لما فعلوا وقد مر بيان وجهه والثانى ثم تولى اسلافكم وانتم يا اهل عصر النبى
معرضون كاعراضهم وقد كان لزمكم عهد الميثاق كالزمهم والثالث
ثم توليتم انتم يا هؤلا معرضين عن ذلك ايضا وقوله الا قليلا استثنا
من ثبت من السلف على الحق فلم يتولوا وهم السبعون والصف الذين لم
يعبدوا العجل والسبعون المختارون للميقات واستثنا من اسلم فى
عصر النبى عليه السلام من عبد الله بن سلام واصحابه وقوله ثم قد يكون
للترتيب مع التراخى اى بعد مدة توليتم ويحتمل ان يكون للتعجب كما فى قوله
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اى تعجبوا منهم مع تاكيد الميثاق عليهم
تولوا وقوله واذ اخذنا ميثاقكم اى واذكروا ايضا واذ
اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم اى لا يسفك بعضكم دم بعض اى
لا يضرب وقوله ولا تخرجون انفسكم من دياركم اى لا يخرج بعضكم
بعضا من داره فيغصبها وهو كقوله ولا تقتلوا انفسكم وقوله فسلموا على انفسكم

وفي كتاب العين الدار اسم للعرصة والبناء والمحلة كل موضع حل به قوم فهو دار وجمعها ديار قال تعالى فاصبحوا في ديارهم جاثمين وقال القتال قوله لا تسفكون دماءكم يدخل فيه الامر بعد الاسارى بان لا يقتل بعضهم في ايدي العدو بسبب قتلهم وسفك دمائهم ورفع لا تسفكون ولا تخرجون للوجوه الاربعة التي ذكرناها في قوله لا تعبدون الا الله فلا تقراهذا ايضا المخاطبة لما تقدمها من كاف المخاطبة وهي قوله دماءكم وانفسكم ثم انما جعل قتل بعضهم بعضا واخراج بعضهم بعضا من الديار قتل انفسهم واخراج انفسهم لان المجتمعين على دين واحد كالنفس الواحدة قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وقال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في تراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى بعضه تداعى له سائره بالحمى والسهر لان من قتل غيره قتل به قصاصا وكذا في الاخراج وقوله ثم اقررتم اي اعترفتم لحقيقة المشاق والتزمتموه وانتم تشهدون اي على انفسكم بقبوله وضمان الوفاء به والشهادة تاكيد وقطع بصحة الشيء يقول الرجل ان هذا حق اي انا عالم به لا اشك فيه ولو كان هذا على غيري لشهدت عليه به واحلف والمراد بها قبل الخطاب بالاقرار للاخلاف والشهادة للاسلاف وقيل هما جميعا للاسلاف والاخلاف جميعا لانهم هؤلاء اقروا بذلك وشهدوا انفسهم كما وليكل وقيل الاول للاسلاف والثاني للاخلاف اي اوليكل قبلوا وهم اشهدوا على اوليكل انهم قبلوا ثم نقضوا وقيل يشهد هؤلاء انه في التوراة وقيل يشهدون به على اوليكل يوم القيامة وقال ابو العالية والربيع وقيل يشهدون به على اوليكل يوم القيامة وقال ابو العالية والربيع هما جميعا للاخلاف اي انتم تقرون بان هذا العهد كان مع اسلافكم وتشهدون انه حق وانهم نقضوه وقوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم هؤلاء بمعنى الذين كقوله وما تلك بيمينك اي والتي وقيل معناه يا هؤلاء حذف حرف النداء كما في قوله يوسف اعرض عن هذا وقيل هؤلاء تابع لانتم

كالتنبيه والتاكيد له وقوله تظاهرون انفسكم اي اهل ملتكم وقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اي تنتظا للعهد وقوله تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اي تعاونون والظهير المعين والمظاهرة المعاونة والتظاهر التعاون واصله الظهر وبه يقع الاستناد والاعتماد وقرا اهل الكوفة تظاهرون حفيفة واصله تتظاهرون بتاءين حذف احدى التاءين تخفيفا وقرا الباقون بالتشديد وهو ادغام التاء الظاهرة في قوله ان يصالحا بتاء وهذا مضارع بمعنى الحال بمعنى الحال اي متظاهرين عليهم وقال ابن عباس والسدي ان قريظة والنضير كانا اخوين واولادهما تعرفوا واقتتلوا وكان بعضهم يقتل بعضا ويخرج بعضهم بعضا وكانت عاد بني قريظة القتل وعاد بني النضير الاخراج فتهاهم الله عز وجل واخذ عليهم المشاق بذلك وقوله وان يأتوكم اسارى تفادوهم اي جادكم مأسورين اي ظهروا لكم على هذه الحال ولم يرد به الاتيان الاعتيادي وقرا ابن كثير وابن عمرو وابن عامر اسارى تفدوهم وقرا نافع وعاصم والكسائي اسارى تفادوهم وقرا حمزة اسرى تفدوهم والاسرى جمع اسير كالجرحى جمع جريح والمرضى جمع مريض والاسارى جمع الاسرى كالسكارى جمع سكرى والاسير هو المأخوذ قهرا واصل الاسر الشد وما اخذ قهرا شد غالبا فسمي المأخوذ اسيرا وان لم يشد والاسار ما يشد به الاسير وقال ابو عمرو الاسارى الذين هم في الوثاق والاسرى الذين هم في اليد وان لم يكونوا في الوثاق وقوله تفادوهم اي تفطوا افداءهم وتسيروهم به للتخليص والمفاداة مفاعلة منه فالفداء يقع بين الفادي والاسير والمفاداة تجري بين الفادي وبين قابل الفداء وقال ابن عباد المفاداة المماكسة في الفداء بينهما وقوله وهو محرم عليكم اخراجهم فيه بلاغة اوجه احدها ان قوله وهو اشارة الى الاخراج ثم اعيد ذكره صريحا توكيدا والثاني ان قوله وهو اساره الى الاخراج والقتل والمظاهرة والاثم والعدوان احتمل الوجوه فبين المقصود وعين

الى الاخراج لان ما كان اساره الى ما يسوء ويغتم كان الاخراج

ه الاحراج لتعلم ان الكتابه راجعة الله والثالث انه اشاره الى الحدث
والخبر كانه قال والخبر انه محرم عليكم اخراجهم ومثله قوله قل هو الله احد
وقال الفقال وقد قيل ان قوله وان ياتوكم اسارى تفادوهم معناه ان
صاروا عندكم اسارى لم يطلقوا لكن اخذتم فداه للاطلاق والمفاداه
والفدا يكون من الجانبين قال وهذا موضع توسيخ واعطا الفدا الاطلاق
الاسير لا يقع عليه توسيخ فالظاهر ان المراد هذا قال الفقال والصواب
هو الحمل على اعطا الفدا لانقاذ الاسير وبه جاءت الروايه قال محمد
بن اسحق حرم عليهم في التوريه سفك دمائهم واقتراض بعضهم بعضا
اسراهم فكانوا فريقين طائفه منهم بنو قينقاع وهم حلفا الخزرج والاخرى
النضير وقريظه وهم حلفا الاوس فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج
حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت بنو النضير وقريظه مع
الاوس يظاهر كل فريق حلفاه على اخوانه حتى يتسافكوا الدما وباسهم
التوريه يعرفون فيها ما عليهم ومالهم والاوس والخزرج اهل شرك يعبدون
الاوثان لا يعرفون بعثا ولا قيامه ولا جنه ولا نار ولا حرام ولا حلال فاذا
وضعت الحرب اوزارها افتدوا اسراهم تصديقا لما في التوريه افتدى
بنو قينقاع ما كان من اسراهم في ايدي الاوس منهم وافتدى النضير وقريظه
ما كان في ايدي خزرج منهم وسطوا الدما وكانت العرب تعيرهم بذلك
ويقولون كيف تقاتلونهم وتفدونهم وقالوا انا امرنا ان نفديهم وحرم علينا
قتالهم وقالوا فلم تقاتلونهم قالوا انا نستحي ان يستذل حلفاؤنا وقال
ابن عباس ان الله تعالى اخذ على بني اسرايل في التوريه ان لا تقتل بعضهم
بعضا ولا يخرج عبدا ولا امة وجد تموه من بني اسرايل فاستروه بما قام ثمنه
فاعتقوه وقيل في الايه تقديم وتاخير وتقديرها واذ اخذنا ميثاقكم
ان لا تسفكوا دماكم ولا تخرجون انفسكم من داركم وذلك محرم عليكم اي الاخراج

١٧٥

الاسارى ص

وان ياتوكم اسارى تفادوهم كان العمل بهذه الاشيا الثلاثه ترك
القتل وترك الاخراج ومفاداه فعلوا واخرجوا وبما بخلاف العمد وفدوا
الاسارى وهو من العمد فتركوا ما هو خلاف العمد لانها كلها وقيل كان
كل فريق يفدي اسيرا كان من عشيرته والا يفدي اسيرا من غير عشيرته وكانوا
امروا بفداء كل اسير وقوله افتومنون بعض الكتاب ويكفرون
ببعض استفهام بمعنى الانكار والتوبيخ والمعنى تفدون اسارى منكم دون
اسارى غيركم ويعمل بل كانوا يفدون كل الاسارى لكن كانوا لا يتركون
القتل والاخراج فهددوا بذلك ويدل عليه انه قال في الايه انتم هؤلا تقتلون
وقال تخرجون فلم يقل ولا تفدون وكان توبيخهم على الفدا بعد الحكم
الله وهذا كالفريق بين رسل الله وبين ذلك يؤمنون ببعضهم الا انهم
لما كان ايمانهم بهم باطلا بتكذيبهم غيرهم صح التوبيخ عليه وقوله
فما جزا من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوه الدنيا ويوم القيامة يردون
الى اشد العذاب الخزي الفضيحه وقد خزي خزيا فهو خزي والخزايه الانجيا
وقد خزي خزايه فهو خزيان اي ليس جزا من فعل ذلك الا ما كان يقتضيه في الدنيا
من استحقاق الذم ثم يرجع في الاخره الى اشد العذاب وهو التغدر في
جهنم وهو اشد من خزيهم في الدنيا واشد من كل عذاب كان قبله فانه
كان سبعا وهذا اسبع واحسن والمراد بالخزي هنا قتل هو احلا
بني النضير من ديارهم لاول الحشر كما كانت عادتهم وقتل بني قريظه وسبي
ذراريهم كما كانت عادتهم وقتل هو اخذ الجزيه عن صغار ومع ما كان لهم من
هذا فعذاب الاخره باق وقال الامام ابو منصور جزاهم الخزي في الدنيا
لكن لا يعاقبون في الدنيا وان استوجبوا ذلك بل يردون الى اشد العذاب
في الاخره وهذا كقوله انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقوله بل الساعه
موعدهم والساعة ادهى وامر وقوله وما الله بغافل عما يعملون

مرّ نفسه وقد قرا ابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر بالياء على الغيبة
بناء على قوله يديرون والباقون بالتاء على المخاطبة بناء على قوله ثم انتم هؤلاء
تقتلون وقوله اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
اى بالحيوة الاخرة وقد مرّ نفسه في قوله اشتروا الضلالة بالهدى
وقوله ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومعناه هنا اخذوا قليل الدنيا عن
كثير الاخرة وقوله ولا يخفف عنهم العذاب اى لا يهوّن لانهم يتحيرون اى
لا يعاونون ونصير اى لا يمنعون من العذاب وقيل اى لا يكون لهم
نصرة في الدنيا لان المبطل وان علب صورة فهو مخذول في حقيقة وقوله
ولقد اتينا موسى الكتاب انتظامها بما قبلها ان الله تعالى اخبر انه اعطى
بني اسرائيل شيئين الكتاب والرسل ثم بيّن معاملتهم في حق الكتاب فقال
افتومنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وبيّن معاملتهم في حق الرسل
فقال ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وجه اخر انه ذكر نقضهم المشاق
ثم بيّن انه لم يكن لعدم العلم فقد كنت بعثنا الرسل وبينوا لهم وقوله
ولقد اتينا موسى الكتاب اى ولقد اعطينا موسى التوراة وقوله وقفينا
من بعده بالرسل اى اتبعناه اردفنا يقال قفاه يقفوه قفوا اى تبعه
وفقاه به يقفّيه اى اتبعه وقد قفوت اثره وقال تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم ومنه الفقه والقافية والمقفى من اسماء النبي عليه السلام
والمراد بالرسل من بعده فقد روى ان الله تعالى بعث بعد موسى الى عصر
عيسى اربعة الاف نبي وقيل سبعين الف نبي وقوله واتينا
عيسى بن مريم البينات موسى وعيسى ومريم اسماء اعجمية لذلك لم تنصرف
حتى اجتمعت العجمة والتعريف في معنى موسى ان موسى بلسانهم
الماء والشجر وهم يقولون موشا ومعناه انه اخذ من بين الماء
والشجر اى مرتابوت جعل هو فيه ثم جعل التابوت في الماء فاخذ

في دار فرعون فنقلت الشين الى السين في العربية وعيسى في لسانهم
عيشى بالشين من العيش الذي هو الحيوة وكان سمي الله تعالى به الموتى
ونقلت الى السين في العربية وان جعل في الاصل بالسين فهو من العيش
الذي هو البياض في مرم قيل معناها بالسريانية الخادم وقد حلقتها
امها محررة لخدمة المسجد والبينات الايات الظاهرات من قولك بان
اى ظهر وابان كذلك ويكون ابان بمعنى اظهر ايضا واختلف في المراد بها
هنا فقيل هي الانجيل وقال ابن عباس هي المعجزات وهو اذهاب البرص
وابرا الاكمه واحيا الموتى والاخبار بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم
وشفا المرضى وقوله وايدناه بروح القدس قيل اى قويناه
والايد القوة والتأييد التقوية بروح القدس قيل هو جبريل قال تعالى
نزل به الروح الامين وهو جبريل قل نزله روح القدس وقال الضحاك
والربيع وقتادة والقدس الطهر اضيف الروح الا صفته وهو كقريعة
ومعناه اى جبريل الطاهر والقدس البركة ايضا ومعناه جبريل المبارك
بالطريق الاول ومعنى يقوينه له انه عصمه به من اول حاله الى كبره فلم يزن
شيطان عند الولادة منه ودفعه هو الى السماحين قصد اليهود قتله وقال
عبد الرحمن بن زيد هو الانجيل سمي الانجيل روحا كما سمي القرآن روحا وقوله
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وسمي الكتاب روحا لانه سبب لحيوة
القلوب كالروح به حيوة الابدان وسمي جبريل روحا لان حيوة الخلق بالقرآن
والدين وانما القرآن وبيان الدين كان منه قال الله تعالى استجيبوا لله
وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وقال ابن عباس الروح اسم الله الاعظم
الذي به كان يحيي الموتى ويبرئ المرضى وقيل هو الروح الذي به حيوة
البدن وخصّ وحده بالقدس وهو الطهارة لانه لم تنصمه اصلاب
الفحولة ولا اشتملت عليه ارحام الطوامث وقوله افكلما

حاكم رسول الالف للاستفهام ومعناه الاستكبار لما لا تهوى
انفسكم اى لما لا يحب وقد هوى من حد علم اى احب ومعناه بما لا تهواه
ولما خدفت الها كان الفعل واقعا على ما هو بمعنى الذى اى كل فريق هو يصد
على الطرف جاء رسول شيء لا يوافق هواكم والباء فى بما للتعدية فعل
المجى الذى هو لازم وقوله استكبرتم اى استعظمتم
فلم تعبلوه فلم تعملوا له ففريقا كذبتم اى كذبتم طائفة من الرسل وهم الذين
لم تقتدوا على فعلهم كعيسى ونحوه وفريقا تقتلون اى قتلتم طائفة منهم
قدرتم على قتلهم كذكريا ويحيى ونحوهما وروى انهم قتلوا فى يوم واحد ثلاثة
مائة نبي فلما كانت العشية قامت لهم سوق بقتلهم اى لم يمتنعوا من ذلك
وهذا رد على من قال ان الكفار لا يثبت لهم على فعل الرسل قدرة لان
الله تعالى وعدهم بالنصرة بقوله انا لننصر رسلنا وقال ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون لكنا نقول اراد به النصرة بالحجة
وبيان الحق بدليل انه عطف عليه والذين امنوا وقد يقتلون لكن المراد
بالنصرة بالحجة وقد نص هنا على قتلهم الرسل وقد قال فى صدر الاية افكلما
جاءكم رسول وقال تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا الى ان قال فلم
تقتلوهم وقوله تقتلون مضارع بمعنى الماضى او الحال فى الماضى وقد خاطب
اهل عصر النبى عليه السلام بهذا وقد فعل اسلافهم لانهم يتولونهم ويرضون
بفعلهم وقوله وقالوا قلوبنا غلف قراءة الجمهور بسكون
اللام وقرأ ابن محيصن بتثقيل جمع اغلف وهو الذى غشى غلاف وغلاء علام
اغلف واقلف لم يختن وذلك منه غلاف وهو كالاجم واللحم وقراءة الضم
جمع غلاف وهو الغشاء والوعاء وهو كالشهاب والشهب ومعنى التكثير
ان قلوبنا غلف اى غشاء وغطاء لما خاطبهم النبى عليه السلام بقوله
ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون سكتوا ولم يمكنهم التكذيب فقالوا قلوبنا

فالصحيح

غلف اى فى غلاف كما قالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه فلا نفهم ما تقول
ولا نفقه ما تحدث به تدعون زوال الخطاب عنهم كراهية لما سمعوا فكذبهم
الله فقال بل لعنهم الله بكفرهم اى طردهم بكفرهم وعتوهم وعنادهم رسول الله
لا ان قلوبهم محل لا تفقهون ذلك كما تدعون ولكن ذلك لترك التفكر
والتدبر فيها وعلى قراءة الضم معناه قلوبنا اوعية لعلم وتفهم ما تقال ومخاطب
به لكن لا تفهم ما تقول ولا تفقه ما تحدث فلو كان حقا وصدقا لفهمت
وفقهت تدعون عليه ابطال ما تقول وذلك بحسب ما قالوا استغنت
ما تفقه كثيرا مما تقول وهذه الكلمات للامام اى منصور والاول قول
الحسن وابى العالية ومجاهد وقتادة والسدى فانهم قالوا معناه
قلوبنا اكنة والثانى قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير وزيد بن اسلم
وتفسيرهم فتقدير القراءة الاولى قلوبنا اوعية وتقدير القراءة الثانية
قلوبنا اوعية وقيل معناه قلوبنا اوعية للعلوم فلا حاجة لنا الى
علمك الذى ذكرناه فلو كان تعييبا للكلام فانه كان لا يوافق اهواءهم
فانهم كانوا يحبون النبوة والارتشاء فلذلك قالوا ايت بقرآن غير هذا
او بدله فامر ان يقول ما يكون فى ان البدل من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما
يوحى الى الذى ذكرناه بديا كانه يعلق منهم بمذهب الجبر اى قلوبنا فى
غلاف وهى ممنوعة عن الفهم جبرا وكذلك كانوا يقولون لو شاء الرحمن
ما عبدناهم وهو يعلق بمذهب الجبرية وفيهم ذلك وكذبهم الله فى القولين
للاية وذلك قوله بل لعنهم الله بكفرهم اى ليس كما قالوا انهم محجوبون
معذورون بل بعدهم الله عن نفوسهم حرمانا لهم عن كفرهم واللعن الطرد
والابعاد لغة وقد ابنت اللعن ونفسه والكفر منهم وهو مذهب اهل
السنة والجماعة وهو جواب كلامهم انصا على القول الثانى ان قلوبنا
اوعية فلو كان كلامكم صدقا وحقا لفهمتموه قال بل انتم ملعونون بكفركم

لستم بعلما ولو كنتم كذلك لقبلتم هذا وعملتم به وهو جواب كلامهم ايضا على التنزل
الثالث ان قلوبنا اوعية للعلوم ولا حاجة لنا في علمك قال لستم بعلما مستغنين
عن هذا بل انتم ملعونون مطرودون عنه لشؤم كفركم وقوله قليلا
ما يؤمنون له خمسة اوجه احدها فبقليل مما في كتابهم يؤمنون ونصب
قليل بنزع الخافض وما مع يؤمنون مصدر اي ايمانهم بعلل هو معنى
قول الكلبي لا يؤمنون الا بعلل مما في ايديهم ويكفرون بما وراءه والثاني
قول معمر ايمانا قليلا ويؤمنون هو نعت مفعول يعني علة فعل ايمانهم وهو
المصدر في الحاصل وهو يرجع الى قوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن
الله وهذا ايمان منهم بهذا وهم مشركون في غير ذلك وما صلة زيدت في
هذا القول كما في قوله فبما رحمة منا نقضهم عهدهم قليل والثالث بعلل ما
يؤمنون بضبه على الظرف وهو يرجع الى قوله وقالت طائفة من اهل
الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا الاية والرابع قول قتادة
لا يؤمن منهم الا قليل وهو عبد الله بن سلام واصحابه وما في هذا معنى
من وهو للجمع وما بمعنى من وارد في اللغة مذكور في القرآن قال تعالى
خيرا مما تعبدون من بعدي اي من بعدي وقليلا نعت مقدم على الاسم
فنصب على القطع والخامس قليلا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وما للحد هنا واذا
نفى القليل نفى الكثير فذكر في آخر هذه الآية منهم الامتناع عن الايمان نفى الآية
التي تلاها الكفر بعد الايمان وذلك قوله ولما جاءهم
كتاب من عند الله مصدق لما معهم هو القرآن هو موافق للكتاب الذي
معهم وهو التوراة في التوحيد والطاعة والاخبار وسبب نزوله فيما روي
ان معاذ بن جبل قال لاهل الكتاب اتقوا فيما سلف كنتم تستنصرون برسولنا
محمد عليه السلام على اعدائكم اذا كفروه فلم تؤمنوا به فقالوا لهذا
بذلك الذي قلت الاية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا بالنبي

قال ابن عباس وابو العالية اي يستنصرون يقال استفتح الله
اي استنصره وفتح عليه اي نصره قال تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وذكر
ابو العالية وقتادة والسدي انه كان اذا اشتدت الحرب بينهم وبين مشركي
العرب خرجوا الى التوراة ووضعوا ايديهم على موضع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
وقالوا اللهم انا نسألك بحق نبيك الذي وعدتنا ان تبعثه في آخر الزمان ان تنصرنا
اليوم على عدونا فكانوا ينصرون وقال الكلبي الاستفتاح منهم انه كان بينهم
وبين جهينة وغطفان وبين اسد وغزارة عداوة ومحاربات فكانوا
يقولون لهم يبعث نبي له كتاب ونحن كتابيون نؤمن به ونقتلكم قتل عاد
وارم فنقتلكم فكانوا يخوفونهم بهذا وقال مجاهد وسعيد بن جبير
وقتادة يستفتحون يستحرون من المشركين هلم لنا فتكم ولنا صفة كذا
وكذا فانه آخر الزمان وسيد الانسان والمتعلم سمي مستفتحا لاستجارته من العلم
ومنه استفتح الامام ففتح عليه القوم وقيل وكانوا يستفتحون اليه
اي يسألونه الحكم والقضاء بعث نبي آخر الزمان والفتاح الحاكم وقد فتح
اي حكم واستفتح اي سأل قال تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وقوله فلما جاءهم ما عرفوا اي الامر الذي عرفوه حقا في كتابهم وقيل
ما بمعنى من كما في الاية التي قبلها اي جاءهم الرسول الذي عرفوه وقوله كفروا به
اي جحدوه وكذبوه وهذا جواب فلما جاءهم ما عرفوا فما جواب قوله ولما جاءهم
كتاب من عند الله فقد قال الاخفش هو مضمر وهو نبذوه كما دل
بعد هذا بايات وقال الزجاج جواب الاول كفروا به لكن لما قال ولما
جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وقبل ذكر جوابه اعترض كلام
آخر تام وهو قوله وكانوا من قبل يستفتحون ثم عاد صدر الكلام وقال
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به اي هذا الكتاب كفروا به وانما اعاد ليعرف
انه جواب لكن وهو كقوله ابعدكم الله اذا متم وكنتم ترابا وعظاما تأتى جوابه

اكم وقال الكلام اعاد اكم ثم قال لا يحزنون ونظيره لا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا الى قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وقال الفراء جواب صدر
الكلام قوله فلما جاءهم ما عرفوا وجواب قوله فلما جاءهم ما عرفوا قوله كفروا
به وقيل كفروا به جوابهما جميعا وقوله فلعنة الله على الكافرين اخبر انهم
لما كفروا استحقوا اللعنة من الله وهي الطرد والابعاد من الرحمة والكرامة والجنة
على الاطلاق في حق الكفار واذا كانت اللعنة في حق مذنبين من المؤمنين
هي الطرد والابعاد عن الكرامة التي وعد بها من لا يكون في دار الذنب
وقوله بئس ما اشتروا به انفسهم بيس بمعنى نعم وهما في الاصل
فعلان ماضيان على وزن علم جعلا للمدح والذم فمنعا تصرف الافعال
وغيروا بتسكين الحشو ولاما بيان اسم علم وانما يدخلان في اسم يكون دالا على
الجنس واسم معرف بالالف واللام يدل على الجنس لانهما يقتضيان استيفاء
جميع المدح والذم فاذا قلت نعم الرجل زيد اخبرت انه مستوف جميع
المدح في جنسه وبيس على خلافه فكان الرجل مرفوعا بفعله واذا قلت بيس
رجلا زيد او نعم رجلا زيد نصبت رجلا على التمييز وفي نعم اسم مضمر على
شريطة التفسير وزيد مضمر هذا الممدوح واذا قلت بيسما فما نكرة
وتقديره بيس شيئا اشتروا به انفسهم وقوله ان يكفروا
ان مع الفعل مصدر وتقديره كفرهم اي بيس العوض الذي اخذوه على
انفسهم كفرهم واشتروا قيل باعوا فقال ابو معاذ البيع والشراء والابتياع
والاستزاء كلها تقع على البيع وضده وعلى الشراء وضده وقال مجاهد
والسدي معناه باعوا ولم معنيان بدلوا انفسهم بهذا الثمن فصارت
للنار وهو معنى قوله خسروا انفسهم والثاني بيسما باعوا به حظ انفسهم
من النجاة والكرامة بالثمر الذي هو الهلاك والاهانة فيكون فيه مضمر ويكون
معنى قوله انفسهم وقال القفال لجواز ان يحمل على الاشتراء الذي هو

التملك فان النفس مرتهنة بعملها قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة
وافكاكها بمنزلة اشترائها وانما يحسن ان يشريها بالعمل الصالح فاذا
كفر فقد زاد افتكاكها بدوا بيسما افتكاها به وقيل البيع والشراء معاوضة
وهما يتعاقبان ومتابعان فيقع الاسم على كل واحد منهما على الانفراد ويكون
معناه بيسما عاوضوا وقيل الاشتراء الاحتساد وتقديره بيكفرهم اي
بيسما احتسدوه لانفسهم والباء في به صلة زايدة ونصب انفسهم باضمار
اللام وصلة ان يكفروا في موضع خفض وعلى الها التي في به اي اشتروا
انفسهم بالكفر وقوله بما انزل الله اي بالقرآن بغيا اي حيدا
وقال الليحياني اصل البغي الحسد والباغي الظالم الذي يفعل ذلك عن حسد
وقد يبغي بغيا اي حسد وظلم وبغا بغيا اي ظلم وبغت الامة بغاء اي فجرت
وقوله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده اي كفروا للحسد وما انزل
القرآن على محمد فانهم كانوا يعتقدون نبي آخر الزمان ويتمنون خروجه
وهم يظنون انه من ولد اسحق فلما ظهر انه من ولد اسمعيل حسدوه وكرهوا ان يخرج
الامر من بني اسرائيل فيكون لغيرهم والفضل هو الكتاب والرسالة والبغي قيل
هو ظلمهم انفسهم بذلك وقوله فباؤا بغضب على غضب تقدم تفسيرهما
في قوله وباؤا بغضب من الله وقال ابن عباس الغضب الاول بعبادة العجل والثاني
بتكذيب محمد عليه السلام وقيل الاول بكفرهم بعيسى وقيل الاول بقولهم عزير ابن الله
وقولهم يد الله مغلولة والاخر بما ذكرنا واحسن ما قيل فيه ان معناه استحقوا
غضبا متتابعا لا استقطاع كما يقال فلان يحسن الى احسانا على احسان اي
على التتابع وقوله وللكافرين عذاب مهين اي مذل يعذبهم في الدنيا وقيل هو الله تعالى يا العذاب اضيف الى العذاب توسعا
لانه به يقع ودل ان عذاب المؤمن تاديب وتطهير وعذاب الكفار اهانة
وتشديد قال تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون وقال ذق انك انت العزيز الكريم

ويقال يستحبون في النار على وجوههم وقيل للكافرين عذاب مهين
في الدنيا ايضا وما كان للمؤمن فيها مهين يحصن ويكفر وقوله واذا
قيل لهم امنوا بما انزل الله اي واذا قال اصحاب رسول الله لهؤلاء
اليهود الذين يكفرون بالقرآن امنوا بالقرآن والانجيل بالموانين من
بما انزل علينا اي بالتوراة التي هي كتابنا انزل على نبينا موسى
والمنزل على النبي منزل على امته معنى لانه يكفرهم وقوله
ويكفرون بما وراءه اي سواه والتذكير يرجوع الهاء الى ما انزل
وقال ابو عبيدة اي بما بعده قال النابغة حلفت
ولم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب اي بعد الله
ووراء في الغالب الاستعمال ظرف في معنى خلف قال الازهري وراء صلح
لما قبله ولما بعده لان معناه ما توارى عنك اي استتر وهو موجود
فيهما اي تقولون نؤمن بكتابنا ولا نجاوزه الى غيره فعال الله تعالى ويكفرون
بما وراءه اي بهم هذا القول يكفرون بما وراء التوراة ويجوز ان يكون
هذا اخبارا عن الكفار انهم قالوا نؤمن بكتابنا واخبروا انهم يكفرون
بما سواه فجاز نؤمن بالنون حكاية عنهم انهم قالوا ذلك وجاز يكفرون
بالياء على المغايبة اخبارا انهم اخبروا بذلك ومثل هذا قول العرب
ولتقومن ح استحلفت عبد الله لاقومن وليقومن الالف حكاية عنه انه حلف فقال
ذلك والت اني لحاطبته بذلك واليا اخبار عنه على المغايبة فقد مضت
في الصدر استحلفت عبد الله وهو مغايبه وقوله بما وراءه اي وراء الدرء
وهو الانجيل والقرآن وقيل ما بمعنى من كما في قوله انكم وما تعبدون من دون
الله ومعناه ومن دونه موسى وهو عيسى ومحمد وقوله وهو الحق اي بما وراءه
ونصب لتوحد اللفظ مصدقا لما معهم اي الانجيل موافق للتوراة في الزام
كذلك وعيسى مصدق لموسى ومحمد كذلك وفيه تبطل ايمانهم بالتوراة وبموسى لان

لان في التوراة الامر في الايمان بالانجيل وبالقرآن وبعيسى ومحمد وموسى
كان يامرهم بذلك فمن كفر بما دعا في كتابه ورسوله فقد كفر بكتابه ورسوله وهو
وقوله فلم تقتلون انبياء الله من قبل لم اصله لما لام التعليل
دخلت في ما التي هي للاستفهام وسقطت الالف لحفصا لكثرة الاستعمال
في الاستفهام وهو كقولهم لم دعم وفيم وتقتلون مضارع في معنى الماضي كما
في قوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي ما تلت في قوله والمؤمنون يؤمنون
بما انزل اليك وقوله وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وهو للحال في الماضي
وكنتم فيه مضمر اي فلم كنتم تقتلون انبياء الله ولذلك قال من قبل فدل
الله ليس بمحض الحال ولا الاستقبال وانما وبخهم بقتل الانبياء والخطاب
لاهل عصر النبي عليه السلام وهم لم يباشروا ذلك لانهم اولاد اولئك
الذين فعلوا ذلك وهم يوالونهم ويرضون بما فعلوا فشاركوهم فيه
واولئك فعلوا ذكريا ويحيى وغيرهما وقصدوا قتل عيسى عليه السلام وقيل
لم تقتلون انبياء الله وهو خطاب هو لا لقصدهم قتل النبي عليه السلام
مرارا وذلك في قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم وذكر هنا
الله على الجمع والمراد بها نبينا وحده تعظيما له كما قيل في قوله يا ايها الرسل
هو خطاب لمحمد وحده وقوله ان كنتم مؤمنين اي بما انزل
عليكم فلم قتلتم انبياء الله وليس فيه اباحة قتلهم بل فيه تحريم قتله مطلقا
وقتل غيرهم الا بحق وان كان الخطاب لاهل عصر النبي عليه السلام فمعناه لم
تتولونهم وذلك حرام عليكم وقال الامام ابو منصور ان النبي عليه السلام
دعا اليهود للايمان بما انزل عليه فقالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن
لرسول حتى يأتينا بالبينات وبقربان تأكله النار فقال لهم يا مر الله
قد كانت الانبياء قبلي يأتون بها قومهم وهم اباؤكم فلم قتلتم اباؤكم ان كنتم

صادقين ان الله عهد الينا في التوراة بذلك وقوله ولقد جاءكم موسى
بالبينات اى المعجزات الظاهرات وقيل هى الايات التسع وهى الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء وفلق البحر وتفجير
الماء من الحجر وقوله ثم اتخذتم العجل اى معبودا من بعده اى بعد انطلاقكم
من الجبل وانتم ظالمون اى واضعون العبادة في غير موضعها ويؤيده هذا
قولهم في الايات التي قبلها فالوا انؤمن لك حتى نرى الله جهرة اى انتم مبطلون في هذه
الدعوى وقوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما اتيناكم بقوة قد مرّ تفسير هذه الكلمات انما اعاد حديث عبادتهم
العجل في الاية المتقدمة وحديث اخذ الميثاق ورفع الطور في هذه الاية
مع ان القصة واحدة والسورة واحدة وقد ذكرهما مرة لان ذكرهما فيما
تقدم كان من تعداد النعم فانه قال ثم عفونا عنكم وقال في رفع الطور
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وذكرهما هنا توبيخا لهم في دعواهم الايمان
بما انزل عليهم وهم قد عبدوا العجل وردّوا الميثاق ولم يبد كر بعدهما عفوا
ولا نحوه وقوله واسمعوا اى سماع قبول وطاعة قال تعالى
واسمعوا واطيعوا وقال تعالى ولا يكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون
اى لا يقبلون ولا يعملون بموجبه وقوله سمعنا وعصينا اى قالوا
اى قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك قال الامام ابو منصور قولهم وعصينا
لم يكن على اثر قولهم سمعنا لكن بعده بأوقات لانهم لما ابوا قبول التكليف
لما فيها من الشدائد رفع الله فوقهم الجبل فقبلوها خوفا فالوا سمعنا
واطعنا فلما زايل الجبل امنوا فالوا عصينا وهو كقوله ثم توليتم وكان
التولي بعده لكن بأوقات وقيل قالوا سمعنا عادة وعصينا معاملة وهو
كقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر
وهي شهادة فعل الشهادة قول وقيل قالوا بأفواههم سمعنا وقالوا بقلوبهم

وبشرحنا بالبلع مرهانا تقدم

عصينا وشوم عصيانهم تمكنت ذلك العجل في قلوبهم فلم ينزع وهو
قوله واشربوا في قلوبهم العجل يقال اشرب الصبغ في الثوب
وتشرب اى تمكن وها هنا مضمر وهو حب العجل كما في قوله واسئل القرية
التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها يقول رسخت حب العجل في قلوبهم لا ان
غيرهم فعل بهم ذلك وهذا كما يقال يذهب من العلم كل مذهب وقال تعالى
لا تأكلوا اموالكم وقال تعالى وغركم الحيوة الدنيا ويجوز ان يقال الله تعالى
اشرب في قلوبهم ذلك وهو اثبات التخليق من الله تعالى وقوله بكفرهم وهو
اثبات فعلهم واختيارهم وهو دليل مذهب اهل السنة والجماعة وقوله
قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين هو رد على هؤلاء ما ادعوا انهم مؤمنون
بالتوراة معناه ان كنتم مؤمنين كما تدعون ايمانكم يأمركم بقتل الانبياء
وعبادة العجل ونقض الميثاق وتكذيب محمد عليه السلام فبئسما يأمركم
به ايمانكم وقال معاذ ان كان حب عبادة العجل يعدل حب عبادة
خالقكم فبئس الايمان ايمان يأمر العبيد بالكفر وحقيقته ان هذا
ليس بايمان فان الايمان لا يأمر بالكفر وانما يأمر بالخير والطاعة ثم اضاف الامر
الى الايمان مجازا ومعناه دلالة وارشاد بطريق التشبيه وهو كقوله
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر اى هي سبب لانتهائهما وقال السدي
وابن جريج لما رجع موسى الى قومه اخذ العجل وحرقه بالمبرد وذرّاه
في اليم فلم يبق نهر يجري يومئذ الا وقع فيه منه شيء ثم قال لهم اشربوا
منه فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب فهو اشربوا الما بافواههم واشربت
حب العجل في قلوبهم وقال الحسن كان فيهم طائفة لم يشركوا في عبادة العجل
العجل ولم تقبلوا ما جاء الله من التوراة فهم الذين بقي حب العجل في قلوبهم
فهم الذين قال الله تعالى ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب الا ية اطلع الله
في هذه الايات اعلم واقوالهم الفاسدة لم ردنا بعد ما كان لهم من ذلك

من الاطلاع الفاسدة فانهم قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وقال لحن ابنا الله واحباؤه وفي رد هذا وما بعده وهو قوله
قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس اي قل لهم يا محمد
ان كانت الدار الاخرة وهي الجنة عند الله خالصة لكم اي صافية والخلوص
الصفو من صد دخل والاخلاص في صفيه السر والقول والعمل لله والخلاص
المراد استصفاؤه ونفسه وتخليص الممتحن تصفيته عن المحنة وخالصة نصب
لانه خبر كانت ويجوز ان تكون قوله لكم خبرا والدار اسما وخالصة نصب
على القطع ويجوز ان يكون خالصة مصدرا كالعافية والباقية والعاقبة
ومعناه خلوصا اي على الخلوص وقوله من دون الناس اي من دون محمد
واصحابه وتستعمل هذه اللفظة للاختصاص يقال هذا لي من دون الناس
اي انا مختص به وقوله فتمنوا الموت اي تشتهوه وقال
ابن عباس اي فسلوا الموت وفي رواية قال فادعوا بالموت لان الرجل
كان اذا كذب قال فتادة وابو العالية والربيع اي فمنوا الموت لا تفسكم
ان كنتم صادقين في دعوى البنوة والمحبة والاختصاص بالجنة واكثر اهل
العلم على هذا ووجهه ان كانت لكم عند الله هذه المنزلة ولا يدخل غيركم الجنة
فتمنوا الموت لتصيروا اليها لان من كان على هذه الصفة لا يكره لقاء الله
بل يحرص على التعجيل الى كرامته فان قالوا ان المؤمنين احبوا على ان الجنة
للمؤمنين دون غيرهم لم لم يتمنوا منهم بتمني الموت اذا قيل له تمن الموت فكيف
يصح الاحتجاج على اليهود بذلك قلنا المؤمنون لم يحملوا انفسهم
من الغضة والمرتبة عند الله ما حملت اليهود ذلك لانفسهم لانهم ادعوا
انهم ابناء الله واحباؤه وان الجنة خالصة لهم والانسان لا يكره القدوم
على ابيه وحبيبه ولا يخاف انتقامه بالمصير اليه بل يرجو وصوله
الى محابه فقيل لهم تمنوا ذلك فلما لم يتمنوه علمنا كذبهم في دعاويهم

ولان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تمني الموت قال لا يتمنى احدكم
الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم احيني ما كانت الحياة
خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي وقال خباب
ابن الارت لولا ان رسول الله عليه السلام نهانا ان ندعو بالموت
لدعوت به وقال الخليل ولولا اساتي وسيأتي
لذهبت شوقا الى الممات فلا يلزمهم ما يلزم اليهود وقال الامام
ابو منصور قان قالوا لو تمنوا ليس كان انقضاء عمرهم بدون
الاجل الذي جعل لهم وفي ذلك تقديم الاجال الذي لهم عن الوقت
الذي كان اجلا وقال الله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
فيجعل لهم ان علم الله تعالى منهم في سابق علمه انهم لا يتمنون جعل
اجالهم ذلك ولو علم منهم انهم يتمنون الموت لكان اجلهم ذلك في
الابتداء وكذا هذا فيما روي ان صلة الرحم تزيد في العمر انه كذلك
جعل في الاصل الا ان يجعل اجله الى وقت اذا وصل رحمه تزيد على ذلك
الاجل او ينقص بمعنى الموت عن الاجل المقرب له وقوله
ولن يتمنوه ابدا اي لن يتمنوا الموت ابدا ولن يسلوه فيه اثبات
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم انه اخبر انهم لن يتمنوه ابدا فكان كما قال
فدل انه من عند الله قال ابن عباس كان الله حتم انه لا يتمنى احد من يهود
اسرائيل ممن قرأ التوراة وشهد ما فيها انها من عند الله منهم كذبا فيها الا
مات مكانه حتى رواية قال لو تمنوا الموت لشرقوا به وماتوا
جميعا وقال القفال لم يخل ذلك من احد امرين اما ان علموا صدقه
وانهم لن يتمنوه لم يمهلوا وماتوا وفي ذلك دليل على انهم عرفوا نبوته
فعاندوه واما ان لم يعلموا ذلك ومنعهم الله عن هذا التمني وصرفهم
عنه واحدث فيهم ما ازال تمنيه عن قلوبهم وفي ذلك بيان صدقه

ايضا لان هذا امر خارج عن العادات لا يفعله الله الا اذا اراد معجزة يدل
على نبوة نبي ٥ عن نافع قال جلس الينا يهودي فخاصمنا وقال ان
٥ كتابكم يتمنوا الموت فانا اذا اتمنى ٤ الموت فمالي لا اموت فسمع ذلك
ابن عمر فدخل بيته فاخذ السيف ثم خرج ففر اليهودي حين راه فقال
ابن عمر اما والله لو ادركته لضربت عنقه تؤهم هذا الجاهل ان هذا
لليهود ٥ كل وقت انما هو لاهل الكتاب كانوا يجاهدونه ويحدون نبوته
بعد ان عرفوه فان قالوا التمني يكون بالقلب ولا يظهر ذلك لنا انهم يتمنوه
اذا لم يتمنوه فلما ذكر هذا على وجه المحاجة يطلب منهم اظهار التمني
باللسان كما اذا قال الرجل لامرأته ان طلقتك فانت طالق ان سبيت او اجبت
فانه يتعلق بالاخبار دون الاضمار وقوله لن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم ذكر
انهم يتمنون ٥ النار وتقول يا مالك ليقض علينا ربك ٥ يقولون
يا ليتها كانت القاضية اي الموت ولكن يقول هذا للبايد ٥ الدنيا
كما ٥ قوله لن ترانى وقوله بما قدمت ايديهم اي بما عملوا بانفسهم
والعرب تضيف فعل كل نفس الى اليد لحصول الفعل من اليد في الغالب
وعلى متعارفهم نزل القرآن قال تعالى ذلك بما قدمت يداك و ٥ اعمال العرب
يداك اوكتا وفوك نفخ ومعنى قوله بما قدمت ايديهم قيل يعلمهم الا انه
وقال ابن عباس وابن جريج اي بتكفيرهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبه
وقصدهم اطفاء نور الله بافواههم وقوله والله عليم بالظالمين
اي بعقوبته هؤلاء وهم ظالمون بهذه الافعال وخصهم بذلك وان كان الله عالما
بهم وتعريضهم لانواع ادبهم تخصيصهم بالتهديد وهو ابلغ وعيد وقال تعالى
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقيل عليم بهم تفضحهم لرد دعواه
الكاذبة بالحجج الصادقة فانه عالم بافعالهم غير غافل عن احوالهم وقيل
علم انهم لا يتمنون الموت لابطالهم فيما ادعوا وقيل لا تتمنون لعرضهم

على الحيوة ولذلك وصل بهذه الآية ما فيه بيان شدة حرصهم عليها وهو
قوله ولتجدنهم احرص الناس على حيوة اللام للتاكيد ولذا التزم
المتذوق ٥ اخره بالمحدث فحدث هؤلاء اليهود لا يتمنون الموت لانهم اشد الناس
حرصا على الحيوة اي ولوعا بها وقد حرص يحرص حرصا فهو حريص والجمع حراص
وقوله ومن الذين اشركوا اي واحرص من الذين اشركوا يا الله قال
ابن عباس وابو العالية والكلبي والربيع هم المجوس وقال الحسن ومقاتل
هم مشركو العرب واما كان اليهود احرص على الحيوة مع انهم يقرون بالعاقبة
من المجوس والمشركين وهم ينكرون البعث لما قال ابن عباس ان اليهود
عرفوا ما لهم في الآخرة من الجزاء عما صنعوا من الظلم وضيعوا من العلم وقوله
يود احدهم اي كل واحد منهم ولا المشركين ٥ قد وذ يود ودادا ومودة وودادا
من حد علم ومعنى الود هنا التمني لذلك قال لو يعمر الف سنة ولو كلمعه
معنى اي يتمنى ان يعطى العمر والبقاء الف سنة وانما خص هذا العدد لان
من تحيتهم زه هزار سال وقوله وما هو بمزحزحه من العذاب
ان يعمر الزحزحة التبعيد والتزحزح التباعد والتخصص على القلب كذلك
وهو مكرر زحزح يزحزح زحزحا اي دفع كقولك كبكب من كبّ وقيل هو من
زاح يزوح ويزيح اي بعد وازاح يزيح اي ابعد وكرر على هذا الوجه
كما فعلوا ذلك بقولهم خاض وخضخض ٥ مصحف ابن مسعود وما هو
بمنزحزحه وهو من قولهم نزح نزوحا اذا بعد وما هو قوله تاله
اوجه احدها وما احدهم فحذف لدلالة يود احدهم وذاك راجع الى اليهود
٥ قول ٥ قول الذين اشركوا وهم المجوس وهذا اظهر اي وما احدهم بمنجيه
من العذاب بتعميره وان مع الفعل بمنزلة المصدر وفعل وما هو يرجع
الى التعمير المذكور قبله لو يعمر ثم اعيد ان يعمر ٥ اخر ايضا حاء وقيل
هو عماد لان الواو تطلب الاسم فلما تاخر الاسم دخل هو عماد ثم فسر هذا

بقوله ان يعمر اخره وهو مصدر على التقدير ورفع يعمر بنطر بقتين احدهما
كونه فاعلا بفعل الزحزحه اى لا يزحزحه من النار تعمير والثانى بالابتدا
اى وما يعمر يزحزحه وقيل قوله ولتجدنهم مجاز عن قوله ليتعرفنهم وهو
كقول الرجل وجدت ملانا فقهاء وقيل قوله ومن الذين اشركوا وحمان
اخران سوى ما ذكرنا بدليا احدهما ان قوله ومن الذين اشركوا موصول
بقوله ولتجدنهم اى ستجدهم لا اليهود ولتجدن ايضا من الذين اشركوا اى
بعض الذين اشركوا فان كلمة من للتبعيض وهو تسوية بينهم وبين المشركين
في حرص الحموه ومودتهم وتسوية بين من يقر بالبعث وبين من لا يقر
به في هذه الصفة المذمومة والثانى من الذين اشركوا مبتدا وجواله يود
احدهم اى من يود وكلمة من مضمرة كما في قوله من الذين هادوا يحرفون
وقوله وان من اهل الكتاب لا ليؤمنن به اى من يؤمن به قال
قطلوا ومنهم دمعة سابق له واخر يجرى دمعة العين بالمهل اى
ومنهم من دمعه وقوله والله بصير بما يعملون اى نرى
اعمالهم من الكفر والمعاصى ولا يخفى عليه شئ فيجازيهم بالجزى والذل في الدنيا
والعقوبة في العقبى وقراءة العامة بيا الغايبة وقرا بعقوب بتا المخاطبة
وقوله قل من كان عدوا لجبريل في جبريل سبع لغات قرئ
باربع منها جبرئيل بفتح الجيم والراء مهموزا وممدودا وهو قراءة حمزة والكسائى
وجبريل بفتح الجيم بغير همز وجبرل على وزن جبرع وجبرِيل بكسر
الجيم والدا بلا همز وجبرايل بالمد والهمز وبيايين في الكتابة وجبرئل بالهمز
وتشديد اللام وياء واحدة في الكتابة وجبرين بالنون مكان اللام وهو
اسم لم يعرف عربته العرب على هذه الوجوه ومعناه عبد الله فان جبر
هو العبد وايل هو الله قاله ابن عباس والاية نزلت في شان اليهود
ايضا ودمهم وذم مقالاتهم وقصته نزوله ما روى ابو صالح

١٨١

عن ابن عباس قال لما قدم النبى عليه السلام المدينة اتاه ان صوريا وهو رجل
من اليهود فسكل فدك فقال يا محمد فكيف تنام عيناى وقلبى يقظان قال صدقت
يا محمد واخبرنا عن الولد اهو من الرجل ام من المراة قال اما العظم والعصب
والعروق فمن الرجل واما اللحم والظفر والدم والشعر فمن المراة قال صدقت
قال فما بال الولد شبه اعمامه ليس من شبه اخواله فيه شئ او شبه
اخواله ليس فيه شبه اعمامه شئ فقال اينهما علا ماؤه ما صاحبه كان
الشبه له قال صدقت وساله عن الطعام الذى حرم اسرايل على نفسه
قال ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر ان شفاه الله حرم على نفسه
احب الطعام واحب الشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحم الابل واحب
الشراب اليه البانها فحرمها على نفسه وساله عن اول نزل اهل الجنة قال
الحوت والثور قال صدقت يا محمد قال بقيت خصلة ان فلقتنا امنت
بك واتبعتك اى ملك يا تيك بما تقول من الله تعالى قال جبريل قال ذلك
عدو نا ينزل بالقتال والشر ورسولنا ميكايل يانى بالبشر والرخاء
فلو كان ميكايل لامنا بك وصدقناك فقال عمر ما بعد وعداوة لكم
قال عاد انا مبرا ثم البترة وكان في اشر عداوة لنا ان الله تعالى انزل
على نبينا موسى ان بيت المقدس سيخرب في زمان نبى اسمه دانيال
لحرب فيه فلما بلغ الخبر الذى يكون فيه هلاك بيت المقدس بعثنا رجلا
من اقربا بنى اسرايل في طلبه لنقتله فانطلق في طلبه حتى لقيه ببابل
على اما مسكينا لنسئله فقوه فاخذ ليقتله فدفع عنه جبريل وقال لصاحبنا
ان ربكم ان هذا امر بامر هلاكم لا تسلط عليه ان كان الذى تريده هذا فانك
لا تقدر على قتله فان لم يكن هذا فعلى حتى اقتله فصدق صاحبنا فتركه
فكبر بخت نصر وقوى ثم غزانا فخرب بيت المقدس وقتلنا فلهذا

رجل يقال له

نتخذه عدوا ومكايل عدو جبريل قال عمر انى اشهد انه من كان عدوا
لجبريل فانه عدو لمكايل ومن كان عدوا لمكايل فانه يكون عدوا لجبريل
فقال يا عمر لانقولن هذا فنزل لانه كما قال وقوله فانه نزله
على قلبك اى بان جبريل نزل القران وهو قول ابن عباس وعامة اهل السير
والتاويل وقد تقدم ذكر القران فى قوله ويكفرون بما وراءه فضلح صرف قوله
نزله اليه وقوله على قلبك اى اوحاه اليك فتدفع فى قلبك وقيل اى عليك
لتحفظ بقلبك وقيل اى تثبتا لقلبك وقوله باذن الله
اى بامر الله وقال الفقال قوله نزل على قلبك اى اخبرهم انه نزل على
قلبك ولو قال على قلبى يجوز على حكاية اللفظ الذى يقوله وهو كقولك
قل لفلان ان الحر عندى كذا ويجوز عندك كذا وقال الامام ابو منصور
يقول الباطنية ان القران لم ينزل على رسول الله بالاحرف التى يقراها
لكنه الهام نزل على قلبه ثم هو صور هذه الاحرف وهذا باطل لانه لو كان
كذلك لزال موضع الاحتجاج عليهم بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما
يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين اذ كان
لهم ان يقولوا انزل على لسان العجم لكنه غير ذلك لسانه وقال تعالى
لا تحرك به لسانك لتعجل به اى مخافة النسيان والذهاب وقال ولا تعجل
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه فدلت هذه الايات على بطلان
قولهم وفساد مذهبهم ويعدهم عن دين الله المستقيم وقوله
مصدقا لما بين يديه اى موافقا لما قبله من كتب الانبياء قاله ابن عباس
وهدى اى هاديا للمومنين على معنى ان السمع نفع لهم كما قال هدى للمتقين
وقيل اى للكل على العموم ومعناه انه دال مرشد لهم وبشرى للمومنين
اى مبشر المومنين على الخصوص وهما مصدران بمعنى الفاعل واعرابهما
النصب عطفا على قوله ومصدقا وكله نصب لانه حال او مفعول له اى لقوله

تعالى وقيل ذكر اليهود انهم يبغضون جبريل لانه كان مامورا بانزال الوحى
على اولاد اسرائيل فانزله على اولاد اسمعيل وقال ابن عباس وسمير بن حوشب والشعبى
وقتادة انهم قالوا ان جبريل لا ينزل بخير قط بل هو ملك العذاب ينزل بالعذاب
والحرب وكسر السفن والشدايد فلذلك نبغضه واما ميكائيل فانه ينزل بالغيث
والرحمة فلذلك نحبه فقد ذكروا انهم يبغضون لثلاث معان لانه انما ينزل بخير
ولانه ينقل الوحى على عكس ما امر به ولانه دعى مرارا فقال بحث نعرف فرد الله
عليهم كل ذلك بهذه الاية فانه قال نزله بالوحى على محمد بامرنا وهو امر كل خير
وهو تبليغ الى من كان له هذا الامر وهو ايضا لا يدع عن امر الا بامر فانه عبد
مطيع لا يعمل الا ما امر به وقيل على هذا ان قوله هدى وبشرى صفة لجبريل
لا للقران اى يقولون انه ينزل بالشدايد فقل انه ينزل بها بامر الله فذلك
هدى للمومنين لانهم بانه من عند الله وهو بشرى لهم بانهم بالصبر على العمل
ينالون الثواب فى العقبى والنصر فى الدنيا وقوله من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل ومكائيل فقرئ ميكائل على خمسة اوجه ميكائل
على وزن ميعاد وميكائيل ممدودا على وزن ميفاعل وميكاييل مع الهمزة
والياء بعدها وميكئيل على وزن بيقعيل ومعناه عبد الله وهو لجبريل
فان العرب عربته وتكلمت به على وجوه ومعنى الاية من كان معاديا لله
اى كافرا بما حاميه وفصل بذكر بعضها للامر على من يعادى احد من ملائكته
كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية وكقوله واعلموا انما غنمتم
من شىء فان لله خمسه وقوله وملائكته ورسله وجبريل ومكائيل الواو
فى هذا معنى واذا استحقوا العداوة غير موقوف على عداوة جميعهم
وهو كقوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا
بعيدا وانما اعاد ذكر جبريل ومكائيل مع ذكر الملائكة وهما داخلان فيهم
لكون الشبهة وابعد من التاويل لئلا يقول اليهود انهما غير

معانقاط

واحدهما من جملة الملائكة او هو زيادة شريف لهما وبعدهم
لذكرهما على وجه التخصيص كما قال ومنكل ومن نوح بعد ذكر النبيين
وقوله فان الله عدو للكافرين فلم يقل فانه مع سبق ذكر
الله صريحا مرة اخرا جا للكلام عن احتمال التاويل اذ لو قيل فانه احتمل
ان يعود الى احدهما ومكائيل لتقدم ذكرهما وعدو اى معاد ى وعداوته
الله تعالى هو ارادة العقوبة والطرد والتبعيد عن الخير قال للكافرين
ولم يقل ليهم اظهارا انهم مع استحقاقهم بعداوة الله تعالى كفار ومعاديهم
اولياء الله وقيل يقدر الاشياء فمن كان عدوا لجبريل فهو كافر فان الله
عدو الكافرين واعترض ذكر جبريل وهو قوله نزله على قلبك فقيل جوابه
ذكر ما عاد ذكره هذه العداوة من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
وانما ذكر الرسل معهم لان الملائكة والرسل دعاة الخلق الى الله فهم منفقون
ومعاداة احدهم معاداتهم وهو كقوله كذبت قوم نوح المرسلين ما ذكروا
الا رسولا واحدا وانما قرن ميكائيل بجبريل لانهم كانوا يدعون انه حبيبهم
فاخبر ان عدو جبريل عدو ميكائيل قوله ولقد انزلنا
اليك ايات بينات اى القرآن قال تعالى بل هو ايات بينات الآية
قال ابن عباس الايات البينات ما اخبرهم عن قصصهم واخبارهم التى
لا معرفة لهما الا عند اخبارهم وهى ما سبق ذكره في هذه السورة الى هذه الآية
وقال المقفال هى العلامات الواضحات على صدق نبوته التى لا تخفى
صحتها على احد وقيل هو جواب سؤال تقديره ابو صفوريا التى مرت في الآية
الاولى وقيل ان اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما حدثنا بشئ نعرفه
ولا تبينه فتتبعها فنزلت هذه الآية وما يكفر بها الا الفاسقون الى لا يكذبها
الا الخارجون عن امر الله وقيل اى الخارجون عن الاديان وان اظهروا
انهم متمسكون بها فان اليهود خرجوا بتكذيب محمد عن شريعة موسى اى الآية
المتمردون

المتمردون من اليهود فاما اهل الانصاف منهم فقد امنوا مثل
عبد الله بن سلام واصحابه ثم هذا الانكار منهم نقض العهد واحرتا
بالآية التى بعدها انه ليس اول نقض منهم وقوله اوكلما
عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم الالف الاستفهام بمعنى التوبيخ
دخلت على واو العطف وهو متصل بما قبلها اوكلما جاءكم رسول وقوله
نبذه قال قتادة وابن جريج اى نقضه واصله الطرح والرمى ومنه
قوله فنبذتها اى القيتها في المحل والمنبوذ الملقوط لانه نبذ وقوله
فانبذت اليهم على سواء قضيا اى تباعدت هو من الاول وطاهره نبذ العهد
وراء الظهر ومعناه النقض والفريق الطايفة وكون القليل والكثير وطئ
بعد انه اراد به الكثر وهو قوله بل اكثرهم لا يؤمنون قيل
اى ينقضه فريق منهم عنادا واكثرهم ينقضه جهلا فكلهم كفار بعضهم بنقض العهد
واكثرهم بجحود الحق وقال ابن عباس عبدوا الكهان فالنفوه كانهم جهلة
وبالعهد الذى عليهم في التوراة هم بيان نقضهم العهود مرارا الله كان
من المواثيق عليهم انه اذا جاءهم محمد امنوا به ونصروه فلم يفعلوا منها انهم
كانوا يستفتحون به فلما جاءهم كفروا به ومنها انهم كانوا هادنوا اى
صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم فنقضوه يوم الخندق وطابقوا الكفار
قريش عليه حتى جرى على بنى قريظة ما جرى وكذا على بنى النضير ومنها
انهم عاهدوه انهم لو اجابهم عما سالوه امنوا به فاجابهم فلم يومنوا وهو
قوله ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم هو محمد ع
وقيل الرسول بمعنى الرسالة قال لقد كذب الواشون ما فحت عندهم
بليلى ولا ارسلتهم برسولى اى برسالة ومعناه على هذا ولما جاءهم كتاب نبذ
الذين اوتوا الكتاب اى اعطوا علم الكتاب وهو احبارهم والكتاب
لانه خبر عالم يسم فاعله كتاب الله مفعول لقوله نبذ ومعنى نبذ فريق

اى خالفوه وقوله ورآء ظهورهم قال الشعبى نبذوه ورآء ظهورهم
وهو بين ايديهم تعاونه لكن نبذوا العمل به وقال شعبان بن عيينه
ادرجوه الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضه ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا
حرامه فذلك النبذ وقيل كتاب الله هو التوراة هاهنا وقيل هو القرآن
وخلافهم كان لهما وقوله كانهم لا يعلمون اى لا يقفون على ما
فى الكتاب اى تعمدوا الخلاف مع علمهم فالتجئوا الى الجهل وقيل كانهم
لا يعلمون وقوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان
اى نبذوا كتاب الله واتبعوا السحر وعملوا ذلك اتباعهم المتقدمين
ليكتسبوا به الدنيا وقالوا ان ملك سليمان مع عظمه كان قائما به وما ظهر
السحر به ويكذبون فذمهم الله تعالى بذلك وبرأ سليمان عليه السلام من ذلك
وكشف عن حقيقته انه كان من الشياطين لان سليمان دفنه بنبيه
عصر النبى عليه السلام ولم يعدهم على بطلان السحر والله لا يجوز العمل به
الذى لما نزل قوله ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم
التوراة فانفقا نبذوا التوراة فاخذوا كتاب الشيطان وسحرهما وروت
وماروت فلم يوافق القرآن فتعلقوا بها فذلك قوله ولما جاءهم رسول من عند الله
الى قوله واتبعوا اى كان السحر الذى كان فى تقويلهم فما خاصموا السحر
فاظهر الله لعباده ان ذلك كان سحرا وكفرا وباطلا لا يجوز التعلق به وانما ساظر
الدين بكتاب الله تعالى لا بكتب السحر الذى وضعه الشيطان فنبذ كتاب الله
وتعلق بكتب الشيطان فهو فى نهاية الجهل والخذلان وقال محمد اسحق
رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان داود فى المرسلين قال بعض احبارهم
الا تعجبون من محمد عليه السلام يزعم ان ابن داود كان نبيا والله ما كان
نبيا ساحرا فانزل الله تعالى هذه الآية وما كفر سليمان ولكن الشياطين
كفروا اى بتتبعهم السحر وعملهم به وقال الربيع ان اليهود

محمدا عليه السلام زمانا عن امور من التوراة لا يسألونه عن شئ من ذلك الا اتاهم
الله تعالى ما سألوا عنه فخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا هو اعلم منا بما انزل
اليه فسألوه عن السحر وخاصموه به فانزل الله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين
وان السياطين عمدوا الى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة فدفنوه تحت
مجلس سليمان وكان سليمان لا يعلم الغيب فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا
ذلك السحر وخدعوا به الناس وقالوا هذا علم كان سليمان يكتمه ويحد الناس
عليه فاخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث فرجعوا عن عنده فقد
اخزاهم الله تعالى وادحض حجتهم واجتمع لهم بذلك وجوه كفر وكتابة نبذ
كتاب الله وتصوير السحر وايثاره على كتاب الله والاستكبار بالحرام
واضلال الناس وصدهم عن الايمان وتوهيمهم ان معجزات الانبيا كالحقه
او انها من جنس السحر وقوله ما تتلوا الشياطين اى ما سلوه فالها معجم
وسلوا صلة اى تتبع وهو قول ابن عباس وابن زيد كما فى قوله والقمر
اذا تليها وصلة اى تقرأ وهو قول مجاهد وعطا من قوله فالت ليات ذكرا
وقال ابو عبيدة اى ما تكلم وتقول وتلوا قيل معناه تلت على الماضى
وهو كقول الشاعر ولقد امر على اللئيم يسبنى
فمضيت ثم قلت لا يعنينى اى ولقد مررت وقوله ان الذين
كفروا ويصدون عن سبيل الله اى صدوا ونصب العلك يعصون عليكم اياتى
ومنهم الذين يودون النبى ما يعدون الا كما يعد اباؤهم من قبل هن كلها
امور ماضية وردت بصيغة المضارع وله وجه اخر وهو ان يكون
كان مصمرا فى ذلك فيكون بمعنى الحال فى الماضى وهو كقوله وزلزلوا حتى يقول
الرسول على قراءة الرفع اى حتى كان يقول وكذا فى قوله كما يعد اباؤهم
وله وجه اخر وهو ان يحمل على الحال فيدل على وجود الماضى وبقايه
الحال وهذا وجه لا يحتاج فيه الى بعض نية ولا ادراج زيادة وكذا

تكون قوله ويصدون عن سبيل الله وقوله يوذون النبي وقوله على ملكه
سليمان وقال الزجاج اى في ملكه وسلطانه اى في ايامه قال ابو
البجم فهو على الافق لعين الاحول اى في الافق وقيل اى على عهد
ومعناه في ايامه وهو مستعمل في العهد وهذه الكلمة في معناه وقيل
اى ما علمته الشياطين على قصد ان اله ملك سليمان وعلى مستعار لذلك
وقيل اى على الذي ذهاب ملك سليمان اى فعلوا ذلك بعد موته وقيل
اى ما كذب الشياطين على سليمان وعلى اذا وصلت بالقول يراد به
الكذب قال تعالى ويقولون على الله الكذب وقال ان يقولوا على الله
ما لا يعلمون فاذا قيل تلا عنه فهو للصدق فاذا قيل تلا عليه فهو للكذب
وقوله وما كفر سليمان اى ما سحر فهو نفي اى لم يكفر لانه لم
يسحر ولكن الشياطين كفروا اى سحروا فكفروا به وقال الامام ابو
منصور القول بان السحر كفر على الاطلاق وكما يجب البحث عن حقيقته
فان كان في ذلك رد ما لزم في شرط الايمان فهو كفر والا فلا ثم السحر
الذي هو كفر تقتل عليه الذكر والانثى والذي ليس بكفر فحكمه اهلاك
النفس وفيه اهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ويستوي فيه الذكور
والاناث ولهذا اختلف قول ابي حنيفة في الساحرة فلا تقتل لان السحر الكفر
وتقتل لسعيها في الارض بالفساد اذا كان سحرها قاتلا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حد الساحر الضرب بالسيف
ويقبل توبته اذا تاب فان سحرة فرعون امنوا فصح انهم ومن
قال لا تقبل فهو غلط واحق ما تقبل توبة الساحر اذ هو ابلغ في تبرئه
ما هو جحد منه مما ليس بجحد وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة
الغوى كان الشياطين قبل عصر عيسى عليه السلام عمر ممنوعين عن صعود
السماء وانما منعوا بعد رفعه الى السماء الخامسة والسادسة

والسابعة وبعد خروج نبينا عليه السلام عن الكل وكانوا يصعدون
وستة قبل السمع ثم يهبطون فيحدثون بما سمعوا وكان الناس
يكتبون ما سمعوا وكان ذلك سحرا فسمع به سليمان عليه السلام فاخذ الكتب فدفنها
تحت كرسيه ليطلب الباغة فتوفي سليمان ودفن العلماء الذين كانوا يعرفون
ذلك فخلف من بعدهم خلف فاخرجها الشياطين لهم وقالوا ان سليمان
كان يضبط الجن والانس والطير بهذا وقالوا هذا كتاب الله نزل على سليمان
فكتم عنكم وكفر سليمان بذلك فاكذبهم الله تعالى فقال وما كفر سليمان وما ذكر
في بعض التفاسير في قوله والقينا على كرسيه جسدا انه شيطان قعد
على كرسيه اربعين يوما وزال ملك سليمان هذه المدة وذلك الشيطان
نسخ كتب السحر ودفنها تحت كرسيه مع الشياطين وبعد عود الملك الى
سليمان بعد وفاته استخرجها الشياطين ونسبوها الى سليمان
فذلك كله باطل مردود والوجه الاحسن والاوفق للاصول ما ذكرنا وقيل
معنى قوله وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا اى ما غطى وما دفن
وما كتم سليمان اى لم يكن المستحرج من وضعه بل كان موضوع الشياطين
والكفر في اللغة هو الستر والتغطية على ما اوضحناه في قوله ان الدين
كفروا ثم في كثير من التفاسير السحر بالتخييل والتمويه وبالكلام المزخرف
الذي يقع به الافات بين الناس بدون تحقق اثر له في محبة او عداوة او علة
او تاخيذ يفعلها بالسحر المذكور في قصة فرعون انه كان يحسن الاعتزال ويتبرؤن
ما ذكروا وان لبيد بن اعصم اليهودي سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعاذها الله بما انزل من المعوذتين حتى روي انه قام كما انشط من عقال
هذا مقاله المعتزلة وهي انكارهم اثر فعل العبد لا يتصل بالله فعله وهي مسئلة
مستولدات وعند اهل السنة والجماعة الاثار من صنعه الله تعالى وخلقه
وليس لذلك من فعل العبد وفعله لا يعدوا محل قدرته ويضاف الاثر الى العبد

اذا اجرى الله تعالى العاده بخلق ذلك الاثار عقب ذلك الافعال
في الضمان والوزر ولخود ذلك للسحر حقيقه نظهر اثاره وما
ذكروه وهو يسمى سحرا مجازا وقوله ـــــــه وما انزل على الملكين عطف
هاروت وماروت له تاويلان احدهما ان ما كلمه نفي ومعناه
ولم ينزل على الملكين وهو قول ابن عباس واشر وقتادة والسعبي فهو مقطوع
معطوف على قوله وما كفر سليمان اى لم يكفر بسحر هو ولم ينزل الله السحر
على الملكين وذلك ان السحره واليهود كانوا يضيفون السحر الى سليمان والى
الملكين فبراهم الله عن ذلك وما يعلمان من احد حتى يقولا اى احدا من
الناس كما قال فما منكم من احد عنه حاجزين اى ولا يعلم الملكان احدا
السحر بل ينابذان في نهيه ويقولان انما نحن فتنه اى امتحان واختبار لك
ننهاك عن السحر فان قبلت نهينا لموت وان لم تقبل جسرت فلا تكفر اى السحر
فانه كفر والفتنه ما يتبين به حال الانسان من الخير والشر وقال فتنت
الذهب بالنار اذا جربته بها لتعلم انها خالص او مشوب ومنه الفتانه وهي
وهي المحن التي تجرب به الذهب والفضه ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس
السحر اخبر ان الملكين لا يعلمان السحر احدا وانما يعلم الشياطين ذلك الناس
وقوله ـــــــه فيتعلمون منهما ما يفرقون بين المرء وزوجه وقوله منهما
راجع الى الملكين فتذهب الضمير عنهما على هذا التاويل راجع
الى الكفر والسحر فقد ذكرا جميعا قبله في قوله كفروا يعلمون الناس السحر اى
فيتعلم اليهود من الكفر والسحر من الشياطين ما يقع به البغض بين الزوجين
فيتفرقان لان الكفر من احدهما سبب الفرقه كالسحر يقع به الفرقه وقوله
وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اى وليس لليهود والسحره ضارين
بالسحر الا بعلم الله ولا يجوز حمل الاذن هنا على الامر والاطلاق لان الله لا يامر
بالكفر والاضرار والتاويل الاخر ما قاله قتاده والزهري ان قوله وما

انزل هذا بمعنى الذي اى واتبعوا الذي تلوا الشياطين على ملك سليمان
والذي انزل على الملكين وهو بيان لما اى واتبعوا ايضا الذي انزل على الملكين
من بيان السحر وبطلانه وقالوا ان السحر قد كثر في ذلك الزمان وكان الناس
يتوهمون انه حق مثل ايات الانبياء امر الله عليهما بيان كيفيته ووجوهه
تبيينا للناس في الارض بطلان السحر وضرره كيلا يعتريه احد ولا يتعلمه
احد وكانا يحكمان في الارض وكانا ينهيان عن السحر ويجوز ان يكون الله
انزل بيان السحر عليهما بانزاله على نبي ثم ابلغ النبي اليهما ذلك ليصفا
وجوه ذلك بقولهما وينهيانهم عن استعماله ويسمى ذلك انزالا وان كان
بواسطة نبي كقول الله تعالى ونزلنا عليك الكتاب ثم قال في حقنا فقولوا
امنا بالله وما انزل الينا وانما خصهما بالذكر وان امر به للعامة
لانهم كانوا اتبعاهما وهذا كما قال الله تعالى لموسى وهارون اذهبا الى فرعون
وكانا ارسلا الى فرعون وجنوده ولكن خص فرعون بالذكر لانه ابلغ في
استدعائه واستدعاء دعوته الى الايمان اذ الرعيه اتباع الراعي
وقال الامام ابو منصور اختلف في هاروت وماروت وقال
الحسن البصري لم يكونا ملكين ولكنهما كانا فاسقين متمردين من الانس
لان الله تعالى وصف ملائكته بالطاعه له والائتمار بامره بقوله لا يعصون
الله ما امرهم ويقوله لا يسبقونه بالقول وكذلك يقول في حق ابليس لم يكن
من الملائكه فثبت ان الملكين كما حق
ابليس وهما اسمان اعجميان والاشتقاق لهما اذ لم يكونا من العربيه وقضيتها
على الاختصار ما روي ان الملائكه في السما نظروا الى بني ادم ومعاصيهم
فقالوا يا ربنا خلقت البشر ورزقتهم وهم يعصونك ولو كنا مكانهم
ما عصيناك فقال الله تعالى لهم اختاروا ملكين منكم فاختاروا
هاروت وماروت فقال لهما الله تعالى اني اهبطت اليكما الشهوه فلا تعصياني
فقالا كذلك فمكثا في الارض ما شاء الله ثم اتتهما امراه

فاختاروا بعدهما اخرين وهما هاروت وماروت وركب الله تعالى فيهما
الشهوة مع الاكل والشرب والنساء وارسلهما الى الدنيا يحكمان بين
الناس فلما فعلا شيئا من المعاصي فنزلا وفعلا كذلك عليه وكانا يصعدان
بالليل الى السما ثم ينزلان بالنهار حتى جاءت امراة ذات جمال وحسن
يوما اسمها زهرة بالعربية وبالنبطية ناهيد فنزلا هيذا شرع
ينظرها فدارت ذوايبها عليها فميض حرير وهي تخاصم زوجها
فلما نظرا اليها وقع حبها في قلبهما فكتما ذلك فلم يظهر كل واحد منهما لصاحبه
حيا منه حتى حمل ضرها فراوداها عن نفسها فابت حتى يعلماها
اسم الله الاعظم الذي به كانا يصعدان الى السما فعلماها فدخلت
بيتا وتطهرت ودعت الله باسم الاعظم فمسخها الله كوكبا فصعدت
من السما فالوا اما مسخها كوكبا فغير مستنكر لان الله تعالى مسخ اقواما
لكن صيرورتها زهرة المشهورة في السما لان زهرة في السما مند خلقها
الله تعالى وخلق منها الكواكب فيجوز ان يكون كوكبا اخر شبيها وقيل
هي تعذب في السما وقيل بل صارت الى النار كسايرما مسخ ثم بعث الله تعالى
ملكا وقيل كان بعد جبريل ومنعهما هاروت وماروت الصعود الى السما
بعصيانهما وهو مراودتهما زهرة ولا يشترط الجبر الا من
نفس وان ذكر ذلك في بعض الروايات فقال جبريل لهما ان الله تعالى خيركما
بين عذاب الدنيا وتكليفكما في الاخرة ان شاء عذبكما وان
شاء رحمكما وبين ان توخر عنكما العذاب فاستشارا جبريل فاشار اليهما
ان تختارا عذاب الدنيا فهما يعذبان ببابل معلقين هناك وقيل بابل
هو الذي يقرب الكوفة وقيل هما نديمان من ملوك بابل الكوفة وبابل
لا تصرف لانه اعجمي وهو معرفة وقوله وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة على ان ويل الثاني لا يعلمان احدا كيفية

ضعيفة

السحر الا بعد ان يقولا انما نحن فتنة اي اختبار لكم فلا تكفر اي لا تتعلم السحر
فيكون كفرا وبعد من جمعه كذا فاتق الله فلا تشتغل به فنفع هذا
الاعلام على وجه التحذير عند المستمع على وجه التعليم كالفقيه يقول لاخر
من اخذ درهمين بدرهم فقد اربى ومن وطي امراة بلا نكاح فقد زنا
ونفع ذلك منه على وجه التحذير من المستمع على وجه التعليم وانما جاز
بيان السحر لانه لا يوصل الى اجتنابه الا بعد معرفته وقيل عرفت
الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه والتعليم
بمعنى الاعلام ومن سال اخر من الزنافيين كان اعلاما ومن لم يكن
حراما وليس هذا على التعليم الذي هو يلقن الشر والحمل عليه وقال تعالى
قل اتعلمون الله بدينكم هذا بمعنى الاعلام فكذا هذا وقوله
فيتعلمون منهما هاروت وماروت ما يفرقون به بين المرء وزوجه
اي العوذة التي تقع الفرقة بالبغض ونحوه وما هم بضارين من احد
اي المتعلمون السحر لا يضرون احدا بالسحر الا بعلم الله ويتعلمون ما
يضرهم ولا ينفعهم اي يتعلمون ليتنفعهم فيضرهم ولا ينفعهم وقيل ما
يضرهم في الدنيا لانه ينفعهم في الاخرة ولقد علموا اي اهل الكتاب الذين
نبذوا الكتاب واتبعوا السحر لمن اشتراه اي من اختار السحر على كتاب الله
وقوله ما له في الاخرة من خلاق اي نصيب خير ولقد اللام
للتاكيد وهو في معنى القسم وجواب القسم ما له وكان ينبغي ان يكون اللام
في ذلك الموضع ومع ذلك دخل في قوله لمن اشتراه وانما كان كذلك
لان الاول وهو قوله ولقد انما دخل في الصدر اشبه القسم فاجيب
بجوابه وقال الرجاح الاول اعلاما دخل اعلاما ان الجملة بكمالها معقودة
بالقسم لان الجزاء ان كان للمقسم عليه فقد صار للشرط فيه حظ اما
فلذلك دخله وصل لام لقد توكد علمهم بذلك التوكيد ولام لمن توكد الشرط

مطلب

بيان وجه السحر والتعلم به فانه كفر

مطلب

٢ فايدة نحوية

والجزاء وصل موضع اللام في الشرط الا انه سبق ذكره فاعيد في موضعه كما
في قوله ليلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون اي ليعلم فلما سبق ذكر لا الزائدة
موضعه يقدرون اعيد في موضعه وهو كقوله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا
وعظاما انكم مخرجون سبق ذكر انكم فاعيد في موضعه من خلاف مللتاكيد
والخلاف من الخلق وهو التقدير اي نصيب قدر له وليبئس ما شروا به انفسهم
ذكر نا حقيقته هذه الكلمة في قوله بئسما اشتروا به انفسهم يرجع الى السحر
وكتاب الشياطين وقوله لو كانوا يعلمون اي لو علموا ما علموا
وقد ابت علمهم بقوله ولقد علموا فلم يكن هذا نفي العلم بل كان نفي الانتفاع
بالعلم وقيل اي لو كانوا يعلمون عالم الاخرة وقيل اي لو كانوا يعلمون
انه يضرهم ولا ينفعهم وقوله ولو انهم امنوا واتقوا اي ولو
ان اهل الكتاب والسحرة آمنوا بالنبي عليه السلام والقرآن واتقوا الشرك
والسحر لمثوبة من عند الله خير اي لثواب الله لهم على ايمانهم وتقويهم خير
لهم من كفرهم وسحرهم واللام لمثوبة جواب لو ومثوبة مفعوله من الثواب
وثاب اي رجع سمي به لانه عوض عمله يرجع اليه لو كانوا يعلمون اي لو يعلمون
بعلمهم وقوله يا ايها الذين امنوا قال الحسن كل شيء في القرآن
فانها نزلت بالمدينة لا تقولوا راعنا روى ابو صالح عن ابن عباس انه قال ان
المسلمين كانوا اذا اتوا رسول الله فيقولون له يا رسول الله راعنا سمعك
وكان هذا من كلام العرب فيما بينهم وكان راعنا بلسان اليهود السب
القبيح فلما سمعت اليهود من المؤمنين يقولونها لرسول الله عليه السلام اغتنموا
ذلك فعالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوه بالشتم
وكانوا يا تونه فيقولون راعنا يا محمد ويضحكون فسمعها منهم سعد بن معاذ
الانصاري وكان يعرف لغتهم فقال يا عدو الله عليكم لعنة الله والذي نفسي
بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله عليه السلام بعد هذا المجلس لاضربن

عنقه فقالوا اولستم تقولونها له فانزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين
عن هذه الكلمة لئلا يتطرق اليهود بسببه الى ما يريدونه من السب وقيل
كانت الصحابة الاربعة واعلا الصحابة ربما يتاخر مجيئهم عن خروج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد وكان يفوتهم بعض كلامه فكانوا
يقولون يا رسول الله راعنا وهو سؤل الرعاية والعناية اي حقنا
باسطارهم ليلا يفوتهم فوائد واليهود سمعوا ذلك فقالوا لقد كنا نسب محمدا
على اراده شتم وقيل لبيان وجهان احدهما انهم كانوا يريدون
به راعينا على اختلاس الياء وهو نسبة الى الرعاية فانهم كانوا
يقولون للعرب انهم عالة رعاة غنم فكانهم قالوا انت راعينا والثاني انهم
اراد وا بذلك راعنا اي يا راعنا فاعلان الرعونة اي جاهلا ونحو
ذلك وفي قراءة الحسن البصري راعنا بالتنوين وهي قراءة حفصة رضي الله عنها
وقيل اي نسمي راعنا بالتنوين اي لا تقولوا قولا راعنا اي سفيها وجهلا
وحمقا والارعن الاهوج وقد رعن رعونة من حد شرف والرعن الانف
النادر من الجبل والرعنا المراة المتزجة وحبل ارعن مسترخ ورعنته السمن اذا آلمت معاءه
قال الشاعر كانه من اوان السمن مرعون الادار الجب
ولا ندري الى اي الوجوه كانوا يصرفون هذه الكلمة وقيل الكلمة من المراعاة
ونهى المسلمين عن ذلك ومعناه لا تجعلوا انفسكم رعية ان تطالبوا بها مراعاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج هو مما كافاة اي المساواة اي لا تطالبوه
بالمساواة في المعاملة والمخاطبة وهو امر بتعظيمه وقد قال لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول وقوله وقولوا انظرنا
اي انتظرنا كما في قوله انظرونا نقتبس من نوركم والغرض تحصيل ولا تطرق
اليهود اليه بما اراد وا ولان طلب الانتظار اقرب الى التواضع والاحترام

من طلب المراماة التي هي طلب المساواة وقال الامام ابو منصور انظرنا على
معنى مكننا من الفهم وخاطبنا بالذي تحتمله افهامنا وامهلنا عند القيام على
ما امرنا به لنقوم عليه بالتعظيم والتفهم وقوله واسمعوا اى
ما تؤمرون به واقبلوه واعملوا به وقال الضحاك اى اسمعوا كتاب الله وما
يأمركم به رسول الله وللكافرين عذاب اليم وجيع وقيل وللكافرين اى لليهود
الذين يقولون لرسول الله هذا عذاب مؤلم وهذه الاية فيها ذم اليهود
ايضا كما في الايات التي قبلها وبه تنتظم بها ذكر في ذمهم ايضا انهم يحسدون
المؤمنين على ما قالوا قوله ما يود الذين كفروا من اهل
والا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم اى ما يحب الكفار من اليهود والنصارى
ومن المشركين وهم عبدة الاصنام ان ينزل عليكم اى على نبيكم لان المنزل
عليه منزل على امته من خير من ربكم اى القران وفيه كل خير ومن لتاكيد
النفي في قوله من خير وللتنويع في قوله من اهل الكتاب ولابتداء الغاية
في قوله من ربكم وفي بليغة في هذه الاية جمع بين اهل الكتاب وبين عبدة الاصنام
لانهم مجتمعون اليوم على الكفر ويجتمعون غدا في النار قال تعالى ان الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم وآهل الكتاب انما لم يودوا ذلك
عند بعضهم لانهم كانوا يظنون ان نبي آخر الزمان يكون من اولاد اسحق
كما كان انبياء بني اسرائيل فلما كان ولد اسمعيل لم يرضوا به وعادوا العرب
لذلك وهذا لا يصح لانهم كانوا قرأوا في التوراة انه من العرب قال تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الذي الاية والامي هو المكي العربي والصحيح انهم
انما ابغضوه لفوت العز والرياسة والدنيوية عنهم بسببه لو امنوا
ولهتك استادهم باخباره انهم يحرفون الكلم عن مواضعه واما المشركون
فانهم انما كرهوا ذلك لانهم كانوا يتمنون انه يكون النبوة في احد رجلين
من بعض ثقيف بالطايف او الوليد بن المغيرة بمكة كما اخبر الله تعالى
عنهم بقو

وقالوا لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكانوا يعلمون
انهما يتبعان اهواءهم فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله والله يختص برحمته
من يشاء اى نبوته ووحيه ودينه من يشاء لا من تشاؤن والله ذو الفضل
العظيم اى على من يختاره بالنبوة والوحي دلت الاية ان العبد لا يستحق على
الله شيئا فان مؤدي الواجب لا يكون متفضلا وقال الامام ابو منصور قوله
المشركين معطوف على قوله من اهل الكتاب ومن المشركين وكان للتبعيض
لا للكل فانه كان يكره وساءهم ذلك لا كلهم وكراهتهم لشيئين احدهما ما كان
فيه من تسفيههم وتضليلهم مع سلفهم وكان يشق عليهم ذلك والثاني
انهم كانوا مستكبرين لا ينقادون لغيرهم ويطمعون ان يكون الرياسة
لهم قال الله تعالى واستنصروا بالله جهدا يمينهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض
وقال جبرا عنهم لولا انزل علينا الملايكة او نرى ربنا الاية وقوله
ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها وانتظامها بما قبلها
انه قال والله ذو الفضل العظيم ومن فضله نسخ الاية يحيي منها او مثلها
مرحمة على هذه الامة والثاني ان اليهود قالوا ان محمدا ابتدع على سبي
بل بامور شتى لم تنهى عنه وتنهى عن شتى ثم يامر به وكذا التحريم والتحليل فاخبر
الله تعالى انه لا يفعل ذلك مرحمة نفسه بل الله ينسخ ويبدل والثالث انهم
كانوا لا يرون النسخ وسموا بها بدا وينكرون شريعة موسى بغيرها
فانزل الله هذه الاية ردا عليهم والنسخ في اللغة هو النقل والتحويل
ومنه انتساخ الكتاب هو نقل من نسخة الى نسخة وتسمى الشمس الظل هو
كذلك وتنسخ الموارث من ذلك ويكون بمعنى الابطال ايضا وتسمى الشمس
الظل يكون ازهبته وتسمى الريح الاثر ما تنسخ ما كلمة شرطها وتنسخ
مجزوم بها او ننسها مجزوم ايضا لانه عطف على الاول وجزمه بحذف

وقال الله اعلم بحقيقة كلامه

الیامنه ونقرا او ننسأها بالهمز وما وهو كذلك نأت بخير منها مجزوم لانه جزا
الشرط وجزمه بحذف الیاء منه ومعنى النسخ في الشرع هو بيان مدة الحكم وسمي نسخا
لانه في الظاهر نقل الحكم من شئ الى شئ كما في القبلة او تغيير وابطال واسقاط
من اصله كنسخ فرض الصدقة قبل مناجات النبي عليه السلام وكذلك في الحقيقة
بيان ان ذلك الحكم المتقدم كان مشروعا الى هذه المدة وقد انتهى وفي قوله
ما ننسخ من آية الاية وجوه اصحها ما يرفع من حكم آية من القرآن مع بقائها تلاوتها
او ننسها اي نجعلها منسية للقلوب نرفع حكمها وتلاوتها وقد نسي القلب
ينسى نسيانا وانساه الله ذلك وعن قتادة انه قال كانت الاية تنسخ الاية
وتنسى الله نبيه من ذلك ما شاء وروى ابو امامة سهل بن حنيف ان رجلا
كانت معه سورة فقام من الليل ليقرأها فقام اخر يقرأها فلم تقدرا فلما
اصبحوا ذكروا ذلك لرسول الله عليه السلام فقال انها نسخت البارحة
ومن قرا ننسأها بمعنى ذلك نؤخرها فمنه النسئ والنسيء والنساء انسا
البيع اجله ونساء اجله وللناحر هنا معنيان اصحهما ان نؤخرها ونبقها
غير منسوخة والثاني على التقديم والتاخير ما ننسخ من اية نأت بخير منها او
بمثلها او نؤخرها فنتركها منسوخة كما هي قلانات بخير منها او مثلها وقال
مجاهد ما ننسخ من اية اي ما نمح من حكم انه وتلاوتها او ننسأها اي نثبت تلاوتها
ونرفع حكمها نات بخير منها او مثلها وقال عطا ما ننسخ اي نكتب من اللوح
المحفوظ فنترك او ننسأها اي نؤخرها في اللوح فلا نترك فيكون هذا
من الانتساخ على هذا القول نات بخير منها او مثلها وقال عطا
ما ننسخ اي نكتب من اللوح المحفوظ فنترك او ننسأها اي نؤخرها في اللوح
فلا نترك الى قيل هذا ليس للتفضيل على معنى فاحسن منها فان الايات
كلها كلام الله تعالى فلا تفاضل في انفسها بل معناه على التقدم والتاخير
نات منها بخير اي بصلاح وخيرية لكن لا تصح هذا التاويل فانه قال او مثلها

فاذا حمل على ذلك لم يكن لهذه الزيادة معنى والصحيح انه للتفصيل والارجح ذلك
الى نفس الاية بل الى ما حصل له للعبد وقال ابن عباس قوله نات بخير منها اي مما هو انفع لكم
وارفق او مثلها للابتلاء والامتحان ليظهر متبع امر الله من متبع هواه وقيل بخير منها
اي باخف واسهل وقيل باكثر ثوابا وقيل باصلح في العاقبة او مثلها في السهولة
والثواب والصلاح والحاصل ان النسخ قد يكون باخف كالاول كنسخ
الاعتداد بحول ونقله الى الاعتداد باربعة اشهر وعشر وكنسخ فرض قيام الليل
الى التخيير وقد يكون بمثله كنسخ التوجه الى بيت المقدس بالتوجه الى الكعبة
وقد يكون باشق الى البدن كنسخ ترك القتال بايجابه وكل ذلك خير للعبد
من حيث الثواب او الصلاح وقد اخبر الله في القتال انه كره لهم واخبر انه
خير وقال وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وكل ذلك انعام منه
عليه واحسان اليه وله الحمد ثم الحكمة في النسخ الابتلاء قال تعالى وما
جعلنا القبلة التي كنت عليها الاية وقرا ابن عامر ما ننسخ بضم النون
وكسر السين من الانساخ وله معنيان اصحهما ما قال ابو عبيد
ما ننسخك يا محمد اي نامرك بان تبتدئ نسخها وقد نسخت الشئ بنفسي واستنسخته
غيري اي حملته عليه كما يقال كتبت بنفسي واكتتبت غيري والثاني
انسخته اي جعلته ناسخا كما يقال اقبرته اي جعلته ذا قبر وقبرته
دفنته وهذا كله على تاويل من جعل الاية من ايات القرآن لم الاية معناها الكلام
المجموع يقال خرج القوم باياتهم اي بجماعتهم والحرف الواحد والكلمة الواصلة
لا تسمى عند معنى مجموع واذا جمعت كلمات صارت اية وفوق الاية سورة
اي درجة مرتفعة قال ——— الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل
ملك دونها يتذبذب ومنه قوله اذ تسوروا المحراب اي علوه قال سورة
هي المشتملة من المعاني على ما زاد على الاية وارتفع عليها كالقصص تنتظمها
السورة الواحدة وقيل معنى هذه الاية ما ننسخ اي ما نرفع حكمه فنغيبها

عن الابصار نات بحر منها اى اقوى منها فى الزام الحجه او مثلها فى الفقوه
وهذا كلام الامام ابى منصور قال بحتمل ذلك مع ما قررنا من المقالات المتقدمه
ثم المنسوخات على ثلاثة اوجه ما نسخ حكمه وتلاوته كقول عايشة كما كان
فى عشر رضعات يحرمن فنسخ بخمس رضعات يحرمن فما نسخ تلاوته وبقى
حكمه وهو المروى عن عمر الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البته
نكالا من الله والله عزيز حكيم وما نسخ حكمه وبقى تلاوته وهى الايات التى
فيها الامر بترك القتال نسخت باية السيف وبقيت تلاوتها وفايدة البقاء
حصول الثواب بقراءتها وقوله الم تعلم ان الله على كل شئ
قدير فصل هو خطاب محمد عليه السلام رد على اليهود كما قالوا فى قوله
انت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله يوم
القيامه رد على النصارى قيل هو خطاب مركان يجادل رسول الله
فى النسخ ويدل عليه انه قال بعده وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير وهذا
خطاب اليهود والصحيح انه خطاب المومنين فانه ينصر الوعد لهم فى الولاية
والنصرة الم تعلم هذا استفهام بمعنى التقرير اى قد علمت كقولك لصاحبك
الم اعطك كذا اى قد اعطيتك وقيل هو استفهام بمعنى الامر كقولك لصاحبك
الم تعلم ان زيدا قدم اى اعلم وهو كقوله فهل انتم منتهون اى انتهوا ان
الله على كل شئ قدير اى يقدر على ان يتعبد عباده بما شاء من العبادات
المختلفه وينقلهم من عبادة الى غيرها على حسب ما يعلمه صلاحا لهم وقوله
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض له وجهان ايضا كما فى الاول اى قد
علمت او اعلم وهذا نص فى قوله على كل شئ قدير والملك تمام القدرة واستحكامها
اى قد علمتم انه مالك السموات والارض وقادر عليهما وانه مالكم فله الحكم والامر
وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير وكلمة من لتاكيد الجحد ولا نصير عطف على الجحد
ولو لم يدخل لاوهم وقعت الشبهه انه ليس لهم هذان جميعا الولى والنصير انما لهم

احدهما

١٩١

احدهما وقال قلا نصير نفيا لكل واحد منهما قصدا والولى القيم بالامر
والمتولى الشئ اليه والنصير المعين والمانع من دون الله اى سوى الله وفى هذه
الجمله ثلاثة معانى احدها التحذير من سخط الله وعقابه اذ لا احد يمنع منه
والثانى التكسير لقلوبهم بان الله وليهم وناصرهم دون غيره والدال الذى
بين العالم وبين حال عبد الاوثان من عدم العالم ودمه الا ولكم وقوله ام
تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل قال الزجاج كلمه ام
اذا لم تكن للعطف على ان الاستفهام كانت بمعنى بل مع الف الاستفهام
وتقديره بل تريدون ان تسلوا رسولكم وهذا استفهام بمعنى التوبيخ
ونزول الايه فى شان اليهود فانهم قالوا ائتنا بكتاب جمله واحده كما
جاء موسى بالتوراه جمله وقوله كما سئل موسى من قبل هو ما
دل عليه قوله تسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا
موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهره وقيل نزلت فى المشركين منهم عبد
الله ابن امية المخزومى حين قال يا محمد لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
الايات فاخبر الله تعالى انهم سلكوا فى اقتراحهم على نبيهم طريق اليهود
فى اقتراحهم على موسى ما ذكرنا وقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان
التبدل والاستبدال اخذ الشئ بدلا عن الشئ واراد اختيار الكفر بمحمد على الايمان
به فقد ضل سواء السبيل اى اخطا وسط الطريق السوى الذى هو بين الغلو
والتقصير وهو الحق يقال اصبح فلان على سواء اذا استوى وسطه وقال
تعالى فاطلع فراه فى سواء الجحيم اى وسط الجحيم وقوله ود كثير
من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا اى احبت كثير من اليهود
وتمنوا ان يصيروكم بعد الايمان الكفر هذا بيان شدة عداوتهم وحسدهم
للمومنين قال الزهرى وقتادة هم كعب بن الاشرف واصحابه وقال ابن عباس هو
حيى بن اخطب وابو ياسر اخطب واخاهما وقال مقاتل ان نفرا من اليهود

منهم شحاص بن عاذورا وزيد بن قيس دعوا حذيفة اليماني وعمار بن ياسر
الى دينهم بعد قتال احد فقالوا لهما انكما لم تصيبا خيرا للذى اصابهم يوم
احد من البلاء وان دينا افضل من دينكم ونحن اهدى منكم سبيلا فقال لهم
عمار كيف نقض العهد فيكم فقالوا اشد ما قد علمت فقال انى عاهدت ربى ان لا اكفر
بمحمد عليه السلام ولا اتبع دينا غير دينه فقالوا اما عمار فقد صبا وضل
عن الهدى بعد اذ ابصره فكيف انت يا حذيفة الا تتابعنا فقال حذيفة رضيت بالله
ربى وبمحمد نبيى وبالقرآن امامى اطيع ربى واقتدى برسولى حتى يأتينى اليقين
فقالوا له موسى لقد اشربت قلبك بحاجة محمد ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبراه بما قيل لهما وبما رد عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبتما اذرا
الخير وافلحتما فانزل الله تعالى هذه الايه ودّ كثير الايه وتطيعوا قوله ودّت
طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وقوله ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يردّوكم وقوله وان يطيعوا الذين كفروا يردوكم
على اعقابكم وقوله حسدا من عند انفسهم الحسد الاسف
على من له الخير يحزن والتمنى ان يزول اليه عنه وحسدا نصبه لوجهين
احدهما انه مفعول له اى يفعلون ذلك لاجل حسدهم والثانى انه نصب
على الحال وهو مصدر اريد به نعت الجمع اى حاسدين لكم من عند
انفسهم اى من قبل انفسهم من غير ان يؤمروا به وتعلقت المعتزلة
بظاهره ان المعصية من فعل العبد لا فعل لله تعالى فيها ونحن نقول
الاحجة لكم فيه فانا نقول الايمان والكفر والطاعات والمعاصى افعال
العباد وهى مخلوقات الله تعالى والفعل من العبد والتخلق من الله وهذه
الايه لا تنفى ما قلنا من بعد ما تبين لهم الحق اى بعد ما ظهر لهم ان محمدا رسول
الله وان الاسلام دين الله قاله قتادة والربيع بن انس وقوله
فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره العفو الترك والصفح الاعراض

وانتظامها بما قبلها انه روى ان الصحابة رضوان الله عليهم استأذنوا
رسول الله ان يقتلوا هؤلاء اليهود الذين كفروا بانفسهم ودعوا
المسلمين الى الكفر ونزلت هذه الاية اى اتركوا قتالهم واعرضوا عن
مكافاتهم حتى يأتى الله بامره اى بحكم محكم فى بنى قريظة والنضير فحكم فى بنى قريظة
بالقتل وفى بنى النضير بالاجلاء وقيل هذا منهى عن القتال ثم نسخ بآية السيف
ومعنى قوله حتى يأتى الله بامره اى بامر القتال فان قالوا هذه السورة
مدنية والامر بالقتال كان سابقا فما معنى الامر بترك القتال قلنا
ان هذا امر بترك القتال مع هؤلاء على الخصوص لانهم كانوا معاهدين ومعنى
قوله حتى يأتى الله بامره هو ما ذكر بامن الحكم بقتل هؤلاء واجلاء هؤلاء
قال الامام ابو منصور يحتمل ان يكون هذا نهيا عن مكافاتهم على
ايذائهم فى الدنيا ثم نسخ وقوله حتى يأتى الله بامره اى بعذابه فى الاخرة
ان الله على كل شىء قدير اى من التعذيب والانتقام وقيل قدير على تغيير الحكم
عمن اذاهم من غير قتال فانظروا الفرج واشتغلوا الان بالصلوة ولذلك وصل
بهذه الايه قوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وهو نظير قوله واجعلوا
بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين اى بالفرج وقوله
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة اى ادوها شكر النعمة سلامة النفس وبذره
المال ليكون الشكر سببا لبقاء نعمة الايمان فلا يقدر اليهود على صرمكم وقوله
وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ما كلمة شرط ولذلك جزم لعدموا
وحذف منه النون لذلك وتجدوه جزاؤه وجزم به وصرف نونه لالتقاء ساكن وكل
شىء قدم بمعنى الى الآخرة من الخيرات من الصلوات والزكوات وسائر الطاعات
وجدتم ثوابها عند الله وقوله ان الله بما تعملون بصير اى يرى ما
عملتم من خير او شر وهو وعد على الطاعة ووعيد على المعصية بالغ وجه وقوله
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اى قالت اليهود لن يدخل

الجنه الا اليهود وقال نصارى نجران لن يدخلها الا النصارى فهذا
على التفصيل ليبين انهم اجتمعوا جميعا على دعواهم دخولهم جميعا فيها
وبين ذلك بقوله بعد هذا وقالت اليهود ليست النصارى على شئ
الاية فظهر ان احد الفريقين لا سيما الاخر بالجنه وانما جمعهم في اول الاية
انهم مجتمعون على الايمان بالتوبة ثم ذكر عنهم قولا وكان لكل ذلك القول
قايل منهم على التفصيل فصح الاجمال على ارادة التفصيل كما في قوله
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار اجتمع الليل والنهار في كونهما
برحمته ثم قال لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وانصرف الى الليل
وابتغاء الفضل الى النهار وحج هذا التفصيل مرارا باجمال حملا
كذلك وقوله تلك امانيهم جمع امنية والتمني التشهي اي يشتهون
ذلك بغير حجة والعرب تسمي الكلام الباطل عن الحجة تمنيا وغرورا وضلالا
واحلاما مجازا وفصل الامانى الاكاذيب هنا وقد بيناه في قوله
لا يعلمون الكتاب الا اماني وقوله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين
اي قل يا محمد اقيموا حجتكم على دعواكم ان كنتم صادقين فيها ولم يقل برهانكم
والخطاب للجمع والبرهان يكم على التثنية وهم فريقان ان الدعوى كانت
واحدة وهي نفي دخول غيرهم الجنة والحجة على تلك الدعوى واحدة وقال الامام
ابو منصور دلت الاية على ان الباطل عليه الدليل ولا يقال انهم اثبتوا الدخول
لانفسهم فطولبوا بالبرهان عليه لانا نقول ليس كذلك بل نفوا دخول
غيرهم صريحا واثبتوا دعواهم دخول انفسهم دلالة والبرهان يطلب على صريح
الدعوى دون الدلالة فان قال النكاح الا بشهود لا يقال له لم قلت ان
النكاح يجوز بالشهود بل يقال له لم قلت انه لا يجوز الا بشهود وله لكن رد
الله على هؤلاء نفي دخول غيرهم لادعواهم دخولهم حيث قال بلى من اسلم وجهه
لله وهو محسن اي بل يدخل هؤلاء الذين اسلموا الذين ينفون دخولهم ثم ان كان

كان هذا امرا بان يأتوا البرهان على ان المسلمين لا يدخلون الجنة بهذا
امر تعجيز لانه لا برهان على هذا وان كان على دعوى دخولهم الجنة فانه
يجوز ان يكون برهانهم ما قال في هذه السورة فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين ويجوز ان يكون هو الايمان بمحمد وكتابه قال عليه السلام ثمن الجنة
لا اله الا الله محمد رسول الله قال مفتاح الجنة لا اله الا الله ويجوز ان
يكون برهانهم ما ذكر بعد وهو قوله بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن الا
وقوله بلى رد لما قبله واثبات لما بعده اي ليس كما تقول
اليهود والنصارى ومن انقاد لله بالتوحيد بكليته والوجه
عبارة عن كل البدن وخص بالذكر لانه اشرف الاعضاء ولهذا يخص بالتحية
فيقال حيي الله وجهك وكرم الله وجهك وقال تعالى وعنت الوجوه ولان
اثر الانقياد والخضوع يظهر في الوجه فيجوز اضافة الفعل اليه ويقال اسلم
وجهه اي اخلص دينه لله وقد سلم هذا الشيء لفلان واسلمته اليه قال تعالى
ورجلا سلما لرجل وجه المسلم دينه الحق فيه جماله وعليه اقباله وقوله
وهو محسن الواو للحال ومعناه ان يحسن افعاله مع صحة اعتقاده واقراره وقيل
الاحسان اداء ما امر به قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقيل
هو الاحسان ببذل المال قال تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقيل هو
احسان المعاملة وبذل المال والنفس قال تعالى جزاء صاحبي السجن اما احدكما
من المحسنين وقيل هو كظم الغيظ والعفو عن الظلم قال تعالى والكاظمين الغيظ
واضمر هاديهم محسنون ثم قال والله يحب المحسنين وقيل الاحسان ما فسره
النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
فانك ان لم تكن تراه فانه يراك وقوله فله اجره عند ربه اي فله ثواب
عمله عند الله في الاخرة وهو موحد لرجوعه الى كلمة من قال ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون على الجمع لانه اسم جنس والمراد به الجمع ورجع الكناية في الاخر

ع الاخرى المعنى ومعناه فلهم ثواب الايمان والاعمال الصالحة عند ربهم فلا خوف
عليهم فيما يستقبلهم من العذاب ولا هم يحزنون على ما خلفوا من الدنيا وله معانى
آخر ذكرنا فيما تقدم وقوله وقالت اليهود ليست النصارى على
وقالت النصارى ليست اليهود على شئ نزلت الاية في شأن يهود المدينة
ونصارى نجران اختصموا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اليهود للنصارى
ما انتم على شئ وجحدوا حقيقة عيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود وما انتم
على شئ وجحدوا حقيقة موسى والتوراة فانزل الله هذه الاية وانتظام هذه
الاية بما قبلها ان في الاية الاولى ذكر مقالة الفريقين في حق غيرهم وذكر في
هذه الاية مقالة كل فريق منهما للاخر وقول على شئ اى من الدين الحق
وهو كقوله يا اهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وقوله
ويتلون الكتاب اى كل فريق يتلو في كتابه تصديق ما ينكره لو رجع الى الكتاب
فكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة وفيه بيان حقيقة عيسى والانجيل
وكفر النصارى بموسى وعندهم الانجيل وفيه بيان حقيقة موسى والتوراة
وقال الزجاج معنى ان الفريقين يتلوان التوراة وقد وقع بينهم هذا
الاختلاف وكتابهم واحد فدل على ضلالتهم هذا وقوله كذلك قال
الذين لا يعلمون مثل قولهم اى كذلك قالوا مشركوا العرب وصفهم بانهم لا يعلمون
لانهم ليسوا اهل الكتاب ولا كان فيهم رسول فالوا محمد واصحابه انهم ليسوا على شئ
من الدين الحق اخبر الله عنهم بقوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه وهذا تقريع لاهل الكتاب انهم مع علمهم بالتوراة قالوا
كقول اهل الشرك الجاهلين وهو مذمة للمشركين ايضا ما قالوا وقيل
الذين لا يعلمون هم الذين لا يتلون الكتاب منهم وهم العوام ثم هذا الكلام
على الطلاق كلامهم ورد عليهم اى من اسلم منهم وقيل لهم ولم يعتد فهو على شئ
ويجعل معنى قوله على شئ اى من الحق وهم يتلون الكتاب ويعلمون كذب دعواهم

اصول
قاله

١٩٤

كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اى قالوا ليس المسلمون على شئ من الحسنة
وهم اولى بها منهم كما اخبر الله تعالى عمن قال ما اظن الساعة قائمة الاية
وقوله فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون اى يرى كلا
من يدخل الجنة عيانا ويدخل النار عيانا فيظهر المبطل من المحق وهو الحكم
الفصل فيما يصير اليه كل فريق فاما الحكم بينهم بالحجة وقد بينه الله تعالى فيما
اظهر من حجج المسلمين ومعجز الخلق عن ان يأتوا بمثل القرآن وقوله
ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه انتظامها بما قبلها ان
الاية الاولى في ذكر قبيح مقالهم وهذه الاية في ذكر قبيح فعالهم ووجه
آخر كيف يدعون انهم اهل الجنة وهم يمنعون عباد الله عن عبادة الله
في بيوت الله ومن كلمة استفهام ومعنى النفي هنا اى لا احد اظلم من
فاعل هذا الفعل ومن دفع بالاسداد واظلم خبره ومساجد نصبت
لوقوع الفعل عليه وهو المنع وان يذكر رافع الفعل مصدر ومحله نصب
لانه بدل عن قوله مساجد اى ممن منع ان يذكر في مساجد وهو كتفسير
منع المسجد فان منع الذاكر عن المسجد منع المسجد عن الذاكر ويجوز نصب
ان يذكر على تقدير لان يذكر فيكون مفعولا له ويجعل تقديره من ان يذكر
اى منع المساجد من ان يذكر فيها اسمه وذكر اسم الله تعالى ذكر الله
قال تعالى واذكر اسم ربك اى واذكر ربك في قوله وسعى في خرابها
سعى كلمة تحلف معانيها باختلاف مصادرها تقول سعى يسعى سعيا اذا
عمل واكتسب واعد او سعى مسعاة اذا جاد وتكرم وجمع المسعاة
المساعي وسعى سعايه اذا اخذ الصدقات وهو عاملها وكذا سعى به الى السلطان
سعايه اى وشى به وكذا سعى المكاتب معتق البعض واما قوله سعاية
وساعى الرجل الامة مساعاة اى فجر بها ولا يقال ذلك في الحر وقوله
اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اولئك اشارة الى الجمع والمذكور

قتله الواحد وهو ممن منع وسعى لان معناه الجمع وبدخلوها كناية عن المساجد
وهى مونثة لانها جمع وما كان اى لا يكون وخائفين نصب على الحال واصل خ
والمراد بن ملك قال ابن عباس ان ططوس بن اسبسيانوس الرومى وكان
ملك الروم غزا بالروم بيت المقدس وخربه والقى فيه الجيف فلم يزل
خرابا لم يعمر وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم واحرق التوراة فلم يزل
خرابا حتى بناه اهل الاسلام فى زمان عمر رضى الله عنه. وقال مقاتل كان اسم
الملك انطياخوس بن تكيس الرومى وقال الحسن والسدى وقتادة خربه
بخت النصر البابلى المجوسى واعانه ذلك عدو الله الروم فحملهم على ذلك بغض
اليهود فلما استولى عمر على ولايه كسرى وغنم اموالهم وعمر نهاية القدس
وسال عن حدوده فلم يعرفه احد غير يهودية فشارطت عمر ان يكون
واحد من ذريتها فيه بعد العماره اذا فاجابها عمر الى ذلك وبينت وعمرته
وقوانها بالشرط ثم دكد المساجد جمعا وان اريد بها الواحد لوجهين
احدهما ان كل موضع منه مسجد اى موضع سجود وهو كقوله يفسحوا
فى المجالس والثانى انه تشريف له وتعظيم كما قال يا ايها الرسل فى حق محمد ع
وقال قتادة الملائكة فى حق جبريل ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
وذلك ان الواحد منهم لا يسلم له الرياسه ولا يجعل له الرهبان ما لم يذرفوا
ولا يمكنه ذلك ظاهرا الا ان اليهود يقتلونه فيتيقن قد دخل خائفا على نفسه
ان يعرف فيقتل وقوله لهم فى الدنيا خزى قيل هو القتل ان كان حربيا
واخذ الجزية عن صغار ان كان ذميا قاله الزجاج وقتادة وقيل
هو قطع اليد فى السارق عربت المقدس بعد ان كانوا ممكنين منه
ويقال ما من يوم الا ويوسر فيه من الروم او يقتل لو عبد الله تعالى
فيهم وقال السدى خزيهم عند خروج المهدى وقتله اياهم وفتح
القسطنطينية وقال مقاتل هو فتح مدائنهم الا قسطنطينية

١٩٥

وعمورية وزرمية وقوامسه ولهم فى الاخرة عذاب عظيم
اى النار الكبرى والعذاب بها اشد من كل عذاب لانه لا ينقطع وقال
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هم مشركوا العرب حين صدوا رسول الله ع
دخول مكة عام الحديبية والمراد بالسعى فى خرابه هو المنع عن الصلوة
فيه دون تخريبه حقيقة فان عمارة المسجد يكون بالعبادة فيه لا بالبنا
قال تعالى والبيت المعمور اى بالعبادة لا بالبنا ولان منعهم عن العبادة
فيه وتغريبهم يمنعهم عن قصده فتخرب بنيته ومعنى ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين اى بعد فتح مكة قال تعالى فلا تقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
وخزيهم فى الدنيا فتح مكة والعذاب العظيم فى الاخرة لما مات على الشرك
وكانوا ممنوعون فى الابتداء عن الصلوة فيه ايضا قال تعالى ارايت الذى
ينهى عبدا اذا صلى وهو ابو جهل لعنه الله نهى محمدا صلى الله عليه وسلم عن الصلوة
فى المسجد الحرام وقصته معروفة والامر بالمخافة فى بعض الصلوات
كان لذلك كانوا يعبدون سرا حتى اعلنه عمر رض والمساجد ذكر
جمعا فى هذا الممر فى بيت المقدس وقال الامام انه منصوص لهم
جميع الكفار يقاتلون المسلمين لاجل الدين وفيه منعهم عن الصلوة وسايد
العبادات والمساجد اديد بها جميع الارض قال صلى الله عليه وسلم جعلت
لى الارض مسجدا وطهورا والسعى فى خرابها هو تخريب بلاد المسلمين وخزيهم
انه لا يمكنهم دخول دار الاسلام الا بامان واذا دخلوها بغير امان قتلوا
وقال القشيرى ومن اظلم ممن خرب بالسهوات اوطان
العبادة وهى نفوس العابدين وخرب بالمنى والعلاقات اوطان
المعرفة وهى قلوب العارفين وخرب بالحظوظ والمساكنات اوطان
المحبة وهى ارواح الواحدين وخرب بالالتفات الى القربات اوطان
المشاهدات وهى اسرار الموحدين وقوله ولله

المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وانتظامها بما قبلها
ان معناه لاسمعكم تحريت مرجت المساجد ان تصلوا له حيث ما كنتم
فله المشارق والمغارب فاينما توجهتم فثمه رضا الله تعالى
فاينما كلمة شرط وهي جازمة وعلامة الجزم هنا سقوط النون
وتولوا اي توجهوا وجوهكم والتوليه متعديه وجوهكم مفعوله
فثم وجه الله اي هناك وجه الله اي قبله الله قال الوجهه
والوجهه والجهة بمعنى والقبلة سميت بذلك لورود الامر بالتوجه
اليها وقيل اي رضا الله تعالى فعلى لكل لوجه الله تعالى اي لرضا
الله وقال الامام ابو منصور مع ذكر هذين القولين معناه فثم وجه
الله والوجه يذكر ويراد به الذات قال الله تعالى ويبقى وجه ربك
اي ربك ومعناه ليس هو عنهم بغايب وفي نزول الايه اقاويل قال
قتاده كان للمسلمين التوجه في الصلوة الى حيث شاوا بعد هذه الايه
ثم نسخ بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام الايه وقال ابن عباس نزلت
رد على اليهود لما استنكروا تحويل القبلة الى الكعبه فاصابهم الضباب
وحضرت الصلوه فتحروا القبله لبيت المقدس فمنهم من صلى قبل المشرق
ومنهم من صلى قبل المغرب فلما طلعت الشمس عرفوا انهم قد صلوا لغير القبله
فلما قدموا المدينه اخبروا النبي ع بذلك فانزل الله تعالى هذه الايه
وروى عبد الله بن عامر بن ربيعه عن ابيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في ليله مظلمه في سفر فلم ندر اين القبله وصلى كل رجل منا على حياله ثم اصبحنا
فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الايه وفي بعض الروايات
فخط كل واحد منا خطا وفي بعضها فجعل كل رجل منا مسجدا امامه ايين
يديه فلما اصبحنا اذا نحن الى غير القبله وصلى هذا الصلوه النافله
على الراحله قال ابن عمر كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته تطوعا

انما توجهت به وهو جاي من مكه الى مدينه وفي هذا انزلت هذه الايه فاينما
تولوا فثم وجه الله وقال الحسن ومجاهد والضحاك لما نزلت وقال ربكم ادعوني
استجب لكم قالوا الى اين ندعوه فنزلت هذه الايه فقالوا كيف ندعوه
فنزلت فاذا سالك عبادي الايه وقوله ان الله واسع عليم
الواسع الجواد الذي وسع عطاياه السائلين والواسع الغني والسعة
الغنى اي هو غني عن عباده العباد فلا يواخذهم بمراعاتها على وجه واحد
جواد يقبل منهم عملهم اذا اراد وابه رضاه ويوسع الامور على عباده بفضله
عليم بجهدهم وضعفهم وقيل علم بما قصدوا ونووا وقيل وهو على قول ابن
عباس الذي ذكرنا انه رد على اليهود في انكارهم نقل القبله الى الكعبة
ان الله واسع اي غني لم ينقلكم الى الكعبه حاجه الى عبادتكم ولا اراد بها
ملكه بل لانه علم مصالحكم فيتعبدكم بما هو اصلح لكم وعلى هذا القول يكون
معنى قوله فاينما تولوا فثم وجه الله اي من حيث توجهتم الى مكه فهناك
قبله الله اي توجهوا اليها دون غيرها فانه مكلف لكم حيث كنتم بالاستدلال
وقيل نزلت في النجاشي حين اسلم وتوجه الى المدينه ومات في الطريق
فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى على النجاشي مع اصحابه
فقالوا كيف نصلي عليه وانه لم يصل الى قبلتنا فنزلت هذه الايه وقالوا اتخذ
الله ولدا اي قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال بنو
مليح من خزاعة من العرب الملائكة بنات الله سبحانه تنزه نفسه عن ذلك والتسبيح
التنزيه وقيل هو الامر بلفظ المصدر اي نزهوه عن ذلك بل له ما في السموات
والارض اي كل ذلك مملوك له مربوب فكيف يكون عزيرا وعيسى او الملائكه
ولد اله وكل منهم عبد له مربوب مخلوق والولد لا يكون الا من جنس الوالد
ولا يكون الصنع من جنس الصانع وقال الامام ابو منصور اتحاد الولد
لا يكون الا لاحد وجوه اربعه اما الشهوات تغلبه فتقضيه واما

واما الوحشة فاخذ فيحتاج الى من يستانس به او لدفع عدو
يقهره فيحتاج الى من ينتصره ويستغيث به او خوف صرفان الدهر
والموت ليرث ملكه ويقوم مقامه والله متعال عن هذه العلل كلها
واما اتخاذ الحبيب والخليل فاين من الله تعالى لان المحبة تقع على غير جوهر
المحب واما الولد فلا يكون الا من جنسه وجوهره واعني بمحبة الانسان
اشياء سوى البشر ولان الخلة يقع لافعال يكتسب ببعلوها امره فيوجد
بها الخلة بمعنى الحاجة فاما البنوة فلا يكون لافعال يكتسب بل بدؤه
من مولده وقد نفى الله تعالى عن نفسه ما به يكون الولد بقوله انا
يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولان الخلة تجوز القول بها تحقيقا
وتسميه اما التحقيق فلانها ايثار ورضا واختصاص من الله تعالى
وهو جايز والتسمية ورد بها الشرع قال الله تعالى واتخذ الله ابرهيم
خليلا واما البنوة فلا يجوز تحقيقا لانها تدل على الجنسية والبعضية
وهي نقيصة منفية ولم ترد باطلاقها الشرع فبطل القول بها
وقوله كل له قانتون قيل اي عزير وعيسى والملايكة كلهم مطيعون
له مقرون له بالعبودية والقنوت الطاعة وان صرف الى كل ما في السموات
والارض المسلم مطيع له طوعا والكافر كرها قال تعالى وله اسلم من في السموات
والارض طوعا وكرها ولان المسلم مطيع له اختيارا والكافر اضطرارا
قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله الاية وقيل القنوت الدعا
ومنه قنوت الوتر والمؤمن يدعوا الله تعالى ابدا والكافر عند الضرورة
كما تلونا من الاية والقنوت القيام ايضا قال عليه السلام افضل الصلاة
طول القنوت والكل قائمون دايمون على ما خلقهم لا يملك احد ان يبدل
نفسه وغيرها وقال السدي كل له قانتون يوم القيامة وقيل
ذكر الكل واريد به البعض كما في قوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا وقوله والله

من كل شئ وقال الامام ابو منصور بعد ذكره اكثر هذه الاقاويل محتمل
تنزيه الخلق لان خلقه كل احد تنزيه له عن جميع ما يقولون فيه او يقال
كل له قانتون في الجملة كما قال ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله
بديع السموات والارض قال الامام ابو منصور البديع والمبدع والمبتدع
واحد وهو الذي لم يسبقه احد في انشاء مثله ولذا سمي صاحب الهوى مبتدعا
لانه لم يسبقه في مثل قوله احد وهذا رد على الذين قالوا اتخذ الله ولدا اي من
قدر على خلق السموات والارض من غير سبق كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير
اب وقال ابن قتيبة يجوز ان تكون العين بدلا من الهمزة والبديع والمبدع
كالبدء والمبدئ قال تعالى فانظروا كيف بدا الخلق وقال اولم يروا
كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده فجاء على فعل وافعل وقوله فاذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون قال ابن قتيبة اذا قضى امرا اي قدر وقضى
في القرآن على المعاني لامرها بحوله وقضى ربك والاخبار كما قال وقضينا الى
الى بني اسرايل وللحكم كما في قوله وقضى بينهم بالحق وللتخليق كما في قوله فقضاهن
سبع سموات وللفراغ كما في قوله ثم اقضوا الي اي افرغوا من امركم
وللختم كما قال ثم قضى اجلا وللقتل كما قال فوكزه موسى فقضى عليه وقال
ما بينها كانت الفاصلة هي الموت من هذا وللارادة كما قال واذا قضى امرا
اي اراد وتوضح ذلك قوله انما قولنا لشئ اذا اردناه وقوله انما اراد
شيا او ذكر قضا للامر واراد به ارادة وقضا الامر ارادته قضا الامر
كما في قوله اذا طلقتم واذا قضيتم اذا قدر القران ان المراد بهذه الاية فعال
اراد تها وقوله امرا وهو واحد الامور اي المخلوب اي لا واحد الاوامر
الذي هو صفة الامر لانه صفة لله تعالى فلا يدخل تحت قضايه اذ يراد بالامر
المامور المخلوق وقيل معناه واذا اراد خلق ولد بلا اب كونه فكان هو جواب
النصارى ان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه فاجيبوا بهذا وقوله فانما يقول

يقول له كن فيكون لم يرد به انه يخاطبه بكلمة كن فيكون بهذا الخطاب
لانه لو جعل خطابا حقيقة فلا يخلو اما ان يكون خطابا للمعدوم وهو
يوجد او خطابا للموجود بعد ما وجد ولا جايز ان يكون خطابا للمعدوم
لانه لا شئ فكيف يخاطب ولا جايز ان يكون خطابا للموجود لانه قد كان
وكيف يقال له كن وهو كائن وانما هو بيان اذا شاء كونه فكونه وكان
وقال الامام ابو منصور قيل اذا اقتضى امرا اى قضى باهلاك قوم وذلك
واستيصالهم فانما يقول له كن فيكون وهو استعاره انه لا يدخله باخر
ولا يلحقه تعب ولا يمتنع عليه شئ ولا يخرج عن نفاذ حكمه خلق وقوله فيكون
رفع بطريقين احدهما الاستيناف والثانى العطف على قوله فانما يقول
له كن وقوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا
ايه هم مشركو العرب تذكر قبح مقالهم اليهود والنصارى ولهم وجوه
احدها كانوا يعلمون حقيقة لكن لم ينتفعوا بعلمهم ففى العلم عنهم والثانى
الذين لا يعلمون الكتاب قالوا هلا يكلمنا الله فنحدث بانك رسول الله
او تاتينا ايه تقترحها فنعلم بها انك رسول الله والرابع لا يعلمون انه
انهم لم سلعوا المبلغ الذى يمكنهم الله والخامس لا يعلمون انه
قد كلمهم واخبرهم تا لوحى والقران واتى رسوله ايات على رسالته للكهم
يعاندون وقوله كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم اى تشابهت
اسرايل قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقال هولا لولا انزل
علينا الملايكة او نرى ربنا وسالوا ايات اقترحوها من نحو قولهم لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الاية وفى هذه الايه او تاتينا ايه او فى هذه الايات
للتخيير اى تفعل هذا او هذا قال الله تعالى قد تشابهت قلوب الذين من قبلهم فقالوا
لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقالوا لعيسى هل يستطيع ربك ان ينزل
علينا مائدة من السما فتحكم كتحكم اولئك وتحتمل ان هذه الايه وحين

١٩٨

احدهما ان اولئك سالوا عين ما سال هولا وتحتمل ان سوال اولئك كان سوال
تعنت لا سوال استرشاد كسوال هولا ويكون التشابه بين القريقين
فى صفة المسول لا عين المسول وقوله تشابهت قلوبهم
اى تماثلت قلوب الفريقين فى التكذيب والكفر واراده سوال التعنت
وهو كما قال اقواصوا به قد بينا الايات لقوم يوقنون اى التوراة
والانجيل لاهل الكتاب والقران للكل فلم تسالون اتيان الايات لقوم
يوقنون باصل البيان الذى يقع به الالزام يعم الكل ولكن يخص المومنين
بحق النفع كما ملنا فى قوله هدى للمتقين وقوله انا ارسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا اى مبشرا لمن يقر بالايات فامن ونذيرا لمن
تغافل عنها فلم يومن بالحق اى بالاسلام قال تعالى بالهدى ودين الحق
وقيل بالحق اى لسان الحق والباء قد يكون بمعنى اللام قال تعالى ذلك
بان الله هو الحق اى لان الله وقيل اى على الحق قال تعالى وخلق الله السموات
والارض بالحق اى على الحق يعنى انها حق لا باطل والباء قد يكون بمعنى على
قال تعالى وظنوا انهم واقع بهم اى عليهم وقيل ارسلناك مع الحق وهو القران
والباء قد يكون بمعنى مع يقال دخل فلان بسبعة اى مع سبعة وقوله
ولا تسال عن اصحاب الجحيم اى عن الكفار الذين هم اصحاب النار والجحيم النار
الشديدة الالتهاب والجاحم المكان الشديد الحر والواو الغاشية ضم
التاء واللام وضم ونحن الاستيناف والحال اى ما ارسلناك بشيرا ونذيرا
غير مسول عن اصحاب الجحيم انما عليك البلاغ وعلينا الحساب لا تذهب نفسك
عليهم حسرات ولذلك لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين وهو
كقوله فلعلك باخع نفسك الى قوله ولا تسالون عما كانوا يعملون وقرا
نافع ولا تسال قال الزجاج له وجهان احدهما النهى عن المسالة قال ابن
عباس ومحمد بن كعب القرظى قال النبى صلى الله عليه وسلم بوما ليت شعرى

ما فعل ابواى فانزل الله قوله ولا تسأل عن اصحاب الجحيم فلم يذكرهما حتى توفاه
الله تعالى والثانى التفخيم لما اعد لهم من العذاب كما يقال لا تسأل عن
حال فلان اى قد صار الى اعظم ما تظن وقرئ بضم التاء وجزم اللام
وهو نهى للنبى عن ان يسألوه عن اصحاب الجحيم ولما امر بتبشير المؤمنين
والانذار الكافرين كان يذكر عقوبات الكفار فقام رجل فقال يا رسول الله
ابى والدى فقال فى النار فحزن الرجل فقال صلى الله عليه وسلم ان والدى
ووالدابوهم ووالدى فى النار فانزل الله قوله فلا تسأل عن اصحاب
الجحيم فلا يسألوه شيأ من بعد ذلك وهو كقوله ولا تسألوا عن اشيا
ان تبد لكم تسؤكم وعلى القراءة الثانية ذكر فى نزول هذه الاية عن الضحاك
لما فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من قتال مكة يوم بدر وقتلائهم فى القليب نادى
ورمى به
يا على صوت الم اندركم الم انعذم اليكم الم احذركم فقد نزل بكم ما نزل
وهو يتوجع لهم فيقول اى يا رب قد اعذرت اليهم فانزل الله تعالى هذه
الاية وقال مقاتل قال النبى صلى الله عليه وسلم لو انزل الله بهم لا الذى
قالوا لو لا يكلمنا الله او تاتينا اية عقوبة بما قالوا فانزل الله تعالى الاية
ولا تسأل عن اصحاب الجحيم وان الله قد احصاها عليهم وقوله
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ولما امر بالتبشير والانذار
للمسلمين والكفار كان يلاطف كل فريق فى الكلام رجاء ان يسلموا فنزلت
هذه الاية اى لا يرضى عنك الفريقان بهدانا ما ترضون عنك بانباعك ملتهم
اى دينهم والملة الطريق الواضح وقيل الطريق المسلوك وقيل هى النحلة وقيل
هى الطريقة التى يحمى لها صاحبها اذا تعرضوا لها مثل قولهم خبز ملة وهو الذى
خبز فى الجمر تحت الرماد وقيل معناه حتى تتبع قبلتهم اى تصلى اليها ولا
يمكنك ذلك لان النصرانية غير اليهودية وكذا قبلة النصارى الى المشرق
وقبلة اليهود الى المغرب فلو توجهت الى احديهما استدبرت الاخرى

فاترك

فاترك طلب رضاهم واتبع رضاى وقبلتك التى انت عليها قال الزجاج
كانوا يسألونه المهادنة والمسالمة ويودون انهم ان امهلهم اسلموا فاعلمهم انهم لن
يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم وقيل كان يحتهد فى طلب ما يرضيهم ليصلوا الى الاسلام
فقال له دع طلب ما يرضيهم الى ما امرك به من مجاهدتهم وقوله
قل ان هدى الله هو الهدى اى طريق الله وهو الاسلام هو الطريق الحق وقال
الامام ابو منصور اى دين الله الذى اختاره اهل الاسلام بالامر باتباع الانبياء
هو الدين لا ما اختاره او لكل بهواهم وقال الزجاج بل ان الصراط الذى
دعا اليه وهدى اليه هو طريق الحق وقوله ولئن اتبعت اهواءهم
اى فى الله فى القبلة وانما جمع الاهواء ولم يقل هواهم لان فرق الخلاف
لم يكونوا على هوى واحد بل لكل فرقة هوى فاخبر انه لا يرضى الكل الا باتباع
اهوائهم ثم قيل هذا خطاب النبى صلى الله عليه وسلم ظاهرا والمراد به امته
وهو معهود ان يخاطب راس القوم لما يلزم وقيل ليس هذا الخطاب للنبى عم
بل معناه انها المتبع رضاهم ان اتبعت اهواءهم والصحيح انه خطاب للنبى عم
ان ما قبله وما بعده خطاب له فان قيل كيف نهى رسوله عن اتباع ملتهم
على علم منه انه لا يتبع هذا سؤال الامام ابى منصور واجاب عنه ان العصمة
لا تزيل المحنة ولا يد فعها بل المحنة انما تقع مع العصمة لوجهين احدهما ان عصمته
لما مضى لا توجب عصمته الحادث والثانى ان احق من تنهى عن الشىء
من اكرم بالعصمة اذ عند زوال النهى عنه يرتفع عنه جهة العصمة لانه يصير
برفع النهى عنه مباحا وفى ازاله الامر والنهى ازاله فايدة العصمة لان العصمة
هى ان يعصم فى الامر حتى يودى وفى النهى حتى ينتهى عنه وقوله
بعد الذى جاءك من العلم اى بيان حقية الاسلام وبطلان الكفر وان الكعبة
هى القبلة وقوله ما لك من الله من ولى ولا نصير كان وعد
النبى بالتاييد بنصره وبالمومنين بقوله هو الذى ايدك بنصره وبالمومنين

ناخبر هذه الايه انه لو اتبع اهواءهم لم يكن له من الله ولى اى حبيب يتولى عنه
الدفاع ولا ناصر يمنع عنه العذاب وقيل ينصرك اى يعينك ويغلبك
سلطان الله فما يريد بعد تبكيتك قوله الذين اتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته مدح بهذه الايه الذين امنوا من اهل الكتاب بعد ما ذم
فى الايات المتقدمة الذين عاندوا ولم يسلموا وهم عبد الله بن سلام واسيد
واسيد ويامين بن يامين وثعلبة الحبشى وجماعة وقيل هم الاربعون
الذين قدموا من الحبشة مع جعفر بن ابى طالب اثنان وثلاثون منهم من
اليمن وثمانية من علماء الشام وقيل هم تسعة وثلاثون رجلا من بقايا قوم
عيسى امنوا بهم بقول عيسى وتلوا عليه حتى خرج قال تعالى واذا تتلى
عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين الايه وقوله
اتيناهم الكتاب اى التوريه وانما خصهم بذكر الايتاء لانهم هم الذين
عملوا به فكانهم خصوا به قوله يتلونه حق تلاوته قال مجاهد اى يتبعونه
حق اتباعه قال تعالى والقمر اذا تلاها اى تبعها واتباعه حق اتباعه
هو العمل بحكمه والايمان بمتشابهه وقال ابن عباس وابن مسعود
هو ان يحل حلاله ويحرم حرامه ويعمل باوامره وينتهى بنواهيه وقيل
معناه يقرءونه كما انزله قال تعالى واتل عليهم وقرانه حق قراءته الترتيل
والتفكر والترتيل وترك التحريف والتبديل وقيل اى يصفونه
حق صفته اى يقولون هو كلام الله غير مخلوق ولا محدث ولا احداث
ويصدق قولهم افعاله من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقوله اولئك
يومنون به هذا خبر للمبتدا فان قوله يتلونه حق تلاوته هذا خبر وقوله
اولئك هذا خبر آخر وهو كقولك هذا حلو حامض وقيل الواو مضمر فى قوله
يتلونه اى ويتلونه وتم المسند عند قوله حق تلاوته ويكون اولئك خبرا
لذلك المبتدا وبيانا ان من اوتى التوريه وابعها وعمل بها فهو الذى يؤ

دون غيره وقيل الايه فى شان الصحابة والكتاب القران وهذا مدح
لهؤلاء بعد ذم اولئك وقوله ومن يكفر به اى بالكتاب فاولئك
هم الخاسرون اى الهالكون المغبونون فاولئك جمع والمذكور قبله موحد
لكنه فى معنى الجمع وهو قوله ومن يكفر به لانه للجنس وهم عاد والخاسرون
خبر المبتدا وابيت الخسران لمن كفر به لانه لم يتبعه حتى اتباعه وهذا
لطف من الله تعالى بعباده وقوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى
التى انعمت عليكم واتى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس
شيا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون قد مر تفسير
الاتيين فيما قصّ بنى اسرائيل بهما وفى الايه الاولى تذكير النعمه وفى
الاخرى تحويفا لعقوبه وبهما تم القصد والتكرير للتقرير
ووصل بها قصة ابرهيم وكان بنو اسرائيل يدعون انهم على ملة ابرهيم
قال تعالى ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
وشرح حاله هنا فقال واذا ابتلى ابرهيم ربه بكلمات اى
واذكروا اذ امر ابرهيم قدم المفعول ثم ذكر الفاعل فقال ربه
فانما فعل ذلك ايجازا لانه لو قدم الفاعل وقال رب ابرهيم تكرر ذكر ابرهيم
فى موضع المفعول والايجاز ابلغ والاسلوب الاصل هو الاختبار واوامر
الله ونواهيه ابتلاء قال تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وقال انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج نبتليه والابتلاء هنا لظهور ما لم نعلم
من الله تعالى لاظهار ما قد علم هو وعاقبته الابتلاء لظهور الامر الخفى فى ان
والغايب جميعا فجاز تسمية ذلك الله تعالى ابتلاء لهذه العاقبة لانه رخ
هذا المعنى كابتلاء العباد وقوله بكلمات قال ابن عباس اى باوامر منا
الخ وعنه ايضا ان الكلمات عشر خصال خمس فى الراس وخمس فى البدن اما التى
فى الراس ففرق الراس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب

واما الذى فى البدن فقلم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والاستحداد
بالماء والختان وقوله فاتمهن اى عمل بمن قال تعالى وابرهيم الذى
وفى وهو كذا وروى انه اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وهو قرية
بالشام وعلى القول الاول فاتمهن اى ادى مناسك الحج على التمام وهذه الخصال
العشر كانت عليه فرايض وهى لنا سنن وقال محمد بن على الترمذى الكلمات
هى الخصال التى ابتلى عليها الاسلام وهى اثنان وثلاثون سهما عشر منها
فى سورة الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الايه وعشر فى سورة الرعد
افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق الايات وست فى سورة قد افلح الى قوله
هم الوارثون وست فى اول سورة المؤمنون هدى للمتقين الى قوله هم المفلحون
وقيل الكلمات هى الدعوات المحكية عنه فى القرآن رب اعزنى وقوله
والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وقيل هى الاوامر والنواهى لانها بالكلام وقوله
فاتمهن اى اتم ابرهيم اداءهن وقيل اى فاتمهن الله لابرهيم ولم ابتلها
لاحد قبله وقيل ابتلاه بكلمات اى امتحنه بالشدايد والمكاره كالقايه
فى النار واسكان ولده فى وادى غير ذى زرع والامر بذبح الولد
والهجرة من بلاد قومه ومحاجة الكفرة عبدة الشمس والقمر والكواكب ومحاجه
نمرود وسماها كلمات لانها اعاجيب وقيل ليبنى كلمة الله لذلك يا تمهن
فاتمهن اى استسلم لله فيهن وصبر عليهن وقال الحسن ابتلاه بهذه الاشياء
فاتمهن فشكرها الله تعالى له فقال انى جاعلك للناس اماما اى رسولا
يقتدى بك جميع من بعدك فى الامام فعال من الام اى القصد والمقتدى
يقصد قصد المقتدى ويتبعه وقد انجز الله هذا الوعد فقال لمحمد ثم
اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وقال لنا ملة ابيكم ابرهيم
وهو نصب على الاغراء وقال ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه
وقال لقد كان لكم اسوة حسنة فى ابرهيم وقوله ومن ذريتى

وعن ابن عباس قال اول من هدى سنن ابراهيم ان رسول الله صلعم احصى ما عاش من بعده ثلاثة وستين سنة وهو ان عاش بعده ثلاثة وستين سنة

اى قال ابرهيم يا رب واجعل من ذريتى ايضا ايمة والذرية الاولاد
فعلية من الذر اى الخلق تركوا هم هاء اللفظ كما فى البرية والخابية
ومن للتبعيض هنا لا للتنصيص اى اجعلهم كلهم ايمة وهذا يعدى بهم
وهذا شفقة منه على اولاده على الخصوص اكرم بكرامه فاجابه ان
شاركه فيها اولاده وشفقه نبينا عليه السلام كانت فى درجة الكمال
اكرم ليلة المعراج بالسلام والرحمة والبركة فقال السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين فاشترك فيها كل اهل السماء والارض من اهل التوحيد
وقوله لا ينال عهدى الظالمين اى لا تصيب الامامة اهل الظلم
من ولدك وهم اهل الكفر اخبر ان امامة المسلمين لا تنتهى لاهل الكفر وان من
اولاده المسلمين والكافرين قال تعالى باركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما
محسن وظالم لنفسه مبين والمحسن المومن والظالم الكافر وتعلقت المعتزلة
بظاهر الايه فى نفى صلاحية الامامة للفاسق لكن نقول الظالم اريد به الكافر
هنا وقيل انه سال ان يكون ولده اماما نبيا كما كان هو فاخبر ان الظالم
لا يكون نبيا اماما وقال الحسن ليس لهم عند الله عهد يعطيهم عليه خيرا
فى الاخرة فاما فى الدنيا فقد تعاهدون فتوفى لهم وقال الامام ابو منصور
ان قيل كيف قوله لا ينال عهدى الظالمين جوابا لقوله ومن ذريتى وكانت
الرسالة فى ذريته قال تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه فقيل تحمل
قوله ومن ذريتى انه اخبر ان يكون الرسالة تدوم فى ذريته ابدا حتى لا
يكون بين الرسل فترات فاخبر ان فى ذريته من هو ظالم فلا ينال عهده
الظالم وقوله واذ جعلنا البيت مثابة اى واذكر اذ جعلنا
الكعبة والبيت معرفا بالالف واللام فقد ذكرت فى القرآن على وجوه
ان اول بيت ان طهر بيتى فليعبد وارب هذا البيت الحرام وتلله
على الناس حج البيت وقوله مثابة اى مرجعا من ثاب يثوب اى رجع

وقال الحسن يثوبون اليه كل عام اى ليس هو في الزمان مرة فقط
وقال ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه احد وهو دين الله قد مضى منه وطرائقهم
يعودون الله وقوله للناس امنا وهو موضع الامن والامن
ضد الخوف قال تعالى ومن دخله كان آمنا وقال حرما امنا وقال صلى الله عليه وسلم
الا ان مكة حرام من حرام الله تعالى لم تحل لاحد قبلي ولا لاحد بعدي وانما
احلت لي ساعة من نهار ثم عادت بعد حراما الى يوم القيامة وقيل
امنا من الجنون والجذام والبرص وقيل امنا من ابرهة الجبار فانه
ما قصد قوم تخريبه الا هلكوا كاصحاب الفيل ولذلك سمي عتيقا لانه
اعتق عن الردى الجبابرة وقيل امنا للصيود حتى ان الاسد يتبع
الظبي فلا يدخل الظبي الحرم فيرجع الاسد وقيل امنا لسكان الحرم
وانهم يسمون اهل الله ولا يتعرض لهم وقيل امنا لمن جنى ثم لجأ اليه
فانه لا يتعرض له الى ان يخرج وقوله واتخذوا من مقام ابرهيم
مصلى قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الفعل الماضي اى جعلناه مثابة
للناس فاتخذوا ذلك مصلى وقرأ الباقون على الامر وهو عطف على قوله
اذكروا نعمتي واتخذوا ذلك وقيل فيه اضمار القول اى وقلنا لهم واتخذوا
او قل لهم ذلك وقيل قوله واذ جعلنا البيت مثابة يقتضي قوله
ثوبوا اليه فيكون واتخذوا عطفا عليه وقوله من مقام
ابرهيم المقام موضع القيام والمقام موضع الاقامة ونسق الاقامة ايضا
وقال ابن عباس الحرم كله مقام ابرهيم لما كان فيه استقبل البيت ومن كان
خارجا منه استقبل الحرم فهو المصلى وقال العطا هو المناسك اى مواضع
افعال الحج كعرفات والمزدلفة ومنى ومكة وقيل هو المسجد وقيل هو البيت
وقيل هو موضع قبالة باب الكعبة بتوجه منه اليها وقال السدي هو الحجر
الذي كانت وجه اسمعيل وضعته تحت قدمي ابرهيم حين غسلت راسه

وهو وضع عليه معسلت شقه ع الى السوق الخ فعل كذلك جعله الله من شفايع ؟

وقيل هو الحجر الذي وضع عليه قدمه حين نادى بالحج فقد روى انه لما فرغ من بناء
الكعبة قال له اذن في الناس بالحج فقال كيف انادي وانا بين الجبال وليس
بحضرتي احد فقال الله تعالى عليك النداء وعلي البلاغ فصعد ابا قبيس
فصعد هذا الحجر فارتفع هذا الحجر حتى علا كل جبر في الدنيا وجمع الله له
الارض كالسفرة فنادى يا معشر المسلمين انا كلم بيتا وامركم ان تحجوه فمن
فاجابه الناس من اصلاب الآباء وارحام الامهات فمن اجابه مرة حج مرة ومن
اجابه عشرا حج عشرا وقال ابن عباس كان ابرهيم يبني الكعبة واسمعيل يناوله
الاحجار فلما ارتفع البنيان وصعب عليه رفع الحجارة اليه قام على الحجر فهو مقام
ابرهيم وقوله مصلى اى موضع دعاء فان الصلوة هي الدعاء قال
تعالى وصل عليهم واسم الموضع من الافعال المتشعبة يكون على صيغة
المفعول منها وقيل هو موضع الصلوة المعهودة وروي انه صلى فيه
اسهى الى مقام ابرهيم فقال عمر رضي الله عنه افلا نتخذه مصلى فنزلت هذه الاية
وكان عمر يقول وافقني ربي في ثلاثة اي وقع مرادي على وفاق حكم الله في الحجاب
الحجر والحجاب ومقام ابرهيم وقوله وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل
اى امرناهما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم وقال ولقد عهدنا الى ادم
ان طهرا بيتي قال عطا كنت عند ابن عباس فسأله رجل عن قوله طهرا بيتي قال
اما والله ما امرهم الله ان يخرجوه بالبعوض ولا ان يصغروه بالخوص ولكن
امرهم ان يطهروه من الاوثان والمعاصي وما لا يحبه الله وقال قتادة
ومجاهد وسعيد بن جبير اى طهرا بيتي من الشرك وعبادة الاوثان وكان
عليها المشركون قبل ان يصيروا اليهما وقيل كانوا يتغوطون
الى الله تعالى بالقرابين وكانوا يلطخون الجدر بالدماء فامر الله تعالى
بالتطهير فقيل هو تطهيره عن المكاسب فيه وقيل معناه وما على تطهيره
كما قال تعالى يا ايها النبي اتق الله اى دم على التقوى وقيل اكد لكل هو

هو امران تنقياه على الطهاره لان يكون فيه نجاسه غير بلا ملك البحار
وهو كقوله ولم يبق فيها ازواج مطهره اى مبقاه على الطهاره الاصليه
وقوله للطائفين اى بالكعبه والعاكفين اى المجاورين
في المسجد الحرام والعكوف والاعتكاف الاقامه والاحتباس والعكف
الحبس والوقف قال تعالى والهدى معكوفا والركع جمع الراكع والسجود
جمع الساجد واراد بالركع السجود المصلين والصلوه تشتمل على افعال
اقربها الى الخشوع هذان فالطواف في الحج والعمره والعكوف ملازمه
المسجد والركوع والسجود في الصلوه وهي العباده المتعلقه
بالبيت فامرهما بتطهيره لهؤلاء وقيل الطواف للغرباء والعكوف
لاهل مكه والصلوه لكل قريب منها ومن بعد عنها فتوجههم
في الصلوه اليها وقوله واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا
بلدا امنا اى واذكر ايضا او دعا ابرهيم فقال بارب حذف حرف النداء
وهو جايز قال تعالى يوسف اعرض عن هذا اى يا يوسف وقوله هذا اى هذا
الوادى بلدا قال انما سكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع سال الله تعالى
قبل ان يصير الوادى بلدا ان يجعله بلدا آمنا وفي سوره ابرهيم قال رب
اجعل هذا البلد امنا وكان هذا الدعا بعد ما صار بلدا سأله ان يجعله
امنا وقيل معناها واحد اذ تمام الكلام اجعل هذا البلد بلدا امنا للاول
اشاره الى المعرفه قالثاني معقول ثاني ويدل على طريق النكره وفي اله حذف
المعرفه وبقي النكره وفي اية حذف النكره وبقي المعرفه وقوله امنا اى
ذا امن كقوله في عيشه راضيه اى ذات رضا وللامن الاهل ما ذكرنا في قوله
مثابه للناس وامنا قال قالوا ان مكه كان حراما قبل قال النبي صلى الله عليه
الا ان مكه حرام منذ خلق الله السموات والارض فما معنى سوال الامن قلنا

كان امنا عن الاصطلام والثاني في النفوس بعظيمها واحترامها وهذا
كان سوال وقوع الامن عن الحوادث والعوارض وقيل كان هذا سوال
دوام ذلك الامن فاجاب الله تعالى دعوته فقال اولم نمكن لهم حرما
امنا ويتخطف الناس من حولهم وقوله وارزق اهله من الثمرات
هي جمع ثمره وهي جميع ما يخرج من الارض والاشجار فهو سوال الطعام والفواكه
وقد حققنا ذلك في قوله فاخرج به من الثمرات في قيل هي الفواكه واما هنا
هذا بالسوال لان الطعام المعهود ما يكون في كل موضع فاما الفواكه فقد
تعز فسال لاهلها الامن والسعه وبها يطيب العيش وتقوم المصالح فاجابه
له في ذلك اما بنقل ثمره من قرى فلسطين كثيره الثمار اليها فاتى جبريل
وقلعها واتى بها وطاف بها حول البيت سبعا وضعها على بلاث مراحل
من مكه وهي الطايف فلذلك سميت بها له الزهري وقال تعالى يجبى اليه ثمرات
كل شيء وقوله من امن منهم بالله واليوم الآخر من بدل عن قوله
اهله اى ارزق من امن خص المومنين سوال توسعه الرزق لمعاني
اربعه احدها ان الله تعالى لما امرهما بتطهير البيت للطايفين والعاكفين
دون غيرهم وافق الله تعالى فسال سعة الرزق للمومنين دون غيرهم
والثاني انه اراد ان يجعل ذلك اية ترغب الكفار في الاسلام والثالث انه
لما عم بسوال الامامه قال ومن ذريتي اجيب بقوله لا ينال عهدي
الظالمين فتاديب ولم يعم في سوال سعة الرزق بل خص كما خص الله
له في اجابه سوال الامامه والرابع ما قال الامام ابو منصور فلعله حسن ان
لمح ذلك مخرج المعونه لهم على العصيان وفي دليل على انه لا باس بسلع
الطعام من الكفره وقوله قال ومن كفر اى قال الله تعالى
والذي كفر لا امتعه منهم هذا فامتعه اى ارزقه الثمرات ايضا كما ارزق
المومن اخبر ان امر الرزق ليس كامر الامامه واعلمه ان الدنيا ومتاعها

باسرها لا خطرها قوله قليلا اى متاعا قليلا هو نعت مصدر محذوف
دل عليه الفعل المذكور واصل المتاع فسرناه ع قوله ومتاع الى حين
وقيل اى امتعه زمانا قليلا والدنيا كلها قليل ومدتها كذلك ع قوله
امتعه قرا ابن عامر فامتعه من امتع بمتع اى جعله ذا متاع والباقون
بالتشديد ومعناه امهله واعطيه المتاع والمراد بهذا القليل عند بعضهم
هو ايام عمرهم وقال الحسن اى امهلهم الى وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم
فمن امن به نقيته ومن كفر به عاقبته بالقتل والاجلاء والسيف يوم
بدر ع قوله ثم اضطره اى الجاه الى عذاب النار يوم القيامة
وبئس المصير اى المرجع ع قرا ابن عباس فامتعه بقطع الالف وجزم
العين على الدعاء كذا قوله ثم اضطره بادراج الالف وفتح الطاء والرا
على الدعاء اى سال ابرهيم الله تعالى ان يمتع الكافر قليلا ثم يجعل
مصيره الى النار وقال الامام ابو منصور وكذا الاضطرار كقوله جذوه
فاعتلوه وقوله ونسوق المجرمين وقوله يوم ندع كل اناس بامامهم دعا
فاخبر انهم سيقون اليها اجبارا لا انهم يأتون اليها اختيارا قوله
واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت اى واذكر ايضا اذ يرفع ابرهيم
اى اذ اكان يرفع اى يبني ويعلي اى يظهر وكان مخفيا قبل ذلك
وقيل رفعه بناه على وجه الارض يطلق ذلك على كل بناء وان قصر
لرفعه على وجه الارض والقواعد الجدران عند الكسائي وعند غيره
الاسس واصلها ما عده والقواعد من النساء جمع قاعد يقعدها
وهي التي قعدت عن التزوج وعن الحيض والولادة وهي من صفات النساء
على الخصوص فلم يحتج فيها الى الهاء كما في الطالق والطامث والحايض
والحامل والقاعد التي هي الاساس سميت بها للثبوت والقعود
على الانسان هو الجلوس ثبوت على الارض قوله واسمعيل

عطف على قوله ابرهيم واسمعيل كان يشاركه في ذلك وقيل كان يعينه
فيه بناوله الحجر وكان بنا البيت من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا
وطور لبنان والجودي وحرا وكان اول بنايه من ادم ثم اندرس
ذلك فرفع ابرهيم قواعده وخلق الله تعالى موضع البيت قبل سايير
الارض بالفي عام وكانت زبده بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض فلما اهبط
الله تعالى ادم الى الارض كان راسه يمس السما فتر صلع واورث اولاده
الصلع فنفرت من طوله دوابّ الارض فصارت وحشا من يومييذ
وكان يسمع دعا اهل السما وتسبيحهم فيأنس بهم فباعده الملايكه
فنقصه الله تعالى الى ستين ذراعا فلما فقد ادم اصوات الملايكه
استوحش وشكا الى الله تعالى ذلك فانزل الله تعالى ياقوته من يواقيت
الجنه له بابان من زمرد اخضر باب شرقي وباب غربي فيه
قنادبل الجنه فوضعه على موضع البيت الان ثم قال يا ادم اني ع
اهبطت لك بيتا تطوفه كما يطاف حول عرشي وتصلي
عنده كما يصلى عند عرشي وانزل عليه الحجر ليمسح دموعه وكان ابيض فلما مسته الحيض
في الجاهلية اسود وتوجه ادم من ارض الهند الى مكه ماشيا وسلط
الله له ملكا يدله على البيت وقيل لجاهد لم يبك قال على اي شي كان يحمله
ان خطوته مسيرة ثلاثة ايام وكل موضع وضع فيه قدمه عمران وما تعداه
مفاوز واتى مكه وحج البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملايكه فقالوا
برّ مجكل يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة
من الهند الى مكه على رجليه وكانت الكعبه على ذلك الى ايام الطوفان
فرفعه الله تعالى الى السما الرابعه وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون
الف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامه وهو حيال الكعبه فلو ارسل
من السما لنزل على طهى الكعبه وبعث الله جبريل حتى ضبا الحجر الاسود

ع جبل اى قبيس صيانة له عن الغرق فكان موضع البيت خاليا عن البنا
الى زمن ابرهيم وروى ان الله تعالى امر جبلا من جبال فلسطين
حتى جاء وستر موضع البيت فلم يصبه الطوفان فامر الله تعالى ابرهيم
بعد ما ولد له اسمعيل واسحق ببنا البيت يتعبد ويذكر الله فيه فلم
يدر ابرهيم اين يبنى فسال الله تعالى ان يبين له موضعه فبعث الله
اليه السكينة لتدل له على موضعه ولها راسان يشبه الحية فتبعها
ابرهيم حتى اتيا مكة فتلوت السكينة كتلوى الحجفة وامر ابرهيم ان
يبنى حيث تستقر السكينة وفى رواية بعث الله سحابة على قدر الكعبة
فجعلت تسير وابرهيم يمشى فى ظلها حتى انتهى مكة ووقفت على موضع
البيت ونودى منها ابرهيم ابن على ظلها فجعل يبنى واسمعيل يناوله
وقوله ربنا تقبل منا اى يقولان ربنا اضم القول فيه
ومثله فى القران كثير قال تعالى والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم
الى يقولون اخرجوا انفسكم سئلا الله تعالى قبول ذلك العمل منهما
انك انت السميع العليم السمع دعواتنا العليم بنياتنا وقوله
ربنا واجعلنا مسلمين لك اى ثابتين على الاسلام والاستسلام كما فى
قوله اهدنا الصراط المستقيم اى ثبتنا عليه وهذا يعلم منهما التباس
بالتثبيت على الايمان فانهما سالا ذلك مع امنهما على زواله فكيف غيرهما
مع خوفه وسالا ايضا الثبات على الانقياد فاجيبا الى ذلك حتى اسلم ابرهيم
الافتداء بالذبح وقوله ومن ذريتنا على الموضع
امة مسلمة لك اى اجعل من اولادنا جماعة مخلصة لك بالعبادة والطاعة
وانما خصا البعض بالدعا لان الله قال ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه
مبين فاجيبا الى ذلك قال تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه فكان فى ولد
اسحق وبنى اسرائيل الى ان حرفوا ثم فى ولد اسمعيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم

وامته الى يوم القيامة واتما دعوا لاولادهما بذلك شفقة على الاولاد وليكثر ثوابهما
لما قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من رجل من المسلمين يخلف من بعده
ذرية يعبدون الله تعالى الا جعله الله له مثل اجورهم ما عبد الله منهم عابد
حتى تقوم الساعة وقوله وارنا مناسكنا هو سوال اراءة العين
وعلى هذا يكون المناسك مواضع افعال الحج من عرفات والمزدلفة والصفا والمروة
وما بينهما ومواضع رمى الجمرات وقيل معناه علمنا وهى رؤية العلم ويستعمل
فى العلم قال تعالى الم تر ونقال فى مسايل الفقه راينا والمناسك على
هذا عين افعال الحج والنسك فى الاصل للعبادة والناسك العابد والتنسك
التعبد وخص للقربان والافعال الحج وواحد المناسك منسك بالفتح والكسر
وهو اسم للمصدر والمكان جميعا وقوله وارنا نصرف اليهما والى ذريتهما
الا اليهما على الخصوص وهو سوال ذلك لهما فى قيام الساعة وفى مصحف عبد الله
بن مسعود وارهم مناسكهم وقوله وتب علينا انك انت التواب
الرحيم قيل معناه تجاوز عنا التقصير الواقع فى هذا العمل وقيل لما كان
قوله تعالى وتب علينا واقعا عليهما وعلى ذريتهما وفيهم من له ذنوب
كان سوال التوبة لجملتهم وقال الامام ابو منصور فى سوال التوبة
ان الانبيا قد يكون منهم الزلات والعثرات على غير قصد منهم فيه دليل
على ان العبد يسال عن زلة لم يتعمدها لانهم سالوا التوبة محالا ولو كان سبق
منهم سى علموا به قد كفروه فذكر سوالهم التوبة محمولا على ان العبد مسؤول عن
زلات لم يتعمدها وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم قال
الامام ابو منصور يحتمل قوله منهم وجوها ملائمة يحتمل الاضافة الى الامة
المسلمة فقد ذكرت قبله لانه اخبر ان عمدة اتباع الظالم فلم يضف الى قوله ومن
ذريتنا ويحتمل رسولا منهم اى من البشر لانه اقرب الى المعرفة والصدق
ممن كان من غير جنسهم كقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ويحتمل رسولا

منهم من قومهم ومن جنسهم ولسانهم لامر غريب وبغير لسانهم سالوا به
لاهل مكة ما تتم به مرافق الدين والدنيا فيها دون امور المعيرات والامر وتبيين
الدين والشرايع وقوله تتلو عليهم آياتك اى تقرا عليهم كتابك هذا الرسول
وتبين اياته وعرايبته وبين ما كان من الايات اى المعجزات لمن مضى والمرسلين
فيحمل الايات هذه الوجوه الثلاثة وقوله ويعلمهم الكتاب
والحكمة قال الحسن الحكمة القران قال تعالى ذلك مما اوحى اليك ربك من
الحكمة والذكر للتاكيد والتقرير وقال الحكمة الفقه وهو فهم معانى مالك ع
القران وهو استخراج موداعة التى تعلق بها الاحكام وقيل هو
بيان ما فى الكتاب من الاحكام من الحلال والحرام وشرايع الاسلام وبه تقع
الاستحكام وقيل هى فعلة من الحكم ومعناه ويعلمهم الاحكام وقال
قتادة الحكمة السنة وفى كثير من الايات جمع بين الكتاب والحكمة والكتاب
القران والحكمة الاحاديث وفهما علوم الشرع وقيل الكتاب ظاهر
القران والحكمة باطنه وقال مقاتل الحكمة مواعظ القران وقال القفال
يعلمهم الكتاب المنزل فى الوجوه التى بها يدركون صواب القول والعمل
وقوله ويزكيهم قال ابن عباس اى ياخذ زكوة اموالهم ويجوز
ان يكون معناه يطهرهم عن الآثام باخذ زكوتهم قال تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم اى تبرئهم الى ما به زكوة انفسهم اى نماؤها وطهرها
وقيل اى يحملهم ازكيا الفعل الصالح الذى يدعوهم اليها ويحملهم عليها ثم
هذا بخلاف المذكور فى قوله بل الله يزكى من يشاء اى الله تعالى يعد العبد للخير
والايجاد وهذا من الرسول الدعوة والارشاد وقيل ويزكيهم اى ويعدلهم
يوم القيامة عند شهادته الانبياء وقال ابن جريج يطهرهم من الشرك والنفاق
قال تعالى فقل هل لك الى ان تزكى اى تطهر بالاسلام وقال محمد بن على الترمذى
اى يفهمهم فانا لم خلقوا وايجاده الهدى فبليت احسادهم وتغيبت آثارهم

فاعلم ط

وقوله انك انت العزيز الحكيم هو القوى الذى لا يعجزه شئ وقيل
القادر الذى لا يمتنع عليه ما اراده الحكيم هو الذى يحكم الصنعة يحسن التدبير
وكرر الاسمين هنا على معنى انه متصل بالدعا فكانها قالا فرغنا اليك فى دعائنا
لانك القادر على اجابتنا العالم على ما فى ضمايرنا وبما هو اصلح لنا مما لا يبلغه
علمنا فاجابهما الله تعالى الى ذلك فبعث محمدا ع على هذه الصفات وقال هو
الذى بعث فى الاميين رسولا منهم الاية وقال لقد من الله على المومنين الاية وقال
لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية وقال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابرهيم
وبشارة اخى عيسى يعنى قوله ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد ورؤيا امه
امينة امى خرج منها نور اضات له قصور بصرى وقوله ومن يرغب عن ملة
ابرهيم الا من سفه نفسه ومن استفهام بمعنى التوبيخ على وجه النفى وموضعه رفع
بالابتدا ومعناه ولا يرغب عن دين ابرهيم الا السفيه ولا يكرهها يقال رغبت الشئ
رغبه اى احببته واردته ورغبت عنه اى كرهته وضده زهدت فى الشئ اى كرهته اياه
وزهدت عنه اراده واحببته والملة الدين والطريق والسفه والسفاهة
الجهل وخفة العقل قال يونس سفه لازم وهو لغة المتقدمى
ومعناه سفه نفسه اى جعلها سفيهة وعلى هذا قيل معناه اهلك نفسه
وقيل هو نصب على التفسير كقولك طاب نفسا وقرت عينا وضاق ذرعا
واكثر الاستعمال النكرات فى المعارف جايز لان اصل الفعل لها ثم ينقل الى
غيرها ثم يدكر الفاعل نصا لتعلم ان الفعل لها يقال وجر زيد راسه والم محمد
بطنه وقيل سفه فى نفسه كما فى قوله بطرت معيشتها اى فى معيشتها
وحذف حرف الجر جايز قال تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى لاولادكم
قال تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح وقال الزجاج
وهذا عندى مذهب القول الجيد عندى ان معناه الامر جعل نفسه اى لم
يفكر فيها قال تعالى فى انفسكم افلا تبصرون وقال عليه السلام من عرف نفسه

وانما يؤتى الناس ما يؤتون بجهلهم انفسهم وندول الاية ٤ مهاجرين الى
عبد الله بن سلام وكان لعبد الله ابنا اخ سلمة ومهاجر دعاهما الى
الاسلام وقال لهما انكما تعلمان ان محمدا الذى كنا نقرأ فى التوراة انه من
ولد قيدار بن اسمعيل العربى راكب الجمل اسمه احيد يجيد امته من النار
ملعون من ترك شريعته ومنهاج دينه فاما سلمة فاسلم فاما مهاجر
فابى فانزل الله فيه هذه الاية وقال ابن عباس الامن سفه نفسه السفه
غلبه الجهل وركوب الهوى وقال الحسن البصرى رحمه الله الامن جهل قدر
نفسه فعبد صنما هو دونه قال تعالى الم ار الى الذين يشترون الضلالة الاية
وقوله ولقد اصطفيناه الدنيا اى اخترناه بالاسلام
والنبوة وقيل بالسخاوة والحلة وقيل بالعهد والامانة وقيل
بالكلمات وبنا الكعبة وبالله ٤ الاخرة لمن الصالحين اى اجبنا دعوته والحقنا
بالصالحين اى للانبياء الماضين قال تعالى ومن ذريته داود وسليمان
وايوب الى قوله كل من الصالحين وقال وادخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين
وقيل اى من الفائزين بصلاحه وقيل اى من المستحقين لثواب الصالحين
يوم الله تعالى وقيل معناه وانه ٤ الاخرة لمع الصالحين اى مع آبائه
المرسلين فى الجنة وقيل اى من الباقين على الصلاح فى الدنيا حتى يكون
كذلك فى اعقابى فكم من صالح فى اول حاله دهص صلاحه فى مآله وكان فى الاخرة
لعقابه ونكاله كبلعم وبرصيصا وقارون وثعلبة وقوله
اذ قال له ربه اسلم اى واذكر يا محمد اذ قال له ربه وقيل ولقد اصطفيناه
اذ قال ثم قوله ٥ قال مقابله بعد قوله اصطفيناه وهو اخبار
عن نفسه وهذا توسع فى الكلام وقوله اسلم اى اثبت على اسلامك
وقيل اى استسلم لما يجرى عليك وقيل اى اخلص نفسك فى من قوله
ورجلا سلما لرجل وقال الامام ابو منصور ويحتمل ان يكون وحيا اوحى اليه

اليه ان قل كذا فقال به فكان هذا تسليما منه للنفس والقلب ويحتمل ان
يكون هذا امرا ابتدأ الاسلام اول ما عمله وهو قوله فلما جن عليه الليل
راى كوكبا الاية وقوله انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى للذى
فطر السموات والارض حنيفا هو جواب قوله اسلم وقالوا هذا على هذا
يكون اسلم امرا وحيا طاهرا وقوله قال اسلمت لرب العالمين
امتثل ما امر به واستقام على ما قال فسلم القلب والنفس والولد والمال
وما قاله جبريل هل لك من حاجة قال اما اليك فلا فقال له الاتسال ربك
قال حسبى سؤالى علمه بحالى فان قالوا ما قيل لابرهيم اسلم قال اسلمت
فلما قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله لم تقل علمت فلما
قال ذلك فقد روى انه قال انا اعلمكم بالله واخشاكم له وكان هذا
الامر فى القرآن ثم لم ينزل بعده كتاب ليذكر فيه لغيره اما فلما له ذلك
فقال كذا وجواب اخر انه قال ٤ اية اخرى من الرسول وهو العلم
بانه لا اله الا هو فقد اخبر عنه انه قد علم كما امرناه واخبر ابرهيم
لما قال اسلمت افترن به البلوى ونبينا عليه السلام يحرز عما مر ٤ صفة الاجر
محفوظ وكفى واخبر ان ابرهيم امر بما يجرى مجرى الافعال فان الاستسلام هو المراد
ونبينا عليه السلام امر بالعلم والاقسام الاسلام حصر ما للطايف العلم فقد
وقوله ووصى بها ابرهيم بنيه الوصية الدعاء الى الطاعة
والوصاة كذلك والوصاية مصدر الوصى والفعل اوصى ووصى ايضا
وتواصى القوم بكذا واستوصيت فلانا اى سألته ذلك ٤ قوله ذلكم وصاكم
به اى امركم وقوله يوصيكم الله ٤ اولادكم اى يفرض وقوله بها قال
الزجاج اى بالملة وقيل بالكلمة وهو قوله اسلمت لرب العالمين والاول
اصح لانها مذكورة والثانية مدلول عليها وقوله وبنيه اولاده الذكور
والاسباط اسحق ويعقوب واسمعيل واسحق ومدين ومدائن وبنيه حذف نون جمعه للاضافة

وكذا قوله يا بنى فاجتمع يا الجمع وتا الاضافة فادغمت وفتحت الاخيرة لانها
حركة ضرورة صيرانها لاجتماع الساكنين فاخر الفتح الذى هو اخف
الحركات وقوله ويعقوب عطف على ابرهيم اى اوصى
ليعقوب ايضا بنيه الاثنى عشر بذلك وقرئ فى الشاذ ويعقوب بالنصب
اى اوصى بنيه ويعقوب بعد ادرك صحة فادخلهم جميعا فى وصيته
وقال ابن عباس سمى يعقوب لانه مع اخيه عيص كانا توامين فخرج عند الولادة
عيص اولا ويعقوب اخذا بعقب عيص بعد عيص وقيل سمى به لكثرة عقبه
وهم كل بنى اسرائيل فانهم اولاده وقوله يا بنى ان الله اصطفى
لكم الدين اى مقدره هنا كانه قال اوصى ان يا بنى وجاز الحذف لان الوصية
بمعنى القول فى القول يصح بغير ان ومثلها الوعد والرسالة والابلاغ والانذار وبحوها
فيها الوصلة فكذا اللاذان والدعوى وما يجرى مجراها بحوز فيها ادخال
ان والغاؤها قال الله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة ولم يقل ان لهم مغفرة لان العدة قول وقال واذ يوحى
بينهم ان لعنة الله وقال انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك وقال
واخر دعواهم ان الحمد لله وفى كل هذا يجوز ابانتها لاعساد الفعل وبحوه حرفها
للتقدير القول وفى قوله ان كان ذا مال وبنين لا يجوز حذف منها لانه ليس
فيه معنى القول وفى صريح القول واضماره لا يجوز ان ايانها تقول قلت
له زيد فى الدار ولا يجوز قلت له ان زيد فى الدار وقال تعالى والملائكة باسطوا
ايديهم اخرجوا انفسكم لا يجوز فى مثله ان اخرجوا انفسكم لان القول مضمر
والشاهد الكسائى انى سابدى لك فيما ابدى لى سبحان سبحن
بنجد وسحى لى بنلاوسند لان الابدا قول وقوله ان الله
اصطفى لكم الدين اى اختاره لكم والالف واللام للعهد اى الدين
المعهود وله بلاثة اوجه احدها انه اريد به الاسلام لان الدين عند الله

الاسلام وهو الدين المطلق المرضى المشروع المامور به والثانى الله
بدل الاضافة وهو مضاف اليهم اى اختار لكم دينكم الذى تدينون به
وهو دين الاسلام ايضا والثالث انه مضاف الى الله اى اختار لكم دينه
وهو دين الاسلام ايضا وقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون
اى دوموا على الاسلام حتى اذا ادركم الموت وجدكم مسلمين وقيل
اى لا تموتوا الا منقادين مفوضين الامر الى الله وقال الفضيل
بن عياض اى لا تموتن الا وانتم تحسنون الظن بربكم الظن قال صلى الله عليه وسلم
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله فان قوما اساءوا الظن بربهم
فهلكوا قال تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين
وقوله ام كنتم شهدا اى اكنتم حضورا وام اذ لم يسبق
الف الاستفهام كان بمنزلة مجرد الف الاستفهام وهو استفهام بمعنى
الانكار والشهدا جمع شهيد وهو الحاضر وهذا خطاب لاهل الكتاب
المدعين ان دينهم دين ابرهيم يقول ما كنتم حضورا تعلمون ما جرى
هناك فلا تتعلقوا بما لم تشهدوه ولا يدعوا اولاده الى النصرانية
واليهودية فانه كان على دين الاسلام وبه اوصى اولاده وقال الزجاج
ام هى الاسوا منقطعة بل وهو خطاب لهولاء والمراد سلفهم اى بل شهدا بالكم
يعقوب حين اوصى بالاسلام دون ما قلتم وقوله اذ حضر يعقوب الموت
اى حضر الموت يعقوبا اى قرب خروجه من الدنيا وقوله
اذ قال لبنيه كرر كلمة اذ والاولى لبيان وقت حضور الموت والثانية
لبيان وقت الايصاء وقوله لبنيه هم الاسباط وهم الاولاد
الاثنى عشر وقيل اولاد اولاده وكانوا يومئذ بين نفساء وقيل
ماتت زلفة بمصر وقوله ما تعبدون من بعدى اى من بعد موتى اى بعد
بعد موتى وهو كقوله والسما وما بناها اى ومن بناها وقوله ولا انتم

عابدون ما اعبد ومحل ما وقع ناضمار الها العائد عليه اى ما يعبده ونه انتصب
بايتاع الفعل عليه للاضمار الها وقولـــه قالوا نعبد الهك اى
اجابه اولاده فقالوا نعبد الله الذى تعبده انت وتلحى اليه وقوله والد
ابايك اى وهو الذى كان يعبد اباوك الانبياء وقولـــه ابراهيم
واسمعيل واسحق هو بدل عن قوله ابايك وابراهيم كان جد الله والخال قال تعالى
كما اخرج ابويكم من الجنة واسمعيل كان عمّاله والعم عند العرب سمى ابا وله حرمة
الاب قال صلى الله عليه وسلم فى حق العباس هذا بقية اباى وقال ايضا
ردّوا على ابى فانى اخشى ان يفعل به قريش ما فعلوه بن مسعود واسحق كان
والد الروم وقدم اسمعيل على اسحق مع اسمعيل عم واسحق اب حقيقة لان اسمعيل
كان اكبر سنا منه وقد احيى بعد ابيه وله وجهان اصحهما انه قصره
الابوة على ابن بصم وميّة عنه واسمعيل عم لاب والثانى انه جمع اب على
اللامة يقال اب وابون واخ واخوان وفى الخفض والنصب بين واخيه
قالـــ فالك محمول الابين محيره وقالـــ
لنا قراره عم سوء وكنتم لشرّ بنى الاخيار قولـــه الها
واحدا بدل من قوله الهك والاول معرفة والثانى نكرة وهو جايز كقوله
لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطيه وقيل هو على القطع لانه بعد تمام
الكلام والاول معرفة والثانى نكرة وقيل منه اضمار بعد تاسا فقد قالوا
نعبد الهك فصاروا كانهم قالوا نعبد الها واحدا وفايدة التكرار مع الصفة
وهى الواحد نفى الوهم عمن جاهل يظن انهم قالوا الهك هو اله ابايك قد كرر الاله
مرّتين وبينهما واو انها عباده الهين فقطع الوهم باعادته مع صفته الواحد
وقولـــه ونحن له مسلمون اى منقادون بالطاعة ما يثبت
على العباد مخلصون فى القول والعمل النيه والواو للحال والعامل فى الحال الذى
ذكرته بعد مونة ويصلح للحال الذى يلوح انه اى نعبد نعبد معبودك ونحن

للحال على ذلك وانما اجابوه بهذه الكلمات التى تتضمن الثبات على الدين الحق
ومدح اباه بكونهم على ذلك وانهم متبعون لهم ثابتون على دينهم ليكونوا بارّين
اباهم سارين اباه بقتولها وصالهم وقال الكلبى لما دخل يعقوب مصر رأهم
يعبدون الاصنام والنيران فجمعهم حين حضرته الوفاة وخاف عليهم صنع اهل
مصر فسالهم عن ذلك فاجابوه بما اجابوه فطابت نفسه وقال عطا ان الله
تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيّره بين الموت والحيوة فلما خير يعقوب قال ابطرنى
حتى اسأل ولدى واوصيهم فانظر مجمع الاسباط واولادهم وقال ذلك وقالوا
له ذلك ثم قبضه الله تعالى وهم على ذلك وقولـــه تلك امة قد خلت
اى اولئك المذكورون ابراهيم واولاده امة اى جماعة قد خلت اى مضت
وخلا عنها امكنتها لها ما كسبت ما مع الفعل مصدر اى لها كسبها ولكم
ما كسبتم اى ولكم كسبكم اى هم كاسبون يوم القيامة باعمالهم وتجازون
عليها وانتم كاسبون يوم القيامة باعمالكم وتجازون عليها لا تؤاخذون
انتم باعمالهم ولا هم بعاخذون باعمالكم ولا تسالون عما كانوا يعملون
وهو كقوله ولا تسالون عما اجرمنا وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى
والكسب ما يقع بقدرة حادثة والاختراع ما يقع بقدرة قديمة ولا توصف
الله بالكسب ولا العبد بوجه وانتصال هذه الاية بالاولى انهم كانوا مسلمين
وقال هذه انهم قد مضوا ولو كانوا محقين للحق واشبه بدينكم لنفعكم
لانهم يجازون باعمالهم وانتم تجازون باعمالكم فاتبعوا الحق ايها وصدقوا
محمدا فانه يدعو الى الحق واتركوا تقليد المبطلين ومعنى اخرهم مضوا على
دينهم الذى شرعه الله لهم والان عليكم اتباع الدين الذى شرعه الله تعالى
والدين لله شرع منه ما يشاء وينقل عما يشاء الى ما يشاء وقولـــه
وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا اى قالت اليهود للمسلمين تهودوا
تصيبوا الهدى وقالت النصارى للمسلمين تنصروا تصيبوا الهدى ولم يرد

اجتماع الفريقين على دعوتهم جميعا الى الملتين جميعا وقد ذكرنا وجه ذلك
في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقال ابن عباس
ان عبد الله بن صوريا الاعور قال لرسول الله عليه السلام ما الهدى الا ما نحن
فاتبعنا يا محمد تهتد وقالت النصارى مثل ذلك فنزلت الاية وقال ابن عباس
انضا ان يهود المدينة كعب بن الاشرف ومالك بن الضيف ووهب بن يهود او سايير
اليهود وفي حديث متاتل منهم كعب بن اسد وابو ياسر بن اخطب وعازورا
وشمويل وحيس ونصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما خاصموا
النبي عليه السلام وقالوا كونوا على ديننا وزعمت كل فرقة ان نبيها
افضل الانبياء وكتابها افضل الكتب ودينها افضل الاديان فكذبهم الله
فانزل هذه الاية وقوله قل بل ملة ابرهيم حنيفا اى
قل يا محمد لا نكون كما قلتم بل نتبع ملة ابرهيم وقوله نتبع مضمر لدلالة
ما مضى عليه فان قوله كونوا هودا او نصارى في معنى اتبعوا اليهودية
والنصرانية ويدل ردا لذلك واثبات لما خالفه وقل معناه بل نكون
لان المذكور قبله كونوا ثم نصب ملة على هذا الطريق من وجهين احدهما
بل نكون على ملة ابرهيم فهو منصوب لنزع الخافض او معناه بل نكون اهل
ملة ابرهيم واضمر فيه الاهل كما في قوله واسئل القرية وقرئ في الشاذ
بل ملة ابرهيم بالرفع اى ملتنا ملة ابرهيم وقوله حنيفا هو نعت ابرهيم
ونصب على القطع لان الاول معرفة وهذا يدله وهو على الحال اى نتبعه
في حال كونه حنيفا والحنيف فيه اقاويل كثيرة قال ابن دريد هو العادل
من دين الى دين والعرب كانت تسمي به العادل عن اليهودية والنصرانية والحنف
الميل والاحنف الذي في صدر قدمه ميل فالحنيف المايل عن الدين الباطل
الى الدين الحق وقيل الحنيف المستقيم والاحنف سمي به تحببا للاسم كما يقال
للاعمى بصير وللمهلكة المعاذة وللديغ السليم او قيل ذلك تفاؤلا وقال الازهري

الحنيف المقبل على الدين الحق والحنف اقبال احدى القدمين على الاخرى
وقال ابو عبيدة الحنيف عند العرب من كان على دين ابرهيم عليه
السلام والرمة اذا بلغ الطل العشي رايته حنيفا وقرن الضحى ينتصر
نصف الجرباء مستقبل الكعبة عشيا ويوجه الى المشرق غدوة وقيل
الحنيف عند العرب في الجاهلية من حج البيت وفي الاسلام صار اسما للمسلم وعن ابن عباس
انه قال في كل موضع ذكر الحنيف مع المسلم فهو الحاج قال تعالى ولكن كان حنيفا
مسلما وفي كل موضع ذكر وحده فهو المسلم قال تعالى حنفاء لله وقوله
وما كان من المشركين اي لم يكن كذلك قطع دعوى المخالفين فان كل فريق من اهل
الضلال كانوا يدعون ان دينه دينهم فاكذبهم في ذلك وقوله قولوا امنا
بالله هو دليل ان المراد بشرط وقوله امنا بالله اى صدقنا بالوهية
الله وحدانيته ونحمع ما جاء من عنده وفيه اشتراط التصديق بالكل وهذا
تعليم للمومنين جواب اهل الكتاب حين قالوا كونوا هودا او نصارى
وقوله وما انزل الينا اى وبما انزل الى نبينا من القران والانزال
اليه انزال الى امته لان حكم المنزل يلزم الكل وقوله وما انزل
الى ابرهيم اى من الصحف وقوله واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وهم اولاده وحوافده اى وبما انزل الى هولاء والاسباط في قول ابن عباس
اولاد يعقوب واحدهم سبط وهو لفظ باسم للولد الواحد لكن السبط كالقطيع
والفرق في الاصل والاسباط في اولاد اسحق كالقبايل في اولاد اسمعيل وهم
حاء مرارة وام ماخوذ من السبط وهو شجر واحدتها اغصان كثيرة وفي
الحديث الحسن سبط من الاسباط اى امة من الامم في الخبر وفي الحديث الحسن
والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم اى قطعتان منه واولاد
يعقوب هم الاسباط وهم اثنا عشر ابنا ولد لكل واحد منهم امة من الناس
وهم اثنا عشر ابنا يوسف وابن يامين وقيل بنيامين ويهوذا وشمعون

ولاوي ودان وقهاب ويشجر ويقتالن وجاد واشتر ويقال زبالون
مكان قهاب ويستاخر مكان يشجر ويقتال مكان يقتالن وجاد
مكان جاد والله اعلم بالصحيح من الروايتين ظاهر القرآن يدل على انهم
انبياء لكل الانبياء عليهم وقد اختلف فيه وقوله ـــــ وما اوتي
موسى اي وامنا بما اعطي موسى من التوراة والمعجزات وقوله وعيسى اي
وبما اوتي عيسى من الانجيل والمعجزات وقوله وما اوتي النبيون من ربهم اي بما
اعطى داود من الزبور وسائر الانبياء من الدلالات وقوله ـــــ
لانفرق بين احد منهم ولعله اختصاص اي بين احد منهم واخر او غيره
اي في الايمان فنؤمن ببعض ونكفر ببعض اي كاليهود والنصارى وقيل
اي لايقول انهم متفرقون في اصل الدين بل يقول اصل الدين الكل التوحيد
والطاعة وان اختلفت شرائعهم قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية
وقوله ـــــ ولجزء مسلمون اي مخلصون مطيعون منقادون ثم ذكر
الاية النبيين وكذا في قوله ليس البر الى قوله والنبيين وقال في قوله كل امن
وقال الامام ابو منصور هذه الاية تعضد على من يسمي ابا حنيفة لانه امرهم ان يقولوا
ذلك قولا باتا لا تلبس فيه وقوله ـــــ فان امنوا بمثل ما امنتم به
فقد اهتدوا وقال الامام ابو منصور وروي عن ابن عباس انه قال لايقرأ وا
بمثل ما امنتم به فان الله ليس له مثل ولكن اقرأوا فان امنوا بالذي به
امنتم به او بما امنتم به وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود وقال يحتمل ان
يكون معناه فان امنوا بسائر ما امنتم به بلسانكم بالكتب والرسل
جميعا فقد اهتدوا وقال يحتمل اي بلسان غير لسانهم فقد اهتدوا

البراء

قالوا لا يصح عن ابن عباس وما حكي عنه فانه خلاف القراءة المجمع عليها الا ان يحمل
على انه اراد به التأويل وتأولوه على ان يجعلوا الله مثلا فانه شرك وتأولوه على
ما يصح في التأويل من غير تمثيل وقيل معنى بمثل ما امنتم به مثل ما امنتم
به وما مع الفعل مصدر وتقديره فان امنوا مثل ايمانكم والباء زايدة كما في
قوله وكفى بالله وقوله يبشرك بها اي يبشرها وقيل انما معنى على اي على
مثل ايمانكم كقولهم كتبت بمثل ما كتب فلان وعلى مثل ما كتب فلان وقيل
معناه فان امنوا ايمانا مثل ايمانكم وقيل معناه وهو ما امنتم به وكلمة مثل
زيادة كما في قوله ليس كمثله شيء اي ليس كهو شيء كما يقال لا يقال لمثلي هذا
اي لي وقوله فقد اهتدوا اي اصابوا الصراط السوي وبه يهتدي ربهم الى الحق
كما قال يهديهم ربهم بايمانهم وقال في حق الكفار لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقوله ـــــ وان تولوا اي اعرضوا
وتوصل بعن فيقال تولى عنه فاسماعيل تولى الله وهو بمعنى الاقبال اليه
قال تعالى ثم تولى الى الظل وتولاه اي اتخذه وليا قال تعالى لا تتولوا قوما
غضب الله عليهم وقوله وهو يتولى الصالحين اي يلي حفظهم وكفايتهم سيئته
وقوله نوله ما تولى اي نكله الى ما اختاره لنفسه ومعنى قوله وان يتولوا
اي اعرضوا عن الايمان بما امنتم به وقوله ـــــ فانما هم في شقاق اي
في خلاف وعداوة وقد شاقه يشاقه مشاقة وشقاقا اي صار هو في شق
اي جانب وذلك في سوء وقوله شاقوا الله اي خالفوه وقوله فان خفتم
شقاق بينهما اي خلاف ما بينهما وقوله ولا يحرمنكم شقاقي اي عداوتي
وقيل هو مشتق من المشقة فاذا خالفه اي عاداه فقد طلب مشقته
وقوله ـــــ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم اي
لاحزن لمحمد بخلافهم وعداوتهم فسوف يكفيك الله شرهم وهو السميع
لسمع مقالة الموحدين فيه فيجري الكل على اعتقادهم ويحمل السمع

وعاك العلم لما جئك محمل وقوله فسكفيكهم كلمة تنتظم سبعة اشافا الحراب
لقوله فان تولوا وسين سوف على اختصار والبا الحادثة للاستقبال ووعد
الكفاية وكاف خطاب النبي ع م وهو مفعول ليكفيكها المغايبة وميم الجمع
وتصرف الى اهل الكتاب ومحلها نصب لانه مفعول ثان ليكفي وقوله
صبغة الله اى قولوا اتبع صبغة الله وذكر فيه وجوه وهذا اصحها فقد
قيل هو على الاغراء وقيل معناه الزموا واسعوا صبغة الله لكن يضعف
ذلك الاقاويل باخر هذه الاية ولحن له عابدون ونعلم ان اول الاية محرف اما على ما كانوا
وهو كما تقدم بل ملة ابرهم اى بتبع ملة ابرهم وصبغه الله دين الله وله
اسامى كثيرة عددناها عند قوله اولئك على هدى من ربهم وانما سمى صبغة لما انه
للمسلمين بدل من صبغ النصارى اولادهم ع ما المعمودية لانهم يفعلون ذلك
باطفالهم ع اليوم السابع من ولادتهم ويقولون صبغناه بالنصرانية وطهرناه
بهذا الماء فذكر صبغة الله على مقابلة ذلك وهذا معنى ما قاله الفراء
وقال قتادة اليهود يصبغ ابناءها يهودا والنصارى يصبغ ابناءها نصارى
اى يلقنونهم دينهم فيشربون ذلك قلوبهم كما تشرب الصبغ ع الثوب وع عمرو
انه كتب ع عهد نصارى بني تغلب ان لا تصبغوا اولادهم ولكن يرضعونهم حتى
يكبروا ويختاروا لانفسهم ماشاءوا اى لا يلقنوهم دينهم فعال الله تعالى صبغة
الله اى تلقنهم يوم الميثاق الست بربكم قالوا بلى وقال ابن الانباري ع
لم يخاطب الله العرب بهذا الا وهي تعرفه وكانوا يقولون فلان يصبغ فلانا
ع الشر اذا ادخله فيه والزمه اياه كما يلزم الثوب الصبغ انشدنا
ثعلب دع الشر وانزل بالنجاة تحرزا اذا انت لم يصبغك ع الشر صابغ ولكن
اذا ما الشر اد حق قناعه عليك فجوده ربع ما انت دابغ وصبغ يصبغ
بفتح الباء ع المستقبل وضمها وكسرها ثلث لغات وقوله ومن
احسن من الله صبغة استفهام ع معنى الجحد اى لا احد احسن دينا وملقنا

من الله وقوله ونحن له عابدون اى ناتيا عنا ملة ابرهم وصبغة الله والعابد
العامل للتوبيخ والاستكثار ها هنا ومعناه عند ابن عباس نحاجونا وعند مجاهد
لم تحاصمونا والمحاجة مفاعلة بين اثنين ع اراد الحجة على ما يزعمون وقال ابن عباس قال اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اولى بالله منكم فنزلت هذه الاية وقوله
وهو ربنا وربكم اى فاستوينا نحن ع انتم ع عبودية ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم
اى فلا حرى احد الا بعمله فلا فضل لمن قصر عمله ونحن له مخلصون اى لا اعتقاد ولا عمل
لكم تكذيبا لكم ان تكونوا افضل منا واولى منا وقال الكلبي وغيره اى فاستوينا
نحن وانتم ع عبودية فان اليهود والنصارى خاصموا اهل الاسلام ع الدين
فقالوا نحن اهل الكتاب الاول والعلم القديم ونحن ابناء الله واحباؤه ولنا
من العرب من عبدة الاوثان ونحن اولى بالحق وبالفضل وبان يكون الرسول منا فالتمس
الحق من عندنا فنزلت الاية قل يا محمد انجادلوننا ع ربنا وربكم والله رب الكل غنى
عن الكل لا ينفعه طاعة مطيع ولا تضره عصيان عاص ولا ينوا خذنا باعمال
غيرنا من سلف المشركين ونحن الان من المخلصين وقوله ام تقولون
ان ابرهم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو وابو بكر ع عاصم بالياء على المغايبة والباقون بالتاء
على المخاطبة بناء على قوله انحاجونا ام يقولون ان هولاء الانبياء كانوا
على دينكم يا ذا المحتجين تتعلقون بالتوحيد ونحن الموحدون دونكم او يا
اتباع دين الانبياء ونحن المتبعون دونكم وقدره على الاعراض عن الخطاب بهم
استجهالا لهم لما كان منهم كما يقبل العالم عن بحضرته اذا ارتكب من يجاهل
جهالة فيقول قد قامت الحجة عليه ام يقول هو ابطال النظر المودي
الى المعرفة وقوله قل انتم اعلم ام الله اى قل يا محمد انجادلونا
ع دين الله ام تقولون ان هولاء الانبياء كانوا على ملتكم وليس كذلك وما كانوا
الا مسلمين على الدين الذي نحن عليه كذا اخبر ربنا فانتم اعلم بادیانهم ام الله

نحن العبودية فيه في نصبه على الحال
فاعله والالف للاستفهام وهو
في الله الالف للاستفهام وهو

اى فالله اعلم بهم منكم وقد علم منهم خلاف ما يقولون وقوله ومن اظلم
ممن كتم شهادة عنده من الله فصل اى ولا احد اظلم منكم اذ كتمتم من الله شهادة
عندكم وانتم تعلمون هذا وان هؤلاء الانبياء لم يكونوا يهودا ولا نصارى وان محمدا
نبى وهو على دينهم قد علمتم هذا وجحدتموه كما انكم فعلتم هذا القول قوله
من الله يتعلق بالكتمان يقال كتمته مثل الشهادة ولكتمت مثل الشهادة اى لم اقتلها
عندك فكانه قال ومن اظلم ممن عنده شهادة فلم تقمها عند الله وبين عباده
بل كتمتها واخفاها فظلم ذلك نفسه وقيل معناه ومن اظلم ممن كتم شهادة ثابتة
من الله فحرفها واخفاها ومن الله على هذا يتعلق بالشهادة اى الشهادة
من الله وقال الحسن هذا قول المؤمنين لاهل الكتاب ومن اظلم منا
ان تابعناكم على ما تقولون بعد ان حصلت عندنا شهادة من الله عليكم بالكذب
في قولكم ان هؤلاء الانبياء كانوا هودا او نصارى وقوله
وما الله بغافل عما يعملون من كتمان الشهادة بصدق محمد ع والبشارة
به وقال الامام ابو منصور هذا وعيد اى لا تحسبوا الله غافلا عما يعملون
ويجوز ان يكون معناه لم يشأهم على غفلة مما يعملون بل على علم مما يعملون
خلقهم ليعلم انه ليس في شئ من اعمال الخلق حاجة له ليخلقهم على رجاء النفع بل خلقهم
وهو يعلم انهم يعصون فان قالوا قوله انتم اعلم ام الله نفى علمهم واثبات
الشهادة عندهم اثبات علم لهم اذ الشهادة لا تكون الا بعلم قلنا كانوا
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ولما كتموا ذلك التحقوا بالجهال لفوات العلم
وقوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسالون عما كانوا يعملون التكرير للتاكيد والتقرير وقيل هذه
محاجة غير ذلك الزمان وغير ذلك المكان وقيل الاولى يرجع الى اسلافهم
اى تلك الاسلاف بل مضت وهذه لابراهيم ومن معه ووجهه انه مع فضلها
وشرفها اذا لم ينفعها عند الله الا ما كسبت بانفسها فانتم احرى ان لا تنفعكم

٢١٣

عند الله ما كسبتموه ولا تنتفعون الا بما كسبتموه فلا تتكلوا على افعالهم
وقوله سيقول السفهاء من الناس اى الجهال الضعفاء العقول
قال ابن عباس والبراء ابن عازب هم اليهود وقال الحسن هم مشركو العرب
لما حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة من بيت المقدس قالوا
يا محمد رغبت عن قبلة ابائك ثم رجعت اليها انفا والله لنرجعن الى دينهم
وقال السدى هم المنافقون قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقوله
ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ما كلمة استفهام بمعنى الاستنكار
وولاهم اى صرفهم يقال تولى عن كذا اى انصرف عنه وولاه غيره
اى صرفه عن قبلتهم اى جهتهم التى يستقبلونها في الصلوة واراد وا
بها بيت المقدس التى كانوا عليها اى التوجه اليها واستقامها قبلها
الله قال ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه وهم اليهود والنصارى
سماهم سفهاء وكذبهم بعدها ايات فيما قالوا ثم احتمل ان هؤلاء السفهاء يقولون
هذا واحتمل قوله سيقول السفهاء ان هذا اخبار عنهم قبل ان يقولوا
او بعد ما قالوا فاكثرهم على انه لما حولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود
ذلك فانزل الله هذه الاية ثم قوله سيقولون ان كان هذا لمحض الاستقبال
وكان معناه سيواصل اليهود هذا القول ويديمون عليه طغيانا فيكم والقول
مما كرر فيجوز الاخبار عنه بهذه الصيغة فيما وجد وفيما يوجد مكررا وقال
ابن عباس ولما حولت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة حاك في نفوس الاسرى
ورفاعة ابن قيس وقردة ابن عمرو ونافع ابن ابى نافع والحجاج بن عمرو وكنانة
بن ابى الحقيق وحماعة وقالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك التى كنت عليها
كن على قبلة بيت المقدس نتبعك ونصدقك واراد وا فتنته عن دينه فسماهم الله سفهاء لانهم كانوا فاضل ابرهيم والكعبة بناؤه وقبلته
ومع ذلك رغبوا عنها وقال الامام ابو منصور وعند الله يستوى في حكمه

كذا في النسخة

الى الكعبه فاخبره بهذا عما يقوله اليهود اما حولت وكان هذا قبل ان يحول
وقبل ان يقولوا له شيا الا ترى الى قوله قد نرى تقلب وجهك في السما
ولو لم يكن وعدا بذلك لكان تقلب وجهه الى السما حيرا وتحكما عليه وليس
لاحد على الله دلك فدل على الوعد قال ثم فيه اثبات رساله محمد عليه السلام
حيث كان اخبره وكان كدلك فدل انه علم ذلك بالله قال ثم ان اليهود قالوا
دلك لانهم لا يرون نسخ الشرايع والاحكام ويقولون هو كالبدا والرجوع
ودلك فعل من يحمل العواقب كمبانى بنى بناءا ثم نقضه وهذا جهل واليهود
والنسخ عندنا هو بيان منتهى الحكم الى وقت وليس فيه بدا ولا نقض لما مضى
بل يحدث حكم بعد وقت بعد انقضاء حكمه وقوله قل لله المشرق
والمغرب اى قل يا محمد لله الامكنه والنواحى كلها يامر عباده ان يتوجهوا
الى اى جهة شاء شرقا او غربا فالطاعة له والانتماد لامره لا في عين التوجه
الى المشرق والمغرب لهوى هووه او لتمنى تمنوه لان اليهود جعلوا
قبلتهم المغرب اتباعا لهواهم وكذا النصارى اتخذوا المشرق قبله لهوى
انفسهم والمسلمون اتبعوا الامر بذلك وقوله ويهدى من يشا الى
صراط مستقيم اى يرشد من يشا الى قبله الحق وهى الكعبه التى امرها فيتوجهون
الى حيث امروا به لا الى حيث يهوون وقيل الى اى الجهات ولا تم فتوجهوا
اليها فانتم على هدى واستقامه لانهم بامره توجهوا اليها وقالوا لما كانوا بمكه
امروا ان يتوجهوا الى بيت المقدس ليتميزوا به من المشركين ولما انتقل رسول الله
الى المدينه وكانت اليهود يها يوجهون نحو بيت المقدس تقلوا الى الكعبه
ليتهنى وامنهم فاتمين وامن دليل روى ابو صالح عن ابن عباس ان النبى صلعم
كانت قبلته نحو بيت المقدس فصلى اليها مع اصحابه بعد مقدمه المدينه
نحو من سبعة عشر شهرا وكذا قال البرا بن عازب وقال قتاده ستة عشر
شهرا وقال انس ستة اشهر او عشرة اشهر وقال قتاده صلى الانصار نحو بيت

المقدس حولين قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم وصلى النبى صلى الله عليه وسلم
بعد قدومه نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجهه الله الى الكعبه بعالت
اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها لقد استاق الرجل الى مولده قال
الله تعالى قل لله المشرق والمغرب الاية فكانوا يقولون الارض المقدسه
مواطن الانبيا فلها شرف قديم فاخبر ان المواطن كلها لله يشرف منها ما
يشا كل زمان على ما علم من مصالح عباده فيه وقال مقاتل كان النبى صلى الله عليه
يصلى بمكه ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى فلما عرج به الى السما امر بالصلوات
الخمس فصارت الركعتان للمسافر وللمقيم اربع ركعات فلما هاجر الى
الى المدينه وذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول وامر ان يصلى نحو بيت المقدس
ليلا يكذبه اليهود لان نعته فى التوريه انه صاحب قبلتين وكانت الكعبه
القبلتين الى النبى عم فقال لجبريل عليه السلام وددت ان ربى صرفنى
عن قبله اليهود الى غيرها فقال جبريل انما انا عبد لا املك شيا مسئل
ربك ذلك فصعد جبريل الى السما وجعل النبى عم يديم النظر الى السما
فانزل الله فلنولينك قبله ترضاها اى ترجى عند النظر قبل فتاك بعد شهرين قد نرى تقلب وجهك
فى السما الاية وقال مقاتل بن حيان اول ما نسخ من القران امر القبله وذلك ان
النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكه الى الكعبه سنين فلما هاجر
امروا ان يصلوا نحو بيت المقدس فقالت اليهود لدعم محمدا الى نبى وما نراه احدث
فى نبوته سيا اليس يصلى الى قبلتنا ويعلم شريعتنا فكانت هذه نبوه فيخبر
اقدم واوفر نصيبا فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام وشق عليه وزاده الله شوقا
الى قبله الكعبه فاتاه جبريل عليه السلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم وددت ان
الله تعالى يصرفنى عن قبله اليهود الى غيرها فاتى بعضهم وبعض موافقهم
فقال جبريل عم ليس الى من الامر شى وانما انا عبد فعرج فعرج رسول الله صلى الله
الى السما نحو ما صنع فصلى هنا ركعتين وهنا ركعتين ويدعو الله ان يحوله

كذلك ثم لم يزل ينظر الى السماء حتى دخل ياجيه امر فانزل الله ع وجل بعد
زوال الشمس قد نرى تقلب وجهك في السماء ونسخ هذه الاية ما كان قبلها من قبلة
بيت المقدس وصارت الكعبة قبلة المسلمين الى يوم الصور وقال الامام ابو منصور
قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم رد على المعتزلة لانه اخبر انه يهدي
من يشاء فدل ان هذا العبد يهدايته وعندهم ليس كذلك بل قد شاهدي
العبد فلا يهتدي ودلت ان مشيه الهداية ليست للكل وعندهم هدايته
بيان وذلك للجميع ودل على ان السنة ينسخها الكتاب فان الصلوة الى بيت المقدس
كانت بالسنة اذ لا ذكر له في الكتاب ثم نسخ ذلك بالكتاب وعند الشافعي لا تنسخ السنة
بالكتاب الا بقدر عمل الرسول فيصير نسخ السنة بالسنة وهذا قبيح
ان لا يكون للكتاب من القوة ما ينسخ سنة لولا عمله وقوله وكذلك
جعلناكم امة وسطا اي وكما هديناكم الى صراط مستقيم صيرناكم وسطا
وهذا اوجه النظم ووجه اخر كما جعلنا قبلتكم خير القبلات في الدنيا فكذلك
جعلناكم خير الامم في العقبى ووجه اخر ان عاقبتكم اسفها بما قالوا في الاية الاولى
قال الله تعالى في هذه الاية وقوله وسطا روى ابو سعيد الخدري رض
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الاية الوسط العدل اخذ من التوسط
في الدين وهو بين الغلو والتقصير فانهم لم يغلوا غلو النصارى حيث وصفوا
المسيح وهو عبد بالالوهية وبانه ولد وبانه ثالث ثلاثة ولم
يقصروا تقصير اليهود حيث قتلوا الانبياء ووصفوا مريم بالزنا وعيسى
بانه ولد الزنا وقيل سموا وسطا لانهم كانوا متوسطين الجهتين يعدل
ولا يميل وكالوسط بين سمين متناهيين وقيل سموا وسطا لان قبلتهم
النصارى الى المشرق وقبلة اليهود الى المغرب وقبلة الكعبة في الوسط وهي
سرة الدنيا وقال ابو عبيدة الوسط الخيار قال تعالى اوسطهم اي
اخيرهم وافضلهم وقال احمد بن فارس الوسط من كل شيء اعدله وخير

وسط

وسط راسه وجلست وسط القوم وهو اوسطهم حسبا اذا كان في واسطة
قومه وواسط القلادة افضلها وقوله لتكونوا شهداء على الناس
اي الانبياء وعلى بمعنى اللام كما في قوله وما ذبح على النصب اي للنصب والناس
هم الانبياء هنا كما في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس اي كرمت الانبيا
وفصل كلمة على لحقيقتها هنا والناس هم الكفار وهم امم الانبيا الذين لم يؤمنوا
وتقديره لتكونوا شهداء على الكفار للانبيا يوم القيامة قال الله تعالى فلنسالن
الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين فيقول الكفار ما جانا من بشير
ولا نذير ويقول الانبيا قد بلغنا واذا انكر الامم احتاج الانبيا الى اثبات ذلك
بما تول محمدا صلى الله عليه وسلم بلتمس كل رسول من امته طائفة مراضية شهد له على امته
واذا شهدوا قال الكفار كيف تشهدون ولم يكونوا في زمانا فيقولون اخبرنا
الله في كتاب بنبا كذبت قوم نوح المرسلين وكذا في ساير القصص وقوله
ويكون الرسول عليكم شهيدا اي لكم كما في قوله على الناس ومعناه مزكيا
ومعدلا وقال القفال للمنسوب فيها ثلاثة اقوال احدها ان يكون
منهم على قوم نوح خاصة والثاني انها تكون على كفار امة هذه الدعوة وهي
دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والثالث انها تكون منهم على جميع الامم وقيل معناه
ليشهد كل فرد منكم على من حدث في عصرهم ومن بعدهم بالشرايع التي
تلزمهم ويكون الرسول شهيدا عليكم اي مبلغا اليكم شاهدا عليكم عن الله
بما يودي اليكم من شرايع دينه وتكونوا انتم شهدا على الناس بما ادى الرسول اليكم عنه وقال الامام ابو منصور جعل الله هذه الامة عدولا
والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فيه الدلالة على حصل الاجماع حجة
فاذا اجمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله بما شهدوا والشهادة فيما انه
من عند الله وقع لهم ذلك وقوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها
قيل اي وما جعلنا القبلة التي كنت عليها قبلة هي بيت المقدس وقيل جعلنا صيرنا

مقتضى مفعولا ثانيا والقبلة التى كان عليها بيت المقدس ونصب
اضمارا آخر ع اخره اى لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
اذا حوّل لناك عنها الى الكعبه وقيل جعلنا ع معنى نصبنا وشرعنا
كما ع قوله ما جعل الله من بحيرة اى ما شرع فلا تعصبوا الاصنام وقيل
الاضمار ع اوله وما جعلنا تغير القبلة التى كنت عليها او صرفك عنها او تحويلها
كما ع قوله وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة اى وما جعلنا ذكر الزقوم
او خبرك عن الرؤيا اذ لا فتنة ع نفس الرؤيا وقيل وما جعلنا اى وما
حوّلنا وهو كقوله فجعلهم كعصف ماكول وقوله التى كنت عليها اى
على اعتقاد استقبالها كما تقول كان فلان على دين كذا او على قول كذا وقوله
الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه اى لنتمم اهل السنة من اهل
البقين وقال الامام ابو منصور معناه الا لنعلم كما علمناه قبل كونه
انه سيكون لان الله تعالى يعلم الاشياء قبل كونها انها ستكون وبعد
الكون يعلمها كائنة وبعد ما مضى يعلم انها كانت وقبل الكون لا يقول
يعلمها كائنة لانه يكون جهلا قال ولا نصف الله تعالى بالعلم ع الخلق على
غير الحال التى الخلق عليها لان وصفنا اياه بالعلم على غير الحال التى الخلق
عليها يؤدى الى وصفه بالجهل لانه لا يجوز ان يقال يعلم ان الساكن ع
حال السكون حركه او من المتحرك ع حال الى كونه ساكنا او يعلم ان الجالس
قياما او من القائم جلوسا لانه وصف يعلم ما ليس وهو محال قال وكل
علم يذكر على حدوث المعلوم يذكر ذكر الوقت للحدث لئلا يفهم ذكره
قدم المعلوم ع الازل وفعال فيما لم يكن بعد انه يعلم وفيما هو كائن انه عالم
به ويقال فيما مضى قد علم واذا وصفنا الله تعالى بما هو جهله بلا
ذكر الخلق مع ذلك الصفة فالذى نصفه به ع الازل يتعالى عن التغير
والدوال وعن الانتقال من حال الى حال ولا قوة الا بالله وقيل معناه

ليعلم رسولى والمومنون والعرب تضيف فعل الاتباع الى المتبوع وهو
كقولهم رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا وقتل ابو بكر الصديق اهل
الردة وفتح عمر السواد وحكى عن بعض العرب انى اجوع ع غير بطنى واعرى
ع غير ظهرى يعنى جوع عياله وعراهم وعن ابن عباس لنعلم اى لنرى وقال
القراء الحقيقة ع العلم راجعة الى المخاطبين وهو العاقل والجاهل يجمعان فيقول
الجاهل الحطب يحرق النار ويقول العاقل بل النار تحرق الحطب فيجمعهما
لنعلم ايهما يحرق صاحبه فمعناه لنعلم انه ايها الجاهل فكذا هذا معناه لتعلموا
انتم وقيل العلم صلة ومعناه لتكون اتباع المتبعين وانقلاب المنقلبين
كقول الشاعر

لا اعرفنك بعد الموت تندبنى ... وفى حياتى ما زودتنى زادى

المعنى لا تندبنى بعد موتى وهو كقولك ما علم الله هذا
منى اى ما كان منى ولو كان لعلم الله وقيل معناه الا لنعاملكم معاملة
من يمتحن ليعلم ثم هذه اللام وان دخلت ع العلم فهى داخلة ع الاتباع معنى ان
الامتحان لكى يقع الفعل فيعلمه الله لا العلم وتقديره الا ليتبع الرسول
وينقلب البعض ليعلم الله ذلك وهو قوله وليبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين اى حتى تجاهدوا وتصبروا فنعلم ذلك وهو كقوله لا اسمعن
كلامك النهى عن السماع ظاهرا وحقيقته نهى المكلم اى لا تتكلم فاسمع كلامك ع
وقوله ومن ينقلب الرسول اى ع امر القبلة ممن ينقلب على عقبيه اى ينصرف
يقال قلبه اى صرفه فانقلب اى انصرف والعقب مؤخر القدم وقال الاصمعى
العقب ما اصاب ما اصاب الارض من مؤخر الرجل الى موضع الشراك وينقلب
على عقبيه مجاز عن الارتداد وهو الرجوع عن الدين الحق وقوله
وان كانت لكبيرة له ثلاثة اوجه احدها ان ان للنفى كما ع قوله ان
الكافرون الا ع غرور واللام ع لكبيرة بمعنى الا كما ع قوله ان كان
وعد ربنا لمفعولا اى ما كان وعد ربنا الا مفعولا والثانى ان مع اللام

للماكد وان بمعنى قد واللام بمنزله القسم وتقديره وقد كانت كبيرة والله و الثالث
ان للحقوق تقول لقيت فلانا وان كرهت لقاءه اى مع كراهتى للقايه
وتقدير الايه مع انها كبيره الا على المهديين وكانت كنايه عن السله وهى المذكوره
في الايه وفعل كناية عن مصدر موثث مدلول عليه غير مصرح وهى التحويله
او التوليه والكبيره الثقيله وقد مر شرحناه في قوله وانها لكبيره الا على الخاشعين
وقوله الا على الذين هدى الله اى على الذين وفقهم لاتباع الحق والانقياد لحكمه
ومخالفه طبعه بموافقه شرعه وقوله ـــــــه وما كان الله ليضيع
ايمانكم قال المفسرون لما توجه النبى صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام اخلف
الناس وكانوا اصنافا فقال المنافقون ما بالهم كانوا على قبله وما بالهم
تركوها وقالت اليهود اشتاق محمد الى بلد ومولده وقال المشركون
تحير في دينه وقال المسلمون ليتنا نعلم حال اخواننا الذين ماتوا وهم
يصلون نحو بيت المقدس فنزلت الايات وروى ان حيي بن اخطب
واصحابه قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلوتكم نحو بيت المقدس اكانت هدى
ام ضلالة فان كانت هدى فقد تحولتم عنها وان كانت ضلاله فقد
دعيتم الله تعالى وتقربتم اليه بها وان مات منكم عليها مات على الضلاله
وقال المسلمون اما الهدى ما امر الله تعالى به والضلاله ما نهى عنه قالوا فنحن
شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان مات قبل ان تحول القبله سعيد بن
زراره من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمه وكانا من النقبا ومات
رجال قبل عشائريهم فقالوا للنبى ع م تقومى اخواننا وهم يصلون الى القبله
الاولى وقد صرف الله الى قبله ابرهيم فكيف باخواننا فانزل الله تعالى وما كان
الله ليضيع ايمانكم اى صلاتكم الى بيت المقدس سمى الصلاه ايمانا لان وجوبها
على اهل الايمان وقبولها من اهل الايمان وقيل كان اليهود كانوا يحلون الصلوه
ايمانا محاطبهم باسمه كما قال فراع الى الهتهم والاصنام ليست بالهه لكن كانت

كذلك على زعمهم فسماها باسمها اى على زعمهم وكما قال فتبارك الله احسن
الخالقين ولا خالق الا الله لكن كانوا يعرفون كل صانع خالقا فخوطبوا
على ما تعارفوا وقال الامام ابو منصور قال بعض المفسرين ان قوما
صلوا الى بيت المقدس وماتوا قبل ذلك فلما حولت القبله قالوا ضاعت
صلوتهم اشفقوا عليهم لكن هذا بعيد لاحتمال ان الذى اسعد الاسلام
من الصحابه وعرف موقع امر الله وامر رسوله لا يجوز ان يخطر ببالهم هذا حتى سالوا
عن ذلك بل كانوا اعلم بالله من ان يجحدوا الله مهم ذلك لانهم اطاعوا الله فيما لزمهم
وماتوا على التصديق لكن ان كان ثم سوال فهو من اليهود الذين لا يرون
النسخ او قوم من الكفره اذ وا رسول الله وافرطوا خلافه ومعاداته
لما ارادوا الاسلام فظنوا ان ما سبق منهم يمنع قبول الاسلام فانزل الله
وما كان الله ليضيع ايمانكم بما كان منكم في حاله الكفر يدل عليه احر الايه ان الله
بالناس لرؤف رحيم بقتاوا وعمرات او قوم علموا ان الاختلاف في الدين
وظنوا ان نسخ الاحكام يوجب اختلافا في الدين فبين ان الايمان لا يقع على اعتقاد
الصلوه الى جهة دون جهة بل يقع على الايمان فالايمان في الصحابه الذين
ماتوا كان على اعتقاد الايتمام ورسوله لكن بلا تفرق ولا اختلاف ويحتمل
ان يكون معناه ما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلوه الى بيت المقدس بل كان
بالامر ان الله بالناس لرؤف رحيم الرؤف على وزن فعول والرؤف على وزن
فعل وهو المبالغه في الرحمه والرافه المصدر والرافه بالمذكر كالرحيم
اعم والرؤف ابلغ ولذلك جمع بينهما لان المعنيين جميعا وابدا لابلغ
وحيم بالاعم ومعناه هاهنا برافتهم ورحمته تقلهم عند ذلك الى هداه وهو اصلح
لهم ولم يضع عملهم ولم يوجب اعادته هلتهم بعد النسخ ثم وصف رسوله بالمو
رؤف رحيم وقال في صفه نفسه ان الله بالناس لرؤف رحيم وهو لعم
الكفاره والمؤمنين ولذلك في حق الكافر فانه يرزقه ويمهله واذا اتاه يقبله

ورافة محمد ورحمة على المومنين خصوصا كانت من الله تعالى فما رحمة من الله لبث
لهم ويقول لنبيه عليه السلام قل لو ان عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى
وبينكم اخبر ان الكفار يستعجلون العذاب ولو كان ذلك الى النبى عليه السلام
لاهلكهم فلا رافة ولا ارحم من رب العالمين هو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين
ثم قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم فى جواب الذين سالوا عن حال صلوتهم الى
بيت المقدس ظاهر وعلى قول من قال هو جواب عن صلوة الذين صلوا الى بيت المقدس
وما نوا يكون معناه ليضيع ايمان سلفكم كما قلنا فى قوله واذ قتلتم نفسا
فادارأتم فيها وان كان هذا جواب الكل فوجهه انه خطاب الحاضرين
والغايبين والغالب فيه من استعمال العرب هو الاجراء على المخاطبة يقولون
لكنت انت وفلان الغايب فعلتما ذلك وقوله قد نرى تقلب
وجهك فى السما قد قدمنا فيه وقد كلمة تاكيد ولقد ابلغ منه والتقلب
التصرف فى معناه نرى ادامة نظرك الى السما انتظارا التحويل القبلة الى
الكعبة وكان يتمنى ذلك مخالفة اليهود لانهم كانوا يقولون انه مخالفنا
فى ملتنا ويتوجه الى قبلتنا ولان الكعبة كانت قبلة ابرهيم ولانه كان
يرجو ان يكون فى ذلك سبب لاسلام العرب وقوله فلنولينك
اللام فى اوله والنون فى اخره للقسم وهو للتاكيد اى لنوجهنك قبلة
مفعول ثان ترضاها اى تحبها للمعانى البلاغة التى قدمنا وقيل اى
ترضاها لانها كانت قبلة الانبيا من قبل وليس معناه انه كان لا يرضى غيرها
وهذا جايز فى الكلام يقول الرجل لاخر اعطيك شيا ترضاه وان لم يطمع
منه الكراهة فى غيره ذلك والرد وصل اى له تسخطها وسلم فى امر الله فيما
يعقل كما فعلت العرب الذى اسلموا ثم ارتدوا حتى حولت القبلة ما يرضاها
وترضى كل حين توجهك اليها لانك تعلم ان الله تعالى لم يفعل ذلك الا بعلمه
بان صلاحك وصلاح امتك فيه ودلت الاية على قدر نبينا صلى الله عليه وسلم عند ربه

حيث جعل الكعبة قبلة له على موافقة محبته ورضاه وهذا كما روى عن عايشة رضى
انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله ترجى من تشا منهن
وتوى اليك من تشا يا محمد ما ارى ربك الا يسارع لك فى رضاك وقد مر
عن الامام انى منصور ابه وال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه
فى السما لما سبق له من الوعد بتحويل القبلة قال ويقال وهو فى تفسير الحسن
انه كان رجا ان يومر بالتوجه حين كان امر عنها وقد نهى عن الصلوة
الى بيت المقدس ولم يومر بعد بالتوجه الى غيرها فكان يقلب وجهه الى السما
رجا ان يومر بالتوجه الى غيرها وقوله فول وجهك سطر
المسجد الحرام اى وجهك وجهك نحو الكعبة اذا ارادت الصلوة وشطره
قوله فول وجهك اى اجعل وجهك مما يليه وشطر الشى نحوه والمسجد الحرام
قيل هو على ظاهره وهو المسجد الكبير الذى فيه الكعبة وقالوا ان عرض الكعبة
يصعب استقبالها لصغرها وقيل هو الحرم كله والصحيح ان الكعبة
هى القبلة ففى جميع الاحاديث كذلك ثم صرف الى الكعبة وكان يحب ان يوجه
الى الكعبة حول الى الكعبة فقال عند ذلك الا ان القبلة حولت الى الكعبة
وقوله فلنولينك اى نحولنك الى الكعبة وقوله وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره هذا امر لجميع المومنين بذلك بعد ما امر به محمدا
على الخصوص وفيه اضمار اى وفى اى موضع كنتم من الارض فى ايام الصلوة
فولوا وجوهكم نحوه وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم اى
اليهود والنصارى يعلمون انها هى القبلة الا انهم واجهم اليها كانوا يصلون
وقيل اى ليعلمون انه الحق لعلمهم انك نبى وانك لا تابى الا الحق وقيل
اى فى كتبهم صفة النبى عليه السلام ومبعثه وهجرته وتحويله الى الكعبة
وكانوا يعلمون ان الله سيحوله اليها وانه الحق من ربهم ليعلمون انه يرجع
الكناية الى التحويل الذى دل عليه قوله فلنولينك او تعديره ليعلمون ان

ان ما تولیکه وما تعمله من تحویلک الی الکعبه هو الحق وقوله
وما الله بغافل عما تعملون قرا الاعمش بتا المخاطبه وهی قراءه ابن عامر وحمزه
والکسائی وهو وعد للمومنین بالثواب علی القبول والاداء وقرا الباقون
بیا المغایبه وهو وعید للکافرین بالعقاب علی العنود والاباء وقوله
ولئن اتیت الذین اوتوا الکتاب بکل ایة ما تبعوا قبلتک ولئن لام قسم
دخلت علی ان التی هی للشرط ولذلک اجیب بما وجوابات القسم کثیر احذفها
ما قال تعالی والضحی اذا هوی ما ضل صاحبکم وما غوی والثانی ان
المشدده. قال تعالی لعمرک انهم لفی سکرتهم والثالث اللام المفتوحه
قال فوربک لنحشرنهم والرابع ان الخفیفه قال یا لیتنا ان کنا لفی ضلال
مبین والخامس لا قال الم ذلک الکتاب لا ریب فیه ولئن اتیت الذین
اوتوا الکتاب بکل ایه ای ولو جئت روسا الیهود والنصاری
بکل معجزه طلبوها ممکن علی تصدیق بکل دعوی رسالتک ما تبعوا قبلتک
ای ما صلوا الیها ولم یومنوا بک لما وجهان احدهما ان جمیعهم لا یومنون
وهو قول الحسن اما جوز ان یومن بعضهم وقیل هی اقوام باعیانهم علم
الله منهم ذلک علی وجه العناد وقوله وما انت بتابع قبلتهم
ای ولست انت یا محمد بمستقبل بیت المقدس فی صلوتک بعد ما امرت بذلک
عنه وما بعضهم بتابع قبلة بعض ای لا تصلی الیهود الی قبلة النصاری ولا النصاری
الی قبلة الیهود ثم قوله وما انت بتابع قبلتهم له ثلاثة اوجه احدها انه جیء
اطماع اهل الکتاب فی متابعه الرسول علیه السلام اذ کانوا طمعوا فی رجوعه
الی الصلوة الی بیت المقدس والثانی انه قابل قوله ما تبعوا قبلتک بقوله
وما انت بتابع قبلتهم وهی من اقسام البلاغه تقول ما هم بتارکی انکار
الحق وما انت بتارک الامر قریه والثالث انه لیس بملک استصلاحهم
باتباع قبلتهم لاختلاف فی جهتیهم وتباین فی خلیتهم فبین انه محال عن ممکن

محال وقوله ولئن اتبعت اهواهم جمع هوی وهو الاراده والمحبة
ولم یقل هواهم علی الوصف لاختلاف اراده المخالفین ای ولئن وافقتهم القبلة
مع اراءة لهم وحرصا علی ایمانهم من بعد ما جاءک من العلم ای بیان القبلة انک اذا
هو بیان الوقت ای حین تفعل ذلک لمن الظالمین ای المتعادین لنفسک
وقیل ای الواضعین العلم غیر موضعه وقیل الخطاب للنبی ﷺ والمراد
غیره وجوز ان یکون له وان کان معصوما لما مر ان العصمة لا تزیل المحنة
وقال الامام ابو منصور ما انت بتابع قبلتهم فیه الوعد له بالعصمة والمستقبل
ویحتمل ان یکون معناه وما لک ان تتابعهم فی القبلة وهذا التاویل کان
اقرب لما خرج اخر الایه علی الوعید وفی الایه اثبات رسالته لانه اخبر
بالایاس عن اتباعهم له فقوم باعیانهم وکان کما قال والاوصل ای مثله الاتری
من الله وقوله والذین اتیناهم الکتاب یعرفونه کما یعرفون ابناءهم
قال ابن عباس الکنایه ترجع الی امر القبلة وهو قول مقاتل وقتاده
ای یعرفون انه حق وانه من عند الله وقیل الکنایه راجعه الی النبی علیه السلام
یعرفونه بالرساله والنبوه کما یعرفون اولادهم بالنسب والبنوه وقیل هی
مدح من آمن من اهل الکتاب کعبد الله بن سلام واصحابه وروی ان
عمر رضی الله عنه قال لابن سلام ان الله تعالی وصفکم بانکم تعرفون رسول الله
کما تعرفون ابناءکم فقال نعم وزیاده لانی اعرف انه رسول الله حقا بما ذکره
فی التوریه والانجیل ولا ادری ما ذا احدثت النساء بعدک فقال عمر وفقک
الله یا ابن سلام وان الله تعالی مدح هولاء الذین عرفوا واعترفوا
وذم الذین عندوا وجحدوا وذلک قوله وان فریقا
منهم لیکتمون الحق قال مجاهد ای صفة محمد ولم یجدونه مکتوبا عندهم فی التوریه
والانجیل وقال الربیع ای یکتمون امر القبلة ولم یعلمون ان محمدا رسول الله
وان الکعبه قبلة الله وقیل ولم یعلمون انهم یکتمون الحق وقیل ای یعلمون ماذا

يجب عليهم من العقوبه لمن كتم الحق وقال العشري حملهم مستكبرات
الحسد وسوء الاختيار على مكابرة ما عملوه بالاضطرار ولذلك المغلوب
ح ظلمات نفسه يلقى جلباب الحيا فلا ينجع فيه ملام ولا يرد عنه عن اهماله
كلام وقوله الحق من ربك اى هذا هو الصدق من ربك وهو خبر
مبتدا محذوف على هذا القول وقيل الحق مبتدا وخبره من ربك وقيل
من ربك متعلق ح بصدر الكلام والحق خبر وقيل معناه القبله هى الكعبة
وان الله ليحق تقلكم اليها لعلمه بمصالحكم وقوله فلا تكونن من
الممترين اى ان كنت في المرية الشك والمراء المجادله وقال ابن عرفه قوله
افتمارونه اى تجادلونه جواب ان كنت وقوله فبای الاء ربكما تكذبان اى
تشكون وقوله افتمارونه اى تجحدونه وقوله فلا تمار فيهم اى فلا تجادل واصل
المرا الذى هو الجدال من قولك مريت الشاه اذا حلبتها واستخرجت لبنها
فالمرا الجدال لاستخراج ما عند الخصم ومعنى الايه فلا تكونن من الشاكين ح انه
حق وانه من عند الله وقيل اى لا تشك ح هذا ولا تسمع ما يدعوك الله فانه
ليس بحق وليس هذا من عند الله وقيل اى فلا تسكن ان هذا الفريق معاندون
لتكتمون الحق وقالوا بعد ما طلعت شمس المتقين فلا تركنن الى ظلمات التهمم
ثم اذا صرف معنى قوله يعرفونه اى امر القبله كانت هذه الايات البث
على سنن واحد واذا صرف الى النبى ﷺ وهو معاينة والتى قبلها ولين اتبعت
مخاطبه والتى بعدها الحق من ربك مخاطبه فتوسط الثانيه على المغايبه يكون
على الاستقال من هذه الى تلك ومن تلك الى هذه وذلك ح القرآن كثير جدا اذا
كنت ح الملك ح جرت بهم وسقاهم ريحهم ان هذا كان لكم جزاء وقوله
ولكل وجهه هو موليها اى ولكل قوم قبله توجه اليها وقوله هو موليها
يجوز ان يكون هو راجعا الى قوله ولكل لفظ واحد وان كان معناه الجمع
ويجوز ان يكون الكنايه الراجعه الله على التوحيد للفظ ومعنى موليها اى

جاعل اليها وجهه ويجوز ان يكون هو اسم الله اى الله موجه اليها عباده
والتوليه متعديه على الاول بحمل الوجه مضمرا اى كل موجه اليها وجهه
وقوله فاستبقوا الخيرات اى سارعوا اليها واصل السبق التقدم
والاستباق من الاثنين ومن الجمع كالتسابق ح كذا التباعد والابتداد والتفاوت
والاشتمال وقوله اينما تكونوا اى كلمه شرط ولذلك جزم ح علامه
الجزم سقوط النون يات بكم الله جميعا جزم بالى لانه جزا الشرط اى ح اى
موضع كنتم احضركم الله المحشر ان الله على كل شى قدير اى قادر ح نفسه
الايه اما ويل فصل هذا تمام الكلام الاول وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع
قبله بعض ح لكل منكم وجهه اى قبله يستقبلها واضيافها لا يفاد فيها
فلا سبيل الى اجتماع جميعكم على قبله واحده فالزموا معاشر المسلمين قبلتكم
فانكم على صواب من ذلك ح الدنيا والاخره واينما كنتم من جهات الارض جميعكم
يفصل بين المحق والمبطل والمطيع والعاصى فانا بكم وعالم من يخالفكم انه
على كل شى قدير على كل شى من الجمع والاحضار والمجازاه وقال ابن الكسائى
لما قال السفها ما ولاهم عن قبلتهم ايذان الله قوله ولكل وجهه اى لكل من اليهود
والنصارى والمشركين قبله هو موجههم اليها فان كان الله وجههم اليها
فات فما يتكلف اليه من قبله الى قبله بمنزلهم فما معنى قولهم لكم ما ولاهم
عن قبلتهم فتسارعوا الى ما دعاكم الله فانه خير لكم وقيل اى بدء المعاد
والكعبه كل واحد منهما جمع والله يولى عباده الى هذا او الى هذا على ما
الى الصلاح فاستبقوا الى الانتياد لامر الله ح الحالين ففيه خيرات لكم
فلا تلتفتوا الى طعن هؤلا فانهم يريدون ان يصرفوكم عنها فاستبقوا اليها
ولا تغلبوا على ذلك والله يجمعكم واياهم يوم القيامه فيفصل بينكم وقيل اى
لكل اهل ناحيه منكم ايها المؤمنون ناحيه يتوجه منها الى الكعبه فكان عن يمينها
او يسارها او قدامها او خلفها فكلهم يستقبلونها بامر الله والله وجههم اليها

ولا يخفى على الله حال اهل الآفاق وبيانهم في ذلك هو حشرهم وجمعهم
وقوله في قوله فاستبقوا الخيرات اى بادروا اليها قبل الموت وفي
اى موضع متم حشرتم وهو زيتم وقال بعض اهل الحقيقة معناه كل قوم
استعلوا عما يعمرها واقبلوا على عمرها وكونوا معاشر العارفين واشتغلوا
بنا عن غيرنا مما جعلكم اليها وانشدوا اذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم
جعلت استعانى قبل ما منتهى شغلى وقوله ومن حيث خرجت
قول وحمل شطر المسجد الحرام اى ومن اى موضع خرجت وانما كنت في
اقطار الارض فاستقبل القبلة في صلوتك وانه للحق من ربك اى تحويل القبلة
الى الكعبة حق وهو من الله وما الله بغافل عما تعملون قرا ابو عمرو بيا الغايبة
ردا الى قوله بعض قومه والباقون تا الخاطبة ردا على قوله اينما تكونوا وقوله
ومن حيث خرجت قول وحمل شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم قولوا وجوهكم
شطره ان قالوا لم كرر الامر باستقبال القبلة فقال اولا لئلا يكون لبشر قبلة
ترضاها قول وحمل شطر المسجد الحرام وقال ثانيا ومن حيث خرجت قول وحمل شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك
وقال ثالثا ومن حيث خرجت قول وحمل شطر المسجد الحرام وقال خامسا
قولوا وجوهكم شطره قلنا لهذه اوجه احدها ان التكرير للتاكيد
والتقرير والثاني انه لما نسخ ثقل على اليهود وصعب عليهم الانتقال
فكرر الامر به كما كرر الامر بالصلوة والزكوة لما انهما كانا تشقان عليهم
فان الصلوة نهاية الخضوع والزكوة بذل المحبوب فكررهما وفي النفوس قدرها
وهذا الكلام والثالث ان كل واحد منهما لفائدة اخرى فان الاول كان
حين كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في مسجده بالمدينة الى بيت المقدس
فورد النسخ وامر بالتوجه الى الكعبة فقيل له قل وحمل شطر المسجد الحرام
اذا صليت في مسجدك وكان هذا امرا له على الخصوص ثم عمم المومنين فقال

الى ط

لعامة المومنين وحيث ما كنتم اى في سايد المساجد ومواضع الصلوات
من البيوت في غيرها فولوا وجوهكم شطره وهذا للمقيمين بالمدينة ثم قال
ومن حيث خرجت يا محمد في الاسفار فبين انه في الاسفار مثله في الامصار ثم
قال ومن حيث خرجت من سايد البلاد ثم عمم المومنين فقال وحيث ما كنتم ما اخر
النبي صلى الله عليه وسلم والرابع ان الاول مع الثاني وهو امر النبي على الخصوص
وامر المومنين على العموم كانا ابتدآ التوجه اليها والثالث امر للنبي صلى الله عليه وسلم
بالدوام عليه في كل امكنة والرابع والخامس امر للنبي صلى الله عليه وسلم على الخصوص
والمومنين على العموم على الدوام على ذلك في كل الازمنة والخامس ان كل امر ذكر لتقرب
به امر اخر وذلك مرتب البلاغة كقولك زيد عالم زيد جميل المعاشرة زيد اهل
للمروة وكانه قال الزم هذه القبلة فان الله شرفها باجابة دعوتك فيها الزم
هذه القبلة فانه قبلة حق لا قبلة هوى وهو قوله وانه للحق من ربك الزم هذه
القبلة فانه في كل زمان ومكان ايها استطاع حج الى غيرها وهو قوله
لئلا يكون للناس عليكم حجة اى دوموا على استقبال القبلة حيث كنتم فانكم
اذا فعلتم ذلك لم يكن للناس عليكم حجة اى موضع احتجاج وقوله
الا الذين ظلموا منهم اى الآن يحتج عليكم ظالم بما ليس بحجة وكشف الكلام ان
اليهود قالوا ما دارى محمد اين يتوجه في صلاته حتى هديناه وبعد تصرف القبلة قالوا اشتاق الرجل
الى مولد وبلد اباه وقالوا ما دارى عن قبلتهم التي كانوا عليها وقال المشركون
رجع محمد الى قبلتنا واستحى الى ديننا فابطل الله قول اليهود في عنادهم
انا هديناه الى القبلة حتى صرف الى قبلة ابيه ابرهيم واعلمهم انه هو الذي
هداه لها دونهم ورد قولهم ما ولاهم عن قبلتهم قل لله المشرق والمغرب يهدي
من يشا الى صراط مستقيم اى الاماكن كلها لله لا حرمة لها لاعيانها وانه
ان يامر عباده باستقبال ما شا منها وهو اعلم بمصالح عباده فلم يبق للمبطل

خصومه ولا شبهه لانهم ان قالوا تصلح الى قبلتنا في هذه الحاله كما يرجوا
وان قالوا ان المشرق والمغرب لله يسالله كذبوا وان قالوا لا ملكه ما فيها
حرمه من عبوان يجعلها الله لها أحالوا وقولهم استاف الدخل الى بلد تحكم
منهم باطل بلا انقاد لامر الله وتسليم لحكم الله وهذا منهم دعوى لا برهان عليه
وهو ظلم والمحتج بمثله ظالم وقول المشركين انه قد رجع الى قبلتنا فسيرجع
الى ملتنا هذا تمنى منهم وليس للانسان ما تمنى وقالهم لم يرجع الى قبلتكم
بل استقبلها بامر الله الذي بعثه الى خلقه فاطاعه فيما امره به حتى هجر اهله
وقراباته وبلده لابتغاء مرضاته وهذا اوضح ما قيل فيه واقواه واعلاه
وقيل الاستثناء منقطع هنا ومعناه لكن كما قوله مالهم به من علم
الا اتباع الظن وقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ومعنى هذا على
هذا الوجه لكن الذين ظلموا منهم يتعلقون بالشبهة فموضع الحجة وقيل اراد
بالحجة المحاجة اي التي دلله وتقديره ليلا يكون للناس اي اليهود عليكم حجة
اي محاجة الا للظالمين فانهم يحاجونكم بالباطل وعلى هذا القول يكون الاستثناء
متصلا غير منقطع وقال ابو عبد الرحمن ولا كانة قوله وما كان لمؤمن
ان يقتل مؤمنا الا خطأ اي ولا احطاء وقال ما بالمدينة دار غير واحدة
دار الخليفة الا دار مروان اي ولاد مروان فعلى هذا يكون في الدين
ظلموا وقال قطرب معناه الا على الذين ظلموا فانهم عطف على قوله عليكم
اي لا يكون لاحد حجة عليكم الا على الذين ظلموا وقال ابو معاذ النحوي الا هنا
ليس الاستثناء ولكنه حرف سيق معناه والذين ظلموا منهم وقوله
فلا تخشوهم واخشوني اي لا تخافوهم في التوجه الى الكعبة وخافوني
في تركها وقال ابن كيسان فلا تخشوا الناس في ظاهرهم عليكم في المحاربة
والمحاجة فاني اظهركم عليهم بحجة بالحق وقيل فلا تخشوهم فيما يحاجونكم اي
يخاصمونكم فانهم لن يضروكم في دينكم ما اطعتموني واخشوني فلا تعصوني فانكم

ان خالفتموني استوجبتم عذابي وقوله ولاتم نعمتي عليكم قيل الواو زايده كما في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا اي احرى
لاتم نعمتي عليكم وفي نعم الدنيا والاخره وقيل هو الختم على الاسلام وقيل
اي ولاتم بتمني عليكم هديتكم الى هذا فهو مصدر فيه وقيل هو عطف
على قوله ليلا يكون للناس عليكم حجة ولاتم نعمتي عليكم بتعليمكم شريعته
الى غير ها مما فيه صلاحكم حتى يتم لكم صلاحكم وقد حقق ذلك ونعمته
حتى قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وقوله ولعلكم
تهتدون اي وتنتهدوا الى سرايع دينه الحنيف الاصل في البيت الواضحة
ما خوذه من محجة الطريق وقيل هي المغلبة يقال لججه اي غلبه وقيل
هي التي وجب الرجوع اليها عما لها من حج البيت وهو الرجوع اليه ولذلك
سمي مثابة اي مرجعا وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم قيل
هو متصل بما قبله وعليه وقع التشبيه وهو قوله ولاتم نعمتي عليكم اي النعمة
عليكم من امر القبلة كالنعم بارسال محمد فيكم وهو احد قولي الزجاج والفراء
وقيل معناه كما اجبت دعوة ابيهم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية
بعثت محمدا فكذلك اجبت دعوته مع ذلك الدعوة ومن ذريتنا امة مسلمة
لك وشرعت لهم الشرايع الحنيفية السمحة اتماما للنعمة وقال الحسن ان
نجيح ومجاهد وهو احد قولي الفراء واختيار الزجاج وهذا متصل بما بعده وكانه
قال كما ارسلت فيكم رسولا من انفسكم يعلمكم بعد الجهل ويطهركم ولم تفلم
على سعالم الدين ومحي نعم توجب الشكر فاشكروا لي اذكركم بعمي وانا مع ذلك
اذكركم وقوله اذكروني له جوابان متقدم ومتاخر فجعل ذكرهم شكرا
للنعمة الماضيه وايجابا لذكر الله لهم بنعمة مستانفة وقوله كما
ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم ايا تنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة
هذا خطاب للعرب وهذا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتفسير

تلاوة الايات والتركيه والكتاب والحكمه تقدم في قوله ربنا وابعث
فيهم رسولا على الاستيفا والاستقصا وقوله ويعلمكم
مالم تكونوا تعلمون اى من اقاصيص الامم الخاليه والقرون الماضيه
والاخبار عما يكون في الازمنه الجايه وغير ذلك من علوم الديانه
العاليه وقوله فاذكروني اذكركم تقدم الكلام فيه مرارا حتى
اللغه وقال محمد بن علي الترمذي ذكر الله على وجوه الاول ذكره
بالتوحيد والثاني ذكره بالامر والنهي والثالث ذكره عند كل
نعمة في الدين والدنيا والرابع ذكره بالمنه والخامس ذكره بالتدبير
والسادس ذكره بالمحبة والسابع ذكره بالوفا والثامن ذكره بالشوق
اليه والتاسع ذكره بالاتصال والعاشر ذكره بالمراعاه على الدوا
وكل ذاكر على حسب ذكره يرجع اليه ثم ذكر في ذلك الوجه يذكره
ربه وقال ابن عباس في قوله ولذكر الله اكبر اى ذكر الله اياكم اكبر من
ذكركم اياه وفي قوله فاذكروني اذكركم لاهل البصره في عبارات لطيفه
وقال الحسن اذا ذكروني بالتوبه اذكركم بغفران الحوبه وقيل
فاذكروني بالطاعة اذكركم بالرحمة فاذكروني بالرضا اذكركم بالاجابه فاذكر
بالسوال اذكركم بالنوال فاذكروني بالاعتداد اذكركم بالامهال فاذكروني
بالندم اذكركم بالكرم فاذكروني بالمعذرة اذكركم بالمغفره فاذكروني
بالارادة اذكركم بالافاده فاذكروني بالاخلاص اذكركم بالخلاص فاذكروني
بالتذلل اذكركم بالتفضل فاذكروني بشهود قلوبكم اذكركم بتحقيق مطلوبكم
فاذكروني على البساط حتى الخدمة اذكركم بالاجابه على بساط القربه بالمكافا
الغصه فاذكروني بتعريفه السرا اذكركم بتوفيته البر فاذكروني في حال
حبوبكم اذكركم بعفوي فاتكم فاذكروني في سهوكم اذكركم في محوكم فاذكر
في دنياكم اذكركم في عقباكم فاذكروني بفضل العلانيه اذكركم بوصل الحما

واشكروا لي

واشكروا لي على عظيم منتي عليكم حيث قلت لكم فاذكروني اذكركم بذكري ذكرتموني ولولا
ذكري السابق لم يكن ذكركم اللاحق وقيل فاذكروني في الرخا اذكركم في البلا فاذكروني
بالمجاهدات اذكركم بالمشاهدات اوقوله تعالى واشكروا لي الشكر اظهار النعمة
بالاعتراف بها او بعمل هو كالاعتراف في القيام بحقها والكفران ستر نعمة المنعم
بالجحود او بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم ويقال شكرته وشكرت له كما يقال
نصحته ونصحت له وقال الشاعر

هم جمعوا بوسي ونعمي عليكم فهلا شكرت القوم اذ لم تقاتل

قوله تعالى ولا تكفرون حذفت اليا من اخره لتستوي الفاصل وهو كقول الشاعر

ومن شانيي كاشف باله اذا ما انتسيت له انكرن

وقوله فاذكروني امر بالقول واشكروا لي امر بالعمل قال تعالى اعملوا آل
داود شكرا وقال الامام ابو منصور رحمه الله اي وجهوا شكر نعمتي الي ولا
تشكروا غيري ويحتمل وجهوا العبادة الي ولا تعبدوا غيري وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة ختم الاية التي قبلها بالامر بالشكر وبدا هذه
الاية بالامر في الصبر ومما جامعان جميع خصال الايمان ووجه آخر
انه ذكر الا الذين ظلموا منهم وهم الاعداء وقال فلا تخشوهم واخشوني ثم امر
في هذا بما يدفعهم ويرد عنهم وهو الاستعانة بالصبر والصلاة على مجاهدة
العداة وقوله استعينوا بالصبر والصلاة قد اوفينا الكلام فيه في اول قصة
بني اسرائيل ومعناه استعينوا بهما على الجهاد في سبيل الله مع اعدا الله
وقيل استعينوا بهذا النوع من الطاعة على غيره من الطاعات وقال الكلبي ومقاتل
والربيع بن انس رحمهم الله استعينوا على طلب الاخرة وتمحيص الذنوب بالصبر على
اداء الفرايض والصلوات الخمس وقيل استعينوا بالصبر منكم وبالصلاة مني

استعينوا

وعدا بقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم على ادا الفرايض وتحمل المكاره اي
انظروا في حسن هذا الاسم وحسن هذا الجزا حيث يسهل عليكم الاداء والرضا
وقوله تعالى ان الله مع الصابرين اي بمعونتهم ونصرتهم وقيل يظهر دينهم
على سايرالاديان لان من كان الله معه فهو الغالب وهو اشرف رتبة واجل
وعد قال الله تعالى لموسى وهارون انني معكما وقال لبني اسرائيل اني معكم
لين اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة الاية وقال موسى كلا ان معي ربي سيهدين
وقال نبينا عليه السلام في الغار ان الله معنا وقال تعالى ان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون وقال تعالى ان الله لمع المؤمنين وقوله تعالى
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله امواتٌ فيه اضمار اي هم اموات وقوله تعالى
بل احياء اي بل هم احيا والقتل نقض البنية الحيوانية وسبيل الله هو الجهاد
لانه طريق الى ثواب الله ورحمته وقوله تعالى ولكن لا تشعرون اي لا يعلمون حقيقة
حيا تهم بعد زهوق ارواحهم وقال القشيري رحمه الله لئن قتلت في الله
اشباحهم لقد بقيت بالله ارواحهم ومن كان فناه لله كان بقاوه بالله هم في
ظلال الانس يبسطهم جماله مرة ويستزفهم جلاله اخرى قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما نزلت في قتلى بدر اربعة عشر من المسلمين وقال الضحاك رحمه
الله نزلت في الذين قتلوا عند بير معونة وذلك ان المنافقين قالوا مات
فلان ومات فلان فنزلت الاية وقيل ان العرب كانت تعرف الموتى من انقطع
ذكره اذ لم يبق له احد يذكره فاخبره الله تعالى انهم مذكورون في
ملاء الملايكة وقال الحسن رحمه الله ان ارواح المؤمنين تعرض على الجنان
وارواح الكفار تعرض على النيران ويكون لارواح الشهد افضل لذة لا تكون
لغيرهم ولارواح الكفرة من آل فرعون فضل الم لا يكون لغيرهم وقال جعفر
الصادق

الصادق رضي الله عنه الشهدا قتلوا في ذات الله واستوجبوا الثواب عند
الله فهم احيا مرزوقون شهدا فرحون والذين قتلوا هواهم بما قاسوا من
قطع هذه العقبا صاروا بالهوا قتلى فاستوجبوا على الله احيا قلوبهم وجعلهم
شهدا مرزوقين فوايد ولطايف فرحين مستبشرين قد بسطت عروقهم وسكنت
حركا تهم وانقطعت طلبا تهم ووقفوا بين يدي مليكهم فهم احرار خدام فطوبى
لهم هم اولياء الله واحباوه وروي ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي
عليه السلام انه قال الشهدا عند الله على منابر من ياقوت في ظل عرش الله
يوم لا ظل الا ظله على كثب من مسك لا يدرون ما يصنع الناس فيقول بعضهم
لبعض الا تذهب الى الناس فتنظر فيبعثون فيقول لهم الرب تعالى المراد لكم
فيقولون بلى ربنا لو صنعت بنا واحدة قال وما هي قالوا الورد تنا الى
الدنيا حتى نقتل فيك ثانية وقال رسول الله عليه السلام لولا ان اشق على
المومنين ما خرجت لهم سرية الا وانا فيها ولودت اني اقتل ثم احيا ثم استشهد
ثم احيا ثم استشهد ثم احيا ثلاث مرات وقيل معنى قوله بل احيا اي
لا ينقطع ثواب اعمالهم لانهم قتلوا لنصرة دين الله فما دام الدين ظاهرا
في الدنيا واحد نقاتل في سبيل الله فلهم ثواب ذلك لانهم يسنوا هذه السنة
وقوله تعالى ولنبلونكم اي ولنمتحننكم وهو لام قسم والابتلا من الله لاظهار
ما علم وقوله تعالى بشيء من الخوف اي خوف الاعدا وانتظامها بما قبلها ان الصبر
والاستعانة به وبالصلاة على احتمال هذه المكاره وقوله تعالى والجوع
اي وبشيء من الجوع وهو القحط والسنه ولم يقل باشيا وان ذكر بعده بلابا
معدودة لانه اضمر ثالثا التفاتا عن العطف المقتضي لاعادة المذكور اولا
وقوله تعالى ونقص من الاموال اي وبشيء من ذلك بالسرقة والاغارة

ثانيا ص

واخذ السلطان والهلاك وقوله تعالى وَالْأَنْفُسِ اي بالقتل والموت وقوله تعالى
وَالثَّمَرَاتِ اي وذهاب ثمرات الكروم والاشجار بالبرد والسموم والريح والجراد
وغيرها من الافات وقوله تعالى وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ اي المتحلين هذه المكاره وقيل
الخوف هو الجهاد والجوع هو صوم رمضان ونقص الاموال هو ايتاء الزكاة
والحقوق المالية والانفس هو بذل الارواح في ذات الله والثمرات هو دفع
العشر وقيل هو صرف ثمرات الاعضاء وهي الافعال الى عبادة الله جل جلاله
والابتلاء لها التعبد بهذه الانواع وقوله تعالى وبشر الصابرين اي الذين
على اديها القائمين على مراعاتها وقيل الخوف هو خشية القلب من الله تعالى
والجوع غلبة شوق العبد الى لقاء الله تعالى ونقص من الاموال هو التجرد
عن غير الله تعالى في محبة الله والانفس هو تسليم الانفس الى الله تعالى
والثمرات هو بذل الاولاد في رضا الله تعالى فالولد ثمرة الفؤاد وبه ورد
الحديث وبشر الصابرين على هذه الحالة الصادقين في هذه المقامات
وقال النبي عليه السلام ان الله تعالى يقول للملائكة أقبضتم قرة عين عبدي
وثمرة قلبه فيقولون نعم يارب فيقول الله تعالى فماصنع عبدي قالوا صبر
واحتسب فيقول الله تعالى ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وقال
بعض اهل المعرفة مطالب الغيب اما ان تكون بالمال او بالنفس او بالاقارب
او بالقلب او بالروح فمن اجاب الى المال فله النجاة ومن جاد بالنفس
فله الدرجات ومن صبر على فقد الاقارب فله الخلف والقربات ومن لم يرض
اي يجاد لحتى يقتل في سبيل الله عنه الروح فله دوام المواصلات
وفي التفسير ان ما ذكر في الآية اصاب اصحاب رسول الله عليه السلام
ورضي عنهم وكان الخطاب لهم اما الخوف ففي وقعة الاحزاب قال
تعالى

تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الايات واما الجوع فكان
القحط بمكة تسع سنين حتى اكلوا العظام وكان الواحد من شدة الجوع يخر على
وجهه من الجوع وكان عليه السلام يشد الحجر على بطنه ويمر على رسول الله الشهر آل عمران
والشهران وما طعامهم الا الاسودان التمر والماء واما نقص الانفس
فبالشهادة وبالجراح وبالموت وذهاب الاخوان والاقران واما نقص
الثمرات فبالجدب وترك الضياع على الضياع بالجهاد وبانفاقها على
الفقراء والغرباء وقوله تعالى الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قيل هو نعت
الصابرين واعرابه بالنصب وقيل هو ابتداء وجوابه اولئك وبشر الصابرين
تام وعليه وقف وهو اكثر فائدة وابلغ النصب في الكرامة وهو البشارة
بنفس الصبر وهو صفة مدح تامة وقوله تعالى اصابتهم اي نالتهم
بليه والاصابة ضد الاخطاء قال النبي عليه السلام واعلم ان ما اصابك
لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن ليصيبك والمصيبة اسم لكل حادثة
مكروهة من نقصان وفوات ونحو ذلك وقوله تعالى قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ هي كلمة تسليم ومعنى انا لله انفسنا لله وهو يتصرف
في ملكه فلا اعتراض اولو كانت المصيبة بذهاب انفسنا لم يكن لنا
ان نجزع فكيف وهي في اموالنا او احبابنا ونحن عبيد الله والعبد
وما في يده لمولاه فان شاء بقاه في ايدينا وان شاء استرده منا فلا نجزع
باخذ ما هو ملكه بل نصبر فان عشنا فعليه رزقنا وان متنا فاليه مردنا
وعنده ثوابنا وهذا معنى قوله تعالى وانا اليه راجعون وقيل اي
انا لله عبيدا حيا وامواتا وانا اليه راجعون ان رضينا بقضايه استوجبنا
ثوابه وان لم نرض بقضايه استوجبنا عقابه وقيل معناه نحن عبيد الله

وفي قبضة الله يمضي فينا قضاوه احبينا اوكرهنا وقال ابوبكر الوراق
انا لله اقرارمنا له بالملك وانا اليه راجعون ان رضينا بقضايه اقرار
على انفسنا بالهلك وقال محمد بن علي الترمذي رحمه الله اي ما اعطانا
ربنا كان فضلاً منه ولا يليق بكرمه الارتجاع في عطاياه وانما اخذه ليكون
ذخيرة لي عنده وليظهر سري للملائكة ليعلموا كيف ثقتي به وتفويضي اليه
وحسن ظني به ثم من العباد من ذكر الرجوع اليه لان في لقايه عوضا من
الدارين فيتسلى عن كل ما فاته بما يامل من لقايه ومنهم من ذكر الرجوع اليه
لانه علم انه انفصل من عنده يوم الميثاق والرجوع يكون الى من كنت عنده
مرة فانما ترجع اليه بالعبودة التي اخذ الميثاق علينا ومنهم من ذكر
الرجوع اليه للوله لان وجود العبد بالله وولهه الى الله وقوله تعالى
أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ الصلوات جمع صلاة وهي الرحمة والتكرير
للتقرير وقيل الصلاة الرحمة في الدنيا والرحمة هي تكميلها لهم في الاخرة
وقيل الصلوات البركات وقيل الاثنية وقيل المباهات بهم الملائكة
والرحمة هي المغفرة وقيل هي الجنة وقوله تعالى وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ
قيل معناه الموقفون للاسترجاع وقيل اي اهتدوا الى الرضا والتسليم
وقيل الثابتون على الاسلام وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه نعم العدلان
ونعم العلاوة العدلان الصلاة والرحمة والعلاوة اولئك هم المهتدون
وقال مقاتل بن حيان في قوله تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال
الاسترجاع وقال عكرمة طفئ سراج النبي عليه السلام فقال انا لله وانا اليه
راجعون قيل يا رسول الله امصيبة هي قال نعم كل شيء يوذي المومن فهو
له مصيبة وقال سعيد بن جبير اعطي الله هذه الامة في المصيبة ما لم
يعطه

يعطه يعقوب النبي عليه السلام فانه قال في فقد يوسف يا اسفى على يوسف
ولم يكن له الاسترجاع قال الامام ابو يوسف رحمه الله قد وجد من كلامه ما يحقق
هذا المعنى وهو قوله تعالى فصبر جميل وقوله تعالى انما اشكو بثي وحزني
الى الله على انه ان كان اخبر انه لم يهلك وقال وعد الله الذين خضعوا لحكمه
ورضوا القضاء به بثلاث خصال احداها صلواته عليهم وصلواته تحتمل
مباهاته الملائكة بتعظيم ما عنده لهم ويحتمل ثناه وذكره باخباره عباده
بقوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله امواتٌ بل احياء وما يشبهها من الآي
ويحتمل النعمة او الرحمة يلقيها في قلوب عباده حتى يحمدهم اذ خلف يعطيهم
في الدنيا ثم شهد لهم بالهداية وذلك يحتمل ان يكونوا اهتدوا الدين ولما
عليهم في المصيبة من التسليم لله تعالى ويحتمل الاهتداء الطريق الجنة
على ما بينه في كتابه من الوعد للشهداء ثم الجزء الاول
ويليه الجزء الثاني اوله ان الصفا والمروة
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه اجمعين سبحان
ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين
والحمد لله رب
العالمين
اتم